د. كمال مظهر أحمد

كردستان

في سنوات الحرب العالمية الأولى

الفارابي
الفارابي

كردستان

في سنوات الحرب العالمية الأولى

М.А. Камаль

КУРДИСТАН

В ГОДЫ ПЕРВОЙ МИРОВОЙ ВОЙНЫ

Перевод с курдского
(На арабском языке)
МУХАММАД МУЛЛА КАРИМ

الدكتور كمال مظهر أحمد

كردستان
في سنوات الحرب العالمية الأولى

ترجمة: محمد الملا عبد الكريم

الفارابي أراس

الكتاب: كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى
المؤلف: الدكتور كمال مظهر أحمد
ترجمة: محمد الملا عبد الكريم
الغلاف: فارس غصوب

الناشران: * **دار الفارابي - بيروت - لبنان**
ت: 301461(01) - فاكس: 307775(01)
ص.ب: 11/3181 - الرمز البريدي: 2130 1107
www.dar-alfarabi.com
e-mail: info@dar-alfarabi.com
* **دار أراس للطباعة والنشر**
شارع جولان - أربيل - اقليم كردستان العراق
www.araspublishers.com
e-mail:aras@araspress.com

الطبعة الثانية: 1984
الطبعة الثالثة: كانون الثاني 2013
ISBN: 978-9953-71-851-4

مقدمة الطبعة الثانية

يؤلف موضوع «كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى» إحدى الحلقات المهمة من التاريخ الكردي المعاصر، فضلاً عن أهميته العلمية الثابتة، أنه لم يفقد حتى اليوم، وبعد مرور حوالى ثلاثة أرباع القرن عليه. أهميته العلمية كذلك. حقاً إنه موضوع حافل بالأحداث والتجارب.

ولا ريب في أن ذلك يأتي على رأس قائمة العوامل التي جلبت انتباه القراء إلى كتاب «كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى» في نصه الكردي (1975). وفي ترجمته العربية (1977). فقد قيّمته أوساط علمية وثقافية مختلفة، سواءً في الداخل («التآخي» و«طريق الشعب» و«الثقافة» و«العراق» و«آفاق عربية» و«هاوكارى» و«الإعلام»). أو في الخارج (في الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأميركية وفرنسا وإيطاليا).

ومع مرور سنوات قليلة على الطبعة الأولى للترجمة العربية من كتاب كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى. فإن هناك أعداداً متزايدة من القراء والمتتبعين المهتمين بموضوعه، ما استوجب إعادة طبعه. وليس لي، بهذه المناسبة سوى أن أكرر تمنياتي بأن يكون هذا الكتاب عند حسن ظن الجميع.

المؤلف

كلمة المترجم

قدِّر لي قبل سنوات أن ألخص الفصل الأول من هذا البحث مترجماً الى لغة العرب لنشره مع أصله الكردي في العدد الأول من المجلد الأول من مجلة المجمع العلمي الكردي. ومنذ ذلك الحين استحوذت على ذهني فكرة أن أترجم فصول البحث كلها بعد اكمال نشرها، الى اللغة العربية. ولم تكن فكرة نشر تلك الفصول في كتاب قد ولدت بعد، أو لم يكن في ذهني شيء بهذا الصدد على الأقل.

وإذ ظهرت سائر الفصول، المنشورة منها وغير المنشورة، بين دفتي كتاب صدر من المجمع في السنة 1975 وتلقفته أيدي القراء حتى نفد من الأسواق خلال أيام قلائل، ازداد شعوري بضرورة إنجاز ما استقر عليه فكري منذ حين. إلا أن انشغالي آنئذٍ لم يتح لي الفرصة لأكثر من أن أقدم عرضاً مفصلاً للكتاب نشر في جريدة «التآخي»[1] وأشرت فيه الى ما عقدت العزم عليه بشأن ترجمة الكتاب. وقد نال العرض استحساناً لائقاً من قبل جمهور القراء.

كان ذلك الى جانب التقييم الكبير الذي ناله الكتاب من قبل العديد من

---

(1) التآخي، العددان 2044 و2045، 25-26 تشرين الأول/ أكتوبر 1975.

الأساتذة المؤرخين والمعنيين بالدراسات الكردية[1] وعلى أساس ملخصات بعض فصوله التي نشرت من قبل في مجلة المجمع العلمي الكردي، والاستفسارات الكثيرة التي أخذت ترد تباعاً الى المجمع عن ترجمة الكتاب، والاقتراحات العديدة التي قدمت اليه بهذا الشأن، ورغبة المؤلف الفاضل نفسه في إعادة نظر شاملة في الكتاب، لمقتضيات علمية منها أن هناك دوماً بوناً شاسعاً بين المادة العلمية التي تعد للنشر كمقال والتي تعد للنشر كفصل من كتاب ـ وهذا ما يتبين جلياً لمن يمكنه اجراء مقارنة بين الأصل الكردي والطبعة العربية هذه ـ كان ذلك كله خير حافز لي على أنْ أنجز ما عقدت العزم عليه، وذلك ما تفرغت له في أواخر السنة الماضية، ويقدمه المجمع العلمي الكردي اليوم الى جمهور قراء العربية.

إنَّ الغبطة لتغمرني والسعادة تملأ جوارحي إذ أرى الأمنية التي ولت واختمرت في ذهني قبل سنين، وقد تحققت، فقدمت الى الأشقاء العرب جانباً من التاريخ الحديث لشعب شقيق لهم تربطهم وإياه أخوّة متعددة الروافد تعود بدايتها الأولى الى أيام حلول الاسلام في ديار الكرد، ثم عمّدها الزمن، وصقلتها الثقافة المشتركة من أوجه عديدة، وصهرتها بوتقة الكفاح المشترك على مرّ العصور ضد الغزاة والمحتلين ومن أجل الغد الزاهي السعيد.

وفي هذه المناسبة أود أن أشير الى نقطة أراها جديرة بالاهتمام، تلك

---

(1) اشير في هذه المناسبة بصورة خاصة. الى فقرة وردت في رسالة للمؤرخ الفاضل الأستاذ عبدالرزاق الحسني. وجهها الى الاستاذ مسعود محمد نائب رئيس المجمع العلمي الكردي، حيث ورد فيها قوله: «.. ولقد اعجبت كمؤرخ كل الإعجاب بمقالات الدكتور كمال مظهر احمد كردستان خلال الحرب العالمية الأولى. وحبذا لو طبعت برسالة مستقلة كما طبع اصلها الكردي، فإن فيها من المعلومات والطراوة ما لا نجد مثلهما في المظان الأخرى، عربية كانت أم أجنبية».

أنه اذا كان المثقفون الكرد في البلاد الأخرى، يكتبون في الأغلب باللغات السائدة في تلك البلاد، فيعرّفون أبناء شعوبها من مثقفين وأناس بسطاء بما يريدون أن يقولوه عن شعبهم، بلغات تلك الشعوب، طوعاً أو كرهاً، فإننا في العراق، وجدنا ونجد الفرصة لأن نقول ما يمكن قوله، بلغتنا نحن، مما يحرم اخوتنا العرب، بالضرورة، عن معرفة الكثير مما ينبغي أن يعرفوه عنا وينبغي كذلك أن نريد لهم أن يعرفوه. هذه الحقيقة تضع على عاتقنا نحن المثقفين الكرد العراقيين مهمة لا يصح التغاضي عنها بأي حال، ألا وهي ترجمة المواد الأصلية المكتوبة بلغتنا الكردية الى لغة العرب، فلن نكون في غنى بأي حال، كما لن يكون العرب كذلك في غنى، عن أن يعرفوا الكثير من تاريخنا وأدبنا ولغتنا وثقافتنا وتقاليدنا، مما يعرِّف بعضنا ببعض على نحو أفضل ويرسِّخ دعائم أخوتنا لخير الجميع، ويمد الى أعماق المستقبل جذور ماضينا المشترك..

ان هذا الكتاب سيكون لبنة أخرى في بناء هذا الصرح الذي بدأ تشييده منذ عشرات السنين ونطمح الى أن يعلو شامخاً ويرتفع أكثر فأكثر.. وإنني لآمل أن يجد فيه قراء العربية مختصين وغيرهم، جانباً مهماً مما تهمّهم معرفته، وأن يكون أساساً لنوع جديد في الترجمة من الكردية الى العربية، نوع أغنى وأوفر عطاءً وأكثر احتكاكاً بحقائق الحياة المعاصرة.

محمد الملا عبدالكريم

مقدمة المؤلف للطبعة العربية

يشغل الشعب الكردي صفحة بارزة في سجل تاريخ شعوب الشرق الحافل قديماً ووسيطاً وحديثاً، صفحة تحتاج، مع ذلك، الى جهود مثابرة خلاقة وأقلام مخلصة نيرة لسبر أغوارها ووضع حقائقها أمام الأنظار، لما في ذلك من أهمية علمية وعملية.

ورغم أن العديد من المؤرخين بدأوا في الآونة الأخيرة يولون دراسة تاريخ الشعب الكردي في بعض مراحله اهتماماً ملحوظاً، إلّا أن مكتبة الدراسات التاريخية لاتزال تفتقر الى بحوث جادة عن معظم جوانب ذلك التاريخ الذي ظلت، ولاتزال، صفحات كثيرة منه مجهولة لا بالنسبة لأبناء شعب جد قريب من صاحبه، وأعني بهم العرب، فحسب، بل هي ظلت كذلك حتى بالنسبة لأبناء صانعي ذلك التاريخ أنفسهم، مما يضاعف واجب المؤرخ الكردي، والذي هو واجب معقد في أساسه. واذا تمكن هذا المؤرخ من تقديم ثمرة مفيدة الى أشقائه، فإنه يكون قد أدى، حقاً، واجباً يدخل في عداد المقدسات، وأسدى خدمة تأتي في مقدمة الضرورات في بابها. وهذا بالذات هو الذي دفعني لأعيد النظر في النص الكردي لكتابي هذا وأضيف عليه الكثير مما رأيته ضرورياً ليكون القارىء العربي على بيّنة من الأمر. ولذا، دون أي دافع آخر، جاءت الطبعة العربية لـ كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى أوسع بكثير من نصه الكردي. ومما ساعدني على تحقيق ذلك

حصولي على مصادر جديدة ومهمة في اطار الموضوع بعضها أصلية تدخل للمرة الأولى في مجال البحث العلمي من أجل إلقاء الضوء على جوانب كان يصعب، من قبل، تحديد كل أبعادها من دون الاطلاع على ما ورد في هذه المصادر من حقائق ومؤشرات نادرة. وهنا أود التأكيد بشكل خاص على أعداد جريدة «تيكةيشتني راستي» (فهم الحقيقة)[1] التي أصدرها الأنكليز باللغة الكردية في بغداد بعد احتلالهم لها، فهي حافلة بالمعلومات القيّمة للغاية مما أتاح للمؤلف إمكانية فهم أعمق لأحداث مهمة وقعت في سنوات الحرب العالمية الأولى، وهو ما يدركه القارئ بسهولة من خلال اطلاعه على المواضيع الواردة في الفصلين الثالث والرابع من الكتاب.

يلاحظ القارئ اهتماماً خاصاً بالأحداث التي وقعت قبل الحرب والتي كُرِّس لها فصلان من الكتاب. وقد جاء ذلك بحكم الضرورة، نظراً لأهمية تلك الأحداث ووجوب عرضها لتقديم خلفية واضحة لأحداث لاحقة وقعت في سنوات الحرب نفسها، اذ كان من المتعذر عرض صورة متكاملة بدون الخوض في دراسة أهم الجوانب التاريخية لفترة ما قبل الحرب كمدخل ضروري الى صلب الموضوع. وللسبب ذاته رأيت من الأنسب توسيع هذا القسم من الترجمة العربية أيضاً والتأكيد فيه على الجوانب التي تهم المؤرخ والمتتبع العربي.

أشرت في نهاية مقدمة الطبعة الكردية لافتقار البحث الى المصادر العثمانية، إلّا أنه أصبح بالإمكان التعويض عن ذلك في الطبعة العربية الى حد غير قليل، وذلك بالاستناد الى بعض المصادر السوفياتية التي اعتمدت الوثائق التركية أساساً مهماً للبحث. وينطبق هذا القول بشكل خاص على

---

(1) يعكف المؤلف على إعداد دراسة مفصلة عن هذه الجريدة، ومن المأمول أن تقدم الى المطبعة عما قريب- المترجم.

المستشرقين الآذربيجانيين السوفيات المهتمين بتاريخ تركيا الحديث والذين تتوافر لهم امكانات الاستفادة الواسعة من المصادر التركية الأصلية[1].

واستفدت كذلك على نطاق أوسع من كتاب الأستاذ شكري محمود نديم عن الجيش الروسي في حرب العراق الذي يعتمد مصدراً تركياً ألفه ضابط عثماني كبير أساساً لعرض الأحداث التي رافقت وصول القطعات الروسية الى مناطق رواندوز وخانقين وبينجوين.

من الضروري أن أشير أيضاً الى أنه تم نقل مواضيع قليلة من فصل الى آخر لارتباطها أكثر بالمواضيع الموجودة في أماكنها الجديدة، مثل البحث المتعلق برد الفعل الذي أثارته مظالم المحتلين بين الأكراد، فقد وردت أمثلة عنه ضمن الفصل الثالث بينما ارتأينا نقلها الى الفصل الرابع لوجود ربط موضوعي أكثر بينها وبين النضال الذي شهدته المناطق الكردية في سنوات الحرب العالمية الأولى.

وفي الختام فإن غاية ما أتوخاه، أن تتحول الترجمة العربية لكتابي كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى إلى لبنة متواضعة جديدة في صرح العلائق الأخوية التي تربط الشعبين الشقيقين العربي والكردي، وقد سبقني الى الغاية النبيلة ذاتها أساتذة آخرون من مفكري الشعبين. وأن تكون عند حسن ظن الذين اطّلعوا على أصلها الكردي أو على ملخصاته أو عرضه، فكان لديهم مما يستحق التقدير والتكريم.

الدكتور كمال مظهر أحمد

---

(1) من المصادر الجديدة المستخدمة في الطبعة العربية كتاب المستشرق الآذربيجاني الدكتور حميد عليف عن تركيا في عهد الاتحاديين والذي كان في الأصل رسالة علمية نال بها المؤلف شهادة دكتوراه علوم.

المقدمة

مما يؤسف له أن أياً من مراحل تاريخ الشعب الكردي لم يدرس بعد دراسة معمقة ووفق أسلوب علمي منهجي. إلّا أنه قد يكون بوسعنا أن نستثني، الى حد ما، من هذا الحكم، تاريخه الحديث (ولاسيما القرن التاسع عشر منه) وبعض جوانب حركة التحرر القومي الكردية[1].

غير أن من الواضح أنه بدون دراسة معمّقة علمية منهجية لمختلف مراحل تاريخ الكرد وكردستان، تظل احدى الحلقات المهمة في دراسة تاريخ الشرق الأوسط، بمختلف مراحله، مفقودة. ويبقي كذلك العديد من الأسئلة العلمية المهمة دونما جواب.

تؤلف سنوات الحرب العالمية الأولى إحدى مراحل تاريخ الشعب الكردي التي لم تزل بحاجة الى دراسة معمقة. وكان قد حدد موقع خاص لهذا الموضوع، ضمن الخطة التي كان المستشرقون السوفيات يبغون إنجازها

(1) درس المستكردون السوفيات، وأخص بالذكر منهم الدكاترة ن.أ. خالفين و م.س. لازاريف وجليلي جليل، العديد من الجوانب المهمة من تاريخ الكرد في القرن الماضي. ومن العوامل التي ساعدت هؤلاء على القيام بذلك غنى الأرشيفات السوفياتية بالمعلومات الأصلية والوثائق المتعلقة بتلك المرحلة من تاريخ الشعب الكردي. فقد كانت روسيا القيصرية تولي كردستان آنئذٍ أهمية بالغة. وقد درست بعض جوانب الحركة القومية الكردية في الاتحاد السوفياتي كذلك.

حول تاريخ الكرد. وكانت دراسة هذا الموضوع، اضافة لمواضيع أخرى، قد أنيطت بمؤلف هذا الكتاب. وقد صار ذلك باكورة الاعتناء بهذه المرحلة[1].

تعتبر الحرب العالمية الأولى (1914 ـ 1918) أحد أهم أحداث العالم. فقد عمّت مآسي هذه الحرب وعواقبها جميع بلدان المعمورة، وتسببت في حدوث تبدلات كبيرة في حياة معظم الشعوب. ولكن هذه الأحداث والعواقب شملت بلدان أوروبا والشرقين الأدنى والأوسط أكثر من أية بقعة أخرى في العالم، كما شملت بدرجة أقل افريقيا الشمالية. وهذه هي المناطق التي كانت قد باتت ساحة قتال ضارٍ.

جلي أن كردستان، بوصفها جزءاً مهماً من الشرق الأوسط، كان لها موقع بارز في الحرب الأولى. لقد أثرت أحداث الحرب وعواقبها تأثيراً كبيراً على

(1) بالرغم من هذا التوضيح الذي لا لبس فيه، وبالرغم من الاختلاف الكلي للاطار الزمني بين موضوع هذا الكتاب وموضوع رسالتي العلميتين اللتين قدمتهما في حينه لنيل شهادتي الدكتوراه وكدكتوراه العلوم (ناوك)، وبالرغم من الاختلاف الكلي بين مضمون هذا الكتاب وكل ما كتب ونشر باللغة الروسية فقد حاول أحد زملاء الدراسة أن يلقي ظلالاً من الشك على الموضوع، فزعم أن هناك أحتمالاً بأن يكون هذا الكتاب جزءاً من رسالتي العلمية (راجع: حول المجمع العلمي الكردي، مجلة «الثقافة»، بغداد، العدد الرابع، نيسان/ إبريل 1976، ص 152)، مع أن المفترض أن يكون هذا الزميل مطلعاً على كل الحقائق الآنفة الذكر، ليس بحكم معرفته للغة الروسية وحسب، بل وبحكم كونه مثقفاً كردياً كذلك، ولقوة الترابط بين موضوع اختصاصه ـ الأدب الكردي وموضوع إختصاصي ـ التاريخ الكردي، ولزمالتنا وعملنا العلمي سوية على مدى سنين طوال. وقد كنت، ولا أزال، أود لو أنه أوضح هذا الأمر بنفسه، فكل مقومات استذكار الحقيقة متوافرة بالنسبة اليه، إن كان بعض الشبهة قد تسرب الى نفسه عن علاقة هذا الكتاب بأطروحة مؤلفه.

فمن نافلة القول أن للقضايا العلمية نواميسها المقدسة التي تأتي في مقدمتها الدقة والأمانة حرصاً على الموضوعية التي يجب أن لانفتقدها في أي حال، لئلا نكون مجحفين في أحكامنا التي تؤدي من دونها الى ضرر كبير لقاء «مغنم» صغير.

حياة الشعب الكردي ومستقبله. ومع ذلك فإن تاريخ «كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى» لم يدرس بعد دراسة متكاملة، ولم يعرض للأنظار كتاريخ مرحلة متكاملة في عمل مستقل.

لم يدون باللغة الكردية شيء ذو بال حول هذا الموضوع المهم. فالمؤرخون الأكراد الأساتذة محمد أمين زكي ورفيق حلمي وحسين حزني المكرياني[1] (ولاسيما الأول منهم)، إنما تحدثوا عن جانب واحد من هذا الموضوع وهو ما يتعلق بالصعاب والمحن الكثيرة التي أصابت الشعب الكردي في سنوات الحرب. وبديهي أن هذا الاهمال هو الذي أدى ليس الى أن لا يعرف الشعب الكردي عامة شيئاً عن هذه المرحلة المهمة من تاريخه، وحسب، بل وكذلك الى أن يكون المثقفون الكرد أيضاً في غفلة عن هذا الموضوع. وعلى سبيل المثال، فنادراً ما يوجد كردي يعرف شيئاً مهماً عن دور الكرد في مذابح الأرمن. في حين أن عشرات الكتب الأوروبية وغيرها تحدثت عن هذا الموضوع نظراً لأهميته السياسية والعلمية الكبيرة. إنّ هذا، بحد ذاته، فضلاً عن عدد من الأسباب العلمية، يضفي أهمية خاصة على دراسة تاريخ الكرد في سنوات الحرب العالمية الأولى، هذا التاريخ الحافل بالأحداث والعِبر والتبدلات التي تشغل حيزاً ملحوظاً في تاريخ الشرق الأوسط الحديث.

إن أرشيفات الاتحاد السوفياتي عامرة بالوثائق والمعلومات المهمة عن أحداث كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى. ويعود السبب في ذلك الى أن الجيش الروسي كان قد وصل في تلكم السنوات الى مختلف أنحاء كردستان حيث كان يقاتل الجيش العثماني. وهذا بالذات ما أفسح في المجال للمستكرد السوفياتي م. س. لازاريف ليدرس، بعمق، الكثير

(1) ترد أسماء مؤلفات هؤلاء الكتّاب والكتّاب الآخرين في متن الكتاب.

من جوانب التاريخ الكردي في سنوات الحرب العالمية الأولى. كما أن الأكاديمي غاردليفسكي[1] الذي طاف قبل الحرب، وفي سنوات الحرب كذلك في الكثير من مناطق كردستان وأرمينيا، نشر معلومات قيمة ومهمة. لقد ساعدت نتاجات هذين العالمين وعدد آخر من المستشرقين السوفيات مؤلف هذا الكتاب مساعدة جلّى في دراسة جوانب ذات أهمية بالغة لإلقاء الضوء على مسائل مهمة ولاسيما منها ما يتعلق بكردستان العراق. فالإنكليز، كما هو معروف، قد أولوا هذه المنطقة أهمية أكثر مما أولوها للمناطق الكردية الأخرى، حتى إن الجيش الإنكليزي قد بلغ مشارف هذا القسم من كردستان بل وبعض الأجـزاء منه قبيل انتهاء الحرب. لذلك فإن معظم المصادر الإنكليزية إنما تتحدث عن كردستان العراق وحدها، وقلما يعثر فيها على ما له صلة بالأجزاء الأخرى من كردستان. ومع ذلك يمكن القول إن بالإمكان الاستفادة بصورة جيدة من كتابات كل من: آرنولد ويلسون وأدموندز وماسون وكتاب إنكليز آخرين لتوضيح الكثير من المسائل. هذا فضلاً عن أن المصادر الإنكليزية حافلة بالوثائق والمعلومات الأصلية حول اهتمام الدول الكبرى بكردستان سواءً في سنوات الحرب أو قبلها.

ولا تخلو المكتبة العربية كذلك من مصادر مفيدة حول موضوعنا هذا. غير أن معظم هذه المصادر أيضا تتحدث عن كردستان العراقية في الأساس. وعلى سبيل المثال فإن كتاب شكري محمود نديم[2] قد كرِّس أصلًا للبحث عن القتال بين الجيشين العثماني والروسي في جبهات السليمانية وخانقين ورواندوز. وقد يعثر في زوايا هذا الكتاب العربي أو ذاك على بعض المعلومات المفيدة حول تاريخ الكرد قبيل الحرب العالمية وخلالها.

---

(1) الأكاديمي ف. أ. غاردليفسكي (1876 ـ 1956) وهو واحد من قمم الاستشراق في الاتحاد السوفياتي والعالم، متخصص ضليع في الدراسات التركية، قد أنجز حوالى 300 عمل علمي، وتتمتع تقييماته كلها بأهمية خاصة.

(2) شكري محمود نديم، الجيش الروسي في حرب العراق، الطبعة الثانية، بغداد 1967.

وقبل أن أختم هذا الاستعراض الموجز للمصادر المتوافرة حول موضوع بحثنا، أود أن ألفت أنظار المتتبعين بشكل خاص الى إمكانية الركون لتنوير قضايا معينة من التاريخ الكردي الحديث والمعاصر، الى المعلومات الغزيرة والمتنوعة المتوافرة لدى بعض الشخصيات الكردية من الجيلين السابقين، ممن راقبوا عن كثب الأحداث الساخنة المتلاحقة في العقود الأولى من هذا الكتاب فعلاً من بعض المعلومات التي استقاها خلال اتصالاته الشخصية مع عدد من هؤلاء[1].

وهكذا فإن ندرة المصادر الموثوقة الكافية، هي احدى أكبر العقبات القائمة في طريق دراسة تاريخ كردستان خلال سنوات الحرب العالمية الأولى.

إنّ جانباً كبيراً من أحداث تلكم السنوات قلما يمكن العثور على شيء بشأنه أصلاً، ولاسيما ما يتعلق منها بنضال الشعب الكردي والتحولات الفكرية ـ الاجتماعية التي شهدت المنطقة بدايات مهمة لها في تلك الفترة، وهو ما دفع العديد من المؤلفين الى الاعتقاد بأن هذا النضال قد توقف بسبب الحرب.

ليس التاريخ الكردي غير مدروس وحسب، كما أشرنا الى ذلك في بداية هذه المقدمة، بل وإنّ قسماً كبيراً من المواد القليلة المدونة عنه قد خصص لتشويهه وليس لدراسته. ومن هنا فإنه كثيراً ما يجد المؤرخ الموضوعي النزيه نفسه في مجال الدفاع عن الكرد، دون أن يشعر بنفسه بذلك، ويبدأ في السعي لاظهار الحقيقة خدمة للتاريخ. ومن المسائل المهمة التي شوه فيها دور الكرد ولطخت سمعتهم، مذابح الأرمن في عهد السلطان عبدالحميد والمذابح التي

(1) أخص منهم بالذكر المرحوم الأستاذ أسماعيل حقي شاويس والأستاذ فوآد مستي والمرحوم الأستاذ ممدوح سليم والأستاذ أكرم جميل باشا. لإلقاء الضوء على مسائل محددة وردت في متن هذا الكتاب.

جرت في سنوات الحرب العالمية الأولى بصورة خاصة، فإنّ شخصاً مثل البروفيسور بول أميل يقول بكل بساطة ودونما أدنى تمييز إنه «اندفع كل انسان في تركيا، سواء أكان من الجنود أو الجندرمة أو الأكراد أو من قطاع الطرق لمهاجمة الأرمن، فقضوا على من قضوا من الرجال والشبان وأرغموا الباقين على النزوح من البلاد في ظروف رهيبة تقشعر لها الأبدان»[1]. وأسوأ من ذلك ما كتبه لوقا زودو حول المذابح التي حدثت في عهد السلطان عبدالحميد حيث يقول:

«....وفي عهد السلطان عبدالحميد، عندما أراد الفتك بالأرمن والآشوريين، لم يجد غير الأكراد لتنفيذ مآربه بالنظر الى ميلهم الطبيعي للقتال، فافتعل حرباً دينية بينهم تحولت الى مجازر بشرية هائلة، لاتزال أصداؤها حتى الآن في ضمير هذا الجيل»[2].

وردت مثل هذه الأحكام عن العلاقات الكردية ـ الأرمنية كحقائق تاريخية منتهية في كتابات العديد من المؤرخين الغربيين. ما من حاجة للعودة بعيداً الى الوراء، فالكاتب الإنكليزي كيلنغ الذي تجوَّل في تركيا وروسيا في سنوات الحرب والسنوات التي أعقبتها مباشرة، تحدث في كتابه الموسوم مغامرات في تركيا وروسيا والذي كرّسه للحديث عن مشاهداته في تلك الجولة ونشره في لندن في العام 1924، وذكر كيف أنه رأى بأم عينيه الأكراد في العديد من المناطق وهم يأوون المشردين الأرمن وينقذون أطفالهم من الموت. بل وتحدث كذلك عن امكانية التعايش بين الكرد والأرمن، وكيف

(1) البروفيسور بول أميل، تاريخ أرمينيا، ترجمة شكري علاوي، بيروت، ص 53.

(2) لوقا زودو، المسألة الكردية والقوميات العنصرية في العراق، بيروت، 1969، ص 80. التأكيد منا، لأن هذا الجانب من الموضوع هو بالذات ما حاولنا عرضه في إطاره الواقعي ضمن بحثنا عن دور الكرد في المذابح الأرمنية.

أن السلطان عبدالحميد كان يخشى ذلك كثيراً، وقد أنشأ الفرسان الحميدية للحيلولة دون ذلك[1]. ومع ذلك، ورغم هذه الحقائق التي ذكرها، فإننا نقرأ كذلك في كتابه ما يلي:

«إنّ هذا العمل (ويقصد به تشكيل الفرسان الحميدية للقضاء على الأرمن كما يدعي ـ ك. م.) كان في محله تماماً، ذلك لأن الكرد يتمتعون منذ أيام زينوفون بسمعة لايضاهيهم فيها أحد كقطاع طرق ولصوص قساة مجردين عن الإيمان»[2].

ولكي يثبت كيلنغ قوله هذا بصورة أكثر رسوخاً في قلب القارئ وفكره، فقد نقل في هامش الصفحة التي دون فيها الفقرة التي أشرنا اليها، آنفاً، تلك الأسطورة الفارسية التي تزعم أن سالامون (سليمان) بعث يطلب في حينه أربعمائة من الفتيات الحسناوات من الشرق. وحسبما ورد في الأسطورة، فإن العفاريت والشياطين أسروا هاتن الفتيات في شمالي بلاد ما بين النهرين وإنّ الكرد من نسل أولئك.

مثل هذه التقييمات جلبت انتباه مؤلف هذا الكتاب منذ حين ودفعته لأن يولي العلاقات الكردية ـ الأرمنية ودور الكرد في مذابح الأرمن أهمية خاصة.

وقد وجد ذلك صداه في الفصل الخامس من هذا الكتاب وهو الفصل الخاص بدور الكرد في مذابح الأرمن. وتشكل هذه المسألة بحد ذاتها واحداً

(1) E.H. Keeling, *Adventures in Turkey and Russia,* London, 1924, p. 208-209, 229.

(2) Ibid, p. 228 .

أشار الكاتب والمؤرخ الأغريقي زينوفون (Xenephon) (430–355ق.م) وهو من تلامذة سقراط، الى «الكاردوخيين» والمناطق الكردية وذلك في كتابه المعروف أناباسيس الذي ألفه في العام 401 ق.م. وهو يقود حملة «العشرة آلاف» الإغريقية أثناء انسحابها من ايران.

من أهم فصول التاريخ الكردي منذ أواخر القرن التاسع عشر، وقد بلغت ذراها في سنوات الحرب العالمية الأولى بالذات. ولذلك فقد كُرِّس لها مكان بارز من هذا الكتاب.

لقد حصلت الاستفادة من مصادر كثيرة ومتنوعة لدراسة موضوع الكرد ومذابح الأرمن. غير أنه ينبغي أن نشير هنا بصورة خاصة الى مصدر جد مهم، ألا وهو كتاب إبادة الأرمن في السلطنة العثمانية الذي نشر باللغة الروسية في العام 1966 تحت اشراف البروفيسور نيرسيسيان. فهو يضم بين دفتيه مئات الوثائق التاريخية المهمة والتي لم يطلع عليها إلّا القليلون حول مذابح الأرمن. وقد جمعت هذه الوثائق من مختلف المصادر والأرشيفات[1]. وفي هذا المصدر توجد كذلك بحوث ووثائق مهمة حول دور الكرد وموقفهم في تلك المذابح.

لقد استهدف المؤلف في الفصل الخامس من هذا الكتاب أهدافاً متعددة في مقدمتها تحديد الدور الحقيقي للكرد في مذابح الأرمن. وواضح أنه من خلال ذلك وحده، لا يمكننا الكشف عن الحقيقة فحسب، بل والاتعاظ بعِبَر التاريخ كذلك.

لاشك في أن تحليل مختلف جوانب التاريخ الكردي في سنوات الحرب العالمية الأولى يفتقر الى نتاجات أخرى مثل هذا الكتاب. كما يفتقر

---

(1) مما يجدر ذكره أن المستشرق الإنكليزي هربرت ايفانز نشر مقالًا عام 1968 في العدد الثاني من مجلة Middle Eastern Studies ، اعتبر فيه هذا الكتاب وكتاباً للمؤلف نشره باللغة الروسية حول تاريخ الكرد منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى وحتى العام 1932 أهم نتاجين للاستشراق السوفياتي في أواخر العام 1966 وأوائل العام 1967، راجع:

Hurbert Evans, New Soviet Books, *Middle Eastern Studies*, London, Vol. 4,No.2, January 1968, p. 173

الى دراسة الوثائق الرسمية للدولة العثمانية وبعض الدول الأوروبية التي اشتركت في الحرب، وهي مهمة يحتاج تحقيقها الى توافر شروط خارجة عن استطاعة المؤلف وتدخل ضمن مشكلة أكبر يعاني منها مؤرخو البلدان النامية بشكل جدي. إلّا أن بوسعي أن أسمح لنفسي، مع ذلك، باعتبار هذا الجهد الذي أضعه بين أيدي القراء يعد بمثابة مدخل جديد لهذا الموضوع الحيوي.

أما مدى نجاحي فيه فمن شأن القراء والاختصاصيين الأفاضل أن يقدّروه.

وعلى كل حال فإنني آمل أن يكون من شأن هذا الكتاب أن يملأ فراغاً متواضعاً في حقل الدراسات التاريخية المكرسة للبحث في جوانب مختلفة من أحداث شرقنا، الملتهب، وأن تتلوه كتب أخرى كثيرة.

الفصل الأول

بداية الأطماع

الحرب العالمية الأولى (1914 ـ 1918) واحدة من الأحداث الكبرى الحافلة بالمآسي في تاريخ الانسانية. فقد عمّ لهيب نارها، كما شملت عواقبها، أرجاء واسعة من المعمورة. لقد اشترك في هذه الحرب خمسة وسبعون مليون جندي وضابط قتل منهم عشرة ملايين وجرح منهم عشرون مليوناً أو شوهوا أو أصيبوا بعاهات مستديمة. وفضلاً عن ذلك كله فقد مات جوعاً حوالى عشرة ملايين شخص خلال سنوات الحرب وأغرق ما يقارب ستة آلاف سفينة تجارية مع حمولتها في عرض البحار[1] مما أثر بشكل جدي على قوى الانتاج والوضع الاقتصادي ـ الاجتماعي لجميع الدول الأوروبية الكبرى. فحسب المعلومات التي يوردها لويد جورج، وهو واحد من أبرز من أداروا دفة الحرب بوصفه رئيساً لوزراء بريطانيا منذ أواخر العام 1916 [2]، بلغت ضحايا فرنسا وحدها أكثر من مليون وثلاثمئة ألف قتيل وأكثر من ثلاثة

---

(1) راجع: Вержховский Д.В. *Первая мировая война 1914-1918*, - *Советская историческая Энциклопедия*, Т. 10, Москва, 1967, стр. 1000-1001

د. ف. فرجخوفسكي، الحرب العالمية الأولى 1914- 1918، ـ الانسيكلوبيديا التاريخية السوفياتية، الجزء العاشر، موسكو، 1967، ص 1000 ـ 1001،

(2) بقي في منصبه كرئيس للوزراء حتى تشرين الأول/ أكتوبر من العام 1922 أي أنه عاصر كمسؤول كبير، أخطر مراحل الحرب وأهم نتائجها التي تمخضت عن مؤتمر الصلح في باريس.

ملايين وسبعمئة ألف جريح، أي أن 50 % من الشباب الفرنسي الذين كانوا دون الثلاثين من العمر لم يعودوا من ميادين القتال. أما خسائرها المادية فقد بلغت ثمانية مليارات دولار، ولاسيما وأن أربعة آلاف قرية فرنسية وحوالى عشرين ألف مصنع ومعمل فرنسي قد سويت مع الأرض من جراء العمليات الحربية التي امتدت الى مناطق واسعة من البلاد[1].

وتقدر المصادر السوفياتية خسائر روسيا البشرية فقط بحوالى مليونين وثلاثمئة ألف قتيل[2]، مع العلم بأنها انسحبت من الحرب قبل انتهائها بحوالى سنة، وقد شهدت هذه السنة بالذات معارك ضارية قررت الى حد كبير مصير ميزان القوى وبالتالي كل نتائج الحرب الدائرة.

كان السبب الرئيس لنشوب الحرب العالمية الأولى اختلال توازن القوى بين الدول الرأسمالية الغربية الكبرى، وكان ذلك نتيجة أن الولايات المتحدة الأميركية والمانيا المتخلفة سابقاً باتتا في أواخر القرن التاسع عشر تحتلان الموقعين الأول والثاني في انتاج السلع الصناعية وأخذتا تنافسان بريطانيا وفرنسا في أسواق العالم التي كان معظمها في قبضة الأخيرتين كمستعمرات تابعة لهما. لقد أثار ذلك المانيا أكثر من أي دولة أخرى، ذلك لأن انتاجها الصناعي كان أكثر بكثير من حاجة سوقها الداخلية وأسواق بعض البلدان المجاورة لها. ولذلك فقد أخذت ألمانيا تسعى بحماسة للبحث هنا وهناك عن موطئ قدم لها منذ أواخر القرن الماضي، ولكنها كانت تلقى في كل مكان مقاومة ضارية من قبل كل من بريطانيا وفرنسا وبصورة خاصة من أولاهما التي

---

(1) راجع: *Мировая война в цифрах*, Москва-Ленинград, 1934, стр. 21.
الحرب العالمية بالأرقام، موسكو ـ لينينغراد، 1934، ص 21.

(2) راجع: David Lloyd George, *The Truth About Peace Treaties*, Vol. I, London, 1938, p.86-87.

كانت تخشى فقدان أسواقها الواسعة وباتت في أمس الحاجة الى استغلالها فاستماتت من أجل الحفاظ عليها.

شمل الصراع والتنافس في منطقة الشرقين الأدنى والأوسط جميع الدول الكبرى ولاسيما بريطانيا وفرنسا وألمانيا وروسيا. وكان لكردستان بوصفها جزءاً غنياً ومهماً من الناحية الاستراتيجية في هذه المنطقة، موقع خاص في مخططات الدول الكبرى سواء في سنوات ما قبل الحرب أو خلالها، وكانت بريطانيا وروسيا وفرنسا وألمانيا تسعى منذ سنوات طويلة، ، بكل الوسائل، لتعزيز مواقعها وتثبيت أقدامها في هذه البلاد بغية الاستحواذ على ثرواتها ولربطها بأسواقها هي، وكان النفط أحد العوامل الخفية الرئيسية في ذلك.

لم يكن القرن التاسع عشر قد انقضى بعد عندما أخذ بعض العلماء الجيولوجيين الغربيين يتحدثون عن آبار «باباكركر» النفطية غير المستخرجة بل إن العلماء الفرنسيين (ولاسيما ج. مورغان) استطاعوا أن يعينوا حدود منخفض كركوك ـ خانقين ـ شاخ كويخا النفطي الواقع خلف قصر شيرين ويقدروه بحوالى 300 كيلومتر[1]. وفي العام 1903 حصل الألمان على امتياز لاستثمار الآبار النفطية الواقعة في مدى 20 كيلومتراً على جانبي سكة حديد بغداد التي وضعت خطة لمدها، كما سنتحدث عن ذلك فيما بعد، بحيث يمر قسم منها عبر أراضي كردستان. وبعد ذلك بعام حصلوا على امتياز آخر

(1) راجع: Адамов А., *Ирак Арабский. Бассорский Вилайэт в его прошлом и настоящем*. Петербург , 1912, стр. 26

أ. أداموف، العراق العربي، ولاية البصرة في أمسها ويومها، بطرسبورغ، 1912، ص 26 (في الهوامش القادمة ...A. Adamov, Iraq) اقتبس أداموف هذه المعلومات من كتاب مورغان:

J.de Morgan, *Mission Scientifique en Perse*, Etudes Geographiques, T. II, Paris, 1895, p. 86.

لاستثمار النفط في ولاية الموصل. وفي الوقت نفسه كانت شركة دارسي البريطانية تسعى بدورها للإستحواذ على نفط هذه المنطقة. وفي العام 1906 بدأ العثمانيون مفاوضات معها بهذا الشأن. وكان الأميركان يبذلون جهودهم كذلك للغرض نفسه، بل إن روزفلت بعث الأدميرال جيستر الى اسطنبول لهذا الغرض في العام 1908 كممثل خاص عنه[1].

وبعد مرور حوالى عام من المفاوضات والاتصالات على مختلف الأصعدة توصل هذا المندوب الى عقد اتفاق مع الدولة العثمانية يقضي بمنح الأميركان امتيازاً لبناء ميناء وثلاثة خطوط حديدية مع حق التنقيب عن المعادن لمسافة عشرين كيلومتراً على جانبي الخطوط الثلاثة. وقد وقع الاتفاق عن الجانب العثماني وزير الأشغال العامة في التاسع من مارس من العام 1910. وفي سبيل نقل مضمون الامتياز الى حيز التنفيذ أسس جيستر شركة الانماء العثمانية ـ الأميركية[2] (Ottoman - American Developmemt Company) إلّا أن الحرب التركية ـ الايطالية وحرب البلقان وأخيراً الحرب العالمية الأولى، الى جانب مقاومة الألمان والفرنسيين، حالت دون تنفيذ المشروع الذي دشن على أي حال بداية اهتمام الأميركان المباشر بنفط المنطقة. وقد تحول فيما بعد الى سابقة حاول المسؤولون الأميركان استغلالها في سياستهم النفطية تجاه الشرق الأوسط.

---

(1) راجع: حكمت سامي سليمان، النفط في العراق، دراسة سياسية واقتصادية، بغداد، 1958، ص 21 ـ 22، 27، 30 ـ 31.
وكذلك راجع:
Данциг Б.М., *Ирак в прошлом и настоящем, Москва. 1960*, стр. 176-177
ب.م. دانتسيغ، العراق أمس واليوم، موسكو، 1960، ص 177 ـ 176.

(2) راجع: Ch.W. Hamilton, *Americans and Oil in the Middle East*, Houston, 1962, p. 81-82.

ولم يتوقف الامر عند هذا الحد، فقد نشبت صراعات بين الدول الغربية في سبيل بترول ولاية الموصل كجزء حساس من الشرق الأوسط، وأخذ البعض منها يحيك المؤآمرات للبعض الآخر. لكن الشركات الإنكليزية والألمانية المتنافسة والتي بلغت الخصومة بينها ذروتها وجدت نفسها في دوامة صراعاتها مضطرة في خاتمة المطاف لأن تتحد فيما بينها لتستحوذ على نفط المنطقة.

وهكذا فقد أسست كل من بريطانيا وألمانيا في العام 1911 شركة خاصة أطلقتا عليها في السنة التالية اسم شركة النفط التركية. وقد استطاعت هذه الشركة قبل نشوبْ الحرب بفترة وجيزة أن تحصل على امتياز من الدولة العثمانية لاستخراج النفط في ولاية الموصل. إلّا أن نشوب الحرب العالمية الأولى أدى الى حدوث تطورات كبيرة في هذا المجال وعادت بريطانيا وألمانيا تسعيان مجدداً خلال سنوات الحرب من أجل تحقيق مآربهما كل على حدة. وقد وضع الأنكليز يدهم في أول يوم بعد اعلان الحرب على حصة الألمان في شركة النفط التركية، وبدأ الألمان العمل بصورة منفصلة. ووفق ما تذكره بعض المصادر، فإنهم أخذوا يحفرون الآبار في منطقة زاخو ويستخرجون النفط منها[1].

وهكذا فقد كان النفط، بوصفه قوة محركة كبرى في سياسة الدول الغربية إزاء المنطقة، في تعاظم مستمر، وكان يحركها في سنوات الحرب أشد من ذي قبل بغية الاستحواذ على أرض كردستان بأية صورة كانت.

---

(1) راجع: يوسف ابراهيم يزبك، النفط مستعبد الشعوب، الجزء الأول، بيروت، 1934، ص 169 ـ 171.

كان الموقع الاستراتيجي لكردستان في قلب الشرق الأوسط قوة مؤثرة أخرى ذات أهمية في تحديد سياسة تلكم الدول إزاء مستقبلها. وقد تجلى ذلك بوضوح قبل الحرب وخلالها في مشروع سكة حديد بغداد [1] الذي يملك هو الآخر تاريخاً طويلاً تعود بداياته الى النصف الثاني من القرن الماضي، عندما بدأ وضع العديد من الخطط من أجل ربط البحر الأبيض المتوسط بالخليج العربي عبر خط حديدي. إن ما يجب ملاحظته بهذا الصدد هو أن جزءاً من هذه السكة كان ينبغي مده عبر المناطق الكردية بموجب غالبية هذه الخطط. وعلى سبيل المثال فقد كان المقرر أن تمر السكة الحديد التي وضع مشروعها

(1) «سكة حديد بغداد» مشروع معروف في التاريخ، وكان أحد الوجوه المهمة لمساعي الدول الغربية من أجل ترسيخ سيطرتها السياسة والاقتصادية في الشرقين الأدنى والأوسط. كان من المقرر أن تربط هذه السكة، بكيلومتراتها البالغة حوالى 2400، بين البحر الأبيض المتوسط والخليج العربي. ولتحقيق هذا الهدف كان ينبغي للسكة أن تجتاز قسماً من تركيا وكردستان وسوريا وبلاد ما بين النهرين. ومنذ أواخر القرن التاسع عشر أخذت المساعي الألمانية المتشعبة لإقامة سكة حديد بغداد واستخدامها، تؤدي بصورة خاصة الى تعميق التنافس بين الدول الكبرى من أجل الاستحواذ على الشرق الأوسط، ولاسيما وأن الألمان كانوا يبغون من وراء إنشاء هذه السكة تهديد النفوذ البريطاني في الهند ومصر من جهة والنفوذ الروسي في منطقة القفقاس وأواسط آسيا من جهة أخرى. ومن هنا فإن بعض المؤرخين يعتبرون هذا المشروع واحداً من الأسباب الرئيسة لإندلاع الحرب. (حول «سكة حديد بغداد» ولمعرفة المزيد عنها، راجع: الدكتور لؤي بحري، سكة حديد بغداد، بغداد، 1967). وراجع كذلك:

Zaki Saleh, *Mesopotamia. Iraq 1600-1914*, Baghdad, 1957.

وراجع أيضاً: Аветян А.С. *Германский империализм на Ближнем Востоке*, Москва, 1966, стр. 24-35.

أ. س. آفيتيان، الأمبرياليزم الألماني في الشرق الأدنى، موسكو، 1966، ص 24ـ35. (في الهوامش القادمة ...A. S. Avetian).

لوفيت كاميرون في العام 1880 بمناطق أورفه وماردين والموصل وتتجه من هناك الى بغداد حيث تمتد الى الخليج[1].

كان الألمان الذين أخذ نفوذهم يتسع يوماً بعد يوم في تركيا منذ أواخر القرن التاسع عشر، يولون أهمية جد كبيرة لمد سكك حديد في البلاد العثمانية، فقد كان لمد هذه السكك أهمية بالغة بلاريب بالنسبة للمصالح الألمانية في الشرق الأوسط، ولاسيما وأن برلين واسطنبول كانتا مربوطتين ببعضهما البعض منذ زمن بعيد من خلال السكك الحديد. وقد حصلت الشركات الألمانية على امتياز لمد عدد من خطوط سكك الحديد واستخدامها، وأخيراً فإنها منحت في الخامس من آذار/ مارس من العام 1903 امتيازاً لمد سكة حديد بغداد والذي كان قد فكر فيه من قبل العديد من مسؤولي الدول الكبرى. ومن الجدير بالذكر أن خبراء عديدين كانوا قد وضعوا خططاً لمد سكة حديد بغداد، وكان ينبغي لهذه السكة أن تمر، وفق مختلف هذه الخطط، عبر كردستان. وطبقاً لواحدة من هذه الخطط، وكان قد أطلق عليها اسم «الخطة الشمالية» ووضعت في العام 1893، كان ينبغي لسكة حديد بغداد أن تمر بمدينة سيواس حيث يتفرع منها فرع يتجه الى أرزنجان وأرضروم وبايزيد، وآخر الى خربوط ودياربكر حيث يمتد جنوباً حتى بغداد. لقد اعترضت هذه الخطة عقبات عدة منها عدم ارتياح روسيا ووعورة جبال أرمينيا وكردستان. ولذلك فإن الخبراء أعدوا في العام ذاته خطة أخرى أطلقوا عليها اسم «الخطة الوسطى». وبموجب هذه الخطة كان من المقرر للسكة أن تمر بأنقرة وقيصرية لتصل الى ملاطية ودياربكر ثم تتجه جنوباً الى بغداد فالخليج.

---

(1) راجع .Zaki Saleh, op.cit., p.258-259

ولكن مشاكل تكنيكية معينة أدت الى اهمال تنفيذ هذه الخطة، حيث حلّت محلها خطة ثالثة عرفت باسم «الخطة الجنوبية». وكان ينبغي للسكة المقترحة بموجب هذه الخطة أن تمر عبر مرعش وأورفه ودياربكر وماردين والموصل وكركوك حيث تصل من هناك الى بغداد فالبصرة والكويت[1].

كان من المقرر وفق الخطة الأخيرة التي وضعت قبل الحرب بفترة وجيزة من قبل الألمان، أن تمر سكة حديد بغداد في أراضي كردستان أيضاً عبر مدينة نصيبين. وقد زارت لجنة ألمانية مختصة برئاسة القنصل الألماني العام في اسطنبول عدة أماكن في كردستان أكثر من مرة بغية دراسة ظروف هذه المناطق من مختلف الوجوه.

شرع الألمان في مد سكة حديد بغداد بحماسة. وفي العام 1909 أعلنوا باعتزاز أنه قد أنجز مد 946 كيلومتراً من هذه السكة، وأن مد 470 كيلومتراً آخر منها على وشك الانجاز، وأن مد القسم المتبقي أسهل من الأقسام الأخرى كلها[2].

وبمقدار ما كانت الحرب تقترب، كانت جهود الألمان لإنجاز العمل تتضاعف. كما كانت مخاوف الأنكليز والروس[3] والفرنسيين تشتد وتزداد هي الأخرى، بل إنهم كثيراً ما كانوا يضطرون للدخول في مباحثات مع الألمان والترك[4]. إلاّ أن هذه المحادثات، بل إن أحداث الحرب العالمية

(1) راجع: . A. Adamov, *Iraq*..., p. 536-537

(2) راجع: . Zaki Saleh, op.cit., p.281

(3) للتفصيل راجع: . A.S. Avetain,op.cit., p.25 -33

(4) لقد أصاب الهلع الروس الى حد كبير من جراء خطط الألمان لمد سكة حديد بغداد. فقد كانوا يرون فيه عاملاً لإضعاف نفوذهم السياسي والاقتصادي ليس في آسيا الصغرى وحسب، بل وفي غربي ايران كذلك، ولاسيما في آذربيجان وكردستان. =

الأولى لم تثن الألمان عما أقدموا عليه، أو أنها كانت، على العكس، حافزاً لهم على مضاعفة جهودهم لإنجاز العمل في وقت مبكر. ففي بداية الحرب أخذوا يستعدون لمد ذلك القسم من السكة الذي يمر عبر المناطق الكردية وامتداداتها الجنوبية. وقد أنجزوا الجزء الواقع بين بغداد وسامراء وبدأوا العمل من سامراء باتجاه الشمال ومن بغداد باتجاه الجنوب. وقد استخدموا لهذا الغرض العديد من العمال الاكراد، فكان عملهم مثار اعجاب الالمان وحسن تقديرهم[1].

وهكذا فإن ثروات كردستان الطبيعية وموقعها الاستراتيجي كانت تجلب اليها اهتمام الدول الكبرى يوماً بعد يوم اكثر من ذي قبل. وقد ادى ذلك لأن تولي هذه الدول ولاسيما المانيا وبريطانيا وروسيا انتباهاً كبيراً لتثبيت مواقعها في كردستان. وقد تجلى ذلك بوضوح في سنوات ما قبل الحرب وخلالها.

ونتيجة للصلات الوثيقة التي كانت تربط الألمان بالأوساط العثمانية الحاكمة، فقد كان بوسعهم التغلغل في كردستان بسهولة، والواقع أن اهتمام المسؤولين والرحالة الالمان بالشعب الكردي يعود إلى ما قبل الحرب العالمية الاولى بفترة طويلة. فهناك مصادر ألمانية عديدة من القرن الثامن عشر

= وقد أشار أحد الاختصاصيين الروس بوضوح الى هذه النقطة في العام 1908 ودعا المسؤولين في بلاده الى تدارك الموضوع قبل فوات الأوان. راجع:

Инженер Лебедев Ю., *Багдадская железная дорога и современное состояние её строительства*, Петербург, 1908, стр. 3.

المهندس يو. ليبيديف، سكة حديد بغداد وظروف مدها اليوم، بطرسبورغ، 1908، ص 3.

(1) راجع:

Dogobert von mikusch, *Mustapha Kemal between Europe and Asia*, (Translated by John Linton),London, 1931, p. 360 .

وما بعد، كتبها الرحالة والمستشرقون الالمان، تبحث، من بين ماتبحث، عن قضايا تتعلق بتاريخ الكرد ولغتهم وعاداتهم وحياتهم السياسية والاجتماعية[1].

وقد برز من بين هؤلاء بعض العلماء الذين خلفوا اثاراً قيمة، منهم البروفيسور اوسكرمان والبروفيسور هارتمان وهوكو ماكاس وغيرهم.

كان من الطبيعي ان يزداد اهتمام الالمان بالكرد بشكل متوازٍ مع ازدياد نفوذهم في السلطنة العثمانية وبتوافق مع اقتراب الحرب العالمية الاولى وتعمق التناقضات التي ادت إلى انفجارها، فمنذ العقود الاولى من القرن الماضي بدأ الاحتكاك المباشر لكبار المسؤولين الالمان الذين كانوا يشرفون على أجهزة الدولة العثمانية الحساسة بالشعب الكردي وبأشكال شتى. وهنا يكفي القول إن العسكري الالماني المعروف الفيلد مارشال هيلموث فون كارل مولتكه (1800–1891)[2] الذي استعان به الباب العالي خلال الفترة من العام 1834 حتى العام 1839 لتنظيم الجيش العثماني وفق اساليب عصرية، اضطر للخوض، كمفتش في جيش حافظ باشا، في معارك ضد الاكراد المنتفضين بوجه السلطنة العثمانية آنذاك، فانعكس ذلك في انطباعات سجلها ضمن رسائله وكتاباته التي قدم من خلالها صوراً واقعية عن الظروف الصعبة

---

(1) لمزيد من التفاصيل، راجع: الدكتور جمال نبز، لمحة عن تاريخ الدراسات حول الكرد في المانيا (مجلة المجمع العلمي الكردي)، المجلد الثاني، العدد الاول 1974، ص 413–498 (باللغة الكردية و ملخصه باللغة العربية).

(2) يعتبر الفيلد مارشال مولتكه من ابرز القادة العسكريين الالمان، وكان على اتصال وثيق ببسمارك وبشخص الامبراطور الالماني. ترأس القيادة العامة للجيش في الفترة من العام 1847 حتى العام 1888. وتشكل هذه الاعوام مرحلة حساسة في تاريخ المانيا السياسي والعسكري، حققت خلالها القوات الالمانية انتصارات حاسمة على الدانمارك والنمسا وفرنسا بشكل أثّر في ميزان القوى على صعيد القارة الاوروبية كلها بحيث ظلت اثارها تحرك الاحداث الدولية حتى الحرب العالمية الاولى.

التي كان يعيشها الشعب الكردي في ظل حكم سلاطين آل عثمان المتخلفين وعن نضاله الدؤوب من اجل الانعتاق، شأنه في ذلك شأن سائر شعوب السلطنة، رغم أنه – أي الفيلد مارشال – حاول اعطاء تبريرات معينة لتصرفات السلطات العثمانية في تعاملها مع الثوار الكرد ومع السكان الآمنين[1].

ومن الافادة بمكان ان نذكر هنا أن هذا الفيلد مارشال الالماني الذي اشترك مع الجيش العثماني في قمع الانتفاضات الكردية، لعب كذلك دوراً ملموساً في العمليات الحربية ضد طموحات الشعب العربي والتي تجسدت آنذاك بشكل أو بآخر في توجهات محمد علي الكبير ضد السيطرة العثمانية.

وقبل أن تبدأ الحرب العالمية الاولى، جاب عدد من الضباط الالمان المناطق الكردية ونشروا أبحاثاً عن وضعها الاستراتيجي والسوقي مولين دراسة طرق المواصلات فيها جانباً من اهتمامهم، وبشكل خاص تلك التي كانت تؤدي إلى مناطق الحدود الروسية، فقام فيلهلم باخمان، مثلاً، بوضع تقرير عن الطرق الممتدة بين مدينتي الموصل ووان، أفاد الالمان في سنوات الحرب. وقد استطاع احد ضباطهم، وكان يدعى كوربرود، أن يصل إلى انحاء معينة من كردستان لم يصل اليها قبله أي اوروبي، فالتقط صوراً ورسم خرائط

---

(1) طبعت رسالة مولتكه لأول مرة باللغة الالمانية ثم ترجمت إلى العديد من اللغات الاخرى، وهي تعتبر من المصادر الاصلية لدراسة قضايا مهمة من التاريخ السياسي والعسكري للسلطنة العثمانية خلال العقد الرابع من القرن الماضي. عن اشتراك مولتكه في الحركات العسكرية ضد الاكراد خلال فترة عمله في تركيا، راجع:

Джалиле Джалил, *Курды Османской Империи в первой половине XIX века*, Москва, 1973, стр. 108, 115, 119, 121 и др.

الدكتور جليلي جليل، اكراد السلطنة العثمانية في النصف الاول من القرن التاسع عشر، موسكو، 1973، ص108، 115، 119، 121 وغيرها. (في الهوامش القادمة: J.Jalil, kurds).

لبعض الاماكن كانت الاولى من نوعها[1]. وفي الفترة ذاتها كان القنصل الالماني في ارضروم انديرس يمارس نشاطه ويقوم برحلات في العديد من المناطق القريبة بما فيها بعض المدن الكردية مثل درسيم وخربوط وغيرهما مقيماً الصلات عن قرب مع العديد من الرؤساء الاكراد.

لاشك في أن هدف الالمان من مثل هذه الرحلات والجولات لم يكن محصوراً في المغانم السياسية. فقد استطاعوا ايجاد موطئ قدم لهم في الحياة الاقتصادية للمناطق الكردية كذلك. وعلى سبيل المثال فإن مدينة شنو في كردستان الايرانية باتت قبل الحرب مركزاً كبيراً لشراء الصوف من قبل الالمان، حيث كانوا ينقلونه من هناك إلى معملهم الذي اقاموه في تبريز لصناعة السجاد. ومما يجلب الانتباه بهذا الصدد أن الالمان كانوا يزينون مراكزهم التجارية التي اقاموها في مدن كردستان وأذربيجان ومناطق اخرى بأعلام بلادهم[2] وكان للمناطق الكردية الداخلة ضمن السلطنة العثمانية نصيبها من التغلغل الاقتصادي الالماني العارم في البلاد، فقد ازداد التبادل التجاري مع المانيا خلال ثلاثة عقود فقط (من العام 1880 حتى العام 1911) بمقدار 22 مرة[3] وهو

---

(1) راجع: Лазарев М.С. , *Курдистан и курдская проблема (90-е годы XIX века-1917)*, Москва, 1964, СТ p.274.

الدكتور م.س. لازاريف، كردستان والمشكلة الكردية من تسعينيات القرن التاسع عشر حتى العام ١٩١٦، موسكو، 1964، ص247.

(في الهوامش القادمة: M.S Lazarev, Kurdistan...,)

(2) Ibid, p.249-262.

(3) راجع: Новичев А.Д. , *Очерки экономики Турции до мировой войны*, Москва-Ленинград, 1937, стр. 181.

أ.د. نوفيتشيف، دراسة اقتصاد تركيا قبل الحرب العالمية، موسكو - لينينغراد، 1937، ص 181 . (في الهوامش القادمة: A.D. Novichev, Ocherki...).

رقم قياسي في مجاله. كان اهتمام الالمان بالكرد وبلادهم يشكل قبيل الحرب جزءاً من سياستهم العامة تجاه السلطنة العثمانية، والتي كانت تستهدف تحويل كل اصقاعها، بما فيها تركيا نفسها، إلى مستعمرة المانية، ومن هذا المنطلق وقف المسؤولون الالمان بحماسة ضد خطط الدول الغربية الاخرى التي كانت تستهدف تقسيم ممتلكات (الرجل المريض) بما فيها المناطق الكردية، وقد اكدوا على ذلك بكل صراحة في العديد من وثائقهم الرسمية ومن خلال اتصالاتهم المباشرة بالأوساط الحاكمة في الدول الاوروبية الاخرى[1].

دخل تغلغل الالمان في كردستان واهتمامهم بها خلال سنوات الحرب العالمية الاولى مرحلة جديدة ارتبطت بعوامل عديدة يأتي في مقدمتها تحول هذه البقعة إلى أحد ميادين القتال في الشرق الاوسط وعلى مقربة من حدود احد اعدى أعدائهم بالذات ونعني به روسيا. ومنها ايضا الانتصارات التي حققتها القوات الروسية في بعض المواقع الحربية في البداية ومن ثم انسحاب روسيا من الحرب إثر انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية فيها، وارتبطت كذلك باقتراب القوات البريطانية من المناطق الكردية وبتحرك العناصر غير التركية داخل السلطنة العثمانية وبغيرها من العوامل. ومن جملة اجراءاتهم لكسب ود الاكراد أنهم بدأوا يسعون اثناء الحرب لنشر بيانات دعاة الجامعة الاسلامية وسائر مطبوعاتهم في جميع ارجاء كردستان الايرانية، وكانوا يبغون من وراء ذلك كسب عطف الناس إلى جانب الدولة العثمانية وابعادهم عن روسيا، وقد بدأ ينشط في الشرق الاوسط لهذا الغرض عدد من رجالهم النشيطين من امثال شيونمان وليتين وغيرهما. ومما يجدر بالذكر ان جهود الالمان في هذا المجال لم تذهب سدى، فقد استطاعوا بمساعدة عدد من رؤساء القبائل

(1) A.S. Avetian, op. cit., p. 17-19.

الكردية في منطقة كرمنشاه قطع صلات الجيش الروسي بالجيش البريطاني في جنوبي العراق حتى العام 1916، وهو ما سنعود إلى تفاصيله فيما بعد.

كان الانكليز كذلك يولون من الأهمية لكردستان ومنذ زمن ما كان يولّيه إياها الالمان بل واكثر. فمنذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر اخذ رجال شركة الهند الشرقية [1] يتجولون في كردستان. وفي العام 1758 سار طبيب تابع لهذه الشركة حتى ماردين عن طريق كركوك. وبعده بفترة، تجول عدد اخر من موظفي الشركة ذاتها (وهم د. كامبل و ت. هاول وغيرهما) في مناطق اخرى من كردستان[2].

---

(1) (شركة الهند الشرقية) شركة إنكليزية معروفة اسسها عدد من التجار البريطانيين المعروفين في العام 1600 بهدف تعزيز روابط أوروبا مع الهند وجنوبي شرقي آسيا والصين وتطويرها. وقد تحولت شيئاً فشيئاً إلى مؤسسة حكومية يحق لها اعلان الحرب واصدار العملة وتشكيل المحاكم وماشابه. وبعد أن اقامت عدداً من المعامل في الهند اخذت تتغلغل في اماكن عديدة من الشرقين الادنى والاوسط. وقد لعبت هذه الشركة حتى اواسط القرن التاسع عشر دوراً بارزاً في بث النفوذ السياسي لبريطانيا في عددٍ كبيرٍ من بلدان الشرق مما أثار حفيظة شعوب تلك البلدان، فاضطر الانكليز إلى تصفيتها اثناء انتفاضة الاعوام 1857-1859 في الهند.
تمكنت هذه الشركة من ايجاد موطىء قدم لها في العراق في وقت مبكر. وقد ارتبط ذلك إلى حد كبير بتحول هذه الشركة إلى إداة فعالة للتغلغل البريطاني في مناطق حوض الخليج العربي، وكان نفوذها يتسع يوماً بعد يوم، بحيث إنه لولا مساعدات هذه الشركة لما عين سليمان باشا الكبير والياً على بغداد في العام 1780، ولما ازيح سليمان باشا الصغير عن منصب الولاية في العام 1810 وأكثر من ذلك لم يعلق على اعواد المشانق إلّا تحقيقاً لرغباتها كذلك. وكانت هذه الشركة تسعى في الوقت نفسه للوصول إلى كردستان عن طريق بغداد.

(2) أنظر بشأن هؤلاء وعدد آخر من الرحّالة الاوروبيين:

S.H. Longrigg. *Four Centuries of Modern Iraq London,* London, 1925, p. 334-340 .

وفي العام 1820 قام ممثل هذه الشركة أيضاً في بغداد كلوديوس جيمس ريتش بجولة واسعة في مناطق مختلفة من كردستان الجنوبية والشرقية[1]، وكان من نتائج هذه الرحلة أن ألّف كتاباً كبيراً حول الكرد وبلادهم[2].

وقد اقام ك. ج. ريتش خلال رحلته هذه صلة عن كثب مع بعض الرؤساء الكرد المعروفين لاسيما في منطقة السليمانية وسنندج، ورسم لأول مرة خرائط بعض المواقع في كردستان، كما تحدث في كتابه بإسهاب عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية في اصقاع كردية شتى..

ومما يجدر ذكره أن عدداً من الضباط الإنكليز أيضاً اخذوا في القرن التاسع عشر بالتجوال في انحاء كردستان. ففي العام 1836 زار الضابط البريطاني راولنسن وبعده بمدة الميجر ف. ميللينغن نواحي عديدة وجمعوا حولها مواد قيمة نشروا بعضاً منها[3].

---

(1) كان ريتش قد مر بكردستان قبل رجلته هذه مرات عديدة، وكانت الاقليات الكردستانية قد جلبت انتباهه منذ حين من الزمن خلال سفراته من بغداد إلى اسطنبول.

(2) ترجم المجلد الاول من هذا الكتاب إلى العربية من قبل اللواء بهاءالدين نوري وطبع في العام 1951 تحت عنوان (رحلة ريتش في العراق عام 1820) ويقع في 359 صفحة. ونشر في العام 1836، وهو عام صدوره باللغة الإنكليزية، باللغة الفرنسية ايضاً:

C.J. Rich, *Relation D'une residence dans le Kurdistan l'emplacement de L'antique Ninive etc.*, London, 1836, p.398 .

(3) راجع:

C.H. Rawlinson, *Notes on a journet from Tebriz through persian kurdistan...* (The journal of the Royal Geographical society), London, Vol. X, 1840.

تحدث راولنسن قبل هذا ايضا باختصار عن الكرد والكردستان في مقال اخر له كذلك عدة مرات (أنظر المجلة المذكورة، المجلد التاسع، عام 1839)

F. Millingen, *The Wild Life among the Koords* , London, 1870.

وفضلاً عن هؤلاء فإن كثيرين من الرحّالة الإنكليز الذين دخلوا ايران وتركيا، زاروا المناطق الكردية كذلك وتحدثوا في كتاباتهم، قليلاً أو كثيراً، عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية للأكراد. وعلى سبيل المثال فإن ج. موريير[1] و ج. كينر[2] تحدثا في كتابيهما اللذين ترجما بعد عام أو عامين من صدورها إلى الفرنسية والالمانية عن وجوه مهمة عديدة من حياة الشعب الكردي وبلاده.

تضاعف اهتمام الإنكليز بكردستان منذ السنوات الاولى للقرن العشرين، وكان ذلك نتيجة لاكتشاف النفط والاهتمام البالغ الذي أولوه لما بين النهرين، حيث كانوا يريدون أن يتخذوا منه ومن كردستان العراق قاعدة مهمة لبث نفوذهم في الشرقين الادنى والاوسط والحفاظ عليه فيها، وفي هذه الاونة كان عدد الإنكليز الذين يفدون إلى كردستان ويتجولون فيها في ازدياد، وكان يعينهم على دراسة حياة الكرد وتفهم اوضاع بلادهم من كل الوجوه، إلى حدٍ

---

(1) يراجع:

J. Morier, *Journey through persia, Armenia and Asia Minor to Constantinople in the Years 1808 and 1809*, London, 1812,

J. Morier, *A Second Journey through persia, Armenia and Asia Minor to Constantinople between the Years 1810 and 1819*, London, 1818.

تحدث موريير في الفصلين السادس عشر والسابع عشر من كتابه الاول عن المناطق التي مر بها من كردستان، كما نشر في كتابه الآخر معلومات كثيرة حول إثنوغرافيا الكرد وتاريخهم.

(2) J.M. Kinner, *A Geographical memoir of the presian Empire*, London 1813.

J.M Kinner, *Journey through Asia Minor, Armenia and Koordistan in the Years 1813 and 1814*, London, 1818.

كبير، أن بعضهم كانوا قد تعلموا اللغة الكردية، ورحلة الميجر سون المعروفة وكتاباته[1] نماذج جلية وصارخة في هذا المضمار.

كان الميجر سون قد قضى سنة في كرمنشاه (1906–1907) وتعلم اللغة الكردية هناك بصورة جيدة[2] بحيث إنه تمكن فيما بعد من الاشراف المباشر

(1) فيما يلي سرد لأعمال الميجر سون التي تحتل موقعاً بارزاً في ميدان الدراسات الكردية:

1-*To Mesopotamia and Kurdistan in Disguilse*, London, 1912, Second edition.1926, p.421.

2- *A Southern kurdish Folksong in kermanshahi Dialect,* JRAS,1909, p. 35-51 .

3- *Notes on a kurdish dialect, the shadi branch of kermanji*, JRAS, 1909, p. 895-921 .

4- *Notes on a kurdish Dialect, Sulaimania (Southern Turkish kurdistan)*, JRAS, 1912, p. 891-940 .

5- *Grammar of the kurmanji or kurdish Language*, London, 1913, p.13, 289 .

6- *Elementary Kurmanji Grammar*, Baghdad, 1919, p.197.

7- *Kitabi awalamini Qiraati kurdi*, baghdad, 1920 .

8- *A short Anthology of Guran Poetry*, Jras, January 1921, p. 57-81 .

9- *Notes on the Phonology of Southern Kurmanji*,.RAS, April, 1922, p. 191-226

(2) حول معرفة الميجر سون باللغة الكردية، كتب المؤرخ الكردي المعروف الاستاذ محمد امين زكي، يقول: هذا الفاضل يعرف اللغة الكردية كأحد ابنائها، بل إنه اعلم بها من كثير من علماء الكرد انفسهم، محمد امين زكي، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ترجمة محمد علي عوني، القاهرة، 1936، ص325، (في النص الكردي، المجلد الاول، الجزء الثاني، ص 291) . وكمثال على مدى تمكن الميجر سون من اللغة الكردية نذكر أنه ترجم إلى اللغة الكردية عدداً من آيات القرآن الكريم ترجمة واضحة ومفهومة، وهو امر يعجز عنه الكثيرون، وقد نشر ترجمته هذه في جريدة (بيشكةوتني سليماني- تقدم السليمانية). (راجع جريدة بيشكةوتني سليماني، العدد 25، 14 تشرين الأول/ اكتوبر 1920).

على اصدار عدد من الصحف الكردية[1] التي تميزت بخصائص جعلتها بمثابة نقطة تحول في تاريخ الصحافة الكردية، باشر الميجر سون بعد ذلك جولته في كردستان الجنوبية ودرس الحياة الكردية والوضع في كردستان عن قرب واقام صلة جد وثيقة مع بعض من رؤساء الجاف[2]، لقد احتل ذلك كله، كما احتلت كتاباته فيما بعد، موقعها المناسب بالنسبة للإنكليز[3].

وقد اوكل إلى سون قبيل انتهاء الحرب امر تنفيذ بعض المهام الخطيرة في المنطقة، فما أن تم احتلال بغداد من قبل الجيش البريطاني حتى توجه سون نحو خانقين، وبعد انتهاء الحرب لعب سون، بوصفه الضابط السياسي البريطاني، دوراً بارزاً في تثبيت النفوذ البريطاني في كردستان العراق. لقد كانت اعمال سون، كما يقول الكاتب الإنكليزي ارنست مين، بمثابة اعمال لورنس من حيث الأهمية، وإن كانت أقل منها شهرة[4].

ومع أن الإنكليز كانوا يولون أهمية اكثر لكردستان الجنوبية مما كانوا

---

(1) مثل جريدة تيكةيشتني راستي (فهم الحقيقة) التي نعود إلى الحديث عنها بالتفصيل فيما بعد، والجريدة الاسبوعية: بيشكةوتني سليماني (تقدم السليمانية) التي اصدرها مصطفى باشا ياملكي منذ أواخر نيسان/ إبريل من العام 1920 بتشجيع مباشر من الميجر سون، الذي كان حاكماً سياسياً في السليمانية انذاك واشترك شخصياً في تحرير الجريدة وتوجيهها.

(2) مما يجدر ذكره أن الميجر سون كان، قبل أن يبدأ رحلته عبر كردستان، موظفاً في شركة النفط الإنكليزية – الفارسية. وبعد أن أنهى رحلته، اخذ في البحث عن مكامن النفط في المناطق المحيطة بقصر شيرين وخانقين بأمر من الشركة المذكورة.

(3) ليس قصدنا من هذا التقليل من القيمة العلمية الكبيرة جداً لأعمال عدد من الرحالة الاوروبيين ونتاجاتهم، والتي لايزال الكرد وعلماء الدراسات الكردية يستفيدون منها حتى الآن من نواحٍ عديدة، فهي غالباً ما تشكل مصادر اصلية لاغنى للباحث عنها.

(4) E. Main, *Iraq from Mandate to Independence*, London, 1935, p. 51 .

يولونه لاجزاء كردستان الاخرى، إلّا أنهم لم يغفلوا تلك الاجزاء أيضاً، حيث احتلت هي كذلك مكاناً بارزاً في خططهم. ولذلك فقد كان عدد كبير من الرحالة والموظفين الإنكليز يصلون سرّاً أو جهراً وبعد جهد جهيد في سنوات ما قبل الحرب وسنوات الحرب ذاتها إلى المناطق الأكثر أهمية في كردستان، بل كان بعضهم يصلون إلى زوايا في تلك المناطق لم تطأها من قبل قدم أي اجنبي. ففي اثناء رحلة الميجر سون قام الموظف السياسي البريطاني مارك سايكس برحلة طويلة مداها 7500 ميل في كردستان الشمالية ودرس عن كثب حياة عدد كبير جداً من القبائل الكردية وأمعن النظر في حياة المناطق التي تقطنها تلك القبائل من مختلف الوجوه. إن المعلومات التي جمعها مارك سايكس في رحلته والتي نشر البعض منها [1] كانت مفيدة لكل الاشخاص والجهات التي كانت تولي الاهتمام لكردستان ومستقبلها.

كان تردد الإنكليز على كردستان وتحركاتهم فيها تزداد باقتراب الحرب واتساع مداها، كما كانت اهدافهم الحقيقية تتضح أكثر فأكثر، مثلما كان الامر في معظم ارجاء الشرقين الادنى والاوسط الاخرى، وقبيل ابتداء الحرب اخذ نائب القنصل البريطاني في وان يقيم صلات قريبة مع الرؤساء المتنفذين في منطقة بدليس. ومن جهة ثانية فإن القنصلين البريطانيين في دياربكر والموصل اخذا يبثان الدعاية بهمة ونشاط ضد روسيا التي كانت تتطلع، كما سنذكر ذلك فيما بعد، نحو كردستان الشرقية والشمالية. كل هذه العوامل جعلت الناس

---

(1) M. Sykes, *The Kurdish Tribes of the Ottoman Empire*. (The Journal of the Royal Anthroplogical Institute of Great Britian and ireland), Vol XXXVIII, 1908 (July to December).

M. Sykes, *The Caliphs Last Heritage.A Short History of the Turkish Empire*, London, 1915, p. 553-588.

في مختلف الجهات يعتقدون أن الشرق الاوسط كله سيقع في مستقبلٍ قريبٍ جداً تحت السيطرة البريطانية المباشرة[1] واستطاع الإنكليز بهذه الاساليب وبتأثير الأموال التي كانوا ينثرونها، أن يشتروا ذمم عدد كبير من رؤساء القبائل الكردية المعروفة من امثال الكلهر، بل إنهم تمكنوا من أنْ يدفعوهم في العام 1917 لمقاتلة القبائل الموالية للألمان والعثمانيين.

كان الإنكليز يسعون في الوقت ذاته للاستفادة من الاقليات القومية والدينية في كردستان ولتثبيت مواقع اقدامهم بينها، وقد بذلوا مساعي كبيرة بهذا الهدف مع الأشوريين في سنوات ما قبل الحرب وسنوات الحرب نفسها ووضعوا تحقيق هذه المهمة على عاتق المدرسة الدينية المسيحية التي انشأوها في قرية (قوجانس) الواقعة في منطقة هكاري (حكاري)، والتي كانت تدار من قبل القنصل البريطاني في وان مباشرة[2]. وقد ظهرت نتائج الدعايات الإنكليزية بين الأشوريين جلية اثناء الحرب والسنوات التي اعقبتها. ومع أن الإنكليز اهتموا بالتقرب إلى الاكراد اليزيديين اقل إلى حد ما، مما كانوا يبذلون من مساعٍ في صفوف الأشوريين، لكن جهودهم في هذا المضمار لم تكن دونما طائل. وفي سنوات الحرب وبصورة خاصة منذ احتلال بغداد من قبل الجيش البريطاني، اخذ الضباط السياسيون في هذا الجيش ينشئون الصلات مع اليزيديين، وقد ارسلوا لهذا الغرض ضابطاً إلى منطقة سنجار وشيخان بصورة سرية[3].

وهكذا نرى أنه كان لكردستان موقع مرموق في السياسة البريطانية إزاء الشرق الاوسط، وكانت هذه الحقيقة تتجلى أكثر فأكثر يوماً بعد يوم.

---

(1) راجع: M.S. Lazarev, *kurdistan...* , p. 248.

(2) صديق الدملوجي، إمارة بهدينان الكردية أو إمارة العمادية، الموصل 1952، ص120.

(3) راجع: اسماعيل غول، اليزيدية قديماً وحديثاً، بيروت، 1937، ص59- 61.

وعلى سبيل المثال فإن الديبلوماسي البريطاني الذائع الصيت اللورد كيرزن كان يتحدث في التسعينيات من القرن الماضي بحرارة ووضوح عن ما بين النهرين فقط مؤكداً على ضرورة جعله منطقة نفوذ بريطاني صرف[1]، في حين أنه هو بالذات أعلن بعد ذلك بحوالى عشرين عاماً، أي قبيل الحرب العالمية الاولى بفترة وجيزة، امام مجلس اللوردات البريطاني، دونما لف أو دوران، أن (من الخطأ القول بأن مصالحنا السياسية تنحصر في منطقة الخليج [يقصد الخليج العربي]. ك.م.). إن تلك المصالح لا تنحصر في هذه المنطقة، واكثر من ذلك إنها لاتنحصر في المنطقة الممتدة بين البصرة وبغداد، بل تمتد بعيداً إلى الشمال من بغداد)[2]، وفي الحقيقة يمكن اعتبار هذا القول بمثابة اول اعتراف صريح من مسؤول بريطاني كبير حدد فيه أطماع الإنكليز في ولاية الموصل دونما أية مواربة، كتعبيرٍ عن خطط بعيدة المدى، وهي ما جعلت البريطانيين يولون التغلغل بين الاكراد، وبشكل خاص في كردستان العراق، أهمية مضاعفة خلال سنوات الحرب العالمية الاولى، وقد اتخذ هذا الامر طابعاً خاصاً مع زوال دور روسيا القيصرية في اللعبة ومع اقتراب موعد تقسيم الاسلاب والغنائم. ولم يكن عبثاً قط أنْ اعترف السير ارنولد ويلسون وهو أول حاكم سياسي بريطاني في العراق بعد احتلاله، بأن عدداً من أقدر رجال الإنكليز إنما (كانوا يعملون في اواسط جزيرة العرب وكردستان وجنوبي غربي ايران وشماليها الغربي وفي الخليج)[3] بالذات.

---

(1) راجع:

G. N. Curzon, *Persia and the Persian Question*, Vol II London, 1892, p. 578 .

(2) مقتبس من:

P.W.Ireland, *Iraq. A Study in Political Development*, London, 1937, p. 48-49 .

(3) راجع:

= A.T. Wilson, *Mesopotamia 1917-1920.A clash of Loyalities, A Personal and*

كان الروس هم الآخرون، شأنهم شأن الإنكليز، يركزون انظارهم منذ حين على كردستان، ولا سيما المناطق الواقعة منها على حدودهم الجنوبية أو على مقربة منها، وهو موضوع يستحق منا وقفة خاصة لا لمجرد اهميته العلمية، بل كذلك لقلة المعلومات المتوافرة عنه في دراساتنا.

يرتبط تغلغل نفوذ روسيا القيصرية في كردستان واهتمامها بها، بتوجهاتها منذ قرون سبقت الحرب العالمية الاولى نحو مناطق القفقاس والمياه الدافئة، وفيما بعد بأطماعها الواسعة في الشرق الاوسط، وهي عوامل تحولت في مجموعها إلى أحد العناصر المحركة الفعالة للمسألة الشرقية المعروفة، هنا أيضاً ظهرت مقدمات التغلغل مع رحلات الاستطلاع المبكرة التي قام بها عدد كبير من الرحالة الروس بنشاط ملحوظ، فقبل إرسال أول سفير روسي إلى الباب العالي بفترة طويلة جاب عدد من هؤلاء الرحالة في اصقاع مختلفة من الشرق الاوسط بما فيها المناطق الكردية، ففي العامين 1465-1466 مثلاً قام فاسيلي برحلة طويلة عَبَرَ خلالها آسيا الصغرى كلها تقريباً ووصل إلى سوريا وفلسطين والقاهرة[1].

كان من الطبيعي ان يزداد عدد الرحالة الروس المتنوعي الاهتمامات الذين زاروا بلداناً مختلفة من السلطنة العثمانية، بشكل متوازٍ مع ازدياد احتكاك الدولة الروسية بتلك السلطنة. وقد قضى بعض هؤلاء الرحالة سنوات عديدة

= *historical record*, London,1931, P. 158 .

راجع كذلك: العالم العربي، بغداد، 22 تشرين الاول/ أكتوبر 1931.

(1) راجع: ب. م. دانتسيغ، الشرق الادنى في العلم والادب الروسي، موسكو، 1973، ص19-21،

Данциг Б.М. , *Ближний Восток в русской науке и литературе*, Москва, 1973, стр. 19-21.

(في الهوامش القادمة ...B.M. Dantsig, Bl, Vostok)

يجوبون خلالها تلك البلدان ويجابهون الاخطار والاهوال في سبيل جمع اكثر ما يمكن جمعه من المعلومات التي تحولت فيما بعد إلى دليل عمل مساعد للتغلغل الروسي في المنطقة. يتحدث مؤلف روسي مجهول في مخطوطة له عن رحلة طويلة قام بها في مناطق جد شاسعة من السلطنة العثمانية في بداية النصف الثاني من القرن السابع عشر واستغرقت اكثر من خمس سنوات وامتدت حتى تونس. ومن بين المدن الكثيرة التي زارها هذا الرحالة يذكر اسماء مدن دياربكر وماردين والموصل وكركوك وبغداد، وتوجه من الاخيرة إلى دمشق التي زارها مرتين. وكما جاء في تعليق لناشر هذه الرحلة كتبه في العام 1890 أنه «لم يقطع أوروبي آخر في ذلك العهد مثل هذه المساحة الواسعة من السلطنة العثمانية ولم ير كل هذه الزوايا منها ولم يلاحظ كل هذه الخصائص فيها كما فعل مؤلفنا»[1].

تشكل الحروب الروسية - العثمانية ذروة التعبير عن توجهات روسيا القيصرية نحو المياه الدافئة الجنوبية والشرق الاوسط فيما بعد. فقد شهدت الفترة الممتدة بين النصف الثاني من القرن السابع عشر والنصف الثاني من القرن التاسع عشر سلسلة حروب وقعت بين الدولتين من اجل السيطرة على سواحل البحر الاسود والمناطق القريبة منها - القفقاس والبلقان مع امتدادات الاولى منهما. إن هذه الحروب التي بلغ عددها عشراً وتجاوز مجموع سنواتها الثلاثين[2]، ازدادت ضراوةً وتأثيراً على العلاقات الدولية بشكل متواز مع

---

(1) مقتبس من المصدر السابق، ص34-35 . قام ب. ا. سيرك بنشر المخطوط.

(2) وقعت الحروب الروسية - التركية بالتتابع في الاعوام 1676-1681 و1686-1689 و1710-1713 و1735-1739 و1768-1774 و1787-1791 و1806-1812 و1828-1829 و1853-1856 و1877-1878.

ازدياد أطماع روسيا وانحلال السلطنة العثمانية وتهافت الدول الأوروبية الكبرى على أصقاع الشرق الأوسط المختلفة وارتبط اسم الكرد بها بأشكال متباينة، إلّا أن موقعهم فيها بات اكثر وضوحاً مع تقادم الزمن واقتراب ميادينها من مناطق سكنهم التي تحولت في القرن التاسع عشر إلى إحدى ساحات الصدام المباشر بين قوات الفريقين المتحاربين واشترك فيها العديد من العشائر الكردية التي كانت تقف في البداية إلى جانب القوات العثمانية، ولكن الروس تمكنوا فيما بعد من كسب قسم منها إلى جانبهم.

[لعبت الحربان اللتان وقعتا بين روسيا وايران في النصف الاول من القرن التاسع عشر [1]وقعت الاولى في الاعوام 1804-1813 ووقعت الثانية في الاعوام 1826-1828] الدور نفسه تقريباً في لفت انتباه المسؤولين الروس إلى الكرد وبلادهم. ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أنه نتيجة لحرب الاعوام 1804-1813 الايرانية - الروسية التي انتهت بعقد معاهدة (كلستان) بين الطرفين، اصبح جزء صغير من الشعب الكردي ضمن الامبراطورية الروسية[2] مما تحول إلى عنصر جديد لتحديد الاطار العام للسياسة الروسية تجاه الشعب الكردي.

أدت حروب روسيا مع الدولة العثمانية ثم مع ايران إلى ازدياد اهتمام

(1) تعود بدايات الصدام مع ايران إلى عهد بطرس الاول الذي وجه حملة ضدها في العامين 1722-1723. ولا تختلف هذه الحروب من حيث دوافعها الاساسية عن تلك التي وقعت بين روسيا والدولة العثمانية.

(2) ولاسيما العشائر المتنقلة التي كانت مراعيها تقع في منطقة قرةباخ. وقد التجأ كذلك قسم من أكراد الامبراطورية العثمانية إلى الاراضي الروسية هرباً من تعسف السلطات المحلية (لمزيد من التفصيل راجع: الدكتور كمال مظهر احمد، أي طريق؟، مجلة (بةيان) الكردية، بغداد، العدد 2، 1972، ص 1-3).

الروس بالكرد كما ذكرنا، وقد عبّر هذا الاهتمام عن نفسه بأشكال مختلفة ولكن دون ان يتغير الهدف منه. فقد بدأت القيادة العامة للجيش الروسي في منطقة القفقاس تولي دراسة المناطق الكردية اهتماماً ملحوظاً متزايداً [1] وقد حققت فعلاً نتائج ملموسة في هذا المجال منها كسب عدد من رؤساء العشائر الكردية ووضع خرائط تفصيلية دقيقة لأهم المناطق الاستراتيجية التي كانت تهمها بشكل خاص، كما تمكن عدد من أكفأ ضباطها من وضع دراسات تفصيلية عن نواحي شتى تتعلق بالحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للشعب الكردي، فإن الضابط س. بروسكورياكوف الذي قضى منذ العام 1842 سنوات عديدة في مناطق الحدود بين الدولة العثمانية وروسيا والذي وضع خرائط مهمة لمنطقة أرضروم وامتداداتها[2]، كتب عن الاخيرة يقول: «يمكن اعتبارها نقطة التقاء لتجارة اسيا الصغري لأن الوضع الجغرافي لكردستان الممتدة على طرق الاتصال المباشرة لتبريز مع طرابزون واسطنبول.. جعل

(1) بدأت القيادة العامة للجيش الروسي منذ العقود الاولى للقرن التاسع عشر، وبالتحديد بعد الدروس التي استنبطها المسؤولون الروس من حملة نابوليون المعروفة على بلادهم، تولي اهتماماً كبيراً لدراسة البلدان الاخرى، وبشكل خاص تلك القريبة من امبراطوريتهم المترامية الاطراف. ومن هذا المنطلق اخذت هذه القيادة تعير إعداد ضباط اكفاء مطلعين على الاعمال الطوبوغرافية والاحصائية عناية خاصة. وقد برزت قيادة منطقة القفقاس في هذا المجال، فاستطاعت وضع دراسات استراتيجية سوقية وسياسية - تاريخية مع خرائط تفصيلية عن مناطق مختلفة من الدولتين المجاورتين العثمانية والايرانية، وهذه القيادة هي التي أولت الشعب الكردي الاهتمام الكبير الذي يبدو واضحاً من سياق الموضوع نفسه.

(2) جمع كل ذلك في ملاحظات طبعت في العام 1905 في تبليس على شكل كتاب يحمل عنوان: ملاحظات عن تركيا. وقد اصبح بروسكورياكوف فيما بعد عضواً في اللجنة الدولية التي شكلت خصيصاً للنظر في مسألة تخطيط الحدود بين ايران والدولة العثمانية، فقضى فترة اخرى بين اكراد تلك المنطقة.

من أرضروم مركز تجميع للبضائع بين هذه المدن»[1].

وفي العام 1896 نشرت قيادة منطقة القفقاس كتاباً خاصاً عن الاكراد ألّفه العقيد ف. ا. كارتسيف[2]. ويبحث هذا الكتاب بشكل مركّز عادات الكرد وتقاليدهم ومناطق سكنهم والوضع القائم آنئذٍ في كردستان والفرسان الحميدية، مع ملخص عن تاريخ اتصال السلطات الروسية بعشائر الحدود الكردية. وقد ألحق المؤلف بكتابه هذا خارطة مهمة لمناطق سكن العشائر الكردية كانت الاولى من نوعها. وفي الفترة نفسها تقريباً انتهى العسكريون والاختصاصيون الروس من وضع كتاب يقع في ثمانية مجلدات تحت عنوان صريح يدل بوضوح على محتواه وهو معلومات لبحث عسكري - احصائي عن تركيا الاسيوية وهذا الكتاب دراسة اقتصادية - جغرافية شملت مناطق كردية كثيرة أيضاً. وكان من بين مؤلفي هذا الكتاب الضخم. ا. م. كاليوباكين الذي كان قد زار المنطقة في العام 1885 فاكتسب اطلاعاً واسعاً عليها وحصل

(1) مقتبس من:

Данциг Б.М., *Русские путешественники на Ближнем Востоке*, Москва, 1965, стр. 169.

ب. م. دانتسيغ، الرحالة الروس في الشرق الادنى، موسكو، 1965، ص169، (في الهوامش القادمة: ...B.M. Dantsig)

(2) ف. أ. كارتسيف، ملاحظات عن الاكراد، تفليس، 1896، وقعت المستشرقة ج. س. موساليان في خطأ عندما اعتبرت هذا الكتاب من مؤلفات القنصل بو. س. كارتسيف الذي سنتطرق إلى نشاطاته فيما بعد. راجع:

Карцев В.А., *Заметки о Курдах*, Тифлис, 1896.

Библиография по Курдоведению, составитель Ж.С. Мусаэльян, Москва, 1963, стр. 42, 161.

بيبليوغرافيا عن الدراسات الكردية، وضع ج. س. موساليان، موسكو، 1963، ص 42 و161.

على خبرات كثيرة بشأنها[1].

إن خير مثال نورده في هذا المجال لإعطاء صورة واضحة لاهتمام الاوساط العسكرية الروسية بكردستان وعلاقة هذا الاهتمام بالحروب السابقة والتوجهات اللاحقة التي كانت من ضمن العوامل التي افضت إلى الحرب العالمية الاولى - هو البحث المفصل الذي وضعه الكابتن ب. ي. افيريانوف بتكليف خاص من قيادة الجيش الروسي في منطقة القفقاس. يحمل البحث العنوان المعبِّر التالي: الكرد في حروب روسيا مع تركيا وايران خلال القرن التاسع عشر. الوضع السياسي المعاصر لأكراد تركيا، ايران وروسيا. وقد طبع في تبليس في العام 1900 على شكل كتاب مستقل[2] يبلغ عدد صفحاته حوالى

---

(1) راجع: B.M. Dantsig BI. *Vostok*..., p. 321-325.

(2) ب. ي. أفيريانوف، الكرد في حروب روسيا مع ايران وتركيا خلال القرن التاسع عشر. الوضع السياسي المعاصر لأكراد تركيا، ايران وروسيا، تفليس، مطبعة قيادة منطقة القفقاس العسكرية، 1900 . (في الهوامش القادمة:... P.Averianov).

Аверьянов П.И. , *Курды в войнах России с Персией и Турцией в течение* XIX столетия. Современное политическое положение турецких, персидских и русских курдов. Тифлис, 1900.

نشر ب.ي. افيريانوف عدداً من الدراسات الأخرى عن الكرد، مثل:

Аверьянов П.И., *Некоторые сведения о турецких курдах-кизильбашах (из путевых заметок французского вице-консула в г. Эрзуме Гренара), Известия штаба кавказского военного округа*, No. 19, 1907, стр. 47-55.

بعض المعلومات عن الكرد - القزلباش في تركيا، من ملاحظات رحلة وكيل القنصل الفرنسي في مدينة أرضروم غرينار *Grenard*، في: اخبار قيادة منطقة القفقاس العسكرية، العدد 19، 1907، ص 47-55 . وكان قد ترجم كذلك المقال التالي لوكيل القنصل الفرنسي نفسه:

M.F. Grenard, *Une secte religieuse d'asie Mineure. Les Kysylbachs*, "Journal = Asiatique"1904, 10eer T. III, p. 511-522 .

الخمسمائة صفحة، 338 منها تشكّل متن الكتاب وكرّست البقية للمقدمة مع ملحق مهم للغاية يحتوي على عشرات الوثائق التاريخية الأصلية من ضمنها الرسائل التي بعثها المسؤولون الروس إلى عدد من رؤساء العشائر الكردية والزعماء الروحيين والسياسيين الكرد أمثال الشيخ عبيدالله النهري وغيره. وقد ضمّن المؤلِف كتابه خرائط تفصيلية دقيقة عن نقاط مرابطة الفرسان الحميدية وعن توزع العشائر الكردية ومناطق الحدود العثمانية المجاورة للقفقاس.

يحتوي الكتاب على معلومات هامة مدروسة بإمعان عن الوضع السياسي لكردستان خلال القرن التاسع عشر وموقع الأكراد في الحروب الروسية ـ العثمانية والحروب الروسية ـ الايرانية، وعن عدد من الانتفاضات الكردية التي وقعت في أوقات مختلفة ضد السيطرة العثمانية مثل انتفاضة يزدان شير وانتفاضة البدرخان وانتفاضة الشيخ عبيدالله وغيرها. ويدرس أفيريانوف، بتفصيل، القوات التي باشر السلطان عبدالحميد الثاني بتشكيلها من مسلحي العشائر الكردية والتي كان من أهم واجباتها الاشتراك في الحرب المقبلة ضد روسيا والتصدي الموجه بأسلوب مختلف لمخططاتها التوسعية، وسنعود إلى تفصيل ذلك فيما بعد.

يعترف المؤلف صراحة بأن الهدف من وضع كتابه، هو هدف سياسي بحت. ولندعه يضع بنفسه النقاط على الحروف، ففي كلامه توضيح كبير لسياسة روسيا القيصرية نحو الكرد وبلادهم قبيل الحرب العالمية الأولى. لقد افتتح ضابط القيادة الروسي الكابتن أفيريانوف كتابه الضخم بهذه الأسطر ذات الدلالة العميقة الواضحة:

= ونشر تحت العنوان نفسه، طائفة القزلباش الدينية في آسيا الصغرى، في العدد 6 ـ 8 للعام 1905 من المجلة نفسها التي كانت تصدرها قيادة منطقة القفقاس العسكرية.

«اضطرت روسيا إلى أن تخوض، خلال القرن التاسع عشر، حربين مع ايران وأربع حروب مع تركيا، واشترك الأكراد دوماً في ميادين القفقاس القتالية لهذه الحروب. جاء اشتراكهم في البداية كأعداء لنا فقط ، وفيما بعد كحلفاء أيضاً. ما من مجال للشك في أنه خلال حروبنا المقبلة في آسيا الصغرى سنضطر للاحتكاك مراراً بهذا الشعب الكبير التواق إلى الحرية والذي لايعترف حالياً بتقاليد الاستقرار المدني»[1].

يعود أفيريانوف، بعد ذلك بقليل، ليؤكد من جديد اهتمام الروس في تلك الفترة (فترة ماقبل الحرب) بالمناطق الكردية الايرانية منها والعثمانية، بشكل خاص، للتأثير في الوضع السياسي هناك، الذي من شأنه «تحديد موقفهم (موقف الكرد ـ ك.م.) تجاه روسيا أثناء الصدامات المقبلة مع ايران ومع تركيا خاصة»[2].

اذاً، كانت خطط الروس بالنسبة للأكراد تتركز أساساً على الحرب المقبلة وآفاقها التي كانت تدور حول تحقيق قفزة جديدة باتجاه الجنوب كان من المتوقع لها أن تشمل هذه المرة جزءاً حساساً من كردستان[3]. وهذا ما يفسر لنا سر اهتمام الروس بالمنطقة مع اقتراب الحرب العالمية الأولى، فارتفع عدد الذين زاروها وتجولوا في أصقاعها النائية، وتحمس المسؤولون أكثر لإقامة علاقات ودية مع رؤساء العشائر الكردية المتنفذين من أمثال سمكو وعبدالرزاق بدرخان وآخرين، كما ازداد عدد البحوث والدراسات والخرائط المتعلقة بالكرد ومناطق سكنهم بشكل ملحوظ. ولم تقتصر مثل هذه الجهود

---

(1) P. Averianov, op. cit., p. I

(2) Ibid, p. II.

(3) أغتنم المسؤولون الروس فرصة ثورة الدستور (المشروطية) الايرانية (1905 ـ 1911) ليحتلوا في العام 1909 منطقة واسعة من كردستان ايران، وكانوا يأملون أن يلحقوها، شأنها شأن المناطق الواقعة فيما وراء القفقاس، بأمبراطوريتهم الفسيحة الأرجاء.

على العسكريين فحسب بل جلبت كذلك اهتمام الديبلوماسيين وغيرهم، كما سنأتي على تفاصيله لاحقاً.

إلّا أنه يجدر بنا أن نشير هنا إلى أن اهتمام الأوساط العسكرية الروسية امتد في هذه المرحلة إلى أنحاء كردية أبعد بكثير من مناطق الحدود المجاورة لبلادها، وذلك كانعكاس طبيعي لازدياد الأطماع وتنامي الامكانيات. ففي العام 1902 قام الضابط الروسي ب.ي. شيولكوفنيكوف بزيارة للولايات العثمانية في العراق أعد بعدها دراسة «جد مهمة» ـ على حد وصف المستشرق السوفياتي ب.م. دانتسيغ لها ـ تحتوي «على معلومات مفيدة غير قليلة عن الوضع السياسي المعاصر (آنئذٍ ـ ك.م) في ميسوبوتاميا ومنطقة الخليج»[1]. وقد نشر شيولكوفنيكوف، ضمن دراسته المذكورة، معلومات كثيرة عن العشائر العربية والكردية مقدراً عدد المتنقلين منها بحوالى مليون ومئة ألف شخص، كما حدد سكان العراق بثلاثة ملايين وأربعمئة ألف نسمة.

نشرت مجلة «أخبار قيادة منطقة القفقاس العسكرية» بعد ذلك بحوالى العامين[2] بحثاً تحت عنوان: ملاحظة عن الوضع السياسي في كردستان الجنوبية وميسوبوتاميا الشمالية، وردت فيه معلومات عن وضع مختلف الجماعات وبعض العشائر هناك وعن أهداف تشكيلات الفرسان الحميدية في المنطقة، وهي من المواضيع التي تطرقت اليها دراسات أخرى غير قليلة تم اعدادها خصيصاً في هذه المرحلة. وقد أولى هذا البحث موضوعي الفرسان الحميدية[3] ومشروع سكة حديد بغداد اهتماماً استثنائياً.

لا يمكن فصل الموضوع الأخير، أي مشروع سكة حديد بغداد، عن الحسابات الاستراتيجية لروسيا القيصرية في اطار سياستها نحو المنطقة

---

(1) B.M. Dantsig, BI. *Vostok...*, p.332.

(2) نشر البحث في العددين 1 ـ 2 للعام 1904، ص 49 ـ 57.

(3) سنتطرق إلى تفاصيل هذا الموضوع في الفصل التالي من هذا الكتاب.

وضمن استعداداتها للحرب المتوقعة. ولا بد من إلقاء بعض الضوء على هذا الموضوع المهم أيضاً وذلك بقدر تعلقه ببحثنا.

جلبت سكة حديد بغداد اهتمام الروس إلى حد كبير، وتحولت، كمشروع في يد الألمان، إلى مصدر قلق جدي بالنسبة إليهم. فإن «السلطات الروسية ـ كما لاحظ أحد الصحافيين الروس في وقت مبكر ـ قد اعتبرت طريق بغداد (يقصد سكة حديد بغداد ـ ك.م)، بالاستناد إلى أسس مبررة تماماً...، مضراً، بشكل عام، بالمصالح الروسية».[1] ولم يقتصر تهديد المشروع لتلك المصالح، حسب التقدير المدروس للمسؤولين الروس، على النواحي الاستراتيجية البحتة، بل كان يشمل كذلك النواحي الاقتصادية. وقد بلغت حسابات الروس بهذا الصدد حد أنهم كانوا يخشون أن يؤدي تنفيذ المشروع إلى تطور الزراعة في بلاد ما بين النهرين إلى درجة تتحول معها إلى «منافسة خطرة لتجارة الحبوب الروسية في السوق الأوروبية»[2]، ولاسيما وأن التقارير الديبلوماسية الروسية كانت تؤكد أن بإمكان العراق، مع سوريا والأناضول، أنتاج كميات من الحبوب تعادل ما تصدره روسيا إلى الخارج،

---

(1) ورد ذلك في تقرير عن سكة حديد بغداد بعثه مراسل مجلة «المخبر الروسي» من اسطنبول، وقد نشر في عدد تشرين الأول/ أكتوبر العام 1899 من المجلة المذكورة. ومن المهم أن نلفت الأنظار هنا إلى ملاحظة دقيقة سجلها هذا الصحفي بالذات في تقريره تتعلق بتحديد أحد الأسباب المهمة التي جعلت من السلطات العثمانية ترغب في تنفيذ المشروع بسرعة حتى يتحول إلى وسيلة بيدها لقمع النضال التحرري العربي. وقد وضع الصحافي الروسي ذلك على رأس الأسباب الاستراتيجية التي دفعت المسؤولين العثمانيين إلى الأهتمام بخط بغداد ـ برلين، الحديد.

(2) أشار إلى ذلك تقرير مهم وضعه أحد الضباط الروس الكبار ونشر في بطرسبورغ في العام 1907 راجع: B.M. Dantsig, *Russkey...*, p. 98 -99.

فضلاً عن توافر ظروف ملائمة لإنتاج كميات كبيرة من القطن[1]، مما كان يدفع المسؤولين الروس إلى الحذر أكثر من أن يتحول المشروع إلى وسيلة جديدة لتطوير متزايد للإمكانات الاقتصادية الألمانية على أساس توفير مواد خام رخيصة وسريعة لها.

فلا غرابة إذاً في أن يخصص الروس عشرات الدراسات المستفيضة للبحث في جميع الأوجة المتعلقة بمشروع سكة حديد بغداد [2]ويبعثوا عدداً كبيراً من الاختصاصيين لتعقبه خطوة خطوة. وهكذا بدأ الموضوع يحتل حيزاً كبيراً من التقارير الديبلوماسية التي كانت تصل إلى وزارة الخارجية الروسية من مصادر شتى. وقد أصبح للمناطق الكردية التي كان من المقرر أن تمر بها السكة مكان في الدراسات والتقارير الروسية المكرسة للبحث عن المشروع. فقبل الحرب بفترة غير طويلة بعثت القيادة العامة المقدم ب.أ. تاميلوف إلى تركيا لدراسة المنطقة الممتدة بين أضنه والموصل والتي كان من المقرر أن يقطعها الخط المزمع مده. عاد تاميلوف إلى بلاده، بعد أن قضى حوالى ستة أشهر في البحث والتقصي. وفي العام 1907 نشر بحثاً مفصلاً يقع في جزءين بعنوان: تقرير عن رحلة في تركيا الآسيوية، بلغ مجموع صفحاتها أكثر من 750 صفحة خصص جانب كبير منها لدراسة المناطق الكردية، وبصورة خاصة في الفصل الثالث من الجزء الأول الذي يزيد عن 150 صفحة ويحمل عنوان: ميسوبوتاميا الشمالية وكردستان الجنوبية. كما يحتوي الجزء الثاني من التقرير على معلومات كثيرة عن الكرد إذ يتطرق فيه المؤلف إلى الطريق الذي سلكه من القفقاس ماراً بالمناطق الكردية متوجهاً إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط.

---

(1) راجع مثلًا: A.Adamov, op. cit., p. 535.

(2) وردت أسماء البعض منها ضمن مصادر البحث في هذا الكتاب. وقد اختتم ب.ي. شيولكوفنيكوف المذكور آنفاً كتابه بفصل خاص عن سكة حديد بغداد.

لم يقتصر اهتمام الروس بالكرد على النشاطات ذات الطابع الاستراتيجي الصرف. فقد رافق ذلك، ولنفس الهدف، نشاط واسع من نوع آخر ارتبط بالعمل الديبلوماسي «السلمي» الذي تمخضت عنه أيضاً نتائج مهمة تستحق بعض التوضيح لإعطاء الموضوع بعده الحقيقي.

فرض تطور الصلات التجارية، إلى جانب الاحتكاك العسكري المستمر وتوتر العلاقات في المناطق المشتركة من الحدود، إقامة صلات ديبلوماسية منظمة بين روسيا والدولتين الجارتين السلطنة العثمانية وايران. فتم في نهاية العام 1701 تعيين أول سفير روسي مقيم لدى الباب العالي هو الديبلوماسي ث.أ.تولستوي، الذي برز من قبل كممثل ناجح لبلاده في ايطاليا وبولندا والنمسا. وقد بلغ اهتمام بطرس الأول بمهمة سفيره لدى بلاط السلطان العثماني حد أنه وضع له تعليمات سرية خاصة كان عليه أن يراعيها بدقة. وقد اشترك القيصر نفسه في صياغة بعض بنودها السبعة عشر.

نشطت الديبلوماسية الشرقية لروسيا القيصرية منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر بحيث أصبحت واحداً من الأركان الأساسية الثلاثة لسياسة الدولة الخارجية[1]. وازداد منذ ذلك الحين اهتمام الديبلوماسيين الروس بالشعب الكردي الذي وجدت المسائل المتعلقة به طريقها إلى الحقيبة الديبلوماسية الروسية بسرعة. فإن السفير الروسي أ.ستاخييف الذي عين في اسطنبول منذ شباط/ فبراير من العام 1776 وظلّ في منصبه حتى أواخر العام 1779، أي خلال فترة جد حرجة من العلاقات الروسية ـ التركية، أولى ارسال تقارير مفصلة عن الوضع الداخلي في السلطنة العثمانية اهتماماً خاصاً،

(1) نقصد بها المحاولات المستميتة للوصول إلى مياه الدافئة. أما الركنان الأساسيان الآخران فقد ارتبطا بالعمل من أجل تثبيت مواقع أقدام روسيا على سواحل بحر البلطيق وضم أراضي أوكرانيا وروسيا البيضاء اليها.

ومن بينها تقارير كانت تخص «الصدامات على حدود كردستان بين الأتراك والايرانيين والتي انتهت باندحار الترك فيها».[1] وقداستمر خلفه بولخاكوف على نفس التقليد، فتطرق ضمن تقاريره الرسمية إلى المشاكل والصدمات الداخلية التي شهدتها بعض المدن الكردية في أيامه[2].

تطلب ازدياد احتكاك الروس بالكرد وتشعب المهمات الديبلوماسية الروسية في المنطقة وتطور التبادل التجاري مع العديد من المدن إقامة عدد من القنصليات الروسية في بعض تلك المدن. وقد نشط القناصل الروس ووكلاؤهم في المنطقة، فأقاموا صلات قريبة مع رؤساء العشائر وغيرهم من المتنفذين، كما ظلّوا يراقبون الأحداث عن كثب ويرسلون تقارير هامّة عن حقيقة الأوضاع في كردستان إلى وزارة الخارجية الروسية والقيادة العسكرية لمنطقة القفقاس. وقد ركزوا في تقاريرهم هذه على قضايا تتعلق بالعلاقات بين السلطات والسكان المحليين وبمشاكل الحدود بين الدولتين العثمانية والايرانية و بالعلاقات بين الكرد والمسيحيين وبوضع تشكيلات الفرسان الحميدية. ولم يقتصر إنجاز هذه المهمة منذ وقت مبكر على الذين كانوا يعملون في المناطق الكردية مباشرة، بل أولى عدد من القناصل الروس في المدن القريبة الموضوع ذاته جانباً واضحاً من اهتمامهم ولاسيما وأنهم كانوا، بحكم مراكز عملهم وطبيعة اتصالهم ببلادهم، يحتكون مباشرة و باستمرار، بالقضايا الكردية التي احتلت، مثلاً، مكاناً بارزاً في تقارير القنصل الروسي العام في الموصل يو.س.كارتسوف ودراساته، فقد كان هذا الرجل ذا اطلاع واسع على ظروف السلطنة العثمانية لكونه سبق له أنْ شغل كذلك منصب سكرتارية القنصل العام في اسطنبول سبع سنوات (من العام 1879 حتى العام

(1) راجع: B.M. Dantsig, *Russkey*..., p. 98 -99.

(2) راجع: B.M. Dantsig, BI.*Vostok*..., p. 91.

1886). يتحدث كارتسوف في كتابه سبع سنوات في الشرق الأدنى (طبع في العام 1906 في بطرسبورغ) عن الأقليات الدينية في ولاية الموصل، وفي بحث آخر له يصف باسهاب الطريق الممتد بين تبليس والموصل ويتطرق إلى مدن أرضروم وبدليس وسعرد والجزيرة وغيرها.(1)

ومع اقتراب الحرب العالمية الأولى وإثر عودة اللجنة الدولية الخاصة بالنظر في قضية الحدود بين السلطنة العثمانية وايران إلى نشاطها والتي كانت روسيا أيضا ممثلة فيها، ازداد كذلك نشاط الديبلوماسيين الروس في المناطق الكردية، حيث قاموا بإعداد تقارير ودراسات جد مهمة من بينها الأعمال القيمة التي أنجزها القوميسير الروسي في لجنة الحدود التركية ـ الايرانية، المستشرق المعروف فيما بعد، فلاديمير مينورسكي(2) الذي نشر قبيل الحرب العالمية الأولى وفي سنواتها سلسلة من البحوث في المجلات والدوريات التالية: «معلومات عن دراسة الشرق»، «أخبار وزارة الخارجية»، «أخبار قيادة منطقة القفقاس العسكرية»وغيرها. (سوف نعود إلى هذا الموضوع بشيء من التفصيل في الفصل القادم، وذلك ضمن البحث عن نشاطات الروس خلال سنوات الحرب العالمية الأولى). أما القنصل الروسي العام في بغداد أ.أ.أرلوف فقد قام في صيف العام 1913 بجولة خاصة في مناطق الحدود التركية ـ الايرانية وسجل ملاحظات كثيرة عن العشائر الكردية «زنكنه» و«سنجاوى» و«جاف» وغيرها نشرت في العاصمة الروسية.(3)

وكان بين المسؤولين الروس الذين عملوا بين الكرد بحماسة، قنصل روسيا السابق الأمير بوريس شاخوفسكي الذي عهد اليه من قبل وزارة الخارجية

(1) Ibid., p. 278, 319, 403.

(2) عمل فلاديمير مينورسكي كديبلوماسي في بعض المناطق الكردية.

(3) راجع: B.M. Dantsig, BI. *Vostok*..., p . 279, 351.

الروسية خلال سنوات الحرب بالاشراف على شؤون كردستان كلها. لقد اهتم شاخوفسكي اهتماماً بالغاً بربط اقتصاد المناطق الكردية بالاقتصاد الروسي. وفي الحقيقة فإن تخلف كردستان ووقوعها على مقربة من روسيا وفرا فرصة ملائمة لتنمية الصلات التجارية بين العديد من المدن والمناطق الكردية القريبة من الحدود وعدد من المدن الواقعة في مناطق ما وراء القفقاس[1]. ومما يجدر ذكره أنه ليست البضائع الروسية ذاتها وحسب، بل وحتى الكثير من المنتجات الصناعية للبلدان الأوروبية الأخرى كانت تصل إلى قسم كبير من أسواق كردستان عبر روسيا. وهذا ما دفع وزارة التجارة والصناعة الروسية لأن تطلب من وزارة الخارجية إنشاء قنصليات ومراكز تجارية حديثة في مدن كردستان. والواقع أن توسع الروابط التجارية بين المناطق الكردية وروسيا بلغ حداً أزعج الألمان، بحيث إنهم أخذوا يسعون لتقليص النفوذ الاقتصادي للتجار الروس ولاسيما في كردستان ايران.[2]

هيأ كل ما سبق، مع عوامل أخرى، أرضية مناسبة لتطور ملموس في الدراسات الكردية كجزء من الاستشراق الروسي قبل الحرب العالمية الأولى، وهو موضوع يستحق بدوره بعض الاهتمام في إطار بحثنا هذا.

بدأت دراسة الشرق علمياً في روسيا منذ القرن الثامن عشر واستطاعت أن تقطع شوطاً كبيراً من التطور ولا سيما في القرن التاسع عشر[3] الذي شهد

---

(1) دخلت بعض الكلمات الروسية في اللغة الكردية عن طريق هذه الصلات وما تزال تستعمل حتى الآن من أمثال (سماور) و (وارشو) و (أشترخان = أستراخان) وغيرها.

(2) راجع: M. S. Lazarev, *Kurdistan...*, p.262.

(3) راجع: ن.أ. كوزنيتسوفا ول.م.كولاغينا، من تاريخ الاستشراق السوفياتي، موسكو، 1970، ص 6 ـ 7.

Кузнецова Н.А., & Кулагина Л.М., *Из истории советского Востоковедения*, Москва, 1970, стр. 6-7.

ميلاد العديد من المؤسسات التي أولت دراسة بلدان الشرق وشعوبها اهتماماً كبيراً مثل «المتحف الآسيوي التابع لأكاديمية العلوم الروسية» الذي تأسس في العام 1818 في بطرسبورغ، وقسم الدراسات الشرقية في جامعة بطرسبورغ وقد تم افتتاحه في العام 1855، وقسم دراسة اللغات الشرقية التابع للدائرة الآسيوية في وزارة الخارجية الروسية، إلى جانب جمعيات علمية جغرافية وأرخيولوجية مختلفة. إن النجاحات التي تم تحقيقها داخل هذه المؤسسات جعلت من المؤرخ المعروف الأكاديمي بارتولد يرى أن الاستشراق الروسي قد تمكن من تحقيق نجاحات أكبر مما حققه نظائره في بلدان أوروبا الغربية خلال القرن التاسع عشر.[1]

لقد برز من بين المستشرقين الروس من اهتم بالمسائل الكردية في وقت مبكر، ومما ساعد هؤلاء على البروز في حقل اختصاصهم احتكاكهم المباشر بالشعب الكردي، إضافة إلى الثروة الغنية التي تراكمت في الأرشيفات والتقارير الديبلوماسية والعسكرية التي تطرقنا إلى أوجه معينة منها. فعلى سبيل المثال أرسل في العام 1842 المستشرقان وليم ديتيل وإيليان بيريزن إلى الشرق حيث احتك كل منهما بالأكراد مباشرة في مناطق مختلفة. زار ديتيل[2] خلال رحلته التي استغرقت ثلاث سنوات أصقاعاً جد واسعة في ايران و السلطنة العثمانية شملت آسيا الصغرى وبلاد ما بين النهرين وسوريا وفلسطين ومصر وغيرها. ومع أن موته المبكر (توفي في الثانية والثلاثين

---

(1) راجع: ف.بارتولد، تاريخ دراسة الشرق في أوروبا وروسيا، لينينغراد، 1925، ص 232.

Бартолд В., *История изучения Востока в Европе и России*, Ленинград, 1925, стр. 232.

(2) عُرف وليم فرانستوفيتش ديتيل بباع طويل في حقول استشراقية مختلفة بحيث لم يكن قد بلغ الثلاثين من عمره عندما منح لقب (بروفيسور). وكان يعمل في القسم التركي بجامعة بطرسبورغ.

من عمره بسبب اصابته بالكوليرا) حال دون انتهائه من تسجيل المعلومات الغزيرة التي جمعها في أقطار الشرق الأوسط وتنظيمها وتنسيقها، إلّا أنه خلّف لنا بعض الدراسات المهمة وفي مقدمها بحثه القيم دراسة عن رحلات في الشرق الذي طبع في العام 1849، وقد كُرِّس جانب كبير منه للبحث عن الكرد وبلادهم وردت فيه معلومات دقيقة تتعلق بحياتهم وعاداتهم وصفاتهم ومعتقداتهم مع حقائق قيّمة للغاية تخص العلاقات الاقطاعية التي كانت تسود كردستان في القرن التاسع عشر. ويكفي أن نورد هنا ما ذكره ديتيل بنفسه عن العشائر الكردية، إذ يقول:

«لقد عرفت هنا (في كردستان ـ ك.م.) حوالى 250 عشيرة لايعرف منها الأوروبيون إلّا حوالى سبعين عشيرة».[1]

وقد احتل الكرد موقعا بارزاً في البحوث الأخرى المنشورة لديتيل ومنها استعراض لرحلة ثلاث سنوات في الشرق.[2] وبحثه الخاص بعنوان الأكراد الذي كرَّسه لدراسة أصلهم ولغتهم.[3]

---

(1) ف.ديتيل، دراسة عن رحلات في الشرق من العام 1842 حتى العام 1845، ـ «المكتبة للمطالعة»، بطرسبورغ، المجلد 95، 1849، ص 198 ـ 199 (مقتبس من:

(B.M. Dantsig, BI. *Vostok*..., p. 200-201.

«المكتبة للمطالعة»، مجلة شهرية صدرت في بطرسبورغ خلال الفترة 1834 ـ 1865 و أولت نشر البحوث عن الرحلات في بلدان الشرق اهتماماً كبيراً. ظهرت في هذه المجلة مقالات عدة عن الشعب الكردي.

(2) منشور في مجلة «وزارة التعليم الشعبي»، المجلد الأول، القسم الرابع، 1847، ص 1 ـ 3.

(3) نشر كذلك في مجلة «المكتبة للمطالعة»، المجلد 119، القسم السابع، 1853، ص 8 ـ 17، وقد نشر تحت عنوان: الأكراد من مذكرات رحلة العام 1846، غير المنشورة لديتيل.

نشر لوليم ديتيل بحث باللغة الفرنسية هو:

= V. Dittel, *Aperçu Sommaire de trois ans de voyage en Asie, dans le Caucase, la*

تطرق بيريزن كذلك في دراساته إلى الكرد وبلادهم مراراً، فخلال المرحلة الأخيرة من رحلته والتي بدأت من البصرة، مرّ بيريزن ببغداد وكركوك وأربيل والموصل ونصيبين وماردين ودياربكر وغيرها مما أعطاه «امكانية التعرف عن قرب على السكان الأكراد في المنطقة، وعلى عاداتهم»[1]. وهو أيضاً من أوائل المستشرقين الذين تطرقوا بذكاء إلى مواضيع مهمة تخص علاقة الكرد بجيرانهم المسيحيين[2] التي تحولت إلى عنصر محرك مهم للأحداث السياسية الدامية التي وقعت في كردستان خلال سنوات الحرب العالمية الأولى.

وفي العام 1889 قام أ.ي.كيبوس و د.د. كيدينوف برحلة عبر أرمينيا وكردستان وسوريا بهدف القيام بدراسة جغرافية ـ فلكية لمناطق معينة داخل السلطنة العثمانية، وقد استغرقت رحلتهما أكثر من ثلاثة أشهر قطعا خلالها ثلاثة آلاف فرسخ فزارا مدن وان وبدليس ودياربكر وموش وأرضروم وأرزبنجان وخربوط وملاطية وغيرها، كما وصلا إلى حلب والأسكندرونة

= *Perse, le Kurdistan, la Mesopotamie*, «Nouvelles Annales des Voyages», Paris, T, III, 1849. p. 141-168 .

(1) مقتبس من: B.M. Dantsig, *Russkey*..., p. 173-179
من بحوثه التي تطرق فيها إلى الأكراد: الموصل ـ من رحلة في الشرق، مجلة «المكتبة للمطالعة»، المجلد 133، القسم الأول، 1855 ، ص 170-190، وطريق خطر نشر في عدد تشرين الثاني/ نوفمبر من المجلد 152 من المجلة نفسها، ص 1 ـ 50، ووردت فيه معلومات كثيرة عن أكراد السلطنة العثمانية.

(2) ولاسيما في مقالة المسيحيون في ميسوبوتاميا وسوريا المنشور في المجلة الأدبية ـ العلمية ـ التاريخية «موسكو فيتيانين» (Moskvitianin) (الموسكوفي)، المجلد الرابع، القسم الثاني، موسكو، 1854، ص 129 ـ 156 والمجلد الخامس، القسم الثاني، ص 1 ـ 28.

أيضا وتوصلا إلى استنتاجات اعتبرت مهمة وجديدة بالنسبة لزمانهما.[1]

والى جانب هؤلاء وغيرهم ظهر عدد من المستشرقين الروس الذين غدت الدراسات الكردية تجلب اهتمامهم بشكل خاص، وأكثر من أي حقل آخر أحياناً. فإن «الكردي الصغير»[2] ث. ليرخ (1821 ـ 1884) الذي كان من أعلام الاستشراق الروسي البارزين في القرن التاسع عشر[3] درس، بعمق، قضايا كثيرة تتعلق بتاريخ الشعب الكردي وأدبه ولغته وإثنوغرافياه، وقد خلّف لنا في هذه المجالات أبحاثاً علمية قيمة يأتي في مقدمتها كتابه المعروف: دراسات حول الأكراد الايرانيين وأسلافهم الكلدانيين الشماليين الذي يقع في ثلاثة أجزاء نشرت في الأعوام 1856 و1857 و1858 بالتتابع، وصدر اثنان منها باللغة الألمانية أيضاً، وقد قضى المستشرق الروسي ثلاث سنوات كاملة في تدوين الجزء الأول منها فقط[4] يحتوي الكتاب بأجزائه الثلاثة على معلومات

---

(1) راجع: B.M. Dantsig, BI. *Vostok*..., p. 324, 398.

(2) أطلق عليه أصدقاؤه هذا اللقب تعبيراً عن اهتمامه الكبير بالدراسات الكردية.

(3) أشادت مصادر عديدة بأعمال ليرخ العلمية في مجال الدراسات الكردية (راجع مثلاً: B.M. Dantsig, BI...,Vostok..., p. 228.)

وقد بلغ اعجاب ك.ك. كوردوييف بليرخ حد أنه أعتبره «واحداً من أكبر علماء الروس في بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر»، راجع:

Курдоев К.К. , *Труды П.И. Лерх по курдоведению. К вопросу об изучении истории курдов в России, - Очерки по истории русского Востоковедения*, Москва , 1959, стр. 39

ك.ك.كوردوييف، أعمال ث.ي. ليرخ في الدراسات الكردية، حول مسألة دراسة تاريخ الكرد في روسيا، في كتاب دراسات في تاريخ الاستشراق الروسي، موسكو، 1959، ص 39.

(4) ب. ليرخ، دراسات حول الأكراد الايرانيين وأسلافهم الكلدانيين الشماليين، بطرسبورغ، الكتاب الأول 1856، الثاني 1857، الثالث 1858 . يبلغ مجموع صفحات الأجزاء الثلاثة من الكتاب (376+51) صفحة.

= Лерх П. , *Исследования об Курдах и их предках северных Халдеях*,

هامة عن اللغة والعشائر الكردية مع استعراض عدد جد كبير من المصادر الغربية التي تبحث عن الشعب الكردي.

والمثل المهم الآخر الذي يجدر بنا ذكره هنا هو الجهد القيم الذي بذله المستشرق الروسي ف.زيرنوف (1830 ـ 1904) لنشر النص الفارسي لكتاب شرفنامه الذي وضعه شرف خان البدليسي، وهو مؤرخ كردي عاش في القرن السادس عشر. ويعتبر هذا الكتاب من أقدم المصادر المعروفة وأهمها. نشر ف. زيرنوف الجزء الأول من شرفنامه المخصص لتاريخ الكرد في العام 1860 بالإستناد إلى عدد من المخطوطات النادرة، مع مقدمة فرنسية تقع في عشرين صفحة، ثم نشر بعد ذلك بسنتين الجزء الثاني من المخطوطة، وقد منحته أكاديمية العلوم الروسية لقب (الأكاديمي) الرفيع تقديراً لجهده الكبير هذا. أما المستشرق الضليع في اللغة الفارسية البروفيسور فرانسوا برنارد فقد

= Санктпетербург , кн. I , 1856, кн. II , 1875 , кн. III , 1858.

نود أن نلفت النظر هنا إلى نقطة علمية مهمة تتعلق بعنوان الكتاب. فأولاً، إن مضمونه لاينطبق على عنوانه، فقد كرس الجزء الأول كله من الكتاب تقريباً للبحث عن العشائر الكردية في الدولة العثمانية وايران وروسيا، وخصص الجزء الثاني منه للبحث عن اللغة الكردية وفي الأساس للبحث عن اللهجتين الكرمانجية والزازا. أما الجزء الثالث منه فهو عبارة عن مقدمة توضيحية مفصلة مع قاموس للكلمات المختارة من اللهجتين المذكورتين. وهكذا فإن ليرخ قلما يتطرق إلى العلاقة التاريخية بين أصل الكرد والكلدانيين وذلك ضمن مقدمة الجزء الأول من الكتاب فقط. وحسبما يبدو فإن ليرخ نفسه سرعان ما أحس بالخطأ الذي وقع فيه، لذا نراه يصدر الجزءين الأول والثاني من الكتاب نفسه باللغة الألمانية تحت عنوان يختلف عن العنوان الروسي للكتاب، فقد أطلق عليه بالألمانية العنوان التالي:

P. Lerch, *Forschungen über die kurden und die iranischen Nordchaldaen*, Abt. I- II, s. Pbg., 1857, 1858 .

أي دراسات حول الأكراد والكلدانيين الشماليين الايرانيين، والفرق بين العنوانين، من وجهة نظر علمية بحته، كبير وجد واضح، وإن كان العنوان الألماني للكتاب يستحق النقاش فيما يخص الكلدانيين، وهو أمر خارج عن صدد بحثنا.

قضى ثلاثين عاماً من عمره لترجمة الكتاب ذاته إلى اللغة الفرنسية والتعليق عليه بإسهاب. وقد نشرت هذه الترجمة في بطرسبورغ أيضاً.[1]

برز أعلام آخرون من بين المستشرقين الروس الذين عرفوا بأبحاثهم الجدية في مجال الدراسات الكردية منهم ألكسندر زاباون. مار وكثيرون غيرهما. وإن عدداً من الموظفين الروس الذين عملوا بين الأكراد باتوا فيما بعد علماءَ كباراً ومعروفين في نفس الميدان منهم ف. مينورسكي و ب. نيكيتين. ومن الجدير بالذكر أن عدداً من العلماء الأرمن في روسيا القيصرية قد اهتموا بدورهم بدراسة تاريخ الشعب الكردي ولغته وأدبه وعاداته وذلك قبل الحرب العالمية الأولى بفترة غير قصيرة[2]، ومن هؤلاء خ. آبو فيان صاحب أول دراسة

---

(1) لمزيد من التفصيلات راجع: الدكتور كمال مظهر أحمد، حول الشرفنامة والطبعة الكردية لهذا الأثر التاريخي الخالد، ـ «التآخي» (صفحة «الثقافة الكردية» ـ 8 ـ 20، تشرين الثاني/ نوفمبر 1973). ف.ب.شارموي فرنسي عمل في بطرسبورغ. لم يقض شارموي، بالطبع، كل تلك السنوات الطوال في ترجمة كتاب شرفنامة فقط، لأنه كان يعمل في مجال التعليم الجامعي أيضاً، لكنه أحتاج حتماً إلى جانب كبير منها في سبيل إنجاز ذلك العمل الشاق. فمن المعلوم أن أسلوب كتابة شرف خان البدليسي كان من النوع الأدبي الرفيع للغاية، وتعتبر تعليقات شارموي على متن الكتاب من الأعمال الاستشراقية القيمة، فقد أخرج ترجمته مع تعليقاته في أربعة أجزاء بلغ مجموع صفحاتها 2771 صفحة. راجع:

*"Cheref - Námeh ou fastes de la nation, Kourde par Cherefouddine, Prince de Bidlis, dans l'lialet dAzeroúme,*Trad. Du persan et commentés par F. B Charmoy, S. pbg T. I., Pt. I, 1868; T.I, Pt. II, 1870; T.II, Pt.I, 1873; T.11, Pt.II, 1875.

(2) نقتصر هنا على ذكر المحدثين من العلماء الأرمن. أما الأقدمون منهم فقد تركوا لنا ثروة غنية لا تقدر من المعلومات المهمة عن الكرد وكردستان تتضمنها المخطوطات الأرمنية القيمة ومن بينها أعمال الكاتب والمؤرخ الأرمني القديم موفسيس خوريناتسي (مايساى خورينسكي) التي أستند إليهما مينورسكي في بحثه عن أصل الكرد.

إثنوغرافية عن الكرد (في العام 1848) والبروفيسور س.أ.يكيزاروف وهو أول من كتب بإسهاب عن أكراد يريفان (في العام 1891) و أ. أوربيللي الذي لفت الشعب الكردي نظره قبيل الحرب الأولى واستحوذ على تفكيره وعمله، وغير هؤلاء كثيرون. وقد بحث العديد من العلماء الأرمن عن العلاقات القائمة بين شعبهم وبين الأكراد كما نتطرق إلى ذلك في حينه.

عاد كل هذا الاهتمام المتعدد الجوانب (السياسي، العسكري، الثقافي[1] العلمي) بالكرد وكردستان بمغانم معينة على روسيا القيصرية، فإن عدداً غير قليل من زعماء الكرد المتذمرين من جراء أعمال الأوساط العثمانية والايرانية الحاكمة بدأوا يتصورون أنهم يستطيعون تحقيق مآربهم السياسية بمساعدة الروس. ولهذا الغرض فقد أقام بعضهم معهم صلات عن كثب، وحتى إن شخصاً مثل عبد الرزاق بدرخان قدم لهم عدة مشاريع ذكية وبعيدة النظر بهذا الشأن. كما أن زعيم عشائر شكاك سمكو تعاون مراراً مع الديبلوماسيين الروس وسعى إلى نيل العون منهم. بل ان الشيخ محمود الذي كانت منطقة نفوذة تقع في أحدى أبعد النقاط الكردية عن روسيا حاول عدة مرات، سواء قبل الحرب أو خلالها، اقامة الصلات معهم للغرض ذاته.[2] وقبل اندلاع نيران الحرب بفترة قصيرة بدأ البعض من هؤلاء يؤيدون بحرارة إقامة كردستان ذات حكم ذاتي شريطة أن تكون تحت اشراف روسي. ومع أنه لاشك في أن المسؤولين الروس كانوا يرغبون في ذلك، إلّا أنهم لم يكونوا يجرؤون على الإقدام على اللعب بهذه الورقة خوفاً من تأزيم الوضع في المناطق الواقعة على حدود بلادهم الجنوبية، ذلك أن مثل هذه المحاولة في تلك الظروف الدقيقة كان من شأنها أن تؤدي إلى نتائج سلبية بالنسبة اليهم، فقد كانوا يدركون أن المسؤولين

---

(1) قام الروس قبل الحرب العالمية الأولى بفترة وجيزة بتأسيس مطبعة في مدينة ورمى.

(2) سوف نعود بالتفصيل إلى هذا الموضوع ضمن الفصل الرابع.

في الدولة العثمانية وايران وألمانيا يقاومون مثل هذا المشروع بكل وسيلة. وبالفعل فإن المسؤولين العثمانيين أخذوا يفتعلون المشاكل للضباط والديبلوماسيين الروس في المناطق الكردية، يشجعهم في ذلك الألمان. كما بدأت الدول الأخرى تنشط كذلك بكل ما في طاقتها ضد أي شكل من أشكال انتشار النفوذ الروسي في المناطق نفسها. هذه العوامل، والى حدٍ كبير تراخي الروس أنفسم، أدت في الواقع إلى أن لاتحرز سياستهم النجاح المتوقع في كردستان مع أن الظروف كانت موآتية بالنسبة اليهم أكثر من أي عنصر أوروبي آخر. وقد بلغ الأمر أخيراً حد أن الروس لم يستطيعوا حتى الحفاظ على الأمن والاستقرار على حدودهم المحاذية للمناطق الكردية. أما في سنوات الحرب نفسها فقد كان همّ المسؤولين الروس بالنسبة للأكراد محصوراً في التفكير في الدور الذي سيكون لهم في ميادين القتال في آسيا الصغرى وكيف يمكنهم أن يحولوا، على الأقل، دون وقوف الأكراد ضدهم، إن لم يستطيعوا كسبهم إلى جانب قواتهم.

وهكذا، وكما نرى، فإن روسيا رغم أنها كانت تتطلع نحو أراضي كردستان وثرواتها، شأنها شأن معظم الدول الكبرى الأخرى، لكنها كانت تفتقد خطاً سياسياً واضحاً إزاء كردستان وثرواتها.ـ وكثيراً ما كانت سياستها تتغير حسب مقتضيات الزمان والمكان. لقد اعترف القنصل الروسي في ورمى. في إحدى الوثائق السرية، بجلاء، بأن الروس كانوا ينظرون في الدرجة الأولى إلى المسألة الكردية ومستقبل كردستان من زاوية اقامه دولة أرمينيا المستقلة[1]. وهذا ما كان في الواقع سبباً رئيساً لأن يبتعد حتى الأكراد القاطنون على الحدود عن روسيا التي كانت تنتهج بجلاء سياستين مختلفين

---

(1) راجع: M. S. Lazarev, *Kurdistan...*, p. 301

إزاء الكرد وإزاء الأرمن. فلم يحدث، بالنسبة للكرد، أن آزرتهم مآزرة تامة في مسألة مهمة، في حين أنها كانت تساند الآشوريين والأرمن باستمرار ولا سيما الأخيرين، وكانت تزودهم بالسلاح عند الضرورة، فضلاً عن أنها كانت تملك سياسة واضحة وجلية إزاء مستقبل أرمينيا. وقد تجلت سياسة روسيا هذه في سنوات الحرب العالمية الأولى أكثر من أي وقت آخر. وفي كتاب رسمي كتب الأمير شاخوفسكي بهذا الصدد يقول: «كان الاعتماد منذ بداية الحركات العسكرية (في الحرب العالمية الأولى ـ ك.م.) على الأرمن كبيراً، سواء في قيادة القفقاس أو في بطرسبورغ، وكان ذلك في ضوء التقارير الواردة من تبليس، فعقدت على أعمالهم آمالاً كبيرة، حيث بوشر بتشكيل فرقة أرمنية متطوعة، بينما لم يعر الأكراد أي اهتمام تقريباً»[1]. مثل هذا الموقف الذي اتخذه الروس كان يدفع القوميين الأرمن المتطرفين أكثر فأكثر ليتصرفوا مع جيرانهم الكرد بخشونة[2]. وكثيراً ما حدث في سنوات الحرب أن الأرمن

---

(1) راجع: كرد-أوغلو، الكرد والأمبريالية، «نشرة مطبوعات الشرق الأوسط»، طشقند، العدد 13 ـ 14، 1932، ص 108. (في الهوامش القادمة: ...Kurd-Oghlu)

Курд-Оглу, *Курды и империализм* , - «Бюллетень прессы Среднего Востока», Ташкент, No. 13-14, 1932, стр. 108.

(2) في أثر ظهور حركة التحرر القومي بين الأرمن، أخذت الأوساط الحاكمة في الدولة العثمانية تحقد عليهم أشد الحقد، ومع تنامي نضالهم في سبيل حرية بلادهم أخذ الحكام العثمانيون يفكرون في إبادتهم، وذلك ما حدث فعلاً، فقد انقضوا عليهم في العام 1896 كما انقضوا عليهم للمرة الثانية في العام 1915، وأبادوا منهم مئات الألوف مما أثار الرأي العام الأوروبي، وإذ تعرض الحكام العثمانيون إلى ضغط سياسي كبير، حاولوا أن يسندوا جريرتهم إلى الكرد تبرئة لذمتهم هم. لقد أدى ذلك فضلاً عن أشتراك بعض الأقطاعيين والمتعصبين الكرد في تلك المذابح، إلى حقد القوميين الأرمن على الكرد، ولذلك فإنهم كانوا يبحثون عن فرصة مثل أحداث =

المسلحين القاطنين في تلك المناطق من تركيا التي كان يدخلها الجيش الروسي، انقضوا على السكان الأكراد دون أن يعترض سبيلهم قادة هذا الجيش، وهذا ماكان يؤدي إلى مزيد من ابتعاد الكرد عن الروس.

وفضلاً عن بريطانيا وألمانيا وروسيا، فإن كلاً من فرنسا والولايات المتحدة الأميركية أيضاً أولتا الاهتمام لكردستان وفق سياستهما إزاء مستقبل الدولة العثمانية ومصالحهما الخاصة في الشرق الأوسط. وما إرسال الأدميرال جيستر، الذي تحدثنا عنه من قبل إلّا أحد البراهين الدالة على اهتمام الأميركان بالمنطقة التي يعود تاريخ دخولهم اليها لعقود سبقت ذلك التاريخ.[1] إلاّ أن هذا الدخول لم يبلغ المستوى الذي بلغه تغلغل الدول الأوروبية لعوامل عديدة مترابطة منها عدم اشتداد حاجة الرأسمالية الأميركية آنئذٍ إلى أسواق السلطنة العثمانية وايران، ومنها كذلك شدة جشع الدول الأوروبية الكبرى وقوة أطماعهم فيها، وأخيراً البعد الجغرافي للولايات المتحدة الأميركية عن المنطقة وعدم تطور وسائل النقل حينذاك بدرجة تقلل من تأثير هذا البعد. ومع ذلك فإن المحاولات الأميركية الأولى للتغلغل في الشرق الأوسط يعود تاريخها إلى بداية القرن التاسع عشر، حيث بدأت الولايات المتحدة تفكر منذ ذلك الحين في اقامة مصالح لها في المنطقة وحمايتها، فعقدت في السابع من أيار/ مايو العام 1830 معاهدة للصداقة والتبادل التجاري مع السلطنة العثمانية

= الحرب الأولى للثأر منهم. وسوف نعود إلى هذا الموضوع بالتفصيل في الفصل الخامس.

(1) لمزيد من التفصيل راجع: الدكتور كمال مظهر أحمد، حول تغلغل النفوذ الأميركي في الشرق الأوسط وبنود الرئيس ويلسون، مجلة «آفاق عربية»، بغداد، العدد 3، تشرين الثاني/ نوفمبر 1976، ص 102 ـ 131.

أصبحت تتمتع بموجب بنودها الثمانية[1] بنظام الامتيازات في المناطق العثمانية، التي اقتصر التمتع بها حتى ذلك التاريخ على الدول الأوروبية فقط. وقد أعطى البند الثاني من المعاهدة الأميركان حق اقامة قنصليات لهم أينما تتطلب مصالحهم في المناطق العثمانية، كما أعطى البند السابع منها السفن الأميركية حق الدخول في مياه البحر الأسود. وتضمنت المعاهدة في النهاية بنداً سرياً تعهدت الولايات المتحدة بموجبه بالقيام ببناء أنواع مختلفة من السفن للدولة العثمانية عند الحاجة وبموجب عقود خاصة تبرم في حينها.

عقدت الولايات المتحدة الأميركية معاهدة مشابهة مع ايران في كانون الأول/ ديسمبر من العام 1856، وقد أعطى البند الثالث منها امتيازات واسعة «للرحالة والتجار والصناعيين» من أتباع البلدين(!) الذين أصبح من حقهم «نقل جميع أنواع البضائع والمنتوجات براً أو بحراً، من وإلى البلدين، والقيام ببيعها أو مبادلتها أو شرائها أو ايصالها إلى جميع المناطق داخل حدود كل من الطرفين المتعاقدين الساميين».[2]

وتم بموجب البند السابع من المعاهدة تأسيس ثلاث قنصليات أميركية

---

(1) للاطلاع على بنود المعاهدة راجع:

J.C . Hurewitz, *Diplomacy in the Near and Middle East.* A Document Record 1535- 1914,V. I . Princeton, 1956, p. 112-113.

أقامت الولايات المتحدة الأميركية العلاقات الديبلوماسية مع السلطنة العثمانية منذ العام 1824.

(2) راجع:

Хрестоматия по истории международных отношений, выпуск II , Москва, 1972 , стр. 85-86.

مجموعة نصوص عن تاريخ العلاقات الدولية، الجزء الثاني، موسكو، 1972، ص 85 ـ 86.

في كل من طهران وبندر بوشهر وتبريز. وهذه الأخيرة هي التي وقعت على عاتقها مهمة العمل في المناطق الكردية من ايران. وقد تحوَّل ذلك إلى تقليد ديبلوماسي أميركي فيما بعد.[1]

إلّا أن الظروف السائدة آنئذٍ لم تكن تسمح بأن تتعدى المصالح الأميركية في المنطقة حدود العمل لتطوير العلاقات التجارية والتغلغل الثقافي وحماية المؤسسات الخيرية والتبشيرية فيها. وقد قطعت الولايات المتحدة بالنسبة للأخيرة شوطاً بعيد المدى بحيث سبقت في هذا الميدان جميع الدول الأوروبية تقريباً. ويستحق هذا الموضوع، في نطاق بحثنا، إلتفاتة خاصة، بسبب ما لأوجه معينة منه من علاقة بالمناطق الكردية والمناطق الأخرى المجاورة لها والتي تحوَّلت إلى مركز رئيس لنشاط المبشرين الأميركان وباسلوب لم يخلُ من تأثير على العلاقات القائمة بين مسلمي المنطقة ومسيحييها.

تعود بداية نشاط المؤسسات التبشيرية والخيرية الأميركية في الشرق الأوسط إلى العام 1820. إلّا أن المعارضة القوية التي كانت تلقاها من الدول الأوروبية (ولا سيما من فرنسا وروسيا) غير الراغبة في ظهور منافس جديد لها، تسببت في أن تتطور هذه المؤسسات في البداية ببطء ولكن دون انقطاع، ولاسيما وإنها كانت تموّل منذ بداية ظهورها من جانب خزينة الدولة الأميركية[2]، كما أنها كانت تتمتع بجميع الامتيازات الواردة في معاهدة العام 1830 . ومنذ أواخر القرن الماضي بدأت هذه المؤسسات توسع نشاطاتها إلى

(1) أبدى العديد من الديبلوماسيين الأميركان العاملين في تبريز نشاطاً واسعاً بين العشائر الكردية، ولاسيما بعد الحرب العالمية الأولى وبشكل أوسع منذ الحرب العالمية الثانية، ومن هؤلاء القنصل وليم إيغلتن الذي عمل في كركوك أيضاً وأصدر كتاباً خاصاً عن جمهورية مهاباد

W. Eagleton, *The Kurdish Republic of 1946*, Oxford University Press, 1963, p.142.

(2) N. Morten, *Middle East*, New York, 1943, p. 213-214.

حدٍ كبير، بحيث أنها شملت جميع أجزاء السلطنة العثمانية[1]، ولكنها ركزت هذه النشاطات بشكل خاص بين أبناء الأقليات الدينية. ففي مدينة صغيرة واحدة مثل سيواس في وسط الأناضول افتتح الأميركان 25مدرسة بلغ عدد تلاميذ واحدة منها فقط حوالى 1500 شخص كان معظمهم من الأرمن. وتشير الاحصائيات الرسمية للعام 1914 إلى وجود 675 مدرسة أميركية في تركيا بلغ عدد طلابها حوالى 35 ألف شخص[2] كان يوجد بينهم عدد غير قليل من الأطفال المسلمين الأتراك خاصة والأكراد بدرجة أقل. ويمكن قياس مدى نجاح المبشرين الأميركان من خلال سرعة انتشار المذهب البروتستانتي بين الأرمن والآشوريين، فلم تمض على وجودهم سوى سنوات قليلة حتى بلغ أتباع المذهب الجديد بين الأرمن وحدهم أكثر من مئة ألف شخص تتبعهم 198 كنيسة خاصة مع 356 مدرسة[3] كان يقع قسم منها في المناطق والمدن الكردية. وحقق المبشرون الأميركان بعض النجاح بين الآشوريين القاطنين بين الأكراد حيث اعتنق قسم منهم البروتستانتية نتيجة جهود أولئك.[4]

---

(1) تم في العام 1889، مثلا، تأسيس جمعية تبشيرية خاصة في ولاية نيوجرسي باسم «البعثة العربية» (Arabian Mission) وقد أثارت حملة داعية واسعة لخططها الرامية ـ كما دعت ـ إلى نشر تعاليم المسيح «بين سكان الجزيرة العربية ...». وتم بالفعل تأسيس مركز لها في البصرة في العام 1891 مع فرع في البحرين (في العام 1893)، وآخر في مدينة العمارة (في العام 1894).

(2) راجع: مصطفى كمال، طريق تركيا الحديثة ١٩١٩ ـ ١٩٢٦، الترجمة الروسية، الجزء الأول، موسكو، 1929، ص 90، 405 (قسم الملاحظات).

(3) راجع: .A. Adamove, *Iraq...*, p.219

(4) راجع:

Sir Percy Sykes, *A summary of the history of thee Assyrians in Iraq 1918 -1933*, - (JRAS), Vol. XXI, April 1934, p. 256.

لمزيد من التفصيلات راجع بحثنا المنشور باللغة الروسية: حول المشكلة الآشورية=

قدرت مؤسسات التبشير الأميركية موقعها في البلاد بشكل واقعي. لذا فإنها كانت تعمل بدقة وحذر في المجالات ذات الصلة بالتغلغل السياسي وحتى الاقتصادي لبلادها، فلم تبلغ تدخلاتها ـ والحق يقال ـ بل ولم تكن تستطيع أن تبلغ حتى ذلك الحين ما بلغته مؤسسات التبشير الفرنسية مثلاً.

وقد أدى هذا الأمر إلى خلق انطباع طيب بين الأوساط المثقفة في السلطنة العثمانية صاغت من خلاله تلك الأوساط، في سنوات الحرب العالمية وبعدها بشكل خاص، نظراتها السياسية عن الولايات المتحدة الأميركية، بصورة غير واقعية.

لكن ذلك لايعني أبداً أن السلطات والأوساط المالية الأميركية لم تحاول استغلال وجود مثل تلك الشبكة الواسعة من مؤسسات التبشير التابعة لبلادها لصالح تغلغلها هي في مناطق الشرقين الأدنى والأوسط، ولاسيما وأن كلها كانت مرتبطة بـ«مجلس الوكلاء للبعثات الأجنبية ـ الأميركي» (American Board of Commissioners for Foregin Missions) الذي تأسس في بوسطن وتحول فيما بعد إلى مؤسسة صيرفة. وقد كان في حوزة هذا المجلس صحافته ومطابعه التي كانت تنشر الكتب بست لغات، كما كان له جهاز إداري كفوء، وكان يقوم بتنظيم مؤتمرات سنوية للمبشرين الأميركان. وكما جاء في بحث روسي عن نشاطات المبشرين البروتستانت في المناطق الشمالية الشرقية من تركيا، يعود إلى العام 1888، فإن ثلث المبالغ الضخمة التي كان يخصصها المجلس لمؤسسات التبشير الأميركية، كان يصرف من أجل كسب السكان والموظفين المحليين[1].

= في العراق 1918–1933، مجلة أكاديمية علوم أذربيجان السوفياتية «الأخبار»، العدد 2، 1969، ص 30 ـ 40.

(1) راجع:

= Шпилькова В.И., *Империалистическая политика США в отношении*

ومن جانب آخر كان المبشرون الأميركان على اتصال وثيق بسفارة بلادهم في اسطنبول. وكما تذكر مجلة آسيا (Asia) في عددها الصادر في آذار/ مارس من العام 1923 فإن هؤلاء المبشرين، كانوا يلعبون بحكم اطلاعهم الواسع على أقطار الشرق الأوسط دور مستشارين غير رسميين أثناء النظر في القضايا المتعلقة بالسلطنة العثمانية. وقد تجلى ذلك بشكل واضح تماماً خلال أعمال مؤتمر الصلح في باريس. ومن الجدير بالذكر أن بعضاً من كبار المشرفين على المؤسسات الثقافية والتبشيرية الأميركية[1] كانوا من أصدقاء الرئيس الأميركي ويلسون الذي جاء إلى الحكم منذ العام 1912 وظل فيه طيلة سنوات الحرب العالمية الأولى.

وتعدى الأمر هذه الحدود أيضاً. فقد دخلت السفن الحربية الأميركية أكثر من مرة المياه الاقليمية للسلطنة العثمانية، بحجة حماية أرواح المبشرين الأميركان، حتى إن واحدة منها وصلت في العام 1900 إلى العاصمة اسطنبول وكانت بقيادة الأدميرال جيستر الذي جاء في هذه المرة للحصول على التعويض عن الخسائر التي سببتها مذابح الأرمن لبعض المبشرين، وقد وفق في مهمته. وفي الوقت نفسه أعار المسؤولون الأميركان مسألة تشغيل متخرجي مؤسساتهم الثقافية اهتماماً غير قليل وصل أحياناً حد استخدام الضغط السياسي.

ومما يجدر بالقول إن وجود أمثال هؤلاء المبشرين في المناطق الكردية

= *Турции (1914-1920)*. Москва, 1960 , стр. 30.

ف. ي. شبيلكوفا، السياسة الاستعمارية للولايات المتحدة الأميركية في تركيا (1914 ـ 1920)، موسكو، 1960، ص 30 . (في الهوامش القادمة: ...V. Shpilkova).

(1) منهم تشارلز غرين الذي كان عضواً في مجلس إدارة كلية روبرت الأميركية في اسطنبول ثم مديرها وفيما بعد أحد عضوي لجنة كنك ـ غرين المعروفة التي أرسلها الرئيس الأميركي ويلسون إلى مناطق مختلفة من الشرق العربي.

وغيرها أدى إلى تعميق الخلافات بين سكانها المسلمين والمسيحيين[1]. وقد تسبب ذلك خلال سنوات الحرب العالمية الأولى في انفجار صراعات وحدوث مذابح بينهم في أماكن عديدة. وعلى سبيل المثال فقد حدثت في بداية الحرب معركة كبيرة بين المسلمين والمسيحيين في منطقة ورمى التي كان المبشرون الأميركان قد اتخذوها منذ العام 1831 مركزاً لنشاطهم. ونتيجة لهذه المعركة راح عدد كبير من المسيحيين الأبرياء كبوش فداء[2].

شهدت مرحلة ما قبل الحرب العالمية الأولى أيضاً بداية التغلغل الاقتصادي الأميركي في بلدان الشرق الأوسط التي جاءت بطيئة نتيجة لسيطرة عدد من الدول الأوروبية على أسواقها وبسبب بُعد تلك الأسواق ـ كما أسلفنا القول ـ وضعف القوة الشرائية فيها خاصة وإن الدولة العثمانية نفسها كانت تئن تحت وطأة قروض الدول الأجنبية المتراكمة عليها.

وكانت هذه البداية قد دشنت ووضعت لبناتها الأولى منذ أواخر القرن التاسع عشر، وقطع التغلغل بعض الأشواط في بداية القرن العشرين، وبصورة خاصة لأنه تمتع بموجب معاهدة العام 1830 بجميع الحقوق التي تضمنها نظام الامتيازات من اعفاءات جمركية وتجارة حرة. وفي هذه الفترة بالذات وجدت بعض المنتجات الكردية طريقها إلى الأسواق الأميركية في نطاق محدود.

وأياً كان الأمر فقد كان للأميركان كذلك خططهم الطموحة بالنسبة لمناطق الشرق الأوسط المختلفة والتي توضحت وتشعبت مع اقتراب

---

(1) لا ينكر أن معظم أولئك المبشرين كانوا يقدمون المساعدات الطبية وغيرها إلى سكان المناطق التي كانوا يعملون فيها، فضلاً عن أن وجودهم وطراز معيشتهم وتعاملهم تدخل ضمن الأسباب الأولية لإيجاد نوع من الصلة بين السكان المحليين والحضارة الغربية.

(2) راجع: علي سيدو الكوراني، من عمان إلى العمادية، أو جولة في كردستان الجنوبية، القاهرة 1939، ص 215 ـ 218.

الحرب العالمية الأولى أكثر فأكثر. ومن المفيد أن نشير هنا إلى أن اتفاقية كولبي جيستر حول بناء ثلاثة خطوط حديد سبق ذكرها، كانت تمس في حالة تطبيقها، مناطق كردية واسعة. فقد كان من المقرر أن يمتد الخط الرئيس من سيواس إلى السليمانية. أما الخطان الآخران فقد كانا يصلان بدورهما إلى مدن كردية منها دياربكر وخربوط وبدليس وغيرها(3).

وفي سنوات الحرب العالمية الأولى نفسها تبنى الأميركان سياسة ذكية بالنسبة للسلطنة العثمانية. فما أن اندلعت الحرب حتى وجهت وزارة الخارجية تعليمات صريحة إلى الديبلوماسيين الأميركان العاملين في الأراضي العثمانية تطلب منهم العمل من أجل تطوير العلاقات القائمة بين البلدين، ولاسيما وقد ظهرت أمام الولايات المتحدة إمكانات أكبر للعمل هناك بعد زوال الضغط الإنكليزي ـ الفرنسي ـ الروسي على الباب العالي بشأن مصالحها، وبعد أن صارت الظروف أنسب من السابق بالنسبة لعمل مبشريها في مناطق وجودهم. ومن المهم أن نذكر بهذا الصدد أن الولايات المتحدة لم تعلن الحرب ضد السلطنة العثمانية بعد اشتراكها فيها ضد حليفتيها ألمانيا والنمسا (أعلنت الحرب ضد ألمانيا في السادس من نيسان/ إبريل من العام 1917 وضد النمسا في كانون الأول/ ديسمبر من العام نفسه). لذا فإننا نراها تمكنت من الحفاظ على مواقع أقدامها في المناطق العثمانية حتى بعد أن اضطر الباب العالي، تحت ضغط الألمان، إلى قطع العلاقات الديبلوماسية معها اعتباراً من العشرين من نيسان/ إبريل من العام 1917 . وليس أدل على ذلك من أن

---

(3) راجع:

Papers Relating to Foreign Relations of the United States, 1919, Vol.II, p. 918-919.

مقتبس من: (V. Shpilkova, op.cit., p.36-37)

واردات تركيا من البضائع الأميركية ارتفعت بمقدار ثلاث مرات ونصف في العام 1917 وبمقدار سبع مرات في العام 1918 قياساً مع العام 1916 [1]. وقد ظهرت نتائج هذه السياسة جلية بعد انتهاء الحرب وأثناء مؤتمر الصلح، وفي الأحداث السريعة التي شهدتها المنطقة منذ العام 1918.

أما فرنسا فإنها كانت من أكثر الدول الأوروبية نشاطاً من أجل التغلغل في مناطق الشرق الأوسط، وقد تمكنت من تحقيق مكاسب مبكرة ومهمة في هذا الميدان. فهي سبقت الولايات المتحدة مثلاً بحوالى قرن في الحصول على نظام الامتيازات في الأمبراطورية العثمانية، وذلك بموجب اتفاق خاص تضمن أكثر من ثمانين بنداً تم التوقيع عليه بين الطرفين في أيار/ مايو من العام 1740 [2]. حققت فرنسا نجاحات مشهودة في ايران أيضاً تجسدت في عقد سلسلة من الاتفاقات والمعاهدات التي منحت الجانب الفرنسي امتيازات كبيرة، منها ما أُبرم في أيلول/ سبتمبر من العام 1708 وفي آب/ أغسطس من العام 1715 وفي كانون الثاني/ يناير من العام 1808 وغيرها[3].

اتخذ التغلغل الفرنسي السياسي والاقتصادي في المنطقة، قبل الحرب طابعاً اتسم بالعمل الدؤوب من أجل ايجاد مواقع ثابتة وبأساليب مختلفة في أصقاع كثيرة اعتبرتها الأوساط الفرنسية الحاكمة مجالاً حيوياً بالنسبة لانطلاقاتها المقبلة في الشرق الأوسط. ويكفي القول هنا إن الرأسمال الفرنسي المستغل في تركيا قبل الحرب قد فاق تقريباً رساميل جميع الدول الرأسمالية الأخرى المستغلة هناك، وقد بلغت حصة فرنسا من القرض

(1) V. Shpilkova, op.cit., p.41.

(2) راجع: مجموعة نصوص عن تاريخ العلاقات الدولية، الجزء الثاني، ص 40 ـ 41.

(3) المصدر السابق، ص 56 ـ 60 و 70 ـ 71.

العثماني حوالى 63 % من مجموع ذلك القرض[1]، مما كان يشكل مبلغاً ضخماً للغاية يزيد عن ملياري فرنك ذهب تحول إلى أكبر عبء اقتصادي عانت منه كل الدولة العثمانية. وبلغت الرساميل الفرنسية المستغلة في مجال الانتاج الصناعي وغيره حوالى نصف مليار فرنك آخر.[2]

أولى الفرنسيون بناء الخطوط الحديد في السلطنة العثمانية جانباً كبيراً من اهتمامهم، بحيث أنهم كانوا يحتلون في هذا المجال موقعاً جد متقدم على الإنكليز بل وحتى على الألمان، فقبل انتهاء القرن الماضي بلغ مجموع ما بناه الإنكليز من السكك العاملة في الأراضي العثمانية 440 كيلومتراً فقط تقابلها 1020 كيلومتراً شيدها الألمان، بينما بلغت المسافة التي بناها الفرنسيون 1266 كيلومتراً. وهذا الواقع هو الذي دفع الألمان في البداية إلى اشراك الفرنسيين في مشروع بناء سكة حديد بغداد ومنحهم 40 % من مجموع أسهمها المقررة[3]. وكان الفرنسيون يطمحون إلى بناء المزيد من خطوط الحديد، وبشكل خاص في شرقي الأناضول.

اتسم التغلغل الثقافي الفرنسي في الشرق الأوسط بالسرعة والشمول أيضاً، فسرعان ما تحولت الفرنسية إلى اللغة الأوروبية المفضلة لدى الأوساط المثقفة التركية وغيرها والى اللغة الثانية للتعامل بعد اللغة التركية. وكانت العائلات الأرستقراطية تفضلها حتى على لغتها القومية. فتركت، مع الثقافة الفرنسية، آثاراً جد واضحة على ثقافة عدد من الشعوب الداخلة في السلطنة

---

(1) راجع: A. D. Novichev, *Ocherki...*, p.128

(2) راجع:

Миллер А.Ф. , *Очерки новейшей истории Турции* , Москва, 1948 , стр. 100.

أ. ف. ميللر، دراسة تاريخ تركيا المعاصر، موسكو، ص 100.

(في الهوامش القادمة ...A. F. Miller).

(3) راجع: V. Shpilkova, op.cit., p.160

العثمانية وآدابها. وكان المثقفون الكرد الذين يقطنون العاصمة اسطنبول من بين المتأثرين بالثقافة واللغة الفرنسيتين. وقد درس قسم منهم في الجامعات الفرنسية والسويسرية[4]. كما برز من بينهم ديبلوماسيون معروفون من أمثال شريف باشا الذي كان يجيد الفرنسية إجادة تامة وقضى فترة من حياته في باريس.

نشطت البعثات التبشيرية الفرنسية كذلك في البلاد العثمانية. فقد بلغ عدد المدارس التي أسستها في تركيا حوالى 500 مدرسة كان يدرس فيها حوالى 60 ألف تلميذ[5]. ونشط المبشرون الفرنسيون في ولاية الموصل نشاطاً متميزاً[6]. وكان لهم موقعهم الخاص في الحياة الثقافية لمدينة الموصل

(4) كان ممدوح سليم وقدري جميل باشا وأكرم جميل باشا وعدد كبير من البدرخانيين وغيرهم من الذين برزوا على المسرح السياسي قبيل الحرب الأولى وبعدها يجيدون الفرنسية ودرس بعضهم في باريس. كما تعلم المؤرخ المعروف محمد أمين زكي وأسماعيل حقي شاويس وغيرهما من الأكراد العراقيين الفرنسية أيضاً خلال دراستهم وعملهم في اسطنبول.

(5) راجع:

Шамсутдинова А.М. , *Национально-освободительная борьба в Турции 1918-1923*. Москва, 1966 , стр. 31.

أ. م. شمس الدينوف، النضال التحرري- الوطني في تركيا 1918-1923، موسكو، 1966، ص 31.

(6) يقع جزء كبير من كردستان الجنوبية، كما هو معروف، ضمن ما كان يطلق عليه في العهد العثماني (ولاية الموصل)، وقد كانت هذه المنطقة محط انظار الدول الاستعمارية، كما تحدثنا عن ذلك بإسهاب في هذا الفصل، وهذا السبب بالذات هو الذي يفسر تكرار تعبير (ولاية الموصل) في هذا الفصل وأماكن أخرى من الكتاب مرات عديدة.

نفسها وقد خلبت اللغة الفرنسية ألباب العديد من مثقفيها.[1] وفيما يتعلق بالمناطق الكردية من هذه الولاية فقد تغلغل المبشرون في أنحاء بهدينان واحتكوا بسكانها الأكراد وتعلموا لغتهم واطلعوا على عاداتهم[2]. ومن الجدير بالذكر أن التغلغل الفرنسي في ولاية الموصل كان يثير الانكليز وقد عمل كلا الطرفين على وضع العراقيل أمام نشاطات الطرف الآخر.

كل ما سبق يبين بوضوح كيف أن معظم الدول الكبرى كانت تهتم بكردستان في حدود مصالحها السياسية والاقتصادية وإمكاناتها الواقعية ووفق سياساتها المرسومة إزاء مستقبل السلطنة العثمانية وضمن إطار محاولاتها للتغلغل في الشرق الأوسط. وقد تجلت عواقب هذا الاهتمام في سنوات الحرب العالمية الأولى بوضوح وأثرت على أحداث تلك الحرب ونتائجها بالنسبة للشعب الكردي، كما سنتحدث عن ذلك في الفصول التالية من هذا الكتاب.

---

(1) لمزيد من التفاصيل راجع: ابراهيم خليل، ولاية الموصل، دراسة في تطوراتها السياسية 1908-1922 (رسالة ماجستير)، بغداد، 1975، ص 135-139.

(2) قضى الأب توما بوا سنوات عديدة بين أكراد ولاية الموصل، وقد برز فيما بعد كمستشرق متضلع في الدراسات الكردية، بحيث عهد اليه المشرفون على «دائرة المعارف الاسلامية» المعروفة بكتابة الموضوع الخاص بالكرد وكردستان للطبعة الجديدة من الموسوعة المذكورة، وقد انتهى من تأليفه قبل وفاته في العام 1975 مضيفاً بذلك عملاً جليلاً إلى أعماله العلمية الكثيرة عن تاريخ الشعب الكردي ولغته وعاداته ومعتقداته.

الفصل الثاني

على أبواب الحرب

كان الضعف والانحلال اللذان أصيبت بهما ايران وتركيا منذ ما قبل بداية الحرب العالمية الأولى بأعوام عدة، من القوة بحيث لم يبق بعدهما إلّا السقوط والانهيار، سواء بفعل عامل خارجي أو من جراء تحول ثوري داخلي.

فالحرب التي وقعت في العام 1911 بين الدولة العثمانية وايطاليا وحرب العام 1912 بين الأخيرة وبلاد البلقان، والخلافات الدائرة في صفوف الاتحاديين في تركيا ذاتها، والصراع على الحدود بين ايران وتركيا، والوضع المعقد، وصعوبات الحياة الاقتصادية والاجتماعية في البلدين، وسرعة تغلغل الدول الاستعمارية في المنطقة، وتزايد مؤامراتها ومحاولاتها لكسب جماعات وطوائف وعشائر مختلفة، مع أسباب عديدة أخرى، كل تلك جعلت البلدين في حالة وهن دبّ في كل جزء من أجزائهما. ففي العام الذي اندلعت فيه الحرب العالمية الأولى كانت ديون انكلترا وروسيا المتراكمة على ايران قد بلغت حوالى 7 ملايين جنيه استرليني، وهي مبلغ ضخم اذا أخذنا بنظر الاعتبار واقع القوة الشرائية للنقد المتداول آنذاك. وفي العام نفسه بلغت الفوائد التي كان على ايران دفعها سنوياً للدول الأوروبية لقاء ديونها اكثر من 560 ألف جنيه، أي ما لايقل عن ربع جميع مصروفات الدولة خلال السنة الواحدة[1] وفي مثل هذه الظروف الصعبة اضطرت جميع المؤسسات

(1) راجع: Иванов М.С., *Очерк истории Ирана*, Москва, 1952 , стр. 250-251. =

الصناعية التي كان يمتلكها الايرانيون للتوقف عن العمل قبل الحرب بفترة قصيرة، بما فيها معملان للنسيج وثالث لصنع الطابوق. وشهد الانتاج الحرفي بدوره ركوداً كبيراً حتى اضطرت ثلاثة أرباع المحلات الحرفية في بعض المدن الايرانية إلى غلق أبوابها. ولوحظت ظاهرة عدم الاستقرار والانحلال نفسها، في المجال الزراعي كذلك.[1]

اتخذ الانحلال في السلطنة العثمانية قبيل الحرب بعداً أعمق حتى من ذلك. فقد أخذ نظام الامتيازات[2] الوجه الأبرز للتغلغل الكولونيالي ـ بخناق الدولة، بحيث قال عنه أحد الزعماء السياسيين الأتراك إنه «عبودية ثقيلة تقع على كواهلنا»[3] وقد تجسدت الصورة الأسوأ لهذه العبودية، في «مؤسسة القرض العثماني» بأعبائها الثقيلة للغاية[4]. فقد بلغت القروض الخارجية

= م. س. إيفانوف، دراسة في تاريخ ايران، موسكو، 1952، ص 250 ـ 251 . (في الهوامش القادمة:... .S.M Ivanov).

(1) راجع:

Глуходед В.С., *Проблемы экономического развития Ирана*, Москва, 1968, стр. 29, 39-41 и др.

ف. س. غلوخديد، مشاكل التطور الاقتصادي لإيران، موسكو، 1968، ص 29، 39 ـ 41 وغيرها.

(2) بلغت امتيازات الدول الأوروبية في السلطنة العثمانية حد أن الرسوم الجمركية المفروضة على بضائعها المستوردة كانت تشكل نسبة ضئيلة للغاية لم تتجاوز الـ5 % حتى بداية القرن العشرين عندما رفعت إلى 8 % وقبيل الحرب إلى 11 % فقط. وكان الميزان التجاري في صالح تلك الدول باستمرار، فقبل بداية الحرب بسنة واحدة بلغت وارادت تركيا (8/ 40 مليون ليرة) ضعف صادراتها تقريباً (21/ 4 مليون ليرة).

(3) مقتبس من: .A. F. Miller, op.cit., p.17

(4) تأسست بموجب «مرسوم المحرم» الذي صدر في العام 1881 مؤسسة خاصة للإشراف على قروض الدولة العثمانية كان يديرها مجلس إدارة أعضاؤه من ممثلي =

للدولة عند ابتداء الحرب أكثر من 150 مليون ليرة تركية، عهد في تنظيم القضايا المتعلقة بـ 143,2 مليوناً منها إلى «مؤسسة القرض العثماني».

فشلت ثورة الاتحاديين (1908) في حل المشاكل العويصة التي كانت تعاني منها السلطنة، بل على العكس فإن اتجاهات معينة من سياستها ساهمت في تعقيد معظمها. وربما يكفي القول هنا إن الحكومة الجديدة التي تشكلت اثر انتصار الثورة، اقترضت خلال ست سنوات من تسلمها للحكم أكثر من 49 مليون ليرة، بينما بلغ مجموع ما استقرضته حكومة السلطان عبدالحميد على مدى 18 عاماً (من 1890 إلى 1908) أقل من ذلك بحوالى 4,1 مليون ليرة.[1]

كانت المناطق الكردية الداخلة ضمن السلطنة العثمانية وايران تشكل نموذجاً صارخاً للانحلال الذي كانت تعيش فيه الدولتان قبيل الحرب العالمية الأولى. فقد كانت سيطرتهما في كردستان قد ضعفت إلى درجة واضحة، بل إن الشعور بوجودهما كان معدوماً بالمرة في المناطق الوعرة وبين القبائل القوية. وكان الشباب في تلك المناطق يتمردون علانية ودونما وجل على أوامر التجنيد، والفلاحون يرفضون في أماكن عديدة دفع الضرائب، بل باتوا لا يعيرون رجال «الضبطية» والجندرمة الحكوميين أي اهتمام. ويقدم الأستاذ صديق الدملوجي في كتابه عن «امارة بهدينان» صوراً صادقة عن هذه الأوضاع، فقد قضى بنفسه سنوات عديدة، في أواخر العهد العثماني، موظفاً في تلك المناطق الكردية. يقول الأستاذ الدملوجي:

= الدول الأجنبية الدائنة، فكان لديه جهازه الإداري الخاص الذي تجاوز عدد العاملين فيه خمسة آلاف شخص منحوا حق جباية الضرائب. لقد كانت مؤسسة إدارة القرض العثمانية تشكل، بحق، دولة قوية مصونة داخل دولة هزيلة منحلة.

(1) أحتسبت الأرقام بالاستناد إلى المعلومات الواردة في كتاب:

Новичев А.Д., *Турция. Краткая история*. Москва, 1965 , стр. 128-129.

أ. د. نوفيتشيف، تركيا، تاريخ مختصر، موسكو، 1965، ص 128 ـ 129. (في الهوامش القادمة:... A. D. Novichev, *Turkey*).

«يوجد في كل قضاء ثلة من أفراد الضبطية لا يزيد عددهم على الثلاثين، مسؤولهم ضابط برتبة ملازم أول أو يوزباشي. وإجراءاتهم منحصرة في قرى النصارى، والقرى المسلمة الضعيفة على أن تكون تابعة لحماية أحد المتنفذين. وفي النواحي يكون نفران أو ثلاثة أو أربعة، واكثر ما يُستخدمون في نقل أوراق المخابرات، واحضار الأشخاص الذين تطلبهم الادارة، ويكونون دائماً في فقر وضيق ولايتقاضى أحدهم في العام أكثر من راتب شهرين أو ثلاثة أشهر وقد يعطف الناس عليهم». أما عن المالية فإنه يقول: «ينظر اليها الأهلون كواسطة لنهب الأموال. يضع مأموروها الضرائب دون وجه قانوني ويحصلونها بالقانون: وهو السجن والمصادرة والتعذيب.... ومدراء المال يضربون الحد القياسي في الارتشاء وقد يشترون وظائفهم من (دفتردار) الولاية، وتكون قيمة كل ميدرية بالنسبة إلى جسامة القضاء وموارده. وفي انتهاء السنة يجدد العقد وإلّا يكون مصيره العزل. وترى مدراء المال المعزولين مكدسين أمام باب غرفة الدفتردار ينتظرون عزل مدير ليحلوا مكانه، ويكون من نصيب من يعطي ثمناً أعلى». وعن دوائر التجنيد يذكر المؤلف أنه «لم تكن لهذه الدوائر وظيفة تقوم بها، ويندر أن جندت نفراً واحداً في سنة كاملة عدا المدن الخاضعة لتسجيل النفوس. وقد يكون ضباط التجنيد في حالة البطالة دوماً.... ويكونون في حاجة ملحة وقد لايتناول أحدهم أكثر من راتب ثلاثة أو أربعة أشهر في العام»[1].

لكن الأوساط العثمانية الحاكمة حاولت حتى في مرحلة الانحلال هذه تحويل العشائر الكردية إلى قوة احتياط في يدها بهدف السيطرة عليها أولاً ومن أجل الحفاظ على سطوة السلطان ولضرب الحركة القومية للشعوب

(1) صديق الدملوجي، إمارة بهدينان الكردية أو إمارة العمادية، الموصل، 1952، ص 80 ـ 86. الكتاب عبارة عن مذكرات سجلها المؤلف عندما كان موظفاً في مناطق بهدينان مما يعطيه أهمية أكبر.

غير التركية بما في ذلك نضال الشعب الكردي نفسه، ولإثارة الاضطرابات في مناطق الحدود الروسية، ثانياً. وأخيراً في سبيل إعدادها للاشتراك بشكل أكفأ في الحرب أو الحروب القادمة المتوقعة، خاصة مع روسيا. وعلى هذا الأساس بوشر منذ أواخر القرن الماضي بإقامة تشكيلات غير نظامية من العشائر الكردية[1] سميت بـ «الفرسان الحميدية» تيمناً باسم السلطان عبدالحميد الثاني فجاء الاسم على المسمى تماماً.

أولى المسؤولون هذه التشكيلات الغريبة اهتماماً بالغاً، واضعين لها قائمة مفصلة من التعليمات[2] فكان على العشيرة التي توافق على الانضمام اليها تقديم «فارس» واحد عن كل عائلة على أن يبقى في الخدمة لمدة 23 عاماً حسب التصنيف الآتي: 1 ـ «الحضارية»[3] ومدة هذا النوع من الخدمة ثلاث سنوات، يدخلها البالغون من العمر 17 عاماً ويقومون بالتدريب في مناطق سكنهم في ضوء تعليمات وردت في كتاب عسكري وضع خصيصاً لهذا الغرض، 2 ـ «النظامية» ومدتها 12 عاماً. يضم المنتمون إلى هذه الخدمة الذين تتراوح أعمارهم بين 20 و 32 عاماً حسب زمن التحاقهم. وكان أفراد هذا الصنف يجتمعون للتدريب بين الحين والآخر، إلّا أنهم كانوا ملزمين بالحضور مع خيولهم وكامل أسلحتهم وعتادهم خلال 24 ساعة من

(1) شكلت جماعات مشابهة من بعض العشائر العربية ولاسيما في سوريا، ولكن ظلت العشائر الكردية هي التي تشكل العمود الفقري للتشكيلات غير النظامية الجديدة.

(2) التعليمات مقتبسة من كتاب أفيريانوف، الأكراد في حروب روسيا مع إيران وتركيا، ص 244 ـ 247. وهو اقتبسها بدوره من النص الرسمي للتعليمات، فقد كان أحد الأسباب الرئيسة لتأليف كتابه الضخم، دراسة وضع الفرسان الحميدية، كما ذكرنا ذلك في حينه.

(3) المقصود من الكلمة أن فرسان هذا الصنف يحضّرون ويدربون ليكونوا مقاتلين في المستقبل.

استدعائهم، 3 ـ «احتياطية» (الاحتياط) ومدتها 8 سنوات. وهذه الخدمة هي للفرسان الذين تتراوح أعمارهم بين 33 و 40 عاماً، ولم يكن هؤلاء خاضعين للتدريب إلّا أنهم كانوا يُستدعون للخدمة الفعلية في الحالات الضرورية. وعلى الفارس، في جميع الأحوال، أن يكون له حصانه أو فرسه وتقوم الدولة بالصرف عليه أثناء الخدمة الفعلية وفي فترة التدريب التي حددت في البداية بثلاثة أشهر في العام ثم خفضت إلى 5 ـ 6 أسابيع.

كان حجم الفرق الحميدية يعتمد على حجم العشيرة نفسها، إلّا أنه كان من المقرر أن يتكوّن أي (فوج) حميدي من 3 إلى 6 كتائب والكتيبة الواحدة من 3 إلى 4 سرايا «طقم» وكل سرية من 20 إلى 30 فارساً. وكان يقف عل رأس كل فوج ضابط خيّال نظامي يُختار عادة من بين أكفأ ضباط هذا الصنف، ولاسيما في بداية ظهور الفرق الحميدية.

كان المسؤولون العثمانيون يريدون زج أكبر عدد ممكن من العشائر الكردية في صفوف التشكيلات الحميدية، ولذا فإنهم لم «يبخلوا» في منح امتيازات واسعة، معظمها شكلية، لكل عشيرة توافق على الانضمام اليها. وكانوا يُعفون من أداء جميع الضرائب والرسوم لخزينة الدولة فيما عدا ضريبتي العشر والأغنام، وهما اللذان أثقلا كاهل الفلاح الكردي. وتقرر «منح» كل «عشيرة حميدية» [1] أراضٍ أميرية خالية، في حين لم تكن أمثال تلك العشائر، والقوية منها بشكل خاص، تنتظر، في الأساس، أي تفويض رسمي حتى تقوم بإشغال الأراضي غير المستغلة التي كانت في متناولها دوماً، وكان استقرارها أو انتقالها اليها يربط بعملية اقتصادية - اجتماعية معقدة لم تستطع الدولة العثمانية بسبب انحلالها أن تؤثر عليها بشكل ملموس، إلّا

(1) هذا التعبير غير مستعمل، ولذلك فإننا وضعناه بين أقواس صغيرة.

أن المشرِّع اشترط، مع ذلك، استرجاع الأراضي «الممنوحة» للعشيرة التي تنسحب من التشكيلات الحميدية. وتقرر فتح عدد من المدارس في المراكز الكردية الرئيسة بقصد إعداد أفراد الجيل الناشئ للانخراط في الحميدية، فهم أكثر استعداداً لتلقي المبادئ الأولية للتدريب العسكري الحديث بالطبع.

إن أخطر بند مغرٍ ـ حسب اعتقادنا ـ في التعليمات هو ذلك البند الذي نص على اخضاع الفرسان الحميديين لمحاكم خاصة، والترجمة الفعلية لهذا البند كانت تعني اطلاق يد رجال العشائر ضد كل معارض للعرش العثماني، فأصبح نصيب الأرمن من نتائج هذه «المنحة» غير الكريمة أكبر من غيرهم.

رافقت صدور القرار حملة دعائية واسعة جداً لتشجيع رؤساء العشائر على تقبّل فكرة تشكيل الفرق الحميدية، فقام عدد من المسؤولين الكبار بالتجوال في المناطق الكردية[1] للإتصال المباشر بالمتنفذين الذين أُعطوا وعوداً سخية باسم «خليفة المسلمين» الذي قرر، كما قيل لهم، توزيع الهدايا الكثيرة والالقاب الرفيعة والمنح السخية على كل رئيس ينخرط رجاله في التشكيلات الجديدة. وقد جرى توزيع نداء خاص في جميع المناطق الكردية باسم السلطان الذي خاطب فيه «الأكراد المؤمنين - حماة الاسلام»[2] مشجعاً إياهم على ضرورة الإسراع في تلبية الدعوة «المخلصة» إلى أداء «الواجب المقدس». وكان يجرى التأكيد في كل مكان على «الاسم الرفيع» للتشكيلات الجديدة الذي جاء - حسب قولهم- بمثابة دليل قاطع على الاهتمام البالغ من قبل السلطان وعلى «الإلتفاتة الكريمة». وقد دُعي عشرات من رؤساء العشائر للقيام سوية بزيارة خاصة إلى اسطنبول فلبوا الدعوة وظلوا هناك لمدة اربعة

(1) قام المشير زكي باشا وحده بأربع جولات في المناطق الكردية من اجل ترغيب الرؤساء في الالتحاق بالفرسان الحميدية.

(2) راجع: P. Averianov, op. cit., p. 249.

اسابيع حيث جرى احتفاء كبير بمقدمهم حتى إنهم قدموا مرتين إلى شخص السلطان عبدالحميد الذي قلما كان يسمح لنفسه آنذاك بمثل هذه اللقاءات – المرة الاولى أثناء قيام اتباعهم الذين رافقوهم في سفرتهم باستعراض خاص للسلطان وهم في ثيابهم المزركشة، والمرة الثانية عندما التقى بهم في قصره الخاص. يعلق الضابط الروسي أفيريانوف على الاستقبال الحار الذي جرى للرؤساء الأكراد في اسطنبول بقوله:

«لقد أولت الحكومة التركية الرؤساء الأكراد وأتباعهم عناية جيدة على مدى كل الفترة التي قضوها في العاصمة، باحثة بذلك عن كل السبل الممكنة لاقناعهم».[1]

ومن الجدير بالذكر أن بعضاً من الرؤساء وقعوا تحت تأثير الاستقبال الحار وسحر العاصمة التي لم يروا أعظم منها، فتطرفوا، أثناء التقائهم بالسلطان، في بذل الوعود بتقديم أعدادٍ كبيرة جداً من الفرسان تفوق إمكاناتهم الفعلية إلى حد كبير، مما استدعى التفاتة خاصة من قبل عبدالحميد الذي أمر بمنح هؤلاء أوسمة وألقاباً رفيعة كالباشا الذي كان يمنح حامله منزلة تعادل مقام الجنرال (الزعيم) في العُرف العسكري العثماني. كما أمر بتوزيع الهدايا عليهم جميعاً وبقطع مخصصات للرؤساء العشائريين والزعماء الروحيين اعتمد مقدارها على ما كانوا يتمتعون به من نفوذ.

لم تذهب كل هذه الجهود والوعود هباء، فقد استجاب العديد من رؤساء العشائر في البداية لنداء السلطان. ولكن بالرغم من ذلك جاء الوليد الجديد هزيلاً، وبالطبع، وكما سنرى، كان شريراً ايضاً. إن صاحب فكرة تشكيل الفرق الحميدية شاكر باشا لم يكن سوى ثربانتس[2] عثماني، ولكن في ثوب غير

---

(1) Ibid., p.250.

(2) ثربانتس (1547-1616) كاتب اسباني عبقري عبَّر في كتابه الذائع الصيت «دون كيخوته» (دون كيشوت) بشكل مبدع عن خيبة أمل المفكرين الانسانيين في عصر =

واقعي. لذا جاء «الفارس» الحميدي صورة مشوهة لدون كيخوته (كيشوت) النبيل.

لم يكن بالإمكان قطعاً أن تنجح خطة تأسيس الفرق الحميدية التي شكلت من أجلها، أللهم إلّا فيما يتعلق بالمذابح الأرمنية وهو نجاح أسود كما سنبين ذلك بالتفصيل في الفصل الخامس. وقد تفاعلت عوامل معينة فيما بينها أدت إلى فشل المشروع في النهاية. فقبل كل شيء رفض عدد كبير من العشائر الكردية الانخراط في صفوف الحميدية، البعض استنكف عن ذلك والبعض الآخر علمته التجارب دروساً قاسية بحيث أصبح من السهل بالنسبة له إدراك الحقائق مباشرة، لذلك لم يخضع للاغراءات وأحياناً للتهديد غير المباشر، حتى إن عشيرة مثل الهموند التي عرفت بالشجاعة النادرة وبالمغامرات العجيبة[1] لم تستجب لنداء السلطان لأنها أخذت، على ما يبدو، درساً قاسياً من التاريخ[2]. ومن مجموع خمس عشائر كبيرة في منطقة بدليس لم ينضم

= النهضة الأوروبية عندما أرادوا تغيير الواقع المجحف بأساليب خيالية. فبطل القصة دون كيخوته يحلم بإحياء الفروسية في وقت ولى عهدها، ويحاول تغيير الواقع بقوة يده فيظهر في ثوب مضحك أمام القارئ. واضح أن هناك بوناً شاسعاً بين فكرة ثربانتس العبقرية التي انتقد من خلالها بشكل لاذع وخلاق أساليب الانسانيين في عصر النهضة وبين ما كان يحلم به شاكر باشا، إلّا أن هناك شيئاً واحداً يجمع بينهما هو محاولة تغيير الواقع بأساليب بالية فجاء «الفارس» في الحالتين هزيلاً مضحكاً.

(1) عن مغامرات عشيرة الهموند، راجع:

E.B. Soane, *To Mesopotamia and Kurdistan in disguise*, London, Second ed, 1926 p. 164, 179- 182, 287-288 .

في ترجمته العربية للأستاذ فؤاد جميل راجع: الجزء الثاني، بغداد، 1971، ص 27-32.

(2) تم في آواخر ثمانينيات القرن التاسع عشر نقل أعداد كبيرة من أفراد عشيرة الهموند إلى طرابلس الشام وأضنة، ولكنهم راجعوا فيما بعد إلى مواطنهم. غالباً ما كانت =

سوى قسم من عشيرة الجلالي إلى الحميدية، ولم يختلف الوضع عن ذلك في ولاية دياربكر حيث رفضت الأكثرية الساحقة من عشائرها الاعتراف بها. أما في منطقة درسيم الوعرة فقد رفض الجميع بشكل مطلق الانخراط في صفوفها. وفي الامكان إيراد قائمة مفصلة بأسماء الرؤساء المتنفذين والزعماء المعروفين الذين لم يستجيبوا لدعوة السلطان الحارة ومنهم البدرخانيون والشمزينيون والشيخ محمود ورؤساء البشدر وغيرهم كثيرون. بل وقف بعض من هؤلاء، بشكل خاص البدرخانيون منهم، ضد انخراط العشائر الكردية في صفوف فرق الحميدية التي ادركوا المرامي الحقيقة لتشكيلها مباشرة، كما أنهم قدروا بشكل صحيح النتائج السلبية التي تتركها أعمال تلك الفرق على العلاقات الأرمنية - الكردية وعلى موقف الأوروبيين من الكرد بشكل عام. فإن جريدة «كردستان» التي هي أول جريدة كردية، وقد أصدرها البدرخانيون في الخارج، انتقدت بشدة الفرق الحميدية في عددها الثامن والعشرين الصادر في 15 أيلول/ سبتمبر من العام 1901 معتبرةً إياها «مؤسسة فاسدة». وقد استعرضت الجريدة في افتتاحيتها الظروف التي أدت إلى تشكيل هذه المؤسسة وذكرت - وهذا هو الأكثر أهمية في المقال- أن زكي باشا فكر في تأسيس الحميدية لأنه أراد تحويلها إلى أداة ضد الحركة القومية الأرمنية للحيولة دون التقاء الشعبين الأرمني والكردي ضد استبداد عبدالحميد، لذا أصبحت اعمال «هذه الفرق منذ يوم تأسيسها مضرة بالبلاد والشعب بشكل لا يوصف». وتشير الجريدة أيضاً إلى محاولات السلطان عبدالحميد وأعوانه لتشكيل فرق مشابهة من العشائر العربية فحذرت تلك العشائر من ذلك

= السلطة تلجأ إلى استخدام العنف وأحياناً الخداع في علاقاتها بالهموند (للتفصيل راجع: محمد امين زكي، تاريخ السليمانية وأنحائها، ترجمة محمد جميل بندي الروزبياني، بغداد، 1951، ص 189-196).

وأكدت على ضرورة اتفاق الشعوب العربية والأرمنية والكردية في ساحات النضال ضد حكم السلطان عبدالحميد الدموي ومؤمراته ونواياه. ومن الجدير ذكره أن الجريدة نشرت نص المقال باللغة التركية وفي العدد نفسه أيضاً.[1]

وفي الواقع لم تكن الاستجابة للإنخراط في صفوف الحميدية بالشكل المتوقع حتى بين العشائر التي عرف عن رؤسائها ولاءهم للسلطان عبدالحميد والذين كان تلهف معظمهم في البداية نابعاً من جريهم وراء الكسب الرخيص. فإن رئيس عشيرة الجلالي في منطقة بايزيد قد تعهد، مثلاً، بتقديم آلايين للتشكيلات الحميدية، إلّا أنه بعد عودته من اسطنبول بدأ يتراجع عن وعوده ويتحجج بانتقال رجال عشيرته إلى مراعيهم داخل الحدود الايرانية مما دفع المسؤولين إلى الإعتماد على رؤساء آخرين من العشيرة نفسها. والمثل الأكثر دلالة هو ما وقع لأمين آغا رئيس عشيرة حيدرانلي الذي وعد بدوره بتقديم آلايين فاستحق عن ذلك الوسام المجيدي من الدرجة الثالثة ولقب الباشا السامي، إلّا أنه فشل حتى في جمع عدد من الرجال يكفي لتشكيل كتيبة واحدة فقط[2] علماً بأن عشيرة الحيدرانلي كانت من أكبر العشائر الكردية الداخلة في السلطنة العثمانية وكان عدد أسرها آنذاك يقدر بما لا يقل عن عشرين ألف أسرة تقطن منطقة شاسعة امتدت بين موش و ورمى وشملت أصقاعاً من باشوية وان.[3] وانسحب فيما بعد عدد من رؤساء العشائر الكردية من صفوف الحميدية بعد أن خدموا فيها لمدد مختلفة.

---

(1) كردستان، فولكستون، العدد -28-، 1 جمادي الآخرى 1319، 15 أيلول/ سبتمبر 1901.

(2) راجع: P. Averianov, op. cit., p.252.

(3) عن حيدرانلي راجع: محمد أمين زكي، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من أقدم العصور التاريخية حتى الآن، ترجمة محمد علي عوني، القاهرة، 1936، ص 249 .
راجع أيضاً: J. Jalil, *Kurds*..., p.21.

وكان هناك عامل اقتصادي - اجتماعي مهم جداً، يحول دون تحمس الفلاح والاقطاعي الكردي للعمل في صفوف الحميدية، ولاسيما بعد أن بدأت التدريبات الفعلية، بعد أن تم إرسال قطعات منها لأداء واجبات عسكرية قمعية في مناطق بعيدة عن مناطقها. فلم يكن من مصلحة الفلاح، كقوة انتاج رئيسة، الانقطاع عن العمل المنتج لمدد مختلفة. ومن جانب آخر كان من شأن التشكيلات الجديدة - في حالة تطورها - تقوية صلات الفلاحين «الفرسان» بالسلطة، مما كان يعني منطقياً إضعاف نفوذ وتأثير رئيس العشيرة عليهم بالتدريج وهو أمر مرفوض في مفهومه قطعاً. وقد فكر شاكر باشا، فعلاً، بهذه النقطة التي اعتبرها من العوامل الضرورية لإقامة تشكيلات عسكرية غير نظامية من أبناء العشائر.

ولم تكن الدولتان المجاورتان روسيا وايران، وبصورة خاصة الأولى منهما، مرتاحتين من تشكيل الفرق الحميدية، ولاسيما وأن واحداً من أهدافها الأساسية كان اعدادها ـ كما ذكرنا ـ للحرب أو الحروب القادمة المتوقعة مع روسيا قبل غيرها. وقد تمكنت هذه الأخيرة من كسب عددٍ لا بأس به من رؤساء العشائر في منطقة الحدود، فكان من الطبيعي أن يقف أمثال هؤلاء ضد التشكيلات الحميدية، كما قام الضباط والديبلوماسيون الروس وكذلك الأرمن بتنظيم دعاية واسعة في الداخل والخارج لتشجيع الأكراد على عدم الانخراط في صفوف الحميدية. ولم تتحمس العشائر المعروفة بميلها نحو ايران أو بارتباط مصالحها بها ـ مثل عشيرة الجاف الكبيرة ـ لفكرة إقامة الحميدية أساساً.

ومن الأسباب المهمة الأخرى لفشل التنظيمات الحميدية واقع الانحلال الذي كانت تعيشه البلاد. فلم يكن بمستطاع خزينة الدولة المفلسة فتح باب جديد للصرف، لذا بقيت معظم الوعود التي بذلت لرؤساء العشائر

على الورق فقط. وأكثر من ذلك أن الجهات المسؤولة لم تستطع حتى ضمان الخيول «للفرسان» الذين لم تكن لديهم خيول أو أن خيولهم لم تكن صالحة للإستخدام العسكري، وكان هؤلاء وأولئك يؤلفون الأكثرية الساحقة من المنخرطين في صفوف الحميدية. ثم إن المسؤولين عن تنظيم هذه الفرق وجدوا الفرصة سانحة لضمان موارد كبيرة لأنفسهم وذلك عن طريق الاختلاس والاحتيال وحتى الاغتصاب. وهكذا كان من الطبيعي أن تكون الفرق الحميدية ناقصة العدد والعدة، وقليلة الإلمام بالفنون العسكرية الحديثة.

فحتى النهاية لم يصبح بالإمكان تشكيل مئة آلاي حميدي من العشائر الكردية والعربية كما كان مقرراً ولم يبلغ عدد الخيالة في الكتيبة الواحدة ثلاثمئة شخص إلّا في حالات نادرة جداً، بينما كان من المقرر أن يصل إلى خمسمئة خيال وهذا أدى إلى أن يكون ما لايقل عن نصف المنضمين إلى الفرق الحميدية من المشاة لا الفرسان مع أن التعليمات نصت على أن يكونوا جميعاً من الصنف الأخير فقط.

ومع ذلك فقد حاول المسؤولون بعد ثورة العام 1908، ومع اقتراب الحرب، تحويل الفرق الحميدية تحت واجهات أخرى إلى قوة فعالة تستطيع أداء دور من شأنه تخفيف ضغط الأعداء على الجيوش النظامية العثمانية، فأضيف صنف مدفعي إلى تشكيلاتها. إلّا أنها ظلت تؤلف، مع ذلك، قوة غير قادرة على التحرك الجدي، بل إنها فقدت كل احترام لها بين الناس، فكانوا ينظرون اليها بازدراء ولاسيما وإنها تحولت في العديد من المناطق إلى عبء ثقيل على كواهلهم. ثم إن ثقة المسؤولين أنفسهم بهذه الفرق بدأت تتزعزع هي الأخرى بعد أن لاحظوا الفتور الواضح الذي بات يخيم على المنخرطين في صفوفها. وتوجد حالات كثيرة رفض فيها رؤساء العشائر الملتحقون

بالحميدية الامتثال لأوامر السلطة بالتوجه لقمع حركات وانتفاضات كانت تقع هنا وهناك في سبيل الانعتاق من النير العثماني. فإن ابراهيم باشا رئيس عشائر الملي المعروفة مثلاً رفض الاشتراك في الحرب ضد اليونانيين ولم يوافق على أن يزج بأتباعه في الحملات الموجهة ضد الثوار اليمنيين[1] مع أنه كان يتمتع بحظوة كبيرة لدى شخص السلطان عبد الحميد الثاني الذي منحه لقب الباشا الرفيع لإعجابه الشديد بمغامراته الواسعة. ويبدو أنه لم تكن للسلطان العثماني ثقة كبيرة حتى بتلك العشائر الكردية التي كان رؤساؤها يعتبرون أنفسهم من أخلص الناس لسدة «الخلافة العثمانية»، لذا نصت تعليمات تشكيل الحميدية على توزيع الأسلحة على «الفرسان» أثناء التدريب أو التوجه نحو ميادين القتال فقط، وفيما عدا مثل تلك الحالات كانت الأسلحة تجمع في أقرب حامية عسكرية.

في مثل هذه الظروف اضطر المسؤولون العثمانيون لبذل جهودٍ كبيرة خارج نطاق التشكيلات الحميدية من أجل كسب ود رؤساء العشائر الكردية الأخرى لأنهم كانوا يدركون أن ثغرة ملموسة ستقع في مقدرتهم القتالية أثناء الحرب إن لم تنضم تلك القبائل اليهم. كان حكام السلطنة يريدون اقامة سد منيع من العشائر الكردية بوجه القوات الروسية من جهة وتحويلها إلى أداة للتغلغل في ايران من جهة أخرى، لذا حاولوا التقرب من جميع الرؤساء المتنفذين في كردستان وكانوا يبذلون لهم الوعود المعسولة لدفعهم إلى تحقيق أهدافهم تلك.

---

(1) راجع:

Лазарев М.С. , *Курдский вопрос. (1891-1917)* Москва, 1972 , стр. 115 , 398.

م. س. لازاريف، القضية الكردية (١٨٩١ـ ١٩١٦)، موسكو، 1972، ص 115 و 398.

(في الهوامش القادمة: ...M. S. Lazarev, *The Kurdish Question*) راجع أيضاً:

الدكتور أحمد عثمان أبو بكر، أكراد المللي وابراهيم باشا، بغداد، 1973، ص 47.

لكن جهود الأتراك ومساعيهم في هذا المضمار كانت قليلة الفائدة وعديمة الجدوى إلى حدٍ كبير، فلم يلب نداءهم إلّا عدد محدود من رؤساء العشائر الكردية، في حين أن رؤساء عشائر كردية آخرين كانوا يعلنون دونما خوف أو وجل أنهم سينتفضون اذا ما حدثت حرب ضد الجيش التركي وسينضمون إلى الروس. ومما يجدر ذكره بهذا الصدد أن عدداً من الوطنيين المستائين كانوا يساندون هذه الفكرة إلى حدٍ كبير، فقد جعلتهم المظالم العثمانية بعيدين عن أن يقيّموا بشكل سليم مطامع الطبقات الحاكمة الروسية وخططها.

لم يطرأ تبدل ما على سياسة الأوساط العثمانية الحاكمة تجاه الشعوب غير التركية بعد انتصار ثورة الاتحاديين في العام 1908، بل على العكس من ذلك ظهرت عوامل محركة جديدة في المجال السياسي بالنسبة للقوى الوطنية لهذه الشعوب نجمت عن الخيبة الكبرى التي أصيبت بها بسبب النهج غير المتوقع الذي سار عليه الاتحاديون بعد تسلمهم السلطة. فإذا كان السلطان عبدالحميد الثاني يريد جعل الدعوة إلى الجامعة الاسلامية وسيلة للحفاظ على كيان سلطنته فإن الاتحاديين تبنّوا لنفس الغاية سياسة قومية متطرفة جاءت على طرفي نقيض مع مصالح الشعوب الداخلة في نطاق الدولة العثمانية، بما في ذلك الشعب التركي نفسه. وفي البداية تمت صياغة هذه السياسة في إطار الدعوة إلى الوحدة العثمانية التي كانت تستهدف تحويل جميع شعوب السلطنة إلى «أمة عثمانية» واحدة. ولم يخف الاتحاديون الهدف الحقيقي من سياستهم هذه، فقد صرح جمال باشا، وهو من أركانهم البارزين، صرح قائلاً «إننا لا نتبع سياسة تركية، بل نتبع سياسة الوحدة العثمانية»، إلّا أنه أضاف على ذلك قوله إن الشعب التركي هو الذي شكل «حجر الزاوية» بالنسبة لكل

السلطنة العثمانية[1]. وكما يقول المتخصص المعروف في دراسة تاريخ تركيا الحديث البروفيسور أ. ف. ميللر فإن الاتحاديين كانوا يقصدون من فكرة الوحدة العثمانية «تتريك جميع الشعوب الأخرى» لا غير.[2] وعندما اعتقد هؤلاء أنهم لم يبقوا بحاجة إلى عرض أفكارهم المتطرفة بشكل غير مباشر بدأوا يجاهرون بها علناً. ففي قرار اتخذته جمعية الاتحاد والترقي في ربيع العام 1911 أعلن الزعماء الجدد أنه: لا بد من عثمنة جميع العناصر غير التركية عاجلاً أم آجلاً وأنه لايمكن «تحقيق ذلك عن طريق الاقناع» بل يجب اللجوء إلى استخدام القوة لإجبارها على ذلك[3].

كان الاتحاديون يحاولون ايجاد تبريرات واهية لمثل هذه السياسة التي استهدفت شعوب السلطنة العثمانية دون استثناء. فقد كتبت صحيفة «تنين» (التنين) الناطقة باسم جمعية الاتحاد والترقي تقول: «الحرية شيء جيد، ومن شأن منحها للأقليات القومية [4] كسب عطف أوروبا إلى جانبنا. إلاّ أننا معشر الأتراك، ضعفاء اقتصادياً، فإذا منحنا الشعوب الأخرى الحرية السياسية أيضاً فإن ذلك يعني أننا أعطيناهم عنصراً جديداً للتفوق علينا»[5]. ولم يتعظ

---

(1) في الواقع كان العرب هم الذين يشكلون الأكثرية العددية في السلطنة العثمانية.

(2) A.F. Miller, op. cit., p.20.

(3) Ibid, p.20-21.

(4) كانت الأوساط الحاكمة تعتبر جميع الشعوب غير التركية الداخلة في السلطنة العثمانية أقليات قومية.

(5) مقتبس من:

Гордлевский В.А., *Избранные сочинения*, Т. III , (история и культура), Москва, 1962 , стр. 81.

الأكاديمي ف. أ. غاردليفسكي ، مؤلفات مختارة، الجزء الثالث (تاريخ وثقافة)، موسكو، 1962، ص 81. (في الهوامش القادمة: ...V. A. Gardleviski).

الاتحاديون بالفشل الذريع الذي لحقهم في مناطق البلقان من جراء سياستهم هذه، لذا نراهم يخطون خطوة اخرى إلى الوراء عندما تبنوا قبيل الحرب مباشرة سياسة التتريك التي حلت علانية محل فكرة الوحدة العثمانية. وكان من الطبيعي أن تثير هاتان السياستان الشعوب العربية[1]والأرمنية[2] والكردية وغيرها إلى حدٍ كبير، فقد وقف ضدها في البرلمان علانية نائب درسيم الكردي لأنها أدت على حد قوله إلى «وأد فكرة الحكم اللامركزي بالقوة على أيدي الاتحاديين»[3].

اتخذ الاستياء في كردستان طابعاً مميزاً وذلك بفعل عدد من العوامل المتشابكة، فمن جهة أدى الأمر إلى حدوث مد ثوري تقدمي ومن جهة أخرى إلى انتعاش رجعي متخلف. فأولى الحركات التي وقعت ضد الاتحاديين قام بها بعض رؤساء العشائر الكردية من الموالين للسلطان عبدالحميد والذين توجسوا من النظام الجديد بدوافع ذاتية لا قومية. فلم يكن قد مضى شهر ونيف على انتصار الاتحاديين عندما رفع ابراهيم باشا الملي عصا العصيان ضدهم واستطاعت قواته المتكونة من عدة آلاف مسلح السيطرة على مناطق واسعة بين أرزنجان وديرالزور. وكما يذكر غ. ز. علييف في بحثه المفصل عن تركيا في عهد الاتحاديين فإن تحرك ابراهيم باشا أثار «تخوفاً كبيراً في نفوس

(1) توجد عشرات من المصادر العربية ألتي ألقت الضوء على معظم جوانب ذلك الاستياء وطابعه، والمهم أن بعضاً منها يعود إلى أيام حكم الاتحاديين أنفسهم فقد ألّفها اناس عاصروا الأحداث وراقبوها عن كثب ومنهم من أشترك فيها مباشرة. لذا تعتبر مؤلفاتهم مصادر أصلية في هذا المجال. ودرس المؤرخون العرب والأجانب الموضوع نفسه بشيء من الاسهاب.

(2) تنطبق المقوله الواردة في الهامش السابق على الأرمن أيضاً، فتوجد مصادر أصلية كثيرة ودراسات عميقة مختلفة تبين أوجه الاستياء الأرمني المشروع.

(3) راجع: V. A Gardlevski, op. cit., Vol.III, p.83.

الأتراك الفتيان لعلمهم بأن من المحتمل أن يؤدي انتصاره إلى هز كل أسس الحكومة التركية في آسيا الصغرى»[1] لذا وجهوا ضده قوة كبيرة تتألف من اثنتين وعشرين كتيبة بقيادة نشأت باشا، تمكنت من قمع الحركة بعد معارك دامية[2]. وقعت حركات أخرى مشابهة في عدد من المناطق الكردية إلاّ أنها لم تؤد إلى نتائج ملموسة. وقد لاحظ م. س. لازاريف، بحق، أن مثل هذه الحركات ما كانت لتستطيع الاستئثار باهتمام الجماهير الكردية لولا سياسة الاتحاديين أنفسهم ولولا حقيقة أن آثار الثورة لم تصل إلى الجبال الكردية، وهو يستند في الفقرة الأخيرة من رأيه إلى وثائق قنصلية مهمة والى ما ذكره بعض الغربيين بهذا الصدد في حينه.[3]

ولكن حدث مقابل ذلك مد ملحوظ في الحركة القومية الكردية ذات الطابع الديموقراطي الواضح.[4] ومما كان يؤدي إلى إضفاء مضمون

---

(1) غ. ز. عليف، تركيا في عهد الأتراك الفتيان، موسكو، 1972، ص 188 . (في الهوامش القادمة: ...G.Z. Aliev).

Алиев Г.З. , *Турция в период правления младотурок*. Москва, 1972 , стр. 188

(2) راجع: ...M. S. Lazarev, *The Kurdish Question*..., p.148-149

راجع أيضاً: الدكتور أحمد عثمان أبوبكر، المصدر السابق، ص 53 ـ 55.

(3) M. S. Lazarev, *The Kurdish Question*..., p.148-406.

(4) لا يمكن الاتفاق مع المؤرخ الآذربيجاني السوفياتي غ. ز. عليف في قوله إن الحركة الكردية اتخذت طابعاً ديموقراطياً فقط عندما بلغت سياسة الصهر التي تبناها الاتحاديون درجة لا تحتمل (G.Z. Aliev, op. cit., p.189-190) حيث إن الطابع الديموقراطي الذي يتحدث عنه المؤرخ كان في الواقع موجوداً منذ أواخر القرن التاسع عشر، وقد جاء ميلاده بحكم عوامل موضوعية محددة حتمت ظهوره، وكان له دوره في تمهيد الطريق لانتصار ثورة الاتحاديين التي أدت بأحداثها الايجابية والسلبية إلى تعميق ذلك الطابع بشكل ملموس. وكان لا يخفى على الدكتور عليف بأن أرشيفات الاتحاد السوفياتي مليئة بالوثائق والتقارير المهمة التي تعود إلى فترة =

اجتماعي على هذه الحركة، الوضع المتردي للحياة الاقتصادية والاجتماعية في كردستان ما قبل الحرب، شأنها في ذلك شأن معظم المناطق الأخرى من ايران والبلاد العثمانية، فازداد عدد الأكراد الذين ينادون بضرورة تلبية المطالب القومية والاجتماعية المشروعة لشعبهم، مما تجلى في اتساع بعض النشاطات السياسية والاجتماعية. فقد تكاثر عدد الجمعيات والمنظمات الكردية وكان تأثيرها بين الناس، لاسيما بين المثقفين، في نمو مطرد، وبدأت تنشر على نطاق واسع البيانات والنشرات المليئة بالآراء المتحررة وبالغضب المشروع إزاء نفس السياسة المتخلفة التي أثارت حنق الشعوب الأخرى أيضاً. ومن بين تلك النشرات كانت احداها تحمل مثل هذا العنوان المعبِّر: «هذه الأرض أرضنا». انتقدت هذه النشرة سياسة الاتحاديين بشدة، وحسب المعلومات الواردة في التقارير القنصلية التي تعود إلى ذلك العهد فإنها تركت صدى عميقاً بين أوساط الناس وكانت تصل إلى زوايا قصية من كردستان.[1] ومن الجدير بالذكر أن تلك البيانات والنشرات كانت تصدر في مدن مثل دياربكر وغيرها، كما كان بعضها يصدر في كردستان ايران، إلّا أن نسخاً منها كانت ترسل بطريقة خاصة إلى بعض التكايا النقشبندية في بهدينان حيث توزع من هناك. وكما يروي الأستاذ صديق الدملوجي كانت هذه النشرات تلقى «في التكايا .... رواجاً (بين الناس ـ المترجم) ويقرأونها ويتفهمونها» بينما كان البعض ممن «تصل اليهم هذه البيانات والمناشير يرفعونها إلى الحكومة دلالة على صداقتهم واستنكاراً لهذه الجمعيات التي تعمل (لتسميم الأفكار) على

= ما قبل الحرب العالمية الأولى ومن شأنها إلقاء أضواء كاشفة على هذا الجانب الحساس من التاريخ الكردي الحديث كما فعل زميله الدكتور لازاريف.

(1) راجع: M.S.Lazarev, *Kurdistan...*, p.200.

حد تعريف الحكومة لها».[1]

وفي تلكم السنوات أيضاً كانت بعض الجمعيات والمنظمات الكردية التي تكونت إبان انتصار ثورة الاتحاديين[2]، تعمل بصورة علنية وتنشر بياناتها وكانت مكانتها تتعزز باستمرار لاسيما بين المثقفين. كانت جمعية «هيفي» للطلبة الاكراد (كورد طلبه هيفي جمعيتي) أكثر الجمعيات الكردية نشاطاً في فترة ما قبل الحرب، بل إنها استطاعت أن تنشىء لها فروعاً في بعض المدن الاوروبية، وكان لهذه الجمعية لسان حال خاص يسمى «روزا كورد» (يوم الكرد) ثم أبدل الاسم إلى «هةتافي كورد» (شمس الكرد) ثم إلى «زين» (الحياة) ولم تتوقف «هيفي» عن العمل حتى بداية الحرب العالمية الاولى، ولكنها لم تستطع فيما بعد مواصلة العمل، شأنها شأن الجمعيات والمنظمات الكردستانية الأخرى، وذلك بسبب سوق معظم كوادرها إلى الجيش.

ومن الجمعيات السياسية الفعالة الأخرى في كردستان تركيا آنئذٍ، (جمعية رقي الكرد وتقدمهم) «كومةلي تعالي وترقي كورد» التي كانت أول منظمة سياسية كردية وقد تجمع حولها عدد من مشاهير رجال الكرد من أمثال أمين عالي بدرخان وشريف باشا والشيخ عبدالقادر شمزيني.[3] ولكن السياسة الشوفينية للاتحاديين جعلت نشاط هذه الجمعية لا تتعدى في الفترة

(1) صديق الدملوجي، المصدر السابق، ص 94 ـ 95.

(2) جمع قسم مهم من المعلومات الواردة في هذا الفصل، ولاسيما ما يتعلق منها بنشاط المنظمات والجمعيات السياسية ورؤسائها، من قبل المؤلف نفسه.
وقد استفاد في هذا المجال استفادة كبيرة من الأستاذين ممدوح سليم وأكرم جميل باشا اللذين ساهما في انشاء معظم تلك الجمعيات، واتصل مراراً بالأستاذ اسماعيل حقي شاويس بقصد التقصي والمقارنة توخياً للأمانة العلمية.

(3) راجع: الدكتور بلةج شيركوه، القضية الكردية. ماضي الكرد وحاضرهم، القاهرة، 1930، ص 51.

التي سبقت الحرب نطاقاً ضيقاً.

ومع أن الوطنيين في كردستان تركيا كانوا في تلك الفترة، ولأسباب خاصة، أكثر نشاطاً من زملائهم في الأجزاء الأخرى من كردستان، إلّا أنه كان يمكن الاحساس بالنهوض والاستيقاظ في كردستان ايران كذلك. فقبل الحرب، وفي سنوات الحرب ذاتها، كانت «جمعية استخلاص كردستان» تعمل بنشاط وجد. وقد رفعت شعارات قومية واضحة المعالم. وفي تلك الآونة كذلك (العام 1912) تأسست في كردستان ايران أيضا جمعية «جهانداني» (معرفة العالم). كانت هذه الجمعية تحاول قيادة النضال الكردي في مسار صحيح وفي اطار موحد[1].

كان أحد الأوجه الجديدة المهمة للنضال الثقافي والمنظمات والشخصيات السياسية الكردية المعروفة في تلك الفترة، هو الاهتمام بنشر الدراسة والتعليم بين الأطفال والشباب الكرد اليافعين وخدمة اللغة الكردية وأدب الشعب الكردي باعتبار ان اللغة والأدب عاملان فعالان لصيانة العادات والمشاعر القومية وتنميتها بين جماهير الشعب. كان الأستاذ خليل خيالي أحد الذين أولوا هذا الموضوع اهتماماً خاصاً في نضالهم اليومي. لقد كان هذا الوطني المخلص يشوّق المثقفين الكرد في أن ينظروا إلى هذه المهمة الملقاة على عاتقهم نظرة بعيدة، وكان يتحدث في كل مجال عن أن الأمية

---

(1) راجع:

Фаризов И.О., *Место национально-освободительного движения курдов в борьбе народов Ближнего и Северного Востока против империализма.* Канд. Дисс. (реферат), Москва, 1953 , стр. 19.

إي. و. فاريزوف، مكانة حركة التحرر القومي الكردية في نضال شعوب الشرقين الأدنى والأوسط ضد الأمبريالية (خلاصة رسالة دكتوراه)، موسكو، 1953، ص 19.

احدى العلل الكبرى التي يعاني منها المجتمع الكردي. وبدفع من الأستاذ خيالي أسس عدد من المثقفين من تلامذته ورفاقه (الجمعية الكردية لتعليم المعارف) «كورد تعميم معارف جمعيتى» التي فتحت قبل الحرب مدرسة خاصة في اسطنبول للصبية الكرد.[1]

وفي تلك الآونة أيضاً كان عبدالرزاق بدرخان ذو الشهرة الواسعة، قد احتل مكانة الأستاذ خيالي بين أكراد ايران، وكان يعمل بهمة ونشاط لنشر العلم والمعرفة في صفوفهم، وكان احد المواضيع المهمة في ديوانه العامر، التحدث عن قيمة تحصيل العلم وترغيب الناس في الاهتمام به. ولم يتوقف نشاط عبدالرزاق بدرخان في هذا المضمار عند هذا الحد. ففي أوائل العام 1913 أسس جمعية ثقافية في مدينة خوى، وكان ينوي إنشاء مطبعة لها أيضاً وإصدار جريدة باسم الجمعية وأن يفتح بعد ذلك عدة مدارس كذلك. ان الخطوة الأهم والأكثر مغزى والتي خطتها هذه الجمعية هي فتح أول مدرسة كردية في مدينة خوى من المبالغ التي تبرع بها أهالي المنطقة أنفسهم وقد افتتحت هذه المدرسة في الرابع من تشرين الثاني/ نوفمبر من العام 1913 وأقيم بهذه المناسبة احتفال كبير في المدينة. كان عدد تلامذة الدورة الأولى 29 شخصاً وكانوا يتلقون دروسهم باللغة الكردية ويستخدمون في الكتابة الألفباء الروسية، كما كانوا يدرسون اللغة والأدب الروسيين كذلك. وكان في المدرسة مستشفى صغير أيضاً[2].

---

(1) كان التعليم في هذه المدرسة باللغة الكردية، وكان تلامذتها يربون بروح وطنية، ولكن لم تستمر المدرسة طويلاً حتى اضطرت لإغلاق أبوابها.

(2) راجع: M.S. Lazarev, *Kurdistan*..., p.227-228.

راجع كذلك: الدكتور كمال مظهر احمد، أول مدرسة كردية في ايران، «التآخي» (صحيفة «الثقافة الكردية» 8-20 تشرين الثاني/ نوفمبر 1973).

في الوقت نفسه فإن هناك وثائق قيمة تدل على اهتمام الشخصيات السياسية المثقفة في كردستان باللغة والأدب الكرديين قبل بداية الحرب بفترة.[1] وهذا، كما هو واضح، خطوة كبيرة وهامة بالنسبة للحياة السياسية والاجتماعية لأي شعب. كانت المنظمات والشخصيات السياسية في كردستان تركيا، وفي الدرجة الأولى الأستاذ خليل خيالي، بدأت تفكر في أمر إيجاد نهج خاص لتقريب الكرمانجية والسورانية[2] من بعضهما. وفي كردستان ايران طلب عبدالرزاق بدرخان في شباط/ فبراير من العام 1913 من روسيا من خلال وكيل القنصل الروسي في خوى ارسال المستشرق والمستكرد الروسي المعروف أوربيللي [3] كما طلب انشاء قسم كردي في مؤسسة الاستشراق في بطرسبورغ. وكان بدرخان يفكر في أن المهمة الأولى لهذا القسم ستكون وضع ألفباء خاصة باللغة الكردية بمساعدة الألفباء الروسية.

---

(1) اهتمت «كردستان»، وهي أول جريدة كردية كما ذكرنا، اهتماماً كبيراً، بنشر الادب الكردي، وكانت تسعى بصورة خاصة لإثارة مشاعر قرائها الكرد من خلال نشر أشعار (احمدى خاني) وتطلب منهم أن يصغوا بانتباه لنصائحه وتوجيهاته (راجع، مثلاً: كردستان، العدد 6، جنيف 25 جمادي الاولى 1316، 8 تشرين الاول/ أكتوبر 1898). (أعيد طبع الأعداد 1-31 من هذه الجريدة، باستثناء الأعداد 10، 12، 17-19 منها، في بغداد، بالأوفسيت، في العام 1972 من قبل الدكتور كمال فؤاد، الذي قدم لها بمقدمة موجزة باللغة الكردية. وقد اطلعنا نحن على النسخ الأصلية لبعض اعداد الجريدة وحوَّلنا تواريخ الصدور أينما وردت في كتابنا هذا إلى التاريخ الميلادي أيضاً تسهيلاً للقارئ).

(2) المقصود بهذا اللهجتان الكرمانجية الشمالية والكرمانجية الجنوبية وهما اللهجتان الرئيستان في اللغة الكردية وتليهما من حيث الأهمية اللرية والطورانية- المترجم.

(3) المستشرق الروسي والسوفياتي المعروف يوسف أبغاروفيتش أوربيللي (1887-1961) أحد العلماء الرفيعي الشأن الذين أحبوا الكرد من اعماق قلوبهم. وقد أهتم بإخلاص بالدراسات الكردية. وقد تأسس القسم الكردي في معهد الاستشراق في لينينغراد بناء على اقتراح منه.

ومما يجدر بالذكر أنه في سنوات ما قبل الحرب لم يكن المرء يحس في كردستان الجنوبية (كردستان العراق) بمثل تلك الحركات والنشاطات التي كان يحس بها في كردستان ايران وبصورة خاصة في كردستان تركيا. إلّا أن تأسيس الجمعيات والمنظمات في كردستان تركيا ومطبوعات تلك الجمعيات والمنظمات، تركت صدى في بعض المناطق من هذا القسم من كردستان أيضا. وكما ذكرنا من قبل، فإن نسخاً من المطبوعات السياسية السرية التي كانت تطبع في كردستان تركيا، كانت تصل إلى بعض أنحاء بهدينان. وقبل الحرب بفترة قليلة، بدأ جمال الدين بابان يصدر مجلة كردية – تركية باسم «بانك كرد» (نداء الكرد) حيث كان يطبعها في مطبعة الآداب ببغداد ويوزعها من هناك.[1]

إن ما يجب أن نلفت اليه الأنظار هنا بصورة خاصة هو أن الاحساس القومي قد تجلى في العديد من مواضيع هذه المجلة. فقد تحدثت «بانك كرد» في احدى مقالاتها بإسهاب عن أهمية التعليم ودوره في حياة الشعوب. وأعطت المجلة مثالاً عن ذلك، اليابان وبريطانيا، فكتبت تقول:

«وعلى سبيل المثال[2]، اليابان! ماذا كان هذا الشعب الصغير! والله أنه لم يكن شيئاً. إلّا أنهم بفضل السعي وتقدير قيمة الوقت هزموا دولة عظيمة كروسيا ومزقوها شر تمزيق!»

«على سبيل المثال، إنكلترا: إنهم بشر مثلنا كذلك. ولكن لماذا يخترعون

---

(1) طبع العدد الأول من هذه المجلة في الثاني عشر من ربيع الأول من العام 1332 الهجري (الثامن من شباط/ فبراير من العام 1914). تتكوَّن أعدادها الأول والثاني والثالث مجتمعة من 72 صفحة، أي يتألف كل عدد منها من 24 صفحة.

(2) آثرنا ترجمة النص من المجلة بصورة حرفية، رغم ما يلاحظ فيها من ركاكة ـ المترجم.

بفضل عقلهم وفكرهم تلك الاختراعات والابتكارات التي تجنن الانسان وتجعل كل شخص مضطراً لتعظيمهم وتقدير أشخاصهم».[1]

وفي الوقت نفسه، كانت «بانك كرد» تطالب بتأسيس الجمعيات وفتح المدارس. وبهذا الصدد كتبت في أحد أعدادها قائلة:

«..من أجل ذلك نلح في الصراخ والتشكي والتوسل قائلين فلتفتح في بغداد جمعية تؤسس بمساعيها وترغيباتها المدارس في كل مكان وتنقذ جماعة الكرد من هذا الجهل. فلنعلم من ذا من الأكراد يرفع رأسه لينال هذا الشرف العظيم. ولكن وا أسفاه، فإن هذه الخدمة لا تؤدى بشخص أو شخصين. ولو كان الأمر كذلك ففي بغداد كثيرون يشخصون بأبصارهم بانتظار تحقيق هذه الخدمة»[2].

وها نحن ننشر هنا أبياتاً من احدى القصائد التي كانت تنشر في أعداد «بانك كرد»، وهي بحد ذاتها دليل على انتشار الأحاسيس القومية وبلوغ ما كان يُعرف بعصر التنوير وعلى اهتمام المثقفين الكرد بالجملة المذكورة:

«ينبغي أن نتحد في سبيل رقي الدولة والأمة
الأولى بذل الهمة، فدعونا لا نضيع هذه الفرصة
تراب الوطن هو المكان الذي نصون فيه ديننا وشريعتنا
وعمرانه إنما هو بوفرة العلوم والفنون والصناعات
فاذا جرى الأمر على هذا النحو،
فإن الوطن سيكون منوراً وعامراً
وسننجو نحن من قبضة هذه المذلة
معاداة العلوم والمعارف تدمر دارنا

---

(1) بانك كرد، العدد 3، 1332، ص 68.

(2) المصدر السابق، ص 69.

إنها داء وبيل ومهلك فلنعالجه...

«بانك كرد» هي حقاً طبيب أسقام هذا القوم

فلنستقيظ من منام الغفلة والوحشة

ولتدم هي حتى يوم القيامة لشفاء هذه الأمة

إن أوضاع العصر وأحواله طعنة فينا ودروس يتعظ بها».(1)

وكانت «بانك كرد» تنشر في الوقت ذاته مقالات باللغة التركية في تاريخ الشعب الكردي(2)، كما كانت تهتم في حدود امكانيات تلك الأيام ومستوى الفهم السائد فيها بالحياة الاقتصادية والاجتماعية للشعب الكردي(3). وكل ذلك أدلة لا يرقى اليها الشك على أن الاحساس القومي بين الشعب الكردي في العراق أيضاً، كان في فترة ما قبل الحرب في غليان وتحول، الأمر الذي ينهض عليه الدليل كذلك في أعمال الشيخ محمود في تلك الآونة، لاسيما إقامته الصلات مع البدرخانيين. فقد سعى في العام 1913 للاتفاق مع كامل بك وحسين بك ولدي بدرخان باشا للنضال في سبيل تخليص كردستان من السيطرة العثمانية وإقامة دولة فدرالية كردية فيها. وبعث في تلك الأثناء أيضاً رسائل إلى المسؤولين الروس حول المستقبل السياسي لكردستان.

---

(1) هذه الأبيات من قصيدة نشرت في العدد الثالث من «بانك كرد» باسم (صائب زاده سليمانلي محمد عارف) ص 68-69. (كان المومئ اليه معروفاً في السليمانية باسم (عارف صائب) وهو من المتنورين الكرد وله قصائد في التنديد بالحرب العالمية الأولى، وقد مات في حادث اغتيال سياسي في عهد حكومة الشيخ محمود - المترجم).

(2) نشر شكري الفضلي مقالًا طويلًا في عدة إعداد من (بانك كرد) بعنوان: تاريخ الكرد في صدر الإسلام.

(3) نشر مقال باللغة التركية في العدد الثالث من هذه المجلة ، (ص 64-66) بعنوان كردلرده زراعت أي: الزراعة بين الأكراد.

لم يؤد هذا النضال السلمي، الذي رافقه نضال مشابه أوسع مدى بين الشعبين العربي والأرمني، ولا النتائج السلبية الكبيرة التي تمخضت عن سياسات الاتحاديين الخاطئة، إلى حدوث تغير ولو جزئي في النهج الذي تبناه هؤلاء. بل على العكس من ذلك تماماً ازداد تمسك الاتحاديين بسياستهم تلك مع اقتراب الحرب ومع تفاقم المشاكل المعقدة التي كانت تعاني منها السلطنة بأسرها. فسرعان ما أصيب الفلاحون والعمال، من الاتراك وغيرهم، بخيبة أمل كبيرة بعد أن كانوا قد علقوا آمالاً جساماً على زوال عهد السلطان عبدالحميد، ذلك لأن العهد الجديد فشل بدوره في تحقيق أي مكسب ملموس لهم. فلم يستطع الاتحاديون تبني سياسة زراعية جذرية من شأنها وضع نهاية للعلاقات الاقطاعية القائمة أو على الأقل التخفيف من آثار الاستغلال الاقطاعي الذي اتخذ قبل مجيئهم أسوأ شكل له. وجاء ذلك بمثابة انعكاس طبيعي لواقعهم الاجتماعي، فإنهم كانوا ينتمون بأغلبيتهم الساحقة إلى العائلات الارستقراطية-الاقطاعية والبورجوازية الكبيرة. ومن هنا لا غرابة في أن يقابل تصريح وزير الداخلية في البرلمان حول عدم نية الحكومة التدخل في العلاقات القائمة بين اصحاب الاراضي والفلاحين، بتصفيق حاد من النواب الذين كان بينهم عدد كبير من الاقطاعيين الذين يمتلكون هم أو عائلاتهم مئات القرى.!!

اذاً كان من الطبيعي أن تفشل سياسة الاتحاديين الزراعية فشلاً ذريعاً مع أنها بدأت تستهدف، بحكم التطور وتحت ضغط بعض الظروف، تطبيق الأسلوب الرأسمالي في الانتاج والعلاقات إلى حدٍ ما. وقد ظلت الضرائب تثقل كالسابق كواهل الفلاحين مع أن الاتحاديين تعهدوا بإجراء تعديل فيها، لاسيما في ضريبة العُشر التي تحولت إلى عبء ثقيل للغاية على عاتق الفلاح لأنها كانت تُجمع بواسطة الملتزمين الذين لم تتزعزع مواقعهم بعد

ثورة العام 1908، وبشكل خاص في المناطق الكردية والولايات البعيدة. ولم يكتف العهد الجديد بذلك بل إنه زاد على الضرائب الكثيرة السابقة ضرائب اخرى جديدة، فقد زاد ضريبة المواشي والبناء وغيرهما. وكان من الطبيعي ان يؤدي ذلك كله إلى زعزعة ثقة الفلاحين بالنظام الجديد فحدثت انتفاضات وتحركات فلاحية في مناطق مختلفة من الاصقاع الكردية كما حدث مثلاً في منطقة دياربكر.

لم يطرأ أي تغيير على أوضاع العمال أيضاً. رغم الآمال الجسام التي علقها هؤلاء على العهد الجديد، ظل يوم العمل كالسابق لايقل عن 14 ساعة إلّا فيما ندر، كما لم يحدث أي تبديل في مستوى أجورهم، علماً بأن الحركة العمالية بدأت تتبلور وتتحول إلى قوة اجتماعية ملموسة قبل مجيء الاتحاديين إلى الحكم بفترة غير قصيرة، وقد توضحت أهداف العمال آنذاك في جملة مطالب مشروعة لم تكن الاستجابة لها أمراً معقداً بالنسبة لرجال العهد الجديد. على أي حال لم تمض على انتصار ثورة العام 1908 سوى مدة قصيرة حتى عمت الاضرابات العمالية أنحاء مختلفة من البلاد، فحاول المسؤولون «معالجة» الوضع بسن قوانين وأصدروا قرارات في صيف عام 1909 تمنع الاضرابات والاجتماعات العمالية وتحول دون تأسيس النقابات وتعاقب العاطلين عن العمل بحجة منع التسول. إلّا أن هذه الاجراءات لم تحل دون وقوع اضربات عمالية جديدة، منها الاضراب الكبير الذي قام به عمال السجائر والتبغ في اسطنبول وسالونيك والذي استمر في الأولى منهما لمدة 50 يوماً وفي الاخيرة لمدة 20 يوماً. رفع العمال خلال هذا الاضراب شعارات حول زيادة الاجور بنسبة 30 % وتحديد يوم العمل بثماني ساعات فقط.(1)

(1) للتفصيل راجع: . G.Z. Aliev, op. cit., p. 171

أدت هذه الأوضاع، إلى جانب السياسة الشوفينية التي اتبعها الحكام، إلى تأزيم الوضع السياسي واحتدام الصراع بشكل لم يسبق له مثيل. فيكفي القول إن الاتحاديين اضطروا خلال سنوات حكمهم العشر لتغيير الوزارة 14 مرة، وهو رقم قياسي في تاريخ تركيا لم يُشهد له مثيلاً من قبل. وقد جرت أهم تلك التغييرات قبيل الحرب مباشرة عندما قام أنور بك وطلعت بك (صارا يلقبان بالباشا فيما بعد) على رأس حوالى 200 ضابط إتحادي بانقلاب في كانون الثاني/ يناير من العام 1913 قتل أثناءه وزير الحربية واعتقل رئيس الوزراء وعدد من كبار شخصيات الدولة ثم شكلت حكومة اتحادية جديدة برئاسة محمود شوكت باشا.

اعتزمت الحكومة الجديدة منذ اللحظة الأولى تبني سياسة دكتاتورية في جميع المجالات. وقد ساهم اغتيال محمود شوكت باشا بعد مرور حوالى خمسة أشهر فقط على تسلمه رئاسة الوزراء، في تعجيل ظهور حكم دموي دكتاتوري مطلق وقف على رأسه الثالوث المعروف أنور باشا الذي أصبح وزيراً للحربية ورئيساً للقيادة العامة وطلعت باشا الذي كان رئيساً لجمعية الاتحاد والترقي وصار وزيراً للداخلية وجمال باشا الذي صار وزيراً للبحرية وحاكماً عسكرياً في اسطنبول. ولم يبق للسلطان العجوز والمتشكك محمد الخامس[1] أي دور في الحكم، حتى يروى أنه علم عن طريق الجرائد بتعيين وزير جديد للحربية كان من المفروض أن تصدر إرادته السلطانية به.

قام هذا الثالوث بضرب اليمين واليسار والجماهير الشعبية والقوميات غير التركية على حدٍ سـواء، فكان يوجد من بين حوالى الثلاثمئة من الشخصيات السياسية البارزة المعتقلين في قلعة مدينة سينوت على البحر الأسود عدد غير قليل من الناس المعروفين بآرائهم المتحررة وبإخلاصهم

(1) كان يبلغ من العمر 72 عاماً.

لقضية الجماهير العادلة التي وقع على عاتقها الثقل الأكبر لضيم الاتحاديين وسياستهم اللاديموقراطية. ومن الجدير بالذكر أن بعض المؤرخين الأتراك المعاصرين، أ.ب. كوران[1] يشبّهون العهد الدكتاتوري الجديد بعهد السلطان عبدالحميد الدموي.

في مثل هذه الظروف ازداد سخط الجماهير التركية وغير التركية إلى حدٍ كبير، ولكن الاستياء كان بين الأخيرة أشد وأعم بسبب سياسة التتريك البغيضة التي أصبحت هدفاً أساسياً للثالوث المتحكم. وقد تعمق طابعها الدموي نتيجة إصرار جمال باشا على استخدام القوة على نطاق واسع لقمع الحركات التحررية للشعوب الأخرى، وكان يريد تقوية الجيش لهذا الغرض.

ومن الجدير بالذكر أن جمال باشا هو نفسه الذي لقب فيما بعد بجمال السفاح من جراء الأعمال الوحشية التي ارتكبها ضد أحرار سوريا.

أما بالنسبة للجماهير الكردية فإن سخطها ونضالها في سبيل الانعتاق بلغ حد الانفجار من جديد قبيل الحرب مباشرة، وقد تجلى ذلك في بعض المناطق في شكل كفاح مسلح. لقد حدثت أكبر تلك الانتفاضات في العام 1914 في منطقة بدليس بقيادة الملا سليم[2] وبعض الزعماء الوطنيين الآخرين، حيث طالبوا بتنفيذ أحكام الشريعة وإبعاد الموظفين الأتراك، لأن الجهاز الاداري التركي، كما ورد في أحد التقارير الديبلوماسية السرية لتلك الفترة، كان، في رأي أولئك الزعماء، «ينتف الكرد ويبيع البلاد للأجانب».[3]

لقد عم لهيب الانتفاضة بسرعة وانضم اليها عدد كبير من مسلحي القبائل الكردية في تلك المناطق بحيث بلغ عدد المشتركين فيها في التاسع من آذار/

---

(1) في كتابه تاريخ الثورة والأتراك الفتيان، اسطنبول، 1945، ص 328. (مقتبس من G.Z. Aliev. op. cit., p.230-379).

(2) يعرف باسم الملا سليم أفندي الخيزاني.

(3) راجع: M.S. Lazarev, *Kurdistan...*, p.215.

مارس حوالى أربعة آلاف. وهكذا فإن انتفاضة كردستان الجديدة أحدثت دوياً أكبر، حتى إن الجنود الأكراد في الجيش العثماني المرابط في تلك المناطق انحازوا اليها بأسلحتهم. كان قادة إنتفاضة بدليس يريدون إشعال نار الثورة تدريجياً في المناطق الأخرى من كردستان. وتحقيقاً لهذا الغرض، فقد أرادوا تثبيت مواقع أقدامهم بادئ ذي بدء بصورة كاملة في منطقة بدليس، بل إنهم طلبوا المساندة والمعونة من الأرمن والآشوريين القانطين في تلك الديار.(1)

لقد أوقعت الأحداث ومبادرة زعماء الانتفاضة وصداها بين أكراد المناطق الأخرى، الرعب في قلوب الحكام العثمانيين الذين أرادوا، خوفاً من عواقب الأمور، أن يضعوا حداً للإنتفاضة بأسرع وقت وبأي ثمن كان. وفي الواقع فإن وضع الدولة العثمانية في تلك الآونة واقتراب الحرب واستياء الشعوب غير التركية وأسباباً أخرى، جعلت فرائص الحكام ترتعد من كل نهضة وانتفاضة. لذلك فقد أخذوا يتحركون بنشاط لقمع انتفاضة بدليس، وعينوا لهذا الغرض والياً قوي الشكيمة للمنطقة وأرسلوه مصحوباً بقوة كبيرة إلى بدليس. وفي تلك الأثناء وقع الأكراد في خطأ جسيم، حيث تركوا مواقعهم الاستراتيجية وحاصروا مدينة بدليس واستطاعوا الاستيلاء عليها في الثالث من نيسان/ إبريل. إلّا أن ذلك أصبح في الوقت نفسه عاملاً مساعداً للجيش العثماني على درجة كبيرة من الأهمية، فقد تمكن هذا الجيش من استثمار ما جرى على خير وجه واستطاع أن يضرب الثوار الأكراد في داخل المدينة ويربكهم ويقمع بذلك انتفاضتهم(2)، واضطر الملا سليم أفندي

---

(1) A. Safrastian. *Kurds and Kurdistan*, London, 1948, p.73.

أزعجت محاولة زعماء انتفاضة بدليس التقرب من الأرمن والآشوريين حكام الآستانة. فقد كان هؤلاء يسعون على العكس وفي كل مجال، لإثارة الأكراد ضد تلك الأقليات، وبصورة خاصة ضد الأرمن.

(2) سهُل دخول الأكراد مدينة بدليس مهمة القوات العثمانية تماماً، فقد استطاعت هذه =

وبعض الزعماء الكرد الآخرين للالتجاء إلى القنصلية الروسية في مدينة بدليس. وإرهاباً للكرد والأرمن والآشوريين، أطلق المسؤولون العثمانيون لأنفسهم العنان لمعاملة سكان منطقة بدليس بخشونة وقسوة، فملأوا منهم السجون وكانوا يشنقون بين يوم وآخر مجموعة جديدة[1].

كان الوضع في منطقة بهدينان وما حولها قد اضطرب قبل الحرب، وكان الناس على أتم الاستعداد لحمل السلاح ضد العثمانيين. ولهذا الغرض فقد تجمع الكل حول الشيخ عبدالسلام الذي أخذ بدوره يحث رؤساء القبائل الكردية على الاتحاد والضغط على الآستانة للتخلي عن سياسة إهمال المنطقة.

ولا ريب في أن الحكام العثمانيين لم يكونوا مستعدين للإصغاء إلى مثل هذه المطالب، كما لم يكن من شأنهم تحقيقها. ولذلك فإن القسم الأكبر من منطقة بهدينان قد أعلن التمرد في ربيع العام 1914 وبصورة خاصة بعد أن زادت الحكومة مقدار الضرائب المفروضة على الفلاحين، وسعى الشيخ عبدالسلام لإلهاب نار الانتفاضة في سائر أنحاء كردستان ولتحريك بعض الدول الكبرى (ولاسيما روسيا وبريطانيا) لمساندة مطالب الأكراد وإجبار المسؤولين العثمانيين على الاستجابة لها.

ينقل الأستاذ صديق الدملوجي وقائع مهمة عن هذه الحركة وأهدافها، فقد كان يشغل آنذاك وظيفة وكيل قائممقام العمادية، إذ كان على اتصال مباشر بزعيم الحركة وراقب أحداثها عن كثب، كما اطلع ـ حسبما يشير

= القوات في اليوم نفسه أن تربك الثوار بحيث قتلت منهم ستين شخصاً (مقابل 4 قتلى من العثمانيين).

(1) في يوم واحد فقط هو السابع من أيار/ مايو من العام 1914 شنق أحد عشر زعيماً من زعماء الانتفاضة في بدليس (راجع: M.S. Lazarev, *Kurdistan...*, p.216).

بنفسه ـ على التقارير الرسمية واشترك في وضع عدد منها، ومن هنا تكتسب اقواله أهمية استثنائية في هذا المجال وهي تعطي امكانية الوقوف على أهداف الحركة. ففي الحديث الطويل الذي دار بين الدملوجي والشيخ عبدالسلام استفسر الأخير قائلاً: «هل تركتنا الحكومة (الاتحادية ـ ك.م.) وشأننا حتى ننصرف إلى نشر العلم ونخلّص هذه الأمة من الجهل، ونحن أكثر ما نحتاجه إعمار قرانا التي خربتها الحروب؟!». وفي تعليقه على قول الأستاذ الدملوجي «كان عليكم أن تتفاهموا معها (مع الحكومة الاتحادية ـ ك.م.) وتزيلوا ما علق بذهنها بحقكم»، قال الشيخ: «إن الطريق مسدود أمامنا وليس لنا من يدافع عنا، واذا تبرع أحد للدفاع عنا، لا يدافع لوجه الله، وكلهم أصحاب غايات ومصالح...»[1]. وكما يؤكّد الدملوجي نفسه فإنه «كان للدعايات التي تقوم بها الجمعيات الكردية تأثير في تطور الحالة وأخذ شكلها الأخير»[2]. فقد كان الشيخ عبدالسلام على اتصال بالقادة الأكراد في اسطنبول ومنهم الشيخ عبدالقادر النهري وأمين عالي بدرخان والفريق شريف باشا بن سعيد باشا السليماني.

حدد الشيخ عبدالسلام مطالبه في برقية أرسلها إلى «المراجع العليا ومجلس النواب والأعيان في اسطنبول» وتدور جميعها حول الاعتراف باللغة الكردية وتعيين موظفين «ممن يحسنون» هذه اللغة و«جعل الأحكام بمقتضى الشريعة الاسلامية طالما دين الدولة الاسلام» وتعيين «أصحاب المذهب الشافعي» في الوظائف الدينية في المنطقة واستيفاء «الضرائب من المكلفين بمقتضى ما نص عليه الشرع» على أن يلغى «ما يزيد عليها أو يخالفها» والاحتفاظ بضريبة «بدلات العملة المكلفة» شريطة أن «تخصص لإصلاح

(1) صديق الدملوجي، المصدر السابق، ص 91 ـ 92.

(2) المصدر السابق، ص 94.

الطرق» في المنطقة نفسها[1] ويبدو واضحاً من تأكيدات الدملوجي والأحداث التي يرويها أن الاتحاديين وبعض الموظفين المرتشين والمتذبذبين كانوا هم المسؤولين عما آل اليه الوضع من تردٍ، وأنه كان في إطاره العام صورة معادة ـ كما يذكر ـ لأحداث سوريا آنذاك.

أوقعت هذه الانتفاضة كذلك رعباً كبيراً في نفوس الحكام الاتحاديين، لأنهم كانوا يدركون أن بوسع الشيخ عبدالسلام أن يجمع حوله عدداً كبيراً من القبائل الكردية المعروفة في العراق وايران، كما كانوا يخشون أن تؤدي هذه الانتفاضة إلى أن يفلت زمام الأمور من أيديهم في ولايتي الموصل وبغداد ايضاً، فقد كانوا يعلمون أن العشائر العربية المسلحة في تلك المناطق على استعداد كذلك للانتفاض. لهذه الأسباب بادر الاتحاديون إلى تحشيد قوات كبيرة في رواندوز وعقرة والعمادية واستطاعوا قمع الحركة في معظم المناطق التي شملتها قبل انتهاء حزيران/ يونيو من العام 1914، واضطر الشيخ عبدالسلام وبعض رفاقه للاختفاء حيناً من الزمن في منطقة ورمى القريبة.

من الجدير بالذكر أن واحداً من الأسباب الرئيسة التي سهلت مهمة الاتحاديين في قمع الانتفاضات التي حدثت في كردستان آنذاك، هو انعدام الوحدة والترابط بين تلك الانتفاضات، كما كان عليه الأمر في العديد من المناطق العثمانية الأخرى. فعلى سبيل المثال لم يتخذ الزعماء الأكراد أي إجراء لتوحيد الانتفاضتين اللتين اندلعتا في بدليس وبهدينان في وقت واحد تقريباً، حتى إن الأكاديمي غاردليفسكي يربط فشل الأولى منهما بعدم وقوف المناطق والعشائر الكردية الأخرى إلى جانبها.[2] ورغم ذلك فإن التهاب نضال بقية شعوب السلطنة، وبصورة خاصة نضال الشعبين العربي والأرمني المتجاورين وانعتاق شعوب البلقان زاد من وقع الانتفاضات والتحركات

(1) النص الكامل في المصدر السابق، ص 96.

(2) راجع: V.A. Gardlevski, op. cit.,Vol.III, p. 122.

الكردية ومن تأثيرها المباشر على وضع الاتحاديين.

من الضروري أن نشير بهذا الصدد إلى ظاهرة تاريخية هامة بدأت بالتبلور قبل الحرب أيضاً وهي تتعلق بظهور بوادر التفاعل العضوي بين نضال الكرد والشعوب الأخرى الداخلة في السلطنة العثمانية. فإن الضغط والارهاب الدموي لسلاطين آل عثمان خلقا مناخاً للتقريب بين أحرار الترك وغيرهم مما تجسد بشكل خاص في عهد السلطان عبدالحميد.

وخير مثال نورده هنا هو الدور الذي لعبه المثقفون الأكراد في تأسيس جمعية الاتحاد والترقي وفي نشاطاتها. فإن اثنين من مجموع أربعة من أعضائها المؤسسين الاوائل[1] كانا من الطلبة الأكراد في الكلية الطبية العسكرية باسطنبول، هما اسحاق سكوتي من دياربكر وعبدالله جودت من عربكير[2]. وانضم فيما بعد عدد آخر من المثقفين الكرد إلى الجميعة، كان

---

(1) تعتبر الحلقة التي شكلها في أيار/ مايو من العام 1889 الطالب الألباني في الكلية الطبية العسكرية باسطنبول ابراهيم تيمو النواة الأولى لجمعية «الاتحاد والترقي». تألفت هذه الحلقة، التي أطلقت على نفسها اسم «الاتحاد العثماني»، من أربعة أشخاص ينتمون إلى نفس الكلية هم اسحاق وعبدالله المذكوران وابراهيم ومحمد رشيد الكركسي. ونجد في بعض المصادر اسما خامساً هو علي حسين زادة من باكو، وأحياناً يروى عن اسمين آخرين أيضاً هما حكمت أمين من قونية واسماعيل ابراهيم.

للتفصيل راجع:

E.E. Ramasaur, *The Young Turks. Prelude of the Revolution of 1908*, Princeton-NewJersey, 1957, p. 14-15.

G. Z. Aliev, op. cit., p 56-341.134

(2) زاول كلاهما نشاطاً واسعاً في بدايات تأسيس الجمعية، ونفيا مع عدد من مؤسسيها وأعضائها، فقد أبعد إسحاق سكوتي إلى رودس ولم تمر عليه فترة طويلة حتى تمكن من الهرب مع آخرين إلى باريس. أما عبدالله جودت فقد نفي إلى طرابلس الغرب واستطاع هو الاخر أن يهرب إلى تونس أولاً ومن هناك التحق برفاقه في باريس. =

= عندما دب اليأس في نفوس العديد من قادة الاتحاديين الأوائل فتراجعوا في العام 1897 أمام ضغوط السلطان عبد الحميد وإغراءاته ووعوده، رفض اسحاق سكوتي وعبدالله جودت السير مع هؤلاء. وبعد أن غيرت جريدة «المشورة» لسان حال الجمعية سياستها تجاه السلطان بتأثير من المساومين معه، قام هذان العضوان بإصدار جريدة «عثمانلي» في جنيف، لكن عبدالحميد لم يتخل عن محاولاته للتأثير فيهما، فعرض عليهما بواسطة سفيره منير بك رغبته في الأفراج عن السجناء السياسيين المحجوزين في طرابلس مقابل أيقاف «عثمانلي». وحسبما يذكر رامزور فإن عبدالله جودت الذي كان يعرف الظروف الشاقة لهؤلاء السجناء في الصحراء وافق على الاقتراح (E. E. Ramsaur, op.cit., p.53). ثم حذا سكوتي حذوه، وقد أوقفا إصدار الجريدة فعلاً بعد أن تم الافراج عن السجناء.

ولكن هذه النقطة تحولت إلى بداية لمساومة «أكبر» فتم في عام 1900 تعيين إسحاق سكوتي طبيباً عسكرياً في السفارة العثمانية بروما وعين عبدالله جودت في العام نفسه في منصب مشابه بفيينا. ولكن إسحاق سكوتي ظل على اتصال برفاقه وكان يكتب سراً إلى جريدة «عثمانلي» التي أعاد الأمير صباح الدين اصدارها في لندن ثم في فولكستون.

يقول رامزور عن سكوتي وجودت «إنهما كانا يفضلان» أن «يعتبرا من الأتراك أو عثمانيين على الأقل، أكثر من أعتبارهما قوميين كرديين» (E. E. Ramsaur, op.cit., p.63) ولكن لدى تقييمنا لمثل هذا القول يجب أن نأخذ بنظر الاعتبار، أولاً، حقيقة أن «العثمانية» كانت تستند في البداية إلى ركنين أساسيين هما «الاتحاد» و«المساواة» بين جميع مواطني السلطنة دون تفريق، وقد تحولت فيما بعد وبسرعة إلى إتجاه شوفيني يستهدف تتريك الشعوب الأخرى. ثم إن الهدف الأساسي الذي كان يجمع الوطنين العثمانيين آنذاك، تركز حول قلب نظام عبدالحميد الاستبدادي وإحياء دستور العام 1876. ولا بأس في أن نشير أيضاً إلى توافر معلومات موثوقة تبين بوضوح شعور إسحاق سكوتي العميق نحو قضية شعبه، فقد كان على اتصال وثيق بالبدرخانيين الذين كانوا يقفون على رأس الحركة الكردية سواء في الداخل أو في الخارج، بل إنه كان صديقاً لعبدالرحمن صاحب جريدة «كردستان» الذي نشر في العدد الثلاثين من جريدته رثاءً حاراً بعنوان «ضياع عظيم» بمناسبة وفاته في سان ريمو بإيطاليا، وقد أشاد فيه باخلاص «إسحاق سكوتي أفندي الدياربكري» =

من بينهم الصحافي الاتحادي البارز اسماعيل بابان زادة. وعندما عقد أول مؤتمر للاتحاديين في باريس في الرابع من شباط/ فبراير من العام 1902 [1] حضره مندوبون أكراد منهم محرر جريدة «كردستان» عبدالرحمن بدرخان الذي اشترك كذلك في تحرير جريدة «عثمانلي»[2] ويتحدث المطلع على شؤون تركيا الأكاديمي غاردليفسكي عن «الأكراد الفتيان»[3] الذين اتصلوا قبل العام 1908 بالاتحاديين.[4] وقد رحبت جميع القوى الناهضة في شعوب السلطنة العثمانية، بما فيها الشعب الكردي، بانتصار هذه الثورة. وقد جاء ذلك في توافق تام مع منطق التاريخ لأنه كان من المحتم أن ترحب الجماهير بالانعتاق من نظام دموي كان الفقر يزداد في ظلّه «بمعدلات هندسية» حسب التعبير الموفق لسافرستيان[5]. ومن هذا المنطق الحيوي آزرت الجماهير غير التركية، مثل تلك، الاتحاديين وأرادت السير معهم لولا سياسة هؤلاء التي دفعتها عن النظام الجديد دفعاً.

= ووطنيته وشجاعته وثقافته ودافع عنه ضد التهم الموجهة اليه، إذ إن عبدالرحمن بدرخان كان، كما يبدو من مضمون الرثاء، على علم باتصالات إسحاق سكوتي السرية (راجع: كردستان، العدد ـ 30 ـ، جنيف، 4 ذي الحجة 1319، 14 آذار/ مارس 1902). وحسبما يبدو أيضاً، كان سكوتي حلقة وصل بين جمعية «الاتحاد والترقي» والتنظيمات الكردية.

(1) اشترك في اعمال المؤتمر 46 مندوباً كان يوجد بينهم إلى جانب الأتراك والأكراد عدد من العرب والأرمن واليونان وغيرهم. أضطر المؤتمرون إلى عقد اجتماعاتهم في دار أحد الاشتراكيين الفرنسيين ثم في منزل الأمير صباح الدين وذلك بسبب الضغط الذي مارسه البوليس الفرنسي نتيجة تدخل السلطان عبدالحميد.

(2) راجع: E.E. Ramsaur, op.cit., p.63.

(3) تشبيهاً بـ«الأتراك الفتيان» وهو الاسم الآخر للاتحاديين.

(4) V.A. Gardlevski, op.cit., Vol. III, p.119.

(5) V.A. Safrastian, op.cit., p.69.

لكن ذلك لم يعن، بالطبع، حدوث قطيعة بين الشعبين التركي والكردي، بل حدث نوع من الاستقطاب باتجاهين متناقضين ومتحدين في آن واحد ـ متناقضين من حيث التطلع إلى الأمام والوراء، ومتحدين من حيث معاداة الاتحاديين. فإن العديد من الزعماء التقليديين الكرد أيدوا بحماسة نشاطات حزب «الأحرار» ووريثه حزب «الحرية والإئتلاف» اليميني الذي نادى ـ بدافع تكتيكي بحت ـ باللامركزية والذي عمل بنشاط ضد الاتحاديين في الداخل والخارج[1]، بينما وقف الآخرون مع الاتجاه الديموقراطي الذي كانت منطلقاته صائبة وإن كان ضعيفاً بذاته. ولا بد من أن نشير هنا إلى حزب «المجدد» الذي شكله في كانون الأول/ ديسمبر من العام 1912 النائب والمحامي والناشر الكردي المعروف لطفي فكري والذي عرف بمعاداته لجمعية «الاتحاد والترقي»، كما دعا في برنامجه إلى علمانية الدولة وتجريد

(1) في العام 1908 ألّف المعارضون للاتحاديين حزب «الأحرار» الذي حظر بسبب موآمراته المتكررة. وفي العام 1911 ظهر بدلاً منه حزب «الحرية والائتلاف» الذي ضم الأعضاء السابقين للأحرار مع المعارضين الذين تركوا جمعية «الاتحاد والترقي». وقد تبنى هذا الحزب الجديد أهدافاً مختلفة منها منح السلطان حق النقض (الفيتو) والحفاظ على نظام الامتيازات للدول الأجنبية، إلّا أنه رفع إلى جانب ذلك شعارات ديماغوجية مثل ضمان الحريات الديموقراطية العامة والحقوق القومية للشعوب غير التركية. أستفاد هذا الحزب من فشل الاتحاديين في الحرب مع أيطاليا فتمكن من الوصول إلى الحكم في تموز/ يوليو من العام 1912 . إلّا أن فشل تركيا في حرب البلقان وموقف الحكومة الجديدة من الإمتيازات الأجنبية سهلا قيام الأتحاديين بإنقلاب ناجح في 23 كانون الثاني/ يناير من العام 1913 أدى إلى عودتهم إلى الحكم كما مر بنا. ولكن الائتلافيين لم يتخلوا عن نشاطاتهم، فهم الذين دبروا إغتيال محمود شوكت باشا مما أعطى الاتحاديين ذريعة لضربهم بشدة. انتعش حزب «الحرية والائتلاف» من جديد بعد الحرب وفي ظل الاحتلال الأجنبي، وأشترك في الحكومات الصورية التي ألّفها الحلفاء ووقف ضد الحركة الكمالية، إلّا أنه اختفى عن الوجود نهائياً بعد انتصار هذه الأخيرة.

السلطان من لقب الخليفة وصلاحياته، وقد كان معظم أعضاء حزبه من المثقفين الترك[1].

ظهرت البوادر ذاتها في كردستان ايران أيضاً، وبشكل خاص خلال سنوات الثورة الدستورية (1905 ـ 1911) التي تركت آثاراً واضحة على الآذربيجانيين والأكراد وغيرهم. رغم أن أعداء الثورة قد تمكنوا من كسب عدد من المتنفذين الكرد إلى جانبهم[2]، فقد وقفت أكثرية الشعب الكردي في صف الثورة واشترك عدد كبير من أبنائه في أحداثها بشكل فعال. وتشير إحدى وثائق «أرشيف سياسة روسيا الخارجية» التي تعود إلى العام 1907، إلى اشتراك حوالى 30 ألف مقاتل كردي في مناطق خوى وماكو ضد العصابات التي شكلها أعداء الثورة هناك بقصد ضربها. وكذلك تشير وثيقة أخرى من المجموعة نفسها إلى «المساعدات الكبيرة» التي «قدمها الأكراد للثوار العاملين في مناطق ورمى وساوجبولاق وسلماس»[3] وهي جميعها مناطق كردية.

---

(1) بذل الائتلافيون قبل الحرب، ولاسيما في أيام حكمهم، جهوداً كبيرة لكسب الأكراد محاولين إستغلال عواطفهم الدينية، فقام ممثلون عن الحزب بالتجوال في المناطق الكردية وتمكنوا من كسب العديد من الناس إلى جانبهم وذلك نتيجة للسياسة الخاطئة التي أنتهجها الاتحاديون.

راجع: V. A Gardlevski, op. cit., Vol. III, p. 96, 533

(2) زاول سالار الدولة شقيق ولي العهد محمد على شاه نشاطاً واسعاً في المناطق الكردية ضد الثورة، وسانده المسؤولون الأتراك والانكليز في ذلك. وقد تمكن من كسب عدد من رؤساء عشائر الجاف والزنكنة والموكري إلى جانبه، لكن سرعان ما أنسحب معظم رجال هذه العشائر من صفوف قواته الزاحفة نحو طهران وفشل هو في تحقيق مهمته. ووقفت الرجعية الآذربيجانية بدورها إلى جانب الرجعية الفارسية ضد الثورة.

(3) راجع: M. S. Lazarev, *Kurdistan...*, p. 118.

كان من المنطقي أن تتخذ مظاهر التفاعل والتأثير والتأثر بين نضال الشعوب المضطهدة بعداً أعمق وأشمل. فإن النجاحات التي حققتها شعوب البلقان البعيدة مثلاً ألهمت الأكراد بشكل أدخل الرعب في نفوس حكام اسطنبول الذين بدأوا يخشون ـ كما جاء في احدى الوثائق الديبلوماسية الروسية التي تعود إلى تلك الفترة ـ أن يخلق «الأكراد للأتراك ألبانيا جديدة»[1]. ولا شك في أنهم كانوا يخشون أكثر، التقارب بين الشعوب المتجاورة الداخلة في سلطنتهم الواسعة، لاسيما وقد بدأوا يلاحظون النمو السريع لمثل هذا التوجه الجديد الذي اعتبروه نذير شر يهدد كيانهم السياسي، رغم جميع محاولات العثمانيين، وأحياناً حتى الغربيين (الألمان بشكل خاص)، الموجهة إلى تعميق التناقضات والخلافات الأرمنية ـ الكردية.[2] بالضرب على وتر العاطفة الدينية الحساس، وبالرغم من تحقيق هذه السياسة للعديد من غاياتها غير النبيلة على حساب المصالح الأساسية لجماهير الطرفين، فرضت الحياة ومصالحها العميقة صوراً رائعة للتعاون والتقارب الأرمني ـ الكردي من خلال آلام ومآسي سنتطرق إلى تفاصيلها في الفصل الخامس من هذا الكتاب. ونكتفي هنا، وفي إطار هذا الموضوع، بالتأكيد على توافر وثائق أصلية كثيرة، قسم منها أرمنية، تبين بجلاء الأوجه البارزة للتقارب بين الشعبين، وهو ما يعلّق عليه الدكتور لازريف بقوله: «...لقد أولد قلقاً خاصاً لدى كبار الاتحاديين واقع أن مد الحركة التحررية الكردية حفز، على العكس من جميع التوقعات، تحركات الشعب الأرمني المعادية للاقطاع والسلطة».[3]

---

(1) Ibid, p. 203-204.

(2) أرسل الاتحاديون عملاءهم مراراً إلى المناطق الكردية والأرمنية بهدف إثارة الخلافات بين أبناء الشعبين (راجع: A. Safrastian, op. cit., p.71).

(3) راجع: M. S. Lazarev, *The Kurdish Question*..., p. 218.

اتخذت بوادر التفاعل بين نضال الشعبين الكردي والعربي بعداً أعمق، وذلك بحكم العلاقات التاريخية القديمة والروابط الدينية المتينة والتجاور المباشر بين الشعبين، فضلاً عن أن الخطر الذي كانا يتعرضان له هو من مصدر واحد. وبالنسبة لهذا الأخير نشير إلى مثال قريب، فعندما قام الاتحاديون في العراق بحملة معادية ضد الوطنيين وأجّلوا الانتخابات هناك، أرسلوا جاويد باشا خصيصاً لولاية البلاد وللإشراف على تطبيق سياستهم فيها مزودين اياه بتعليمات خاصة «لإقرار السكينة» بين العرب والأكراد على حد سواء[1].

ظهر بحكم هذه العوامل الأساسية نوع من التفاعل بين نضال الشعبين منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر تطور أحياناً إلى أشكال أولية من الكفاح المشترك. ومن المهم أن نشير بهذا الصدد إلى أن التقارير القنصلية الروسية الخاصة التي كانت ترسل إلى وزارة الخارجية في بطرسبورغ أو إلى القيادة العامة لمنطقة القفقاس تحتوي على شواهد ذات مغزى عميق حول هذا الموضوع بالذات. فتشير تلك التقارير، مثلاً، إلى اشتراك عدد من المسلحين العرب والأرمن والآشوريين في الانتفاضة الكبيرة[2] التي وقعت في أواخر العام 1854 بقيادة يزدان شير من عائلة بدرخان والتي شملت مناطق واسعة امتدت من الموصل حتى وان وارتفع عدد المشتركين فيها بسرعة إلى حوالى مئة ألف شخص. وقد فشلت قوات والي بغداد في قمعها الذي لم يتحقق للعثمانيين الا بمساعدة مباشرة من الإنكليز[3]. يقول المستشرق الدكتور ن. أ.

---

(1) راجع: V.A. Gardlevski, op. cit., Vol. III, p. 82

(2) يعتبر الدكتور لازاريف ذلك حادثة بارزة جديرة بالاهتمام

(M. S. lazarev, *The Kurdish Question*..., p. 32).

(3) لمعرفة المزيد عن الانتفاضة راجع كتاب ث. م. أفيريانوف الآنف الذكر وقد كرس لبحثها كل الفصل الخامس (ص 144 ـ 158)، راجع أيضاً:

= Халфин Н.А., *Борьба за Курдистан (Курдский вопрос в международных*

خالفين معلقاً على اشتراك العناصر غير الكردية في هذه الانتفاضة: «إن النضال المشترك للشعوب المضطهدة ضد الحكومة ساعد إلى حدٍ غير قليل في تقدم حركة يزدان شير»[1]. وتشير الوثيقة الموجودة في الملف التاسع والعشرين ضمن محفوظات «الأرشيف الأساسي 1 ـ 9» التابع لأرشيف سياسة روسيا الخارجية (مجموعة الأعوام 1880 ـ 1882) إلى أن عدة آلاف من المسلحين العرب عبروا عن كامل استعدادهم للاشتراك في الانتفاضة الكبيرة التي قادها الشيخ عبيدالله في بداية الثمانينيات من القرن الماضي، ومنهم من وصل إلى المنطقة فعلاً.[2]

ومن المؤشرات المهمة التي تعود إلى القرن التاسع عشر أيضاً، أن الجريدة الكردية الأولى «كردستان»، صدرت في القاهرة في 22 نيسان/ إبريل من العام 1898 وذلك بعد أن يئس المثقفون الأكراد من أن ينالوا موافقة السلطان عبدالحميد على اصدارها في اسطنبول[3]. كانت الجريدة تطبع في مطبعة «الهلال» وترسل أعداد كثيرة منها سراً إلى المناطق الكردية المختلفة

= *отношениях XIX века)*, Москва, 1963, стр 70-76.

ن. أ. خالفين، الصراع على كردستان (القضية الكردية في العلاقات الدولية خلال القرن التاسع عشر)، موسكو، 1963، ص 70 ـ 76 . ويمكن كذلك مراجعة الترجمة العربية لهذا الكتاب، ألتي أنجزها الدكتور أحمد عثمان أبوبكر ونشرها في بغداد في العام 1969.

(في الهوامش القادمة: ...N.A. Khalfin).

(1) راجع: N. A. Khalfin, op, cit., p. 73

(2) راجع:

Джалиле Джалил, *Восстание Курдов 1880 года* , Москва, 1966 , стр. 91.

الدكتور ج. جليل، انتفاضة الكرد في العام 1880، موسكو، 1966، ص 91.

(3) تحولت مصر آنذاك إلى ملجأ لعدد كبير من أحرار الترك والأرمن والكرد الذين نشطوا على نطاق واسع ضد حكم السلطان عبدالحميد.

عبر سوريا. لقد أثار اصدار «كردستان» في القاهرة الباب العالي الذي مارس الضغط على المسؤولين المصريين للحيلولة دون صدورها، مما يبدو واضحاً من مضمون الأعداد الخمسة الأولى من الجريدة نفسها.[1]

انتقلت مظاهر هذا التفاعل قبل الحرب العالمية الأولى، وبالتحديد في عهد «استيقاظ آسيا»، إلى مرحلة جديدة أهم وأشمل. ومن الشواهد التاريخية المبكرة التي تلقي بعض الضوء على هذه الحقيقة، يمكن ذكر الأحداث التي رافقت انتفاضة بشاري جتو[2] التي وقعت في منطقة سعرد قبل انتصار ثورة الاتحاديين بحوالى سنتين ونصف السنة. فبعد فشل القوات الكبيرة التي أرسلها الباب العالي بقيادة عزت باشا لقمع الانتفاضة، امتد لهيبها إلى منطقة دياربكر حيث انضم اليها ـ كما تشير إلى ذلك وثائق الأرشيف الحربي ـ التاريخي المركزي وأرشيف السياسة الخارجية الروسية ـ رجال بعض القبائل العربية. وعندما اضطر قائد الانتفاضة إلى الهرب تحت ضغط القوات العثمانية المتزايد وبعد معارك دامية، فإنه التجأ ـ حسبما أوردته بعض المصادر ـ إلى اليمن التي ترك نضال شعبها، وحسبما تؤكد الوثائق نفسها، تأثيراً ملموساً على الأكراد.

دخل نضال العرب بعد ثورة الاتحاديين مرحلة حاسمة، فعم الاستياء جميع أنحاء المشرق العربي وبلغ حد الانفجار الشديد في مناطق مختلفة منها، مما ترك تأثيراً مزدوجاً على الوضع في كردستان. فمن جهة حركت أصداؤه الجماهير الكردية أكثر من السابق، ومن جهة أخرى أدى تردي

---

(1) لعب ذلك دوره على ما يبدو في انتقال الجريدة بعد صدور عددها الخامس في 18 حزيران/ يونيو من العام 1898 إلى مدينة جنيف.

(2) كان بشاري من المتنفذين المعروفين في منطقة بدليس. عاد قبيل الحرب إلى منطقته دون أن يتخلى عن موقفة المعادي للعثمانيين.

الوضع في تلك الأصقاع إلى تخفيف ضغط العثمانيين على شعوب السلطنة الأخرى وفي مقدمتها الشعب الكردي. وتتوافر بالنسبة لهذين الموضوعين مجموعة كبيرة من الوثائق الديبلوماسية الدقيقة والمفصلة التي تلقي الضوء الكافي على مختلف جوانبهما[1]. فعندما تأزمت الأوضاع في العام 1910 في بدليس وماوالاها نتيجة لنشاطات الوطنيين هناك وقيامهم بدعاية واسعة ضد الاتحاديين وتأسيسهم لعدد من الجمعيات والنوادي، أراد الوالي الجديد اسماعيل حقي استخدام القوة لوضع حد لهذه النشاطات، ولكن سرعان ما جاءته تعليمات صريحة من اسطنبول تطلب منه عدم اثارة الأكراد «كي لا تظهر صعوبات جديدة أمام الحكومة في وقت لزم عليها بذل جهود كبيرة لقمع حركة العرب التحررية في اليمن وسوريا وفيما وراء الأردن» كما ورد في تقارير ديبلوماسية خاصة بعثتها السفارة الروسية في اسطنبول إلى وزارة الخارجية في بطرسبورغ. ويعلق الدكتور لازاريف على ذلك بقوله:

«لقد تطورت الحركة الكردية بعد ثورة الاتحاديين في تماس مع النضال التحرري لشعوب السلطنة العثمانية الأخرى، وفي مقدمتها الشعب العربي. ففي تلك الفترة حدثت انتفاضات عربية في اليمن والعراق وحوران وجبل الدروز (وكلاهما في سوريا)، كما اتخذ زعماء الحجاز ونجد والعسير والأصقاع الأخرى في شبه الجزيرة العربية موقفاً معادياً من الحكومة التركية».[2]

وحول الموضوع نفسه توجد بين أيدينا وثيقة مهمة للغاية تعود إلى الفترة

---

(1) الوثائق التي نشير اليها بهذا الصدد منشورة ضمن كتابي الدكتور م. س. لازاريف:
M. S. Lazarev, *The Kurdish Question...*, p. 113-114, 154-156, 397-398, 407-409,
M. S. Lazarev, *Kurdistan...*, p. 111-112, 148-150 .

(2) راجع: M. S. Lazarev, *Kurdistan...*, p. 148-149.

نفسها كتبها وكيل القنصل الروسي في بايزيد أكيموفيتش، ننقل فيما يلي نصها نظراً لدلالتها العميقة في اطار بحثنا حيث يقول بالحرف الواحد:

«بقدر ما استاء الترك من فشلهم في شبه الجزيرة العربية، ارتاح الكرد من ذلك الفشل. واذا ما تابع العرب صراعهم مع الأتراك بنجاح فإنه سيكون من المتوقع جداً انفجار انتفاضة في كردستان التي يسودها الهدوء حالياً. ويخشى الترك ذلك بدون شك لعلمهم بأن قمع الأكراد المسلحين حتى أسنانهم سوف يكلفهم ضحايا كبيرة».

وتشير وثيقة أخرى من المجموعة نفسها إلى أن «أكراد ولاية بدليس يتلقون بعطف كبير أخبار نجاحات الثوار في اليمن».

وحسب تعبير الدكتور لازاريف لم يقتصر هذا التفاعل على «عطف افلاطوني (مثالي ـ ك. م.) من جانب الكرد على (نضال ـ ك. م.) العرب»[1]. بل سرعان ما انتقل التأييد الكردي إلى طور الفعل والمساندة المباشرة في حدود الامكانات القليلة المتوافرة آنذاك. فحسب المعلومات الواردة في الوثائق الديبلوماسية نفسها، أقام عدد من الزعماء الكرد اتصالاً مباشراً مع الثوار اليمنيين، كما بوشر في مناطق كردية مختلفة بجمع الأموال لمساندة قضيتهم العادلة. حينذاك بدأ زعماء اليمن بإرسال ممثلين عنهم إلى كردستان حيث اتصلوا مباشرة ببعض المتنفذين في مناطق دياربكر وموش وخنس وغيرها. ثم وصل في بداية آذار/ مارس من العام 1911 الممثل الشخصي للإمام يحيى الذي عقد اجتماعاً خاصاً مع عدد من الرؤساء الكرد في مدينة موش، ولكن سرعان ما عرفت السلطات بالأمر وألقت القبض على المشتركين في هذا الاجتماع.

نظر الاتحاديون إلى هذه الأحداث كنذير شؤم فشددوا من مراقبتهم

---

(1) Ibid, p. 149.

للمعارضين في كردستان، كما بدأوا بملاحقة كل عربي يصل إلى هناك، ولاسيما وأنهم ربطوا بوادر التحرك الجديد في مناطق درسيم وأرزنجان وغيرها بالواقع الذي تركته الأحداث العربية هناك. وبتأثير من هذه الأخيرة، مع أحداث أخرى مشابهة، اضطر المسؤولون لأن يتبنوا في الوقت نفسه سياسة التودد مع عدد من الزعماء الأكراد، وهو ما استحق ملاحظة دقيقة من جانب وكيل القنصل الروسي في ورمى غلوبينوف الذي ذكر في تقرير له:

«لولا انشغال الترك بالانتفاضات القائمة في شبه الجزيرة العربية ومقدونيا وبالاضطرابات الداخلية، لأصبح التغلب على الأكراد أسهل بالنسبة لهم مما هو عليه الأمر الآن، حيث يضطرون إلى مداهنة البكوات الكرد بواسطة الهدايا التي لا تحقق أهدافها دائماً».

لا شك في أن هذه الأحداث شكلت لبنة جديدة في صرح العلاقات التاريخية القائمة بين الشعبين العربي والكردي، ولا تخلو وقائع الحرب نفسها من نماذج أخرى مشابهة لتلك التي أوردناها في هذا الفصل.

تعطي الحقائق الواردة ضمن هذا الفصل إمكانية التوصل إلى الاستنتاج الأخير وهو أن الإطار العام للوضع في كردستان ما قبل الحرب وقبلها كان يحدد الاستياء غير المحدود والسخط البالغ اللذين عما السكان، وانتشار الشعور القومي بينهم. ولو لم تندلع نار الحرب العالمية الأولى، لربما باتت المناطق الكردية بلقاناً جديداً[1] للدولة العثمانية. وقد أحس المسؤولون

(1) كانت بلاد منطقة البلقان تشكل، كما هو معروف، جزءاً من السلطنة العثمانية، ولكن اتساع الشعور القومي بين شعوب هذه المنطقة، والسياسة الشوفينية التي انتهجها الاتحاديون إزاءها تسببا في اندلاع سلسلة من الانتفاضات والثورات فيها. ونتيجة لذلك فقد استطاعت هذه الشعوب أن تحرر نفسها الواحدة تلو الأخرى من السيطرة العثمانية.

وقد تركت انتصاراتها آثاراً واضحة على الوضع الفكري بين العرب والأرمن وإلى =

الاتحاديون، كما لاحظنا، بهذه الحقيقة وبدأوا يخشون أن تفلت المنطقة من أيديهم، لذلك فقد درسوا الموضوع عدة مرات، حتى إن جمعية «الاتحاد والترقي» عقدت اجتماعاً خاصاً في الرابع من نيسان/ إبريل من العام 1914، أي قبل الحرب مباشرة لدراسة سياستها إزاء الأكراد، وقد اعترف مدحت شكري باشا في الاجتماع ببعض الجوانب الخاطئة لتلك السياسة. لكن ذلك لم يؤد إلى إجراء أي تغيير ملموس في سياستهم التي كانت تشكل جزءاً من خط عام مبني على أساس فكري خاطئ. ومما زاد من تعقد الوضع أكثر أن الإنكليز من جهة والروس من جهة أخرى تمكنوا من كسب عدد غير قليل من رؤساء العشائر الكردية في السلطنة العثمانية وفي إيران إلى جانبهم، مما انعكس بأشكال مختلفة على أحداث الحرب العالمية الأولى في المنطقة. وفي كل الأحوال استطاع المسؤولون العثمانيون أيضاً أن يحولوا، باسم الدين، جانباً كبيراً من قوة الأكراد وطاقاتهم إلى سلاح من الأسلحة التي استخدموها في ميادين القتال الضاربة خلال الحرب. كتب نيكيتين بهذا الصدد يقول:

«استطاعت دعوة الجهاد التي برقعت مرة أخرى بغطاء الإسلام، أن تسوّق قوة الكرد القتالية في نهج لم يكن ينسجم بحال من الأحوال مع المصالح الوطنية لذلك الشعب»[1].

وواضح أن أحداث الحرب المرعبة زادت من سوء عواقب هذا الأمر، فقد وقعت كردستان وسط لهيب النار في ميادين الحرب العالمية الأولى في الشرق الأوسط، وهو ما سنتطرق اليه في الفصل القادم.

= حدٍ أقل بين الأكراد أيضاً. وبالنسبة للأكراد يمكن الاستدلال ببعض الوثائق التي تعود إلى ذلك الوقت وبمضامين العديد من المقالات التي نشرتها جريدة «كردستان» في أعدادها الصادرة خلال الفترة من العام 1898 حتى العام 1902.

(1) راجع: B. Nikitine, *Les Kurdes. Étude Sociologique et Historique*, Paris, 1956, p.195

الفصل الثالث

في أتون الحرب

قبل الخوض في محاولة تحديد موقع الشعب الكردي في أحداث الحرب العالمية الأولى، ومن أجل إعطاء الموضوع حقه ضمن إطار أشمل، من الضروري تقديم لوحة عامة عن الظروف التي دفعت بالسلطنة العثمانية إلى أتون الحرب في جبهة واحدة مع ألمانيا وإلقاء الضوء على الخطط التي وضعتها من أجل تحقيق الأهداف الكبيرة ضمن حساباتها التي ظهر عدم دقتها مع الأحداث السريعة التي تتابعت منذ الأشهر الأولى للحرب.

هيأ تحقيق الوحدة الألمانية في القرن الماضي الظروف اللازمة لحدوث تطور اقتصادي عارم في البلاد. فحتى بداية سبعينات القرن التاسع عشر كانت ألمانيا تشكل دولة زراعية بالأساس، وآنذاك فقط بدأت صناعتها الثقيلة تخطو أولى خطواتها نحو الأمام لتتحول إلى انطلاقة خارقة قبل أن يحل العقد الأخير من القرن نفسه. ومع مطلع القرن العشرين أصبحت ألمانيا تحتل المكانة الأولى في القارة الأوروبية كلها من حيث التطور الصناعي وسبقت أكبر الدول الرأسمالية وأقواها في مجالات إنتاجية مهمة.

فقد بلغ انتاجها من الحديد ـ عصب الصناعة الثقيلة 4,9 مليون طن في العام 1892 مقابل 6,9 مليون طن أنتجتها انكلترا في العام نفسه، وفي العام 1912 ارتفع انتاج ألمانيا إلى 17,6 مليون طن بينما ارتفع انتاج انكلترا إلى 9 ملايين طن فقط.

ومن مؤشرات سرعة التطور الصناعي الرأسمالي الألماني، التوجه

نحو الاحتكار في ألمانيا قبل جميع البلدان الأوروبية الأخرى، بما فيها تلك التي ظهرت فيها العلاقات الرأسمالية وشهدت الثورة الصناعية قبلها بفترة غير قصيرة. وهكذا ظهر في ألمانيا منذ أواخر القرن الماضي «ملوك غير متوجين» من أمثال كروب والاخوة ماينزمان وغيرهم الذين سيطروا على القسم الأعظم من الانتاج الصناعي الثقيل وحقول المعادن والسكك فبلغت أرباحهم الصافية في العام 1913 حوالى 15 مليار مارك[1]، وهو مبلغ خيالي من حيث القوة الشرائية يومذاك ومن حيث المقارنة مع واقع «الزملاء» في أكثر الأقطار الأوروبية تقدماً. وقد نزل الرأسماليون الألمان إلى الميدان الخارجي في وقت متأخر بالمقارنة مع الرأسماليين الفرنسيين والإنكليز بشكل خاص الذين تمكنوا من ايجاد مواقع حصينة لمصالحهم كان يستحيل لرأس المال الألماني اختراقها لولا القاعدة القوية التي منحتهم إمكانية التنافس. ورغم جميع الصعوبات ازداد رأس المال الألماني المستغل في الخارج بمقدار ثلاث مرات ونصف المرة خلال فترة زمنية قياسية لم تبلغ العقد ونصف العقد (من العام 1902 حتى العام 1914)، وأصبح يشكل حوالى نصف مجموع رأس المال الإنكليزي المستغل في الخارج بعد أن كان يشكل خمسه فقط في العام 1902، وصار يشكل أكثر من ثلثي رأس المال الفرنسي المستغل بعد أن كان أقل منه بمرتين في العام نفسه[2]. وحقق الألمان نجاحات مشهودة في المجال التجاري أيضاً بحيث غدت تجارتهم الخارجية تحتل نسبة 13% في الميزان التجاري العالمي.

---

(1) راجع: ب. أ. آيزن، ألمانيا- تاريخ العالم، الجزء السابع، موسكو، 1960، ص 404 (في الهوامش القادمة: ...B. A. Izen).

Айзин Б.А. , *Германия*, - *Всемирная история*, T У II , Москва, 1960 , стр. 404.

(2) احتسبت هذه النسب بالاستناد إلى الأرقام الواردة في البحث المشار اليه في الهامش الأول.

ومع عظم هذه النجاحات، فقد كان بمستطاع الألمان تحقيق نجاحات أعظم بكثير مما حققوه خلال فترة قصيرة من الزمن، لولا حقيقة أنهم كانوا يصطدمون في كل مكان تقريباً بمقاومة شديدة من جانب الرأسماليين «الرواد»، فلم تكن أيديهم مطلقة مثل هؤلاء في استغلال أغنى الأصقاع الأفريقية والآسيوية والأميركية اللاتينية، ذلك لأن «حصة» ألمانيا من المستعمرات كانت تشكل في العام 1914 حوالى 2,9 مليون كيلومتر مربع، وهي أقل بـ 3,5 مرة من مساحة المستعمرات الفرنسية (10,6 مليون كم2) وبـ11.5 مرة عن مساحة المستعمرات الإنكليزية (33,5 مليون كم2). وهذا يعني ـ في ضوء ما سبق ـ أن تناسب القوى على صعيد الدول الرأسمالية، وفي إطار تنافسها فيما بينها قد اختل بشكل خطير بلغ حداً لم يكن هناك مجال للتنفيس عنه إلّا في إعادة تقسيم الأسواق عن طريق الحرب، فألمانيا القوية كانت تريد حصة تتناسب مع طاقاتها الجديدة، بينما لم تكن الدول الكبرى الأخرى، بما فيها روسيا القيصرية ـ الحلقة الرأسمالية الضعيفة والغنية ـ ، على استعداد للتنازل لها عن «قلامة ظفر» بالوسائل «السلمية» المعهودة، فكان لا بد إذاً من اللجوء إلى القوة بقصد إرغامها على ذلك. وهذا ما كان يتطلب تكريس جهود كبيرة تضمن نجاحه، فتوجهت السلطة والاحتكارات نحو إعداد عسكري لم تشهد له القارة مثيلاً فخلال أقل من أربعة عقود تضاعفت المخصصات العسكرية في الميزانية الألمانية خمس مرات بحيث إنها غدت تشكل في العام 1914 أكثر من ملياري مارك، أي نصف مجموع ميزانية الدولة التي اكتشفت فجأة «أن الطريق من برلين إلى أوديسا أقرب من طريق برلين ـ اسطنبول، وإنه عبر وارسو وكييف وروستوف على الدون، ومن خلال جبال القفقاس وتبليس

وتبريز يمتد خط حديدي مستقيم يفضي إلى الخليج فالهند»[1]، يستحق احتواؤه مع غيره مثل تلك الميزانية الضخمة.

كان لا بد من صياغة فكرية لوضع هذه الطموحات الواسعة داخل إطارها بشكل يهيئ الشعب الألماني لتقديم الضحايا الجسيمة التي باتت تنتظره، فظهرت جمعيات كثيرة تروج للحرب وللأفكار الشوفينية وتؤكد على «رسالة الشعب الألماني الحضارية» و «طاقاته الخلاقة التي تفوق طاقات غيره من الشعوب»[2].

وهكذا لم يبق سوى سماع دوي طلقة سراييفو المعروفة[3] حتى يدب «الحزن» العميق في قلب كل احتكاري ومسؤول ألماني كبير وأنصارهم الذين عقدوا النية على الانتقام للدم الطاهر المراق مع أن الذين فجعوا حقاً بفقدان ولي العهد النمساوي لم يكونوا «سوى أولاد القتيل» كما جاء في احدى

---

(1) مقتبس من كلام شتروب، أحد المتحمسين للتوسع الألماني آنذاك، حيث كتب يقول: «أنظروا إلى الخارطة لتروا أن الطريق من برلين إلى أوديسا... إلخ»، مقتبس من:
أ. يروسليمسكي، الاستعمار الألماني: الماضي والحاضر، موسكو، 1964، ص 203.
(في الهوامش القادمة: ...A. Eroslemsky).

Ерусалимский А., *Германский империализм : история и современность*, Москва, 1964 , стр. 203.

(2) راجع: B. A. Izen, op. cit, p. 411.

(3) أطلق أحد الوطنيين من الصرب النار على ولي العهد النمساوي في بلدة سراييفو اليوغوسلافية فأرداه قتيلاً في 28 حزيران/ يونيو 1914، وقد أتخذ الألمان وحلفاؤهم ذلك ذريعة لاعلان الحرب فلم يمر على الحادث أكثر من شهر واحد حتى بدأت العمليات الحربية على الحدود بين النمسا والصرب. ومن هنا جرت العادة باعتبار تلك الطلقة بداية للحرب العالمية الأولى.

الصحف الغربية[1]. ومع ذلك فقد أشعلت شمعة سرايفو الصغيرة حريقاً لم ير تاريخ الإنسان مثيلاً له حتى ذلك اليوم، ولاسيما وأن الجانب المقابل لم يكن أقل استعداداً لمواجهة الإنفجار الألماني المتوقع في كل لحظة. وسرعان ما تحولت العمليات الحربية التي بدأت في تموز/ يوليو من العام 1914 على الحدود بين النمسا والصرب إلى حرب شاملة اشتركت فيها إلى جانب معظم الدول الأوروبية كل من اليابان والسلطنة العثمانية وأخيراً الولايات المتحدة الأميركية.

ولاشتراك الامبراطورية العثمانية في الحرب العالمية الأولى تاريخ متشابك يعكس في واقعه الطموحات الواسعة جداً لفئة بورجوازية جد هزيلة وغير متجانسة لم تستطع في خضم الصراع الدولي الحاد والمشاكل الداخلية المتفاقمة التي تسببت بها، أنْ تتبنى سياسة صحيحة وواضحة. فالاتحاديون ساروا وراء سراب كان يعكس لهم صور الماضي البعيد بشكل غير واقعي. إن الحفاظ على السلطنة وخلق نفوذ قوي في العالم الاسلامي ووضع حد للتغلغل الأجنبي كان يتطلب الاعتماد أولاً على الجماهير التركية وغير التركية، والابتعاد ثانياً عن الدول الاستعمارية[2]، إلاّ أن ذلك كان فوق طاقة الاتحاديين وفهمهم. لذا نرى أصحاب الأحلام الكبيرة يتخبطون في خطط سياسية متناقضة ويلجأون إلى إجراءات متضاربة لايتصورها العقل السياسي السليم. وبوسع أمثلة قليلة إعطاء صورة واضحة عن هذا الواقع المتضارب.

---

(1) مقتبس من: A. Eroslemskey, op.cit., p. 201.

(2) يعتبر البعض ذلك بمثابة «أسطورة»، إلاّ أنهم ينسون أو ربما يتناسون أن مصطفى كمال أتاتورك تمكن من تحقيق تلك «الأسطورة» بالاعتماد على الجماهير في مواجهة الدول الاستعمارية في ظروف دولية معقدة للغاية، بينما جعل التناسب الجديد الذي نجم عن انفجار الحرب بين أكبر الدول وأقواها الظروف موأتية بالنسبة للاتحاديين في حينه دون أن يتمكنوا من إستغلالها كما يجب.

فمثلاً عندما اندلعت الحرب كانت بعثة ليمان فون ساندرس الألمانية تشرف على القوات البرية العثمانية، بينما كانت بعثة ليمثوس الإنكليزية تشرف على القوات البحرية. وبعد طلقات سراييفو بالذات كان الاتحاديون يتوددون إلى فرنسا ويحاولون التقرب منها. ففي أواسط تموز/ يوليو قام وزير البحرية جمال باشا بزيارة رسمية إلى فرنسا لحضور المناورات العسكرية لأكبر جيشٍ معادٍ لألمانيا وأقربه. واقترح الوزير العثماني اثناء وجوده في باريس على كبار المسؤولين الفرنسيين انضمام بلاده إلى جانب الحلفاء شريطة إعادة الجزر الواقعة في بحر ايجة إليها وضمان عدم تدخل روسيا في شؤونها. وقبله بفترة قصيرة حصل مسؤول عثماني آخر على موافقة فرنسا على منح الباب العالي قرضاً بمبلغ 800 مليون فرنك وبشرط واحد هو «عدم صرفه على أعمال معادية موجهة ضد الجيران»[1]، أي ضد روسيا. هذه الوقائع إلى جانب القروض الكبيرة والعلاقات الاقتصادية المتينة، خلقت لدى الحلفاء قناعة تامة بأنه لا يمكن للدولة العثمانية الانضمام إلى الجبهة المعادية لهم، لذا فإنهم لم يروا أي داعٍ لممارسة الضغط على الباب العالي كي لا يتخذ مثل ذلك الإجراء الذي لم يتوقعوه أصلاً، ولاسيما وأنهم كانوا يعلمون بوجود جناحٍ كبير بين الاتحاديين يؤكد على ضرورة التروي إزاء الأحداث العالمية المتوترة آنذاك.

كانت دوافع أفراد هذا الجناح الأخير متباينة. فكان قسم كبير منهم يميلون إلى الاشتراك في الحرب يحدوهم في ذلك تحقيق أهداف الجناح المتحمس لمثل ذلك الاشتراك، نفسها. إلّا أنهم كانوا يقدرون واقع البلاد وطاقاتها بشكل أصح، حتى إن الهلع انتاب السلطان عندما عرف عن طريق

---

(1) للتفصيل راجع:

A. F. Miller, op. cit., p. 26- 27:

G. Z. Aliev, op. cit., p. 260 .

غيره أن بلاده مقدمة على الصدام المباشر مع روسيا، فصرح قائلاً: «إن جثث قتلاها تكفي لسحقنا».[1] وظل معظم الوزراء يعارضون لوقت طويل تورط السلطنة المباشر في الحرب، بحيث إن الجنرال الألماني ليمان فون ساندرس بدأ في وقت ما يشك في إمكانية اقناع الباب العالي لخوض الحرب إلى جانب بلاده عندما تدعو الحاجة إلى ذلك.

رغم كل ذلك كان الجناح الاتحادي الموالي لألمانيا أقوى نفوذاً وأكثر نشاطاً، وكان يقف على رأسه المغامر الكبير والشخصية المتنفذة وقائد انقلاب 23 كانون الثاني/ يناير من العام 1913 أنور باشا الذي عرف بعلاقاته الوثيقة جداً مع الأوساط الحاكمة والمالية الألمانية منذ أن كان ملحقاً عسكرياً لبلاده في برلين خلال الأعوام 1909 ـ 1911، حتى إن بعض المؤرخين يؤكدون أنه تحوّل منذ ذلك الوقت إلى عميل ألماني[2]. كان أنور باشا يعتقد أن بإمكان الاتحاديين تحقيق أهدافهم في ضمان بقاء السلطنة واستعادة مجدها الغابر وسطوتها السابقة التي فقدتها على مدى القرنين الماضيين، عن طريق الحرب وبمساعدة ألمانيا، وكان يشاركه الرأي الزعيمان المتنفذان الآخران طلعت باشا و جمال باشا، وإن كان الأخير لا يميل كثيراً إلى الألمان.

قد يبدو هذا التناقض الكبير في الرأي وهذا الاختلاف الكلي في التوجه نحو المعسكرين المتنافسين أمراً وارداً في خضم صراع استعماري حاد توقفت على نتائجه مصائر قضايا عالمية كثيرة، ولاسيما وأن دولاً أخرى أوروبية لعبت أدواراً مشابهة آنذاك جاءت في توافق مطلق مع طبيعة الحرب الدائرة

---

(1) مقتبس من: A.D. Novichev, *Turkey...*, p130.

(2) منهم المتخصص في تاريخ تركيا الحديث والمعاصر البروفيسور أ. ف. ميللر الذي توافر له الإطلاع على وثائق سرية كثيرة ومختلفة (راجع ص 22 من كتابه المذكور آنفاً).

كأول حرب استعمارية عالمية من أجل اعادة تقسيم مناطق النفوذ. وبإمكان الموقف الذي اتخذته ايطاليا إزاء المعسكرين المتنازعين تقديم صورة معبِّرة عن هذا الواقع. لقد اعتبرت ايطاليا الحرب الدائرة ـ وكما كانت في الواقع ـ سوقاً يمكن الدخول اليها من أوسع أبواب التعامل التجاري الحربي وتحديد الموقف في ضوء الربح النهائي المتوقع، وهي اتصلت لهذا الغرض بالذات بالجهتين المتحاربتين في وقت واحد وتفاوضت معهما على مدى أشهر لتحديد مسألة مكتسباتها من اشتراكها إلى جانب أي منها، وكما اعترف رئيس الوزراء البريطاني أثناء الحرب لويد جورج فقد «كان لدى الحلفاء امكانات عرض شروط أفضل، فقررت الحكومة الايطالية ربط مصيرها بهم»[1]. صحيح أن العديد من الحكام العثمانيين كانوا ينظرون إلى الأمر بنفس منظار أورلاندو الايطالي، إلّا أن وضعهم كان يختلف عن وضعه من الأساس، وكان يرتبط ـ مثلما ذكرنا ـ بواقعهم الفكري الذي كان يفصله بون شاسع عن واقعهم المادي، لذا لم يعتمد تقرير قضايا مصيرية كثيرة عليهم هم، بل كانت تحركها أحداث أكبر وأيادٍ أقوى من وراء كواليس خفية. وتعتبر الأحداث السريعة التي وقعت خلال الأسابيع الأولى للحرب نفسها والتي أدت إلى الاشتراك المباشر للسلطنة العثمانية في الحرب دليلاً لا يدحض على ذلك.

رغم تحمس وزير الحربية أنور باشا وأنصاره، ورغم من نشاطاتهم الواسعة في مختلف الميادين وعلى شتى الأصعدة، لم تعلن الدولة العثمانية الحرب خلال الأسابيع الأولى من وقوعها، ذلك لأن مصالح الألمان كانت تستوجب آنذاك تبني سياسة ترمي إلى ضمان الكسب النهائي للسلطنة العثمانية إلى جانبهم لاستغلالها عند الحاجة حسبما يشاؤون هم لا كما

(1) Lloyd George, *The truth...*, Vol. I, p.27.

تشاء هي. وقد جرى تنفيذ دقيق وناجح للخطة الألمانية بهذا الاتجاه. فبما أن ألمانيا لم تر من صالح خططها الاستراتيجية الأولى فتح جبهة في الشرق الأوسط يمكن أن تتحول إلى عبء ثقيل عليها[1] أو إلى «جرح في استراتيجية الوفاق الثلاثي» حسب تعبير السفير الألماني في اسطنبول[2]، في وقت ارتأت التركيز على الجبهتين الأوروبيتين ـ الغربية والشرقية، فقد أصبح لزاماً على الحكام العثمانيين أن يكونوا حلفاء حقيقيين للألمان سراً ومحايدين بالنسبة للجميع علناً. وعلى هذا الأساس تم في الثاني من آب/ أغسطس من العام 1914 التوقيع على معاهدة تحالف سرية بين الرايخشتاغ والباب العالي لم يطلع على مضمونها قبل التوقيع سوى الصدر الأعظم سعيد حليم وأنور مع طلعت باشا.[3] والأغرب من ذلك أن اسطنبول أعلنت بعد أقل من 24 ساعة[4] حياد السلطنة العثمانية في الحرب الدائرة، ولم يكن هناك ما يدعو الحلفاء إلى عدم تصديقها ولاسيما وأنهم لم يكونوا على بيّنة من أمر المعاهدة العثمانية ـ الألمانية السرية التي لم تكن قد أودعت خزائن وزارتي الخارجية في اسطنبول وبرلين بعد، مع أن حبرها كان قد جف. وأغلب الظن أن نص المعاهدة السرية مع قرار الحياد العثماني العلني وصلا برلين في وقت واحد. وقد دفع هذا

(1) كان المسؤولون الألمان على بينة من الوضع العسكري المتحلل للسلطنة العثمانية، ولاسيما وإن بعثتهم العسكرية بقيادة الجنرال ليمان فون ساندرس كانت تشرف منذ العام 1913 على تنظيم الجيش العثماني.

(2) مقتبس من: A.S. Avetian, op. cit., p.119.

(3) لم يطلع عليها لا السلطان ولا حتى القطب الثالث في الحكم جمال باشا إلاّ بعد التوقيع عليها. عن المعاهدة راجع: A.S. Avetian, op. cit., p.120-121.

(4) نقول أقل من 24 ساعة على أساس أن التوقيع على معاهدة التحالف الألمانية ـ العثمانية السرية قد تم في الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الثاني من آب/ أغسطس من العام 1914.

الأخير الدول المتحالفة إلى أن تعلن أنها هي الأخرى لن تنتهك حرمة أراضي الدولة العثمانية ما دامت هي تحافظ على حيادها.

ولكن لم تمض سوى فترة وجيزة للغاية، حتى انقلبت الحسابات الألمانية وانقلب معها الموقف العثماني من الحرب. فقبل كل شيء كانت ألمانيا تتوقع أن تقف إنكلترا على الحياد، لكنها أعلنت الحرب ضدها في اليوم الرابع من آب/ أغسطس، أي بعد يوم واحد على اعلان ألمانيا الحرب ضد فرنسا. والأسوأ من ذلك هو الاندحار غير المتوقع الذي اصطدم به الألمان في الأسابيع الأولى من الحرب. فإثر توغل الجيوش الألمانية في فرنسا بعد اختراقها السريع لأراضي بلجيكا ولوكسمبورغ المحايدتين بدأت معارك حاسمة في المنطقة المتمدة بين العاصمة باريس ومدينة فردان القريبة من الحدود الألمانية حيث كانت الحرب سجالاً بين مليوني عسكري ألماني وفرنسي وانكليزي من الخامس حتى التاسع من أيلول/ سبتمبر[1] وتمكن الحلفاء خلالها من وقف الزحف الألماني بنجاح فيما كان من المقرر له بموجب حسابات القيادة الألمانية أن يحسم نتيجة الحرب لصالح الألمان بسرعة، وشكل وقف هذا الزحف بداية الفشل الألماني. وقد بلغت آثار هذا الفشل حد أن رئيس هيئة الأركان الألمانية العامة الجنرال مولتكه[2] اضطر للاستقالة من منصبه في 14 أيلول/ سبتمبر.

ومن جانب آخر توغلت القوات الروسية بنجاح في بروسيا الشرقية واستطاعت احتلال مناطق حساسة من غاليسيا. فاضطرت القيادة الألمانية تبعاً لذلك إلى تغيير موقفها من الاشتراك المباشر للقوات العثمانية في الحرب، ذلك لأنها أصبحت بأمس الحاجة إلى أي شيء يخفف عنها الضغط في

(1) دخلت التاريخ باسم «موقعة مارن» نسبة إلى نهر مارن وهو من فروع نهر السين.

(2) من أقرباء الفيلد مارشال مولتكه الذي ورد اسمه في الفصل الأول من هذا الكتاب.

ميادين القتال الأوروبية. كتب جمال باشا فيما بعد بهذا الصدد يقول: «كانت ألمانيا توافق (في البداية ـ ك.م.) على أن نبقى محايدين إلى أن نستكمل تعبئة جيشنا... ولكن بعد أن انتقلت القوات الألمانية بعد موقعة مارن[1] من الهجوم إلى الدفاع وبعد أن تقدم الجيش الروسي بنجاح في بروسيا الشرقية واحتل قسماً كبيراً من غاليسيا، تغير موقف حليفتنا ألمانيا إلى حد ما وبدأت تلح بإصرار على اشتراكنا في الحرب بغية جذب القوات الروسية نحو القفقاس ولإجبار الإنكليز على الاحتفاظ بجيش كبير في مصر».[2]

هكذا بدأت السلطنة العثمانية أخيراً تخوض غمار الحرب بشكل مباشر في أوائل تشرين الثاني/ نوفمبر من العام 1914 لتصبح الحليفة الأساسية الثالثة في الجبهة الألمانية ـ النمساوية. ولم ينتصف شهر تشرين الثاني حتى أعلنت جميع الدول المتحاربة في جبهة الحلفاء الحرب ضد السلطنة العثمانية الواحدة تلو الأخرى.

كان الاتحاديون قد بدأوا بتحضير أنفسهم لمثل هذا اليوم قبل أن تبدأ الحرب بفترة غير قصيرة. وقد سبق أن تطرقنا إلى جوانب معينة من هذا الموضوع في حدود علاقته بالأكراد آنذاك. واستكمالاً للموضوع وتمهيداً لتوضيح الأحداث التي وقعت فيما بعد، نلخص هنا أهم جوانب استعداد الدولة العثمانية للحرب. فمنذ العام 1910 بدأ، لأول مرة، تجنيد المواطنين غير المسلمين في الجيش وبوشر برفع ميزانية وزارة الحربية بحيث أصبحت تشكل مع حصة وزارتي البحرية والداخلية حوالى 45 % من مجموع ميزانية الدولة الفعلية للعام 1914 وارتفعت في سنوات الحرب أكثر لتشكل 75 %

(1) راجع: الهامش1، ص 142.

(2) مقتبس من: A. F. Miller, op. cit., p. 41-42.

منها.[1] وفي بداية الحرب دعي 650 ألف شاب إلى الخدمة العسكرية، ولكن هذا الرقم ارتفع في سنوات الحرب نفسها إلى أربعة ملايين شخص.[2] وجرى في الوقت نفسه تجهيز قطعات الجيش العثماني بأسلحة ألمانية جديدة.

لعبت ألمانيا، كما كان متوقعاً، دوراً أساسياً في الاستعدادات والخطط العسكرية العثمانية. فما إن بدأت الحرب وتم عقد المعاهدة السرية بين الطرفين حتى بوشر بإرسال كميات كبيرة من الأسلحة الألمانية إلى تركيا بطرق مختلفة. فخلال أقل من شهر واحد بعد التوقيع على المعاهدة المذكورة تم إرسال مئتي قاطرة محمّلة بأنواع الأسلحة والمتفجرات إلى الأراضي العثمانية. وتوجهت في الوقت نفسه أعداد كبيرة من العسكريين والبحارة والفنيين الألمان إلى اسطنبول بلغ عددهم حتى أواخر أيلول/ سبتمبر خمسة آلاف شخص تغلغلوا في مختلف المرافق العسكرية الحساسة حتى أصبح من المألوف أن تلتقي بضابط ألماني على ظهر كل سفينة عثمانية[3]. وقامت برلين أيضاً بمنح الباب العالي قرضاً جديداً مقداره 100 مليون فرنك.[4]

من جانب آخر التزم الألمان بتعهدات كثيرة كانوا يبغون منها ضرب مصالح الدول الرأسمالية الأخرى في السلطنة العثمانية وربط مصيرها بمصير بلادهم كلياً. فبعد التوقيع على معاهدة التحالف السرية بين الطرفين أرسل السفير الألماني لدى الباب العالي رسالة إلى الصدر الأعظم احتوت على وعود كثيرة منها أن ألمانيا «ستساعد تركيا على إلغاء نظام الامتيازات» وفي

---

(1) راجع: G. Z . Aliev, op. cit., p. 255, 258.

(2) راجع: A.D. Novichev, *Turkey...*, p. 130.

(3) هذه الأرقام مقتبسة من الوثائق الرسمية. راجع:

A. S. Avetian, op, cit., p. 128, 134

(4) راجع: A. F. Miller, op. cit., p. 43.

العمل من أجل «اعادة الجزر الواقعة في بحر إيجه» اليها «في حالة اشتراك اليونان في الحرب» إلى جانب الحلفاء، ومن أجل «تغيير الحدود الشرقية لتركيا بشكل يمكنها من الاحتكاك المباشر بالعناصر المسلمة في روسيا» وأخيراً تعهدت ألمانيا بأن لا تعقد صلحاً منفرداً «إلّا بعد أن يتم تحرير جميع أراضي السلطنة العثمانية من الجيوش المعادية»[1]. ولكن حتى في سنوات الحرب كانت جهود ألمانيا موجهة في الواقع إلى تحويل السلطنة العثمانية إلى شبه مستعمرة تابعة لها. وبهذا الصدد يقول ج. بوميانوفسكي الملحق العسكري النمساوي في اسطنبول آنذاك:

«إن كل ما رأيت وسمعت كان يدل على أن الألمان يحاولون السيطرة على الأراضي التركية (يقصد العثمانية ـ ك. م.) بالتدريج ام على شكل محمية أو عن طريق معاهدة سياسية وكان لديهم أكثر من ذلك خطط مختلفة بعيدة المدى بالنسبة للمناطق الآسيوية الداخلية وحتى الهند اذا أمكن»[2].

ظل القادة الاتحاديون، مع ذلك، يسبحون كالسابق في عالم الخيال ويضعون الخطط الطموحة فوق الرمال. فحسب تصورات أنور باشا المثالية غدا كل شيء في متناول اليد، لذا تراه، وقد اصبح نائباً للقائد الاعلى[3]، يضع مع أقرب أعوانه خطة عسكرية واسعة لم تتناسب لا مع واقع طاقات السلطنة ولا مع واقع تناسب التطورات على صعيد المنطقة والعالم . فقد كان من المقرر حسب خطة انور باشا[4] أن تتقدم القوات العثمانية باتجاهين احدهما نحو القفقاس ضد الروس والآخر نحو قناة السويس ومصر ضد الإنكليز وبما

(1) راجع: A. S. Avetian, op. cit., p. 121-122.

(2) Ibid, p.78, 129.

(3) تمسكاً بالتقاليد الموروثة ظل السلطان يشغل اسمياً منصب القائد الاعلى للجيش.

(4) الغريب في الأمر أن الالمان المعروفين بحنكتهم العسكرية وباطلاعهم على وضع الجيش العثماني عن قرب، ساهموا في وضع هذه الخطة.

أن واضعي الخطة كانوا على ثقة تامة من سحق العدوين خلال فترة قصيرة فإنهم جعلوا خطواتهم التالية بشكل تؤدي إلى نشر العمليات العسكرية في أرجاء العالم الإسلامي كله(!) دون تأخير. فمن شأن الجهاد حسب تصور أنور وزملائه - ضمان انضمام ايران وافغانستان إلى جانب الجيوش العثمانية التي تكون قد حققت - فوق الخارطة العسكرية طبعاً الانتصار الحاسم على الإنكليز والروس في الجبهتين المذكورتين. وبعد إعلان الدولتين المسلمتين الحرب ضد الحلفاء تتجمع جيوشهما الجرارة مع القوات العثمانية في إيران لتخترق من هناك الممرات الجبلية في شمالي غربي افغانستان فتصل إلى الهند مظفرة حيث يلتحق بها في الحال شبه القارة الهندية. ولا تقل الانتصارات في الجناح الغربي عظمة وسرعة عن هذه بكل تأكيد. فبعد انتهاء مهمة القوات العثمانية في القناة ونشر راية السلطان الخفاقة لترفرف عالياً فوق كل شبر من وادي النيل، وربما بعد استراحة قصيرة، تتوجه هذه القوات إلى ليبيا ينضم اليها السنوسيون في الحال والى السودان التي يستقبلها أهلها بنفس الحماسة ومن ثم يتوجه الجميع (لإنقاذ) سكان المستعمرات الافريقية كافة من نير الحلفاء، ولا تقل القوات العاملة في جبهة القفقاس همة دون شك، فإنها تتقدم لأداء مهماتها بنفس السرعة وربما بأكثر منها، فمن المقرر لها أن تقوم بسيطرة خاطفة على القفقاس كله لتتوجه القوات المنتصرة بعد ذلك إلى اذربيجان الايرانية فتتم محاصرة بحر قزوين من جميع أطرافه بشكل محكم مما يسهل - حسب الخطة طبعاً - الوصول إلى مناطق سكن التتر المسلمين والى سائر أنحاء آسيا الوسطى.

هذه هي الخطة التي حدد الخبير العسكري التركي العقيد فؤاد بيك الدرجة التي تستحقها في (المدرسة العسكرية التابعة للقيادة العامة) بـ(الصفر

من المئة) فقط[1]، بينما كانت تستحق في نظر أنور باشا والمقربين والمتزلفين درجة تفوق المئة من المئة (!) حتماً، لذا نراه قد اختار لنفسه مهمة قيادة القوات المتوجهة نحو القفقاس واختار لزميله جمال باشا (مهمة نابوليون بونابرت) التي لم يشك هذا لحظة واحدة في إمكانية تحقيقها الموفق، لذا نراه يعلن على رؤوس الاشهاد وبكل اعتزاز وغرور يوم توديعه في محطة القطار انه (سوف يعود بحراً من طريق الاسكندرية)[2] ولا نعلم هل أكد الباشا عهده الرفيع بأغلظ الإيمان أم لم ير موجباً لذلك أصلاً. مهما يكن من أمر فإن اللقب الوحيد الذي حصل عليه القائد الاتحادي والوزير البحري بعد الفشل الذريع والهرب إلى المانيا ثم اللجوء إلى سويسرا فأفغانستان هو (السفاح) لأنه سفح في طريقه إلى مصر دماءً كثيرة، ولكنها لم تكن دماء الأعداء الذين ذهب لمقاتلتهم، إنما كانت دماء الوطنيين السوريين الذين كانوا يناضلون في سبيل الحقوق القومية المشروعة لشعبهم العربي في الشام. ولم يكن مصير زملائه بأحسن من ذلك، لكن - وهذا ما يؤسف له - بعد أن جرّوا ويلات لا توصف على جميع شعوب السلطنة، وفي مقدمتها الشعب التركي، وهو موضوع سنعود إلى ذكر بعض تفاصيله من خلال عرضنا لموقع الكرد في احداث الحرب العالمية الاولى.

***

اهتم الاتحاديون والالمان منذ (طلقة سرايیفو)، بأشكال مختلفة، بإقحام الكرد في آتون الحرب، ولاسيما وأن جميع مناطق سكنهم كانت تقع في قلب المخطط الذي وضعه أنور باشا. وقد لجأوا لتحقيق هذه الغاية إلى

(1) مقتبس من: A.F. Miller, op. cit., p. 45-46.

(2) Ibid, p.47.

مختلف الوسائل والحيل. فقد حاولوا في بادئ الأمر، إثارة المشاعر الدينية للناس البسطاء، فلم يكن الأكراد آخر من قصدهم السلطان - الخليفة في دعوته إلى (الجهاد المقدس) ولا آخر من أراد تحريكهم شيخ الإسلام بفتاواه الخمس التي أصدرها في بداية الحرب ضد (كفار روسيا وانكلترا وفرنسا) الذين يحاولون (لا سامح الله) اطفاء (القدح المعلى) للإسلام كما ورد في فتواه. وإذ لم تؤدِ هذه الفتاوى والدعوات إلى نتيجة ما بين مسلمي القفقاس ومصر والهند، فإنها حققت بعض النتائج في كردستان لأنها كانت تصل إلى ايدي الناس بسهولة وفي إطار عاطفي مثير ضمن الدعاية الالمانية - التركية الواسعة. فإن صحافة الاتحاديين التي لم تكن تصل إلى الارجاء الاسلامية الاخرى إلّا نادراً، كانت توزع في معظم المدن الكردية وهي كانت تصور الانتصارات الالمانية بشكل مبالغ فيه دون ان تذكر كلمة واحدة بالطبع عن نجاحات الحلفاء. ثم إنها كانت تضرب بدورها على وتر العاطفة الدينية الحساس بأسلوب لا يمكن إلّا أن يؤثر على مشاعر الناس. فجريدة «تنين» مثلاً ذكّرت المسلمين في عدديها الصادرين يومي 23 و 24 تشرين الأول/ أكتوبر من العام 1914، بالقسم الرفيع الذي أداه الامبراطور الالماني (على ضريح صلاح الدين في دمشق) بأن يحمي المسلمين من (ظلم الدول المسيحية)، كما ذكّرت الجريدة الناس على لسان الشاعر فائق علي، بأن السلطان سليم ياوز كان أول من (حمل لقب خليفة المسلمين) بين سلاطين ال عثمان، ولو لم تخطفه يد المنون فإنه كان يصل - كما يقول الشاعر - خلال سنوات قلائل (إلى سواحل المحيط الهندي ليغدو كل العالم الإسلامي تحت رايته المظفرة). وفي تعليق طريف له على مثل هذا القول يأسف الأكاديمي

غاردليفسكي لأن الناس نسوا كيف أن هذا السلطان (المؤمن) كان يرى في (قتل شيعي واحد حسنة أكبر وأجراً أعظم مما في قتل سبعين مسيحياً).[1] إلّا أنه لم يكن من الصعب على لسان حال الاتحاديين قلب تلك الصورة من اجل الهدف الجديد[2] لتظهر بهذا الشكل:«كان الترك هم السباقين إلى حمل سيف الحق لبتر اعداء الاسلام. وبالتأكيد فإن اليد الاخرى التي (تحمل السيف - ك.م.) تكون لحماية الفرس» من أعداء الاسلام. ولم يكن مستوى الوعي بين الكرد وغيرهم بلغ بالطبع حداً يطالبون حملة السيف بأن يحموا بنفس الحماسة مسلمي البلقان من ظلم حليفتهم النمسا، بل اندفعت أعداد منهم، في البداية على الاقل، لمواجهة كفار لندن وباريس بشكل خاص دون ان يحسبوا حساباً (للقرابة البعيدة) التي كانت تربطهم بقيصر روسيا.[3]

كان بإمكان دعوة السلطان إلى الجهاد وفتاوى شيخ الاسلام تحريك قطاع واسع من الشعب الكردي لم يكن من الصعب عليه تغيير موقفه بسرعة عند اول اصطدام له بالواقع المرتبط بلقمة عيشه ووجود اولاده، لكنها لم

---

(1) راجع: V. A. Gardlevski, op. cit., Vol. III, p. 84-86.

(2) عندما كان التوجه نحو اوروبا، والبلقان بالذات، يشكل منفذ حياة ومخرج رفاه كان قتل المسيحيين - بنظر السلاطين - عملاً صالحاً يثاب عليه المرء ومن شأنه جعل الحياة رخيصة في نظر البسطاء. لكن ما إن تمكنت الدول الاوروبية القوية من وضع حد للخطر الآتي من الشرق وغدت المناطق الاسيوية الغنية المجاورة تشكل تعويضاً عن خسارة الغرب الكبرى، حتى اصبح في قتل المسلم الشيعي مثوبة أكبر - لكن الهدف بقي وإن تغير الموقع.!

(3) تشير احدى الوثائق الروسية إلى أن حماسة أحد رؤساء العشائر الأكراد الموالين لروسيا القيصرية، بلغ حدّ أنه أكد في حديث له مع ديبلوماسي روسي (وجود صلة قرابة بين الاكراد وعظمة القيصر).

تكن كافية منذ البداية لدفع الجميع إلى نار الحرب الدائرة، لذا بدا الاتحاديون ينشرون الوعود يمنة ويسرة حول اقامة نظام للحكم الذاتي في كردستان، وإن رغب الناس فأكثر، ولكن بعد أن تضع الحرب اوزارها ودون ادنى تأخير، في كلتا الحالتين. وكان هم الاتحاديين منصباً انذاك على تحريض رؤساء العشائر القوية بقصد إثارة المشاكل للروس في منطقة القفقاس، وبدأوا بمحاولة بعث الحياة في (الفارس الحميدي) لهذا الغرض، ولكن تحت واجهات جديدة.(1)

لم يكن اهتمام الالمان بالاكراد أقل من اهتمام العثمانيين بهم، ولم يأت ذلك اعتباطاً، بل جاء في إطار خط سياسي عام تبنّوه إزاء شعوب المنطقة. فقد أعار الالمان موضوع اثارة الشعوب الاسلامية ضد الحلفاء اهتماماً بالغاً ضمن مجهوداتهم العسكرية والدعائية. ففي بداية الحرب لم تجد الاوساط الحاكمة في برلين - كما مر بنا - الاشتراك المباشر للقوات العثمانية في العمليات الحربية، بينما ارادوا منذ ذلك الوقت تحريك الشعوب المسلمة في الشرق الاوسط ضد الإنكليز والروس بشكل خاص، وهذا ما جاء صراحة في الرسالة التي بعثها رئيس هيئة الاركان الالمانية الجنرال مولتكه إلى انور باشا في 10 آب/ أغسطس من العام 1914 حيث طالبه بالعمل بشكل جدي لإثارة انتفاضات وحركات معادية لروسيا وانكلترا في العالم الإسلامي(2).

(1) لم يتخذ الاتحاديون منذ توليهم السلطة إجراءً جدياً ضد الفرق الحميدية بالرغم من إلحاح الجماهير الكردية والأرمنية وعرائضهم المتكررة حول ضرورة وضع نهاية لهذه الفرق واستهتارها. وقد نجم موقف الاتحاديين هذا من عاملين متناقضين إلى حدٍ ما هما عدم توافر امكانات فعلية لديهم لأتخاذ مثل ذلك الاجراء أولاً، ولرغبتهم في استغلال هذه الفرق ضد روسيا ثانياً.

(2) راجع: A. S. Avetian, op. cit., p. 124

وكان الالمان جد مهتمين بمناطق الحدود وبالقفقاس لأنهم كانوا يريدون خلق مشاكل هناك من شأنها الحيلولة دون تفرغ روسيا التام لمساعدة الصرب ورومانيا، كما كانوا يريدون اثارة مشاكل للانكليز في مصر والهند كذلك. وقد استأثر هذا الموضوع باهتمام شخصيات من أرفع المستويات بما في ذلك شخص الامبراطور، فتم تأسيس شعبة خاصة في هيئة الاركان الالمانية برئاسة رجل الاستخبارات القدير رادولف نادولن وكان يساعده القنصل الالماني السابق في القاهرة ماكس. وانتشر جواسيس المانيا وعملاؤها في أرجاء اسلامية شتى لأداء هذه المهمة، ومن بينها بعض المناطق الكردية العثمانية والايرانية، وجرى تنسيق في العمل بين العثمانيين والالمان بالنسبة للاخيرة وسنعود إلى تفصيل ذلك فيما بعد.

إلّا أنه، وبغض النظر عن كل ذلك. لم يكن بوسع الشعب الكردي أنْ يقف، على أي حال، بمعزل عن لظى الحرب الدائرة. ذلك لأن موطنه كان قد بات ميداناً لصراع ضروس بين ثلاثة جيوش - العثماني والروسي والبريطاني إلى جانب الألمان العاملين في القوات العثمانية، فكانت نيران الحرب تحاصره وألسنة اللهب تمتد اليه من جوانب عديدة وبأشكال مختلفة. لذا يمكن القول إن الشعب الكردي اشترك في احداث الحرب العالمية الأولى منذ بدايتها ولكن دون أن يكون الأمر في يديه، دون أن تكون له رغبة فعلية أو مصلحة حيوية في ذلك. وفي الواقع فإن وطنه لم يكن قد تحول إلى احد ميادين القتال الرئيسة وحسب، بل، وكما يقول الدكتور م. س. لازاريف، فإن «أولى طلقات الحرب العالمية الأولى في الشرق الأدنى قد دوت في كردستان

الايرانية[1] لا في البحر الأسود»[2]. ومنذ ذلك الحين وعلى مدى أربع سنوات كانت الجيوش العثمانية والروسية والبريطانية تصطدم ببعضها في العديد من المناطق الكردية، وقد وقعت بينها حروب ضارية كانت نتائج بعضها تترك أثرها بوضوح على ميزان القوى بين المتحاربين في ميادين قتال الشرق الأوسط. وفي الوقت نفسه فإنها كانت تؤدي إلى الدمار والتشرد في العديد من نواحي كردستان. فضلاً عن أن عدداً كبيراً من شباب الكرد ذهبوا ضحية لهذه الحرب، فقد كانت الغالبية الساحقة من الجيش التاسع المرابط في منطقة أرضروم والجيش العاشر المرابط في منطقة سيواس والجيش الحادي عشر المرابط في منطقة العزيز والجيش الثاني عشر المرابط في منطقة الموصل مؤلفة من الأكراد[3]، فضلًا عن القوات غير النظامية التي كانت تشترك في

(1) لم تدخل السلطنة العثمانية الحرب مباشرة كما أسلفنا، ومع ذلك، فقد ظهرت بوادر التحالف الألماني ـ العثماني بسرعة. وقبل اعلان الحرب رسمياً بين الدولة العثمانية والحلفاء لجأت الأولى إلى إجراءات فعلية ضد مصالح هؤلاء، فقامت سفينتان ألمانيتان تحملان العلم العثماني ويقودهما بحارة عثمانيون إلى جانب الألمان بقصف الشواطئ الروسية للبحر الأسود في التاسع والعشرين من تشرين الأول/ أكتوبر من العام 1914 . ويعتبر هذا الحادث، مثل طلقة سرايفو، بداية للحرب في المنطقة مع أن الاعلان عنه قد تأخر لعدة أيام. إلّا أن حوادث ضرب المصالح الروسية في كردستان الايرانية قد سبقت في الواقع العدوان الذي وقع في البحر الأسود مما دفع الدكتور لازاريف إلى مثل هذا القول.

(2) راجع: M. S. Lazarev, *Kurdistan*... p.299.

(3) محمد أمين زكي، خلاصة تاريخ الكرد والكردستان، القاهرة، 1936، ص 274. لا يرقى الشك إلى صحة هذه المعلومات لاسيما وأن المؤلف نفسه كان من الضباط المطلعين في الجيش العثماني وكان العديد من مؤلفاته من المصادر الموثوقة المعتمد عليها في المدارس العسكرية العثمانية وحتى التركية فيما بعد.

العديد من المناطق في القتال الدائر وتقدم الضحايا قليلاً أو كثيراً. والجدير ذكره أن الموظفين العثمانيين في المناطق الكردية شددوا في بداية الحرب، أكثر من أي وقت مضى، لإنجاح عملية التجنيد التي أثارت رد فعلٍ كبيرٍ بين الأوساط الفلاحية وغيرها، حتى إن كلمة «سفر برلك»[1] التي تعني في اللغة التركية النفير العام دخلت اللغة الكردية منذ تلك الأيام وغدت مصطلحاً يستخدم حتى اليوم للدلالة على الحظ السيّئ والسفر المشؤوم الذي لا رجعة منه.

عبّر رد الفعل الكردي ازاء الحرب والتعبئة العامة عن نفسه بسرعة. فمنذ البداية رفضت عشائر كردية كثيرة الاستجابة لنداءات الاتحاديين المتكررة حول «الجهاد المقدس» والتجنيد العام، كما لم يمض على اندلاع نار الحرب وقت طويل حتى أخذ الجنود الأكراد يفرون زرافاتٍ ووحداناً تاركين صفوف الجيش العثماني، وعلى سبيل المثال لم ينقض أكثر من عدة أشهر على بدء القتال، حتى هرب أكثر من 15 ألف خيال كردي من صفوف الجيش الثالث، وهذا يشكل نسبة تزيد عن خمسة أسداس مجموعهم في الجيش المذكور.[2] وكثيراً ما كان يحدث في مناطق الحدود أن يقف الجنود الأكراد ورجال العشائر ورؤساؤهم بكامل أسلحتهم إلى جانب القوات الروسية العاملة هناك. يتطرق بوريس شاخوفسكي في مذكراته إلى هذا الموضوع فيذكر أسماء العديد من

(1) حوِّرت في معظم المناطق إلى «سفربلك».

(2) احتسبت على أساس الأرقام الواردة في:

Корсун Н.Г. , *Сарыкамышская операция на Кавказском фронте мировой войны 1914-1915*, Москва, 1937 , стр. 30.

ن.غ. كارسون، معركة ساري قاميش في جبهة القفقاس للحرب العالمية في العامين ١٩١٤ـ ١٩١٥، موسكو، 1937، ص 30 . (في الهوامش القادمة: ...N . G. Carsoon).

المتنفذين الكرد الذين تركوا صفوف العثمانيين وانضموا إلى الروس ومنهم رسول بك وشقيقه خالد بك ابناء أيوب باشا في منطقة قرمكيليس وقد التحق معهما أتباعهما الحميديون، ورئيس عشيرة أدامانلي علي بك وغيرهم. وكما يذكر هذا المصدر الموثوق نفسه فإن رئيس عشيرة حيدرانلي القوية كوير حسين باشا المعروف[1] قد اتصل بالروس وأبدى استعداده للانضمام اليهم كذلك[2].

ومنذ بداية الحرب زاول رجال العشائر الكردية في بعض المناطق هجمات مفاجئة على القطعات العثمانية بدوافع مختلفة منها تحريض العملاء الإنكليز لهم ومنها الرغبة في الحصول على بعض الغنائم (البنادق والذخائر بشكل خاص) ومنها ما كان يحدث بدافع الحقد ضد السلطة العثمانية. يشير المؤلف الألماني غ. لوريي بهذا الصدد إلى الهجمات المتلاحقة التي قام بها «الأكراد والعرب» ابتداءً من ربيع العام 1914 حتى نهاية العام 1915 ضد القوافل المتوجهة إلى ساحة القتال في جنوبي العراق بحيث اضطرت القيادة العثمانية ـ الألمانية المشتركة إلى تخصيص قوات إضافية لحماية الطرق التي تجتازها تلك القوافل.[3]

---

(1) كان رئيس الحيدرانلي كوير حسين باشا من الأكراد المعروفين بنفوذهم الواسع وثرواتهم الطائلة، فقد كان يملك حوالى 300 قرية. عرف بمعاداته للاتحاديين وتعاون مع الشيخ عبدالقادر النهري وكان على اتصال بالروس قبل أن تبدأ الحرب.

(2) راجع:

Курд-Оглу, *Курды и империализм* , - «Бюллетень прессы Среднего Востока», Ташкент , No. 13-14, 1932, стр. 108.

كورد-أوغلو، الكرد والامبريالية، ـ «النشرة الصحفية للشرق الأوسط»، طشقند، العدد 13 ـ 14، 1932، ص 108 . (في الهوامش القادمة: ...Kurd - Oghlu).

(3) راجع:

Лорей Г. *Операция германо-турецких морских сил в 1914-1918 гг.* , Москва, = 1934 , стр. 320.

امتدت نيران الحرب إلى المناطق الكردية، بعد تورط السلطنة العثمانية فيها مباشرة، ذلك لأن خطة أنور باشا لضرب القوات الروسية واحتلال القفقاس كانت تقضي بفتح جبهة تبدأ من أردهان في شمالي قارص وتمتد إلى ساري قاميش في جنوبي قارص أيضا وتتجه من هناك باتجاه جنوبي شرقي إلى ورمى داخل الأراضي الايرانية. كان أنور باشا واثقاً من النصر حتى إنه أراد أن يكون شرفه من نصيبه هو، لذا قاد بنفسه القوات العثمانية في هذه الجبهة وكان يساعده الجنرال الألماني بروتزارت فون شيليندروف. لكن سرعان ما تكررت مأساة مارن الأوروبية في ساري قاميش الآسيوية بحجم أصغر ولكن بخسارة أكبر نسبياً. فقد تمكنت القوات الروسية من التقدم في تشرين الثاني/ نوفمبر من العام 1914 باتجاه أرضروم ووان، فجابهها أنور باشا بقوات كبيرة تألفت من الجيش الثالث برمته ـ 127 فوجاً و 22 فرقة من الخيالة النظامية وعدة فرق من الخيالة الأكراد غير النظاميين مع 271 مدفعاً (بلغ تعداد الجميع 90 ألف شخص). حقق الفيلق الحادي عشر والفرقة الثانية من الجيش الثالث مع الخيالة الأكراد بعض التقدم باتجاه ساري قاميش منذ التاسع من كانون الأول/ ديسمبر من العام 1914، إلّا أن القوات الروسية تمكنت من وقف زحف القوات العثمانية وانتقلت إلى الهجوم منذ اليوم السادس عشر من الشهر نفسه واستطاعت أن تُحكم سيطرتها على بعض المواقع الاستراتيجية وحققت بعد ذلك بأربعة أيام نصراً كبيراً عندما أوقعت كل الفيلق التاسع من الجيش العثماني في الأسر. وأخيراً انتهت المعركة في اليوم السادس من كانون الثاني/ يناير من العام 1915 باندحار فظيع لقوات أنور باشا حيث فقد

= غ. لوريي، عمليات القوات البحرية الألمانية ـ التركية في الأعوام 1914 ـ 1918، الترجمة الروسية، موسكو، 1934، ص 320.

70 ألف شخص، أي أكثر من ثلاثة أرباعها، ومات حوالى 30 ألفاً منهم بسبب البرد.[1]

ترك أنور باشا القيادة بعد هذه الهزيمة النكراء وعاد إلى اسطنبول ولم يسمح للرأي العام بالاطلاع لفترة طويلة على الفشل الذريع الذي أصاب خطته في أول خطواتها[2] فأثر على وضع القوات العثمانية العاملة، وعلى سمعة العثمانيين في ايران. والأسوأ من كل ذلك أن انتكاسة ساري قاميش مهدت الطريق أمام تقدم الجيش الروسي نحو وان حيث تمكن من إحكام سيطرته على المنطقة خلال الصيف من العام 1915 ثم احتل في بداية العام 1916 أرضروم فطربزون وأرزنجان وبعد ذلك بعدة أشهر (في الصيف من العام نفسه) احتل موش وبدليس، وكان ذلك كله يعني احتكاكاً مباشراً أكبر وأوسع للروس بالأكراد.

ازداد اهتمام الروس بالشعب الكردي خلال سنوات الحرب العالمية الأولى وازداد تبعاً لذلك تورط هذا الشعب في الأحداث الدموية التي رافقت تلك الحرب. فبقدر ما كان العثمانيون والألمان يهتمون بإثارة الكرد ضد الروس، كان هؤلاء يحاولون كسبهم إلى جانبهم والاستفادة منهم في عملياتهم الحربية التي توسعت بشكل امتدت به حتى كردستان الجنوبية وسنعود إلى بحث ذلك بالتفصيل فيما بعد .وهكذا ازداد نشاط الضباط الروس وغيرهم في كردستان بشكل ملموس وقد عهدت مهمة الاشراف على تنظيم اتصال القيادة الروسية في القفقاس بالرؤساء الأكراد إلى قنصل روسيا السابق في دمشق بوريس شاخوفسكي الذي أسره العثمانيون مع اعلان

---

(1) راجع: N. G. Carsoon, op. cit., p.30

(2) راجع: A. F. Miller, op. cit., p. 47-48

الحرب خطواتها أنه تمكن من الهرب بمساعدة الأكراد له. ومما ساعد على نجاح شاخوفسكي في مهمته الجديدة تعاون كامل بك من عائلة بدرخان معه كما يشير شخصياً إلى ذلك في مذكراته[1]. وكما ذكرنا سابقاً فإن نشاطات الروس أدت إلى كسب عدد غير قليل من المتنفذين الكرد الذين تركوا صفوف العثمانيين ومنهم من انضم مع رجاله إلى جانب الروس.

تجوَّل عدد من الضباط والمدنيين الروس خلال سنوات الحرب في المناطق الكردية منهم غاردليفسكي الذي وصل في العام 1916 إلى أكراد جبل سبحان داغ ونشر بحثاً خاصاً عنهم في السنة التالية مع مقال آخر بعنوان ملاحظات عن الأكراد[2].

وتم نشر بحوث أخرى كذلك عن الكرد ومناطقهم في سنوات الحرب منها رحلة كردستان الايرانية الشمالية كتبها القنصل الروسي السابق في

(1) جميع المعلومات الواردة هنا عن نشاط بوريس شاخوفسكي بين الأكراد مقتبسة من بحث كورد-أوغلو الآنف الذكر (ص 108 ـ 109) واقتبسها هو بدوره من مذكرات شاخوفسكي والمصادر الأرشيفية الأخرى.

(2) نشر ف. أ. غاردليفسكي بحثه الأول تحت عنوان: بين أكراد سبحان داغ، في المجلد الأول من مجلة «العالم الاسلامي» (بتروغراد 1917، ص 23 ـ 34) ونشر أيضاً على شكل مستقل مستقل يقع في 14 صفحة:

Гордлевский В., *У Сюпхандагских курдов,* - «Мусульманский Мир», Петроград , ч.I , вып.I , 1917, стр.23-24.

ونشر البحث نفسه مرة أخرى ضمن مؤلفات غاردليفسكي المختارة

(V. A. Gardlevski, op. cit., Vol. III, p. 447-457)

أما مقالة ملاحظات عن الأكراد فقد نشر في العام نفسه في العدد الثامن من جريدة «Русские ведомости» (الكشوف الروسية) التي كان يصدرها عدد من الأساتذة الليبراليين في موسكو. أعيد نشر المقال ضمن مؤلفات غاردليفسكي المختارة تحت عنوان جديد هو: من تاريخ الأكراد.

(V. A. Gardlevski, op. cit., Vol. III, p. 113-120)

ساوجبولاق (سابلاغ) العقيد الفنلندي المولد ألكسندر إيفانوفيتش إياس وقد ألحق به خارطة مع 27 صورة عن المناطق التي زارها (نشر في العام 1915)[1]. وقام مينورسكي في العامين 1915 و 1916 بنشر عدد من أبحاثه وملاحظاته عن الشعب الكردي وبلاده منها بحثه: الأكراد. ملاحظات وانطباعات، الذي نشره على شكل مقال في مجلة «أخبار وزارة الخارجية» (العدد الثالث، 1915)[2]، ومعلومات عن سكان بعض مناطق الحدود التركية ـ الايرانية، في دورية «معلومات لدراسة الشرق» (المجلد الثاني 1915)[3]. وترجم نيكيتين من الإنكليزية بحثاً للميجرسون وعلّق عليه وطبعه في العام 1917 في ورمى تحت عنوان: عن الكرد وبلادهم. كما نشرت أبحاث ودراسات وخرائط عديدة أخرى عن كردستان باللغة الروسية في سنوات الحرب.

ولكن بالرغم من كل ذلك، وبالرغم من جميع أخطاء الاتحاديين، فإن

---

(1) أ. ي. أياس، رحلة عبر كردستان الايرانية الشمالية، بتروغراد 1915. (في الهوامش القادمة: ....A.I. Eyas). نشرت مع البحث مقدمة باسم (ف. م.)، وكما يبدو واضحاً من سياقها فإن (ف. م.) هو فلاديمير مينورسكي. يتضمن البحث كذلك خارطة دقيقة لمناطق الحدود العثمانية ـ الايرانية التي رآها العقيد إياس. نُشر للمؤلف نفسه قبل ذلك بحث آخر بعنوان: الموقع الجغرافي والوضع الاقتصادي لمنطقة ساوجبولاق في كردستان، في العدد 38 (عام 1914) من «تقارير القناصل الروس في الخارج عن قضايا تجارية ـ صناعية» (ص 1 ـ 17).

иЯС А.И , *Поездка по Северному Персидскому Курдистану*, Петроград, 1915.

(2) نشر على شكل مستل خاص (43 صفحة) تحت العنوان نفسه: ونقله الدكتور معروف خزندار إلى العربية ونشره في كتاب في العام 1968 في بغداد.

Минорский В.Ф., *Курды. Заметки и Впечатления*, Петроград , 1915.

(3) نشر مينورسكي في الفترة نفسها تقريباً بعض الدراسات العلمية الصرفة عن الكرد سواء ضمن بحثه عن ماكو (العام 1916) أو عن كيلةشين بالقرب من بحيرة وان (في العام نفسه) وقد كرّس هذا الأخير لدراسة المواقع الأثرية في كردستان.

الأمور لم تجر مع الأكراد دوماً كما كان الروس يشتهون. ولا تحتل السياسة الخاطئة التي تبناها بعض المسؤولين الروس المكانة الأخيرة بين الأسباب التي أدت إلى ظهور مصاعب مختلفة أمام القوات الروسية العاملة في المناطق الكردية. فقد ارتكبت هذه القوات أعمالاً فظيعة في العديد من المناطق كما سنتعرض إلى نماذج منها فيما بعد. ولم يتصرف المسؤولون الروس بود حتى مع رؤساء الكرد الذين انتقلوا إلى جانبهم وهو أمر لم يكن يخلو من إقدام وتحدٍ كبيرين في ظروف العالم الاسلامي آنئذٍ[1] ومع ذلك، وكما يذكر بوريس شاخوفسكي في مذكراته[2]، فقد تم اعتقال رسول بك وخالد بك اللذين التحقا مع رجالهما -كما اسلفنا- بالجبهة الروسية. وحسب الاسلوب الشرقي العتيد الذي غالباً ما لجأ اليه المستعمرون، قام المسؤولون الروس بالقبض على علي بك و غيره من رؤساء منطقة بايزيد بعد دعوتهم لحضور احتفال عسكري حيث أرسلوا من هناك مخفورين إلى سيبيريا، كما تم حجز أموال العديد من الأكراد.

والأسوأ من كل ذلك أن القيادة الروسية في منطقة القفقاس تبنّت الوجه الآخر للسياسة العثمانية العقيمة إزاء العلاقات الأرمنية-الكردية فزادت من تعقيدها. «إنها ـ كما يقول شاخوفسكي ـ بدأت بملاحقة الأكراد مباشرة ولم

(1) جرت حالات مشابهة في مناطق أخرى معظمها كانت بعيدة عن مركز السلطنة وكانت تمر بظروف تختلف إلى حدٍ ما عن ظروف كردستان، كما حدث في الحجاز مثلاً. لكن حتى هنا لم يكن من السهل للجميع هضم صورة حمل السيف بوجه «السلطان، الخليفة»، علماً بأن نداء الجهاد الذي اذاعه السلطان لم يجد له أي صدى تقريباً في شبه الجزيرة العربية على العكس من بعض المناطق الكردية. راجع:
War Memories of David Lloyd George, Vol. IV, London 1936, p.1810.

(2) راجع: Kurd - Oghlu, op.cit., p. 108

تحل دون مخالفات الأرمن الفظة» [1] إزاء الكرد طبعاً.[2] فقد كان القوميون المتعصبون من الأرمن يريدون، كما يذكر شاخوفسكي نفسه، «ابادة جميع السكان المسلمين الموجودين في المناطق التي قمنا باحتلالها»...

كان من الطبيعي جداً أن تؤدي مثل هذه السياسة وتلك الأعمال إلى نتائج سلبية بالنسبة للروس في المناطق الكردية. فقبل كل شيء تقلص بالتدريج عدد الأكراد الذين كانوا يفضلون الانتقال إلى جانب الروس، كما استغل العثمانيون والألمان الحوادث المذكورة وغيرها في حملتهم الواسعة لتحريض العشائر الكردية ضد روسيا القيصرية، وكانت النتيجة أن أدت بشكل غير مباشر إلى رفع سمعة الإنكليز في نظر العديد من الرؤساء الأكراد لتبني مسؤوليهم ـ كما سنرى ـ سياسة أكثر ذكاء من تلك التي تبناها الروس في المناطق الكردية. وأخيراً فإن الأخطاء المرتكبة دفعت العديد من الكرد دفعاً إلى مقاومة القوات الروسية مما أدى إلى خلق صعوبات جدية لها. يشير بوريس شاخوفسكي في مذكراته إلى هذه الحقيقة فيعلّق عليها بهذا الأسلوب: «أدت مقاومة الأكراد المستميتة في العام 1915 وبداية العام 1916 إلى تعقيد عملياتنا (العسكرية ـ ك.م.) بشكل رهيب للغاية وجعلت من المحال القيام بأي عمل استطلاعي».

لكن اهتمام الروس بالأكراد لم يفتر، مع ذلك، فقد قدر العديد من المسؤولين بشكل صائب ضرورة كسبهم، ومنهم بوريس شاخوفسكي ومينورسكي وغاردليفسكي وآخرون. فقد كان مينورسكي يدافع بحماسة

---

(1) Ibid.

(2) استغل بعض القوميين المتطرفين من الطاشناقيين مجيء القوات الروسية لضرب مسلمي المنطقة، والأكراد منهم بشكل خاص، فيما كانوا يعتبرونه انتقاماً للدماء الأرمنية البريئة التي أريقت مراراً على مدى القرون الأخيرة. وسوف نعود إلى هذا الموضوع بالتفصيل في الفصل الخامس من هذا الكتاب.

في تقاريره عن مثل هذا الرأي ويعارض بشدة استخدام القوة ضد العناصر الكردية المعادية، ولاسيما وأن اللجوء اليه في السابق «لم يؤد إلى نتائج طيبة في أي مكان»، فما أجدرنا بأن نبتعد عنه ـ كما ذكرنا ـ لكي «نستطيع كسب هذا الشعب القدير». واقترح مينورسكي من أجل ذلك «الاهتمام بالشعور التحرري الكردي» وإعطاء وعود بالعمل من أجل تحقيق الحكم الذاتي لهم.[1]

أما ما ذكره ف. أ. غاردليفسكي بهذا الصدد فيعتبر مؤشراً مهماً وذكياً لاهتمام الروس حتى النهاية بالأكراد. ففي شباط/ فبراير من العام 1917، أي في نفس الشهر الذي انتصرت فيه ثورة شباط/ فبراير الروسية، كتب غاردليفسكي الأسطر التالية، ذات الدلالة العميقة، والتي اختتم بها بحثه عن أكراد سبحان داغ:

«تقف أمام روسيا مهمة ثقافية كبيرة، فعليها الآن أن تكسب عطف الشعب الكردي إلى جانبها. عليها الآن أن تهتم بتحسين ظروف الأكراد كي يستطيع الكردي أن يقرر بعد الحرب عن وعي أيهما أفضل بالنسبة له: أن يبقى هنا (مع روسيا ـ ك. م.) أم ينصرف إلى تركيا. فليعط الكردي فرصة الاقتناع بتفوق الثقافة الروسية على الثقافة التركية، وليتوسع نطاق رسالة روسيا الثقافية في الشرق... لكن يجب فقط عدم تكرار ما فعله العثمانيون»[2].

وقد حدث بالفعل نوع من التبدل في الموقف الروسي إزاء الأكراد، ولم يأت ذلك اعتباطاً بل جاء بتوافق تام مع المصالح والطموحات والمخططات

---

(1) راجع: M. S. Lazarev, *The Kurdish Question...*, p. 346-352, 450.

(2) ورد هذا النص في خاتمة مستل مقال غاردليفسكي بين أكراد سبحان داغ، (ص 14) المنشور أصلاً في مجلة «العالم الاسلامي». ورد النص نفسه في ص 456 ـ 457 من الجزء الثالث من مؤلفات غاردليفسكي المختارة مع اختلاف واحد فقط، ففي المصدر الأخير جاء اسم الأتراك بدل العثمانيين.

الروسية العلنية والخفية. ففي ميدان العمل العسكري كانت القيادة الروسية تفكر في التوجه إلى أقصى ما يمكن جنوباً وغرباً، أي عبر كل المناطق الكردية، حتى يمكن حصر القوات العثمانية في نطاق ضيق بينها وبين القوات البريطانية المتقدمة في جنوبي العراق بحيث يمكن قصم ظهرها نهائياً. ومن المفيد أن نذكر بهذا الصدد أن بعضاً من الروس العاملين في المنطقة رأوا أن من الضروري والممكن احتلال كربلاء بمساعدة العشائر الكردية في ايران[1]. إلّا أن العامل الأهم الذي دفع المسؤولين الروس إلى إجراء بعض التغيير في سياستهم الكردية يرتبط كالسابق بطموحاتهم الواسعة التي ضمنت معاهدة «سايكس ـ بيكو» السرية في هذه الفترة بالذات جانباً كبيراً منها بأن خصصت لروسيا مناطق واسعة، من ضمنها رقعة غير صغيرة من كردستان.

لم تقتصر عمليات الروس العسكرية ونشاطاتهم الأخرى في سنوات الحرب على المناطق الكردية العثمانية، بل إنها امتدت كذلك إلى المناطق الكردية الايرانية التي أولاها العثمانيون والألمان في الوقت نفسه جانباً كبيراً من اهتمامهم. ولا يمكن عزل ذلك، بالطبع، عن مجهود أوسع ارتبط باهتمام جميع الأطراف المتحاربة بواقع ايران في سنوات الحرب وبموقعها في مخططات المستقبل، حتى إن روسيا وبريطانيا وقعتا اتفاقاً سرياً في آذار/ مارس من العام 1915 بشأن تقسيمها فيما بينهما. أما ألمانيا فإنها كانت تعمل منذ بداية الحرب في سبيل تحويل الأراضي الايرانية إلى قاعدة انطلاق لمخططاتها بالنسبة للشرق الأوسط، فأرسلت بعثة عسكرية خاصة عن طريقها إلى أفغانستان بقصد تحريضها على الانضمام إلى دول الوفاق ضد الحلفاء. وتم ارسال بعثة مشابهة وعن الطريق نفسه إلى بلوشستان. وقد زاول فاسموس

(1) راجع: M. S. Lazarev, *Kurdistan...*, p. 327.

القنصل الألماني في بوشهر نشاطاً واسعاً بين عشائر المنطقة طيلة سنوات الحرب حتى إنه أصبح يُعرف في أوساط مختلفة بـ «لورانس الألماني».[1] تمكن فاسموس من تحقيق نجاحات أقلقت بال الإنكليز بشكل جدي خاصة بعد أن استطاع التأثير على بعض العشائر الجنوبية وقام عن طريقها بضرب مصالح الإنكليز النفطية في المنطقة.

التجأ الألمان والاتحاديون إلى تحريك الشعور الديني للناس في ايران على نطاق واسع وبتشجيع منهم أسست في بداية سنوات الحرب منظمة باسم «اتحاد اسلام» وقد انتشرت فروعها في العديد من المدن والمناطق الايرانية. كما أنهم قاموا بتوزيع نشرات مليئة بالتحريض ضد الحلفاء في معظم المدن وأقاموا اتصالاً مباشراً بالعديد من رؤساء العشائر في الشمال لتحريكهم ضد الروس وفي الجنوب لتحريكهم ضد الإنكليز. ومن أجل تحقيق الغرض نفسه بذلوا جهوداً كبيرة في سبيل استغلال النضال التحرري في بعض المناطق الايرانية والذي كان رأس رمحه موجهاً بحكم ظروف البلاد ضد الإنكليز والروس[2]، ويمكن أن نورد على سبيل المثال هنا المحاولات التي بذلها

---

(1) للتفصيل راجع:

Агаев С.Л. , *Германский империализм в Иране*, Москва, 1969 , стр. 7-9.

س. ل. آغاييف، الاستعمار الألماني في ايران، موسكو، 1969، ص 7 ـ 9. (في الهوامش القادمة: ...S. L. Agaev). كما تذكر مجلة «The Near East» في عددها الصادر في العاشر من كانون الأول/ ديسمبر من العام 1931، أن الضابط الإنكليزي الكابتن نوئيل المعروف باهتماماته الكردية، تمكن من أسر فاسموس أثناء الحرب إلّا أن الأخير استطاع التخلص منه بمساعدة حراسه الايرانيين.

(2) ولّدت أطماع روسيا وانكلترا وخرقهما المتكرر لسيادة ايران، وخاصة إحتلالهما أيام الثورة الدستورية المناطق الشمالية والجنوبية من البلاد، إلى جانب عوامل أخرى، شعوراً معادياً قوياً بين الأوساط الوطنية الايرانية ضد هاتين الدولتين الاستعماريتين.

الألمان والاتحاديون من أجل التغلغل في صفوف الثوار الجنكليين في منطقة كيلان الشمالية. فقد اتصل أنور باشا شخصياً بقائد الجنكليين ميرزا كوجك خان وأرسل له سيفاً مرصعاً حفرت عليه عبارة «هدية إلى المجاهد الايراني ميرزا كوجك خان»، كما وصلت إلى المنطقة أيضاً كميات من الأسلحة مع بعض العسكريين الألمان والعثمانيين بقصد تنظيم الجنكليين وتشجيعهم على القتال ضد الإنكليز والروس بشكل خاص[1]. الجدير ذكره أن لجنة خاصة من لجان «اتحاد اسلام» كانت تشرف على تنظيم جميع شؤون الثوار الجنكليين في سنوات الحرب وكانت تتألف من عدد من الأعضاء وكان خالو قوربان الكردي واحداً من أبرزهم[2].

لما كان يتمتع به من نفوذ واحترام كبيرين هناك فقد شارك مع عدد غفير من الفلاحين المسلحين الأكراد بنشاط في صفوف الحركة الجنكلية كما سنذكر ذلك بشيء من التفصيل ضمن الفصل القادم من هذا الكتاب. ومن المهم أن نذكر هنا أيضاً أن الجنكليين نظموا حملات ناجحة ضد قوات الحلفاء وأنهم تمكنوا من وضع عراقيل جدية بواسطة مسلحي عشيرة سنجاوي الكردية أمام قوات الجنرال باراتوف الروسية المتوجهة نحو العراق.[3]

زاول العثمانيون والألمان نشاطات واسعة داخل المناطق وبين العشائر

(1) للتفصيل راجع: ابراهيم فخرائي، ميرزا كوجك، خان جنكل، تهران، 1344، شمسي (1965م)، ص 74 ـ 81.

(2) راجع:

Иванова М.Н., *Национально-освободительное движение в Иране*, Москва, 1961 , стр. 17, 19.

م. ن. إيفانوفا، حركة التحرر ـ الوطني في ايران، موسكو، 1961، ص 17، 19. (في الهوامش القادمة: ...M. N. Ivanova).

(3) ابراهيم فخرائي، المصدر السابق، ص 74.

الكردية الايرانية نفسها كذلك. ففي بداية الحرب حوّل عملاء الألمان مدينة كرمانشاه إلى احدى قواعد عملهم المتواصل في المنطقة، إذ تم في هذه المدينة جمع المتطوعين وتنظيم مخازن للسلاح بالأموال الألمانية كما كان عليه الأمر في المدن الايرانية الأخرى[1]. وقد أجرى هؤلاء اتصالات مركزة بالعديد من رؤساء الكرد المتنفذين مما أثار قلقاً كبيراً في الأوساط العسكرية والديبلوماسية الروسية التي شبهت وثائقها الوضع في كردستان الايرانية بـ «قدر يغلي» من جراء نشاطات الألمان والاتحاديين[2] الذين (تمكنوا من جذب أكثرية سكان كردستان الايرانية إلى جانبهم واثارتهم ضد روسيا مما أثر بسرعة على الوضع العسكري في جبهة القفقاس، وبشكل خاص في مناطق آذربيجان وكردستان).[3] واضطر جميع العاملين الروس إلى ترك المنطقة، وكان من بينهم القنصل في ساوجبولاق العقيد أ. أياس الذي اغتيل أثناء انسحابه.[4]

كان من شأن هذه الأحداث وأخرى غيرها كثيرة أن تجعل من الحياد الذي أعلنته الحكومة الايرانية في الثاني من تشرين الثاني/ نوفمبر من العام 1914 أقل حتى من مجرد حبر على ورق إذ امتدت العمليات الحربية بسرعة إلى أهم أرجاء ايران التي تحولت إلى احدى ساحات الحرب في الشرق الأوسط. وقد تركز الاحتكاك العسكري المباشر بين الروس والعثمانيين في مناطق آذربيجان وكردستان الايرانية، ولاسيما وإن خطة أنور باشا كانت

---

(1) راجع: M. N. Ivanova, op. cit., p.13.

(2) مقتبس من: M. S. Lazarev, *Kurdistan*..., p. 319.

(3) Ibid, p.320.

(4) راجع: A. I. Eyas, op. cit., p. 4-5 .
يسميه مينورسكي «الضحية الأولى (لروسيا ـ ك.م.) على أعتاب كردستان البعيدة» (Ibid).

تقضي بالتوجه السريع نحوها. وهذا ما حصل فعلاً، فقد اخترقت القوات العثمانية الحدود الايرانية بعد تورط الأمبراطورية المباشر في الحرب فاحتلت في النصف الأول من تشرين الثاني/ نوفبمر من العام 1914 قسماً من المناطق الغربية من ايران بما فيها مدينتا خوي وورمى وغيرهما ووصلت مدينة تبريز في الرابع عشر من الشهر نفسه، فاضطرت القطعات الروسية الموجودة في آذربيجان الايرانية للانسحاب نحو الشمال. ومن جانب آخر أصبحت القوات العثمانية في احتكاك مباشر بالمناطق الكردية بعد أن احتلت لاهيجان المجاورة لساوجبولاق في 17 تشرين الثاني من العام نفسه. ولم تجر هذه العمليات دون صدامات متفرقة وتضحيات امتدت بشكل خاص إلى الذين عرفوا بموالاتهم للروس ومنهم رئيس عشيرة موكري الكردية محمد حسين خان وابنه اللذان شنقا في هذه الأثناء[1].

مهد تقدم الجيش العثماني الطريق للاتحاديين والألمان لمزاولة نشاط أكبر بين اكراد ايران في بداية الحرب، فتمكنوا من كسب بعض القبائل الكردية كعشيرة شكاك الكبيرة، وبتحريض منهم أقام بعض الاقطاعيين من كرمانشاه «حكومة» باسم «الحكومة الوطنية» في تلك المناطق ونصّبوا الاقطاعي المعروف والي لورستان نظام السلطة رئيساً لها. وكان من شأن سياسة الاتحاديين والالمان تعميق التناقضات القومية والخلافات الدينية في المناطق الغربية من ايران. فما أن احتل العثمانيون مدينة ورمى حتى بدأ جنودهم والمسلحون من بعض القبائل الكردية الموالية لهم يعبثون بمقدرات المسيحيين القانطين في المدينة وأطرافها، ولاسيما الآشوريين منهم، بحجة انحيازهم إلى جانب الجيش الروسي، فأحرقوا حوالى مئة قرية من قراهم

---

(1) Ibid, p.2. وسنعود للموضوع في الفصل القادم.

وقتلوا عدداً كبيراً من افرادهم وشردوا من تبقى منهم على قيد الحياة[1]. وفي الوقت نفسه تقريباً حدثت مجزرة أخرى في شلماش (سلماس) ذهب ضحيتها حوالى ألف شخص بريء، وقد لعب في هذه المجزرة اسماعيل آغا زعيم الشكاك دوراً اساسياً فاعتقله الروس بعد عودتهم ونفوه إلى جورجيا[2].

شكل التقدم العثماني في الأراضــي الايرانية وانسحاب الروس الاضطراري من معظم مناطقها الغربية خطراً جدياً بالنسبة للأخرين[3] ولذلك فقد أصبح الصدام المباشر بين الطرفين أمراً لابد منه ولاسيما وإن ضربة ساري قاميش عقّدت ظروف القوات العثمانية المتقدمة في آذربيجان الايرانية مما هيأ الظروف المناسبة لتوغل القوات الروسية مجدداً في آذربيجان الجنوبية اعتباراً من كانون الثاني/ يناير من العام 1915 فتمكنت في الواحد والثلاثين منه من احتلال مدينة تبريز المهمة مرة أخرى[4] فانفتح الطريق أمامها للتقدم نحو ورمى التي احتلها من جديد في الخامس والعشرين من أيار/ مايو من العام 1915 بعد معركة صغيرة مع مسلحي الشكاك في أطراف خوي، فانتهت بذلك السيطرة العثمانية على تلك المنطقة والتي دامت حوالى خمسة أشهر. ومنذ ذلك التاريخ ظلت القطعات الروسية تسيطر على هذه الأصقاع حتى نهاية الحرب وكان أول عمل قامت به هذه القطعات ضرب مصالح الألمان

(1) راجع: علي سيدو الكوراني، من عمان إلى العمادية أو رحلة في كردستان الجنوبية، القاهرة، 1939، ص 205–209.

(2) راجع: M.S. Lazarev, *Kurdistan...*, p.330

(3) شكل التقدم العثماني في ايران الذي بلغ همدان، خطراً على الإنكليز أيضاً، فقاموا بتعزيز قواتهم في جنوبي البلاد الذي أمتدت اليه مؤامرات الألمان بشكل يهدد مصالحهم الحيوية في المنطقة.

(4) راجع: M. S. Ivanov, op. cit., p. 252-253 =

والعثمانيين في المنطقة حتى إنها أوقفت معمل صنع السجاد الألماني في تبريز وحولت مبناه إلى ثكنة عسكرية[1].

مهدت انتصارات الروس هذه الطريق أمامهم للتوغل أكثر في المناطق الكردية الايرانية. فبعد احتلال ورمى وما والاها من مناطق استطاع الجيش الروسي أن يدخل شنو وساوجبولاق كذلك، لكنه جوبه في تلك النواحي بمقاومة بعض القبائل الكردية المسلحة. وأخيراً وصل الروس إلى مدينة كرمانشاه في شباط/ فبراير من العام 1916 ثم بلغوا مناطق الحدود العثمانية ـ الايرانية. إلّا أن هذه المناطق لم تستقر على وضع معين، فقد تمكن العثمانيون بعد عدة أشهر من العودة مجدداً إلى كرمانشاه وهمدان وحقق عملاؤهم ومؤيدوهم مع عملاء الألمان، وعلى رأسهم الكابتن شولتسي، نجاحات مشهودة في هذه النواحي، حيث تمكنوا من كسب العديد من العشائر الكردية في منطقة كرمانشاه واستطاعوا بمساعدتها أن يحولوا دون اتصال الروس والإنكليز ببعضهم عبر هذه المنطقة طيلة العام 1916 ولاسيما وإن عشيرة سنجاوي القوية قد تحولت إلى آلة بيد الألمان. وقامت عشائر منطقة مريوان بقطع الطريق أمام تقدم قوة روسية قوامها 1500 مسلح ومنعتها من التقدم طيلة ثمانية أشهر. وبعد أن فقدت هذه القوة ـ حسبما تشير إلى ذلك الوثائق الروسية ـ ما لا يقل عن نصف رجالها اضطرت أخيراً للتراجع نحو الشمال حيث «زاولت أعمال التخريب والسطو ضد السكان الكرد» في طريق انسحابها[2].

---

(1) S.L. Agaev, op.cit., p. 7,9.

كان هذا المعمل الذي أقامه رأسماليون ألمان في العام 1912، أكبر مؤسسة لصنع السجاد في ايران كلها وكان يستخدم، كما أسلفنا، كميات من الصوف المنتج في المناطق الكردية القريبة.

(2) راجع: Kurd- Oghlu, op.cit., p. 110.

تطلبت هذه الأوضاع من الروس أن يبدوا اهتماماً متزايداً بأكراد ايران، لاسيما وأنهم كانوا مقدمين على توغل أكبر في المناطق الكردية باتجاه الجنوب والغرب، وكانوا يعرفون أن جانباً كبيراً من أفراد القوات العثمانية العاملة في ايران من الفلاحين الأكراد، وقد بلغ عددهم في منطقة همدان مثلاً حوالى 10 آلاف من مجموع 14 ألف جندي هو مجموع أفراد القوة العثمانية العاملة هناك.[1] وهكذا لم يمض وقت طويل على عودة الروس إلى مدن أذربيجان الايرانية حتى أقاموا صلات واسعة مع عدد من رؤساء العشائر الكردية في المنطقة، ولم يكتفوا بذلك بل أطلقوا أيضاً سراح سمكو وبدأوا التعاون معه من أجل هدفهم «الأسمى» الذي تطلب، على ما يبدو، منحه، بعد السجن طبعاً، مكافأة شهرية مقدارها خمسة آلاف روبل ذهب فقط[2]. وفيما بعد، أي بعد الافراج عنه، عينوه حاكماً على بعض المناطق الكردية. ولم يأت ذلك قطعاً على نقيض مع منطق القياصرة الذين كانوا ينظرون من على قمم جبال كردستان الايرانية بعيداً إلى الغرب والجنوب.!

وهكذا لم تمض فترة طويلة على نجاحات الروس الأولى في جبهة القفقاس حتى بدأت قواتهم بالتوجه صوب كردستان العراق وأخذ البعض منهم يقترح التقدم حتى مدن مثل كربلاء. وقد ارتبط ذلك بطموحات روسيا التي انعكست في مخططات الحلفاء السرية وبوضع الإنكليز العسكري في جبهة العراق. فخلف الكواليس تقرر آنذاك نصيب روسيا القيصرية من غنائم

---

(1) راجع: M.S. Lazarev, *Kurdistan*..., p.340. ترك معظم المجندين الأكراد صفوف الجيش مع اقتراب القوات الروسية وعادوا إلى مراعيهم في الجانب الآخر من كردستان.

(2) تؤكد الوثائق الأرشيفية الخاصة هذه الحقيقة، راجع:

Kurd - Oghlu, op. cit., p.108.

«الرجل المريض» الذي شمل ـ كما هو معلوم ـ قسماً من الأراضي الكردية العثمانية وتقرر أيضاً تقسيم ايران إلى منطقة نفوذ بين روسيا وبريطانيا. وفي الحالتين كان على الروس تثبيت أقدامهم في المنطقة وابعاد العثمانيين والألمان عنها. أما في الميدان العسكري فبعد أن حققت الحليفة بريطانيا تقدماً سريعاً نسبياً في جنوبي العراق، وقع حوالى 14 ألفاً من قواتها في مأزق حرج عندما حاصرها العثمانيون واحكموا الطوق عليها في الكوت منذ أوائل كانون الأول/ ديسمبر من العام 1915 [1]، لذا بدأ الانكليز يحثون الروس على التقدم للضغط على العثمانيين في بغداد وعلى مؤخرة جيشهم حتى يصبح بالإمكان إنقاذ القوة المحاصرة.

بدأت القوات الروسية بالتحرك نحو العراق في بداية الربيع من العام 1916 من ثلاث جبهات رئيسة هي خانقين والسليمانية ورواندز[2]. مع التركيز بشكل خاص على جبهة خانقين المؤدية إلى بغداد عبر طريق اسهل واقرب، فقد تم تخصيص فيلق بقيادة الجنرال باراتوف لإنجاز هذه المهمة. وبالرغم من تقدم قطعات من هذا الفيلق إلى نقاط معينة داخل الأراضي العراقية، إلّا أنها جوبهت بمقاومة شديدة من جانب العثمانيين الذين كانوا يخشون إلى حد كبير ضياع بغداد، كما كانوا يتحرقون شوقاً لتوجيه ضربة انتقامية قوية للقوات البريطانية بغية تحسين وضعهم في العراق الجنوبي بعد اندحاراتهم أمام الانكليز بشكل أثر على معنويات جنودهم وعلى سمعتهم ولاسيما بين

---

(1) A. T. Wilson, *Loyalities Mesopotamia, 1914-1917. Personal and historical record,* London, 1930, p.96.

(2) للتفصيل راجع: شكري محمود نديم، الجيش الروسي في حرب العراق ١٩١٤-١٩١٦، الطبعة الثالثة، بغداد 1974.

رجال العشائر الذين كانوا أكثر تأثراً في مثل هذه الحالات، لذا فلاعجب إذا ماقام أنور باشا بنفسه بزيارة لخانقين يرافقه القائد الألماني الجنرال فون لوسوف. وأهم معركة شهدتها هذه الجبهة وقعت في بداية حزيران/ يونيو من العام 1916 وقد انتهت بانسحاب القوات الروسية إلى داخل الاراضي الايرانية بعد أن تركت في ساحة القتال ما لا يقل عن 200 قتيل و 57 أسيراً بينما بلغت خسائر العثمانيين 81 قتيلاً و 340جريحاً ومفقوداً.[1] وقد دفع فشل الفيلق الروسي العامل في هذا الخط المسؤولين الروس إلى أن يعيروا كسب الأكراد

(1) المصدر السابق، ص 29. لايمكن قطعاً الاتفاق مع الدكتور م. س. لازاريف في قوله إن «انعدام التعاون المتبادل» بين الانكليز والروس وعدم اتخاذ الأولين موقفاً ايجابياً أدى إلى فشل القوات الروسية «في جبهات تركيا الآسيوية» وفي خانقين بالذات: (راجـع: M.S.Lazarev, *Kurdistan*..., p.333, 337.) لا ينكر أن الانكليز لم يكونوا ينظرون بارتياح إلى نجاح الروس في آسيا الصغرى وايران، وما كان بإمكانهم أن لا يحسبوا الحساب لكل تقدم روسي في العراق، لأنهم لم يكونوا على استعداد لتحمل وجود منازع لهم فيه. إلّا أن أوضاعهم الحرجة للغاية في أواخر العام 1915 وبداية العام 1916، بسبب محاصرة قواتهم في الكوت، كانت تجعلهم يرحبون بكل ما من شأنه انقاذ تلك القوات، ويكفي أن نقول إنهم ضحوا بحوالى عشرة آلاف رجل من أجل ذلك، وبذلوا جهوداً خارقة في البر والجو وداخل نهر دجلة في سبيل تهيئة ظروف تمكن المحاصرين من المقاومة يوماً أكثر، ولا شك في أنه لم يكن من السهل لهم ولخططهم ولسمعتهم أن يضطر 13,309 رجلاً تحملوا طيلة أشهر عديدة كل ما يمكن أن يتحمله إنسان، للاستسلام أخيراً في التاسع والعشرين من نيسان / إبريل من العام 1916 و ... «دون قيد أو شرط». للتفصيل راجع:

(A. T. Wilson, *Loyalities. Mesopotamia*..., p. 91-100)

والجدير ذكره أن العديد من المؤلفين يرون، على العكس مما ذهب اليه الدكتور لازاريف وغيره، في «تلكوء القوات الروسية» واحداً من الاسباب الرئيسة في سقوط الكوت ثانية بيد العثمانيين (راجع على سبيل المثال: شكري محمود نديم، حرب العراق ١٩١٤-١٩١٨، الطبعة الثامنة، بغداد، 1974، ص 115).

اهتماماً أكبر من السابق، وقد وردت تعليمات رسمية خاصة بهذا الصدد من العاصمة بيتروغراد ومن تبليس إلى السلطات الروسية في ايران[1].

أما القوات الروسية التي توجهت نحو رواندز فإنها كانت تحت قيادة الجنرال جيورنوزوبوف الذي نشط منذ بداية الحرب في مناطق أذربيجان وكردستان الايرانيتين وكان على اتصال بالعديد من رؤساء الاكراد مثل سمكو وغيره. تمكنت القوات الروسية في هذا القطاع من الدخول إلى العراق عن طريق رايات ودربند ودخلت مدينة رواندز وظلت هناك لمدة اسابيع في ربيع العام 1916 [2]، واضطر العثمانيون إلى بذل جهودٍ كبيرة من اجل استعادة هذة المنطقة حتى يحولوا دون تقدم اكبر للقوات الروسية ويمنعوا التقاء قطعاتها العاملة في جبهات العراق الثلاث. والجدير ذكره أن اكراد هذه المنطقة لم يهتموا كثيراً بمجيء الروس في البداية، بل إن قسماً منهم رحبوا بقدومهم لكونه أدى إلى انحسار ظل الاتحاديين الذين اثاروا رد فعل كبيراً في هذه الانحاء بالذات منذ ان اشتعلت نيران الحرب. إلّا أن الأخطاء الكبيرة التي ارتكبها الروس بعد مجيئهم أدت إلى تبدّل الموقف منهم بسرعة، فلم يحل المسؤولون الروس دون ارتكاب المتطوعين الأرمن المرافقين لهم أعمالاً

---

(1) راجع:

M.S. Lazarev, *The Kurdistan Question...*, p.330-331, 447.

(2) حسب المعلومات الواردة في المصادر الروسية التي تستند إلى الوثائق الرسمية، فقد احتل الروس مدينة رواندوز في بداية شهر نيسان/ إبريل من العام 1916، بينما يشير الاستاذ شكري محمود نديم – وهو يستند في ذلك إلى كتاب «بويوك حربده ايران جبهةسي»(الجبهة الايرانية في الحرب العظمى) لمؤلفه اللواء الركن محمد كنعان باشا الضابط في الجيش العثماني – إلى أن احتلال الروس لرواندز قد تم في الثالث عشر من أيار/ مايو من العام 1916 وبقوا فيها مدة تربو على 65 يوماً (شكري محمود نديم، *الجيش الروسي في حرب العراق*، ص 9، 15–42–76).

فظة خاصة داخل رواندز وحواليها[1] كما لم يتبنوا سياسة ودية مع رؤساء العشائر، بل على العكس فقد شنقوا رشيد أغا رئيس عشيرة الهركي المعروفة، وكان من الطبيعي أنْ يدفع كل ذلك أعداداً غفيرة من رجال العشائر إلى جانب العثمانيين[2] الذين تمكنوا من اعادة سيطرتهم على المنطقة في أواخر تموز/ يوليو من العام نفسه بعد خسائر كبيرة نسبياً بلغت 206 قتلى و 53 مفقوداً و419 جريحاً[3]، وكانت خسائر الجيش الروسي المنسحب اكثر من ذلك بالضرورة.

لم تحدث معارك فاصلة بين القوات الروسية الزاحفة والعثمانية المدافعة في جبهة السليمانية، فلم تجتز القطعات الروسية العاملة في هذا القطاع الحدود الايرانية الغربية طيلة العام 1916، بل دخلت الاراضي العراقية في أواخر حزيران/ يونيو من العام التالي، فاستطاعت احتلال بلدة بينجوين لكنها انسحبت منها بعد ايام معدودة تحت ضغظ التعزيزات العثمانية التي اسرعت إلى المنطقة لمعاونة القوة العثمانية المنسحبة من هناك تحت ضغط الروس.

لم تؤد ثورة شباط/ فبراير من العام 1917 [4] إلى حدوث تغيّر ملموس

---

(1) سوف نتطرق إلى تفاصيلها في الفصل الخامس.

(2) راجع:

W. R. Hay, *Two Years in Kurdistan.Experiences of a political Officer*, London, 1921, p.129.

(3) راجع: شكري محمود نديم، الجيش الروسي في حرب العراق، ص 71.

(4) يخلط الأستاذ شكري محمود نديم (وآخرون ايضاً) بين الثورة البورجوازية الروسية التي أنتصرت في شباط/ فبراير من العام 1917 وبين ثورة اكتوبر الاشتراكية التي انتصرت في تشرين الثاني/ نوفمبر من العام نفسه فيسمي الأولى أيضاً بـ «الثورة البلشفية» و «الثورة الشيوعية» (راجع: شكري محمود نديم، الجيش الروسي في حرب العراق، ص 16، 32، 79، وكتابه الآخر: حرب العراق ١٩١٤ـ ١٩١٨، ص 158) ويبدي استغرابه لانسحاب بعض القطعات الروسية العاملة في جبهات العراق بعد شباط/ فبراير بينما بقيت أكثريتها، ويعزو ذلك إلى (إختلال منظمة القيادة في =

في سياسة روسيا تجاه كردستان، فقد استمرت قواتها تحتل المناطق الكردية كالسابق وتزاول العمليات الحربية بين الحين والآخر كتلك التي وقعت في جبهة السليمانية التي أولاها الروس بعد ثورة شباط/فبراير اهتماماً واضحاً. وكما تشير الوثائق الديبلوماسية الروسية التي تعود إلى تلك الفترة فإن مينورسكي اقترح إبداء المساعدة للحركة الكردية المعادية للعثمانيين في العراق، وخاصة للشيخ محمود لأنه رأى في ذلك ضمانة أكيدة لسيطرة روسيا على ذلك الجزء من سكة حديد بغداد التي كان من المقرر لها أن تمر بالقرب من منطقة النفوذ الروسية في ايران. وفي وثيقة أخرى أكد مينورسكي، الذي كان يشغل آنذاك منصب القائم بالأعمال في طهران، أهمية مساندة الكرد في العراق «من وجهة نظر عسكرية بشكل خاص» لما لذلك من تأثير على «خطة الهجوم المرتقب على الموصل» كما ورد نص في الوثيقة. ومن المهم أن نشير إلى أن مينورسكي الذي عُرف ببعد نظره قد أدرك عقم أسلوب تحريض الأكراد على التحرك المسلح «الذي لم يعط حتى اليوم سوى فائدة قليلة» كما جاء في رسالة اخرى له لذا نراه يؤكد على ضرورة كسب ود الأكراد

= الجيش الروسي بتأثير الثورة البلشفية). في الواقع يوجد فرق كبير بين الثورتين ولم يحدث الانسحاب الفعلي للقطعات الروسية إلّا بعد انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية كما سنأتي على تفاصيل ذلك، أما الانسحابات الجزئية التي كانت تحدث في هذه المنطقة أو تلك، فقد كانت لأسباب تكتيكية عسكرية صرفة. ومن الجدير بالذكر أن مجلة «الكتب الجديدة الصادرة في الخارج» الموسكوفية التي نشرت تقريراً للطبعة الثانية من كتاب الجيش الروسي في حرب العراق في عددها الصادر في الخامس عشر من أيار/مايو من العام 1917، ص 58، وضعت علامة تعجب أمام جملة «اندلعت الثورة الشيوعية في روسيا ووصل تأثيرها إلى القطعات الروسية في جبهة العراق في شهر آذار/مارس 1917» التي يذكرها المؤلف في خاتمة كتابه.

الذي يتم، حسبما ورد في الرسالة نفسها، عن طريق الوعد بضمان حقوقهم.[1] وقد رحّبت قيادة القفقاس بمقترحات مينورسكي واعطت التعليمات لبعض المسؤولين العاملين في المنطقة بإجراء اتصالات مع المتنفذين من الاكراد، وتم فعلاً الاتصال بعدد منهم، كان الشيخ محمود في مقدمتهم[2].

بعد ثورة شباط/ فبراير حاولت القوات الروسية التقدم من جديد في جبهة خانقين وقد أقيمت صلات مباشرة بين الروس والإنكليز بهذا الشأن، ولاسيما وإن الاخيرين، بعد أن اطمأنوا إلى (النيات الحسنة) للنظام الجديد في روسيا، أرادوا استغلال القوات الروسية لاحتلال العراق كله، وفعلاً بدأت قطعات من الجيش الروسي في صيف العام 1917 تتقدم باتجاه الموصل وخانقين لإشغال الجيش العثماني السادس وخلال هذه المرحلة بالذات اشترك الروس لأول مرة جنباً إلى جنب مع البريطانيين في بعض المواقع الحربية التي وقعت في العراق في العام 1917، إلّا أنّ القوات العثمانية تمكنت في نهاية الامر من افشال المخطط الروسي، فتراجعت قطعات القفقاس العاملة في هذه الجبهة نهائياً.

وهكذا يبدو واضحاً أن أطماع روسيا القيصرية في كردستان لم تنته بانتصار ثورة شباط/ فبراير البورجوازية التي رفعت بعض الشعارات الليبرالية، وعلى رأس المؤشرات المهمة لتوضيح هذه الحقيقة يأتي موقف الحكومة الروسية المؤقتة التي تشكلت بعد هذه الثورة من التقارب الأرمني – الكردي

(1) راجع: M.S. Lazarev, *The Kurdish Question...*, p 346-347, 450.

(2) قبل أن تبدأ الحرب بفترة وجيزة جرت اتصالات كثيرة بين الشيخ محمود وقنصل روسيا العام في بغداد أورلوف والقنصل الروسي في مدينة الموصل كيرسانوف للتفصيل راجع: الدكتور كمال مظهر احمد، وثائق وحقائق جديدة عن حركات الشيخ محمود، (التآخي)، تشرين الاول/ أكتوبر 1973 (صفحة «الثقافة الكردية»، 2).

الذي كان يستحيل من دونه إيجاد مخرج عملي لمأساة الشعب الأرمني. وقد أدرك العديد من قادة الأرمن والكرد هذه الحقيقة بعمق أكثر من أي وقت مضى وذلك بفضل اصطدامهم بالواقع المرّ طيلة سنوات الحرب فبدأوا يعملون من أجل تحقيق مثل ذلك التقارب وعرضوا أمره على المسؤولين الروس. ولكن حسبما تشير بعض الوثائق الرسمية التي تعود إلى فترة ما بعد ثورة شباط/ فبراير لم يكن المسؤولون الروس مرتاحين من التقارب بين الشعبين الذي اعتبره بعضهم «أمراً غير قابل للاحتمال».[1] ومن شأن كل ذلك - دون ريب - اعطاء تفسير منطقي لبقاء القوات الروسية في معظم المناطق الكردية بعد شباط/ فبراير من العام 1917 إذ لم يتم سحبها إلّا بعد انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية في العام نفسه حيث تم عقد صلح بين النظام الجديد والدولة العثمانية انسحبت في اثره القطعات الروسية من المنطقة سوى تلك التي وقفت ضد الثورة ومن ضمنها الجنرال باراتوف مع عدد قليل من جنوده. فخلال كانون الأول/ ديسمبر من العام 1917 وحده انسحب حوالى 40 ألف جندي روسي من جبهة القفقاس.

والجدير ذكره أن العديد من العشائر الكردية اغتنمت ظروف الانحلال الذي بدأ يدب في صفوف القوات الروسية مع تصاعد المد الثوري واحتدام التناقض بين الأجنحة المختلفة منذ أيام انتصار ثورة شباط/ فبراير، فحققت بعض المغانم وحصلت على اسلحة كثيرة بطرق مختلفة. ويجدر بالذكر أيضاً أن الاتحاديين حاولوا الاستفادة كالسابق من طاقات الكرد في مخططاتهم الأخيرة التي ظهرت نتيجة للظروف الجديدة في روسيا وبشكل خاص في مناطق القفقاس. فإن أنور باشا أراد التعويض عن الفشل السابق بالتوجه منذ

(1) راجع: M.S. Lazarev, *Kurdistan...*, p 353-354.

أواخر آذار/ مارس من العام 1918 إلى مناطق القفقاس حيث بدأ تعاون فعلي بينه وبين أعداء الثورة الاشتراكية وتم تشكيل «الجيش الاسلامي» بقيادة شقيقه نوري باشا الذي احتل العديد من مناطق القفقاس بما فيها مدينة باكو. ولقي العديد منهم حتفهم أو وقعوا في الاسر[1]. إلاّ أن أهم نتيجة تركها انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية في هذا المجال ترتبط بازدياد اهتمام الانكليز بكردستان مما انعكس بشكل واضح في أحداث كثيرة وقعت خلال السنة الأخيرة من الحرب العالمية الأولى وبعدها مباشرة.

بيّنا في الفصل السابق جوانب معينة لاهتمام الانكليز بالشعب الكردي وبكردستان ضمن إطار التغلغل الاستعماري في المنطقة قبل الحرب، وكان من الطبيعي أن يتخذ هذا الامر بعداً جديداً مع انتقال الصراع الدولي على مناطق النفوذ إلى مرحلة الانفجار والصدام المباشر على الصعيد العالمي مع اندلاع نيران الحرب العالمية الأولى. ورغم «الخوف» الذي أبداه رئيس الوزراء البريطاني أسكويث في بداية الحرب مما أسماه «الخطر الأبدي... في كردستان» الذي يبقى - حسب قوله - حتى بعد ترتيب الأمور «في بلاد ما بين النهرين»، التي اعتبر مشاكلها أسوأ وأكثر تعقيداً من أي مشكلة جابهت البريطانيين في الهند[2]، نقول ورغماً عن ذلك ظهرت دلائل جد قوية قبل أن يضطر هو للتخلي عن الحكم[3]، تشير صراحة إلى عزم الانكليز على تحدي

---

(1) استفاد المؤلف من المعلومات التي استقاها من الضابط العثماني السابق الأستاذ فؤاد مستي الذي كان قد وقع في اسر البلاشفة وقضى فترة في سجون باكو.

(2) سجل رئيس الوزراء البريطاني هذه الملاحظة ضمن يومياته في 25 آذار/ مارس من العام 1915 ونشرها في ص 69 من الجزء الثاني من مذكراته. راجع:

A. T. Wilson, *Loyalities Mesopotamia...*, p. 83).

(3) ظل في منصبه كرئيس وزراء بريطانيا من العام 1908 حتى العام 1916 حيث خلفه لويد جورج.

ذلك «الخطر الأبدي» وكسبه، إنْ أمكن، وإلّا فترويضه. فاستمر الانكليز يبذلون المحاولات من أجل كسب العشائر الكردية إلى جانبهم بقصد اثارة المشاكل للعثمانيين والألمان في هذه المرحلة، ولم يقل عملاؤهم نشاطاً ونجاحاً من عملاء حلفائهم الروس أو أعدائهم الألمان والعثمانيين. وقد كان التقرب من المتنفذين الاكراد بالنسبة إلى الإنكليز أسهل من غيرهم إلى حد ما وذلك بسبب تغلغلهم الناجح في المنطقة قبل الحرب ولما كانوا يتمتعون به من سمعة بين الأوساط المثقفة الكردية التي كانت ترى في الانكليز خير رسل للحضارة الغربية.[1]

كان يهم الانكليز كثيراً أن يضعوا حداً للنفوذ الألماني في ايران التي لم يحل العام 1917 إلّا وكانت أراضيها كلها محتلة تقريباً من قبل ثلاثة جيوش أجنبية - في الشمال والشمال الغربي من قبل الجيش الروسي، وفي الجنوب والجنوب الشرقي من قبل الجيش الإنكليزي، وفي الغرب من قبل الجيش الألماني ـ العثماني المشترك. وقد امتد نشاط عملاء الألمان إلى المناطق الأخرى أيضاً فتمكنوا من الحاق أضرار جسيمة بالمصالح النفطية لبريطانيا في الجنوب. ولم يكف الألمان عن نشاطاتهم هذه لغاية اليوم الأخير من الحرب العالمية الأولى، ويكفي أن نقول إنه عندما عُقد الصلح بين ألمانيا والحلفاء كانت مجموعة من رجال الاستخبارات الألمانية في طريقها إلى ايران تصحبها قاطرتان مليئتان بعملات ايرانية فضية إلّا أنها توقفت في الطريق

---

(1) تستثنى من ذلك إلى حدٍ ما المناطق الكردية من ايران، حيث كان الشعور المعادي للانكليز والروس عاماً في البلاد الايرانية وذلك نتيجة تدخلاتهم الفظة والمباشرة في شؤون ايران الداخلية ولدورهم في ضرب ثورتها الدستورية ولاستمرارهم في حبك المؤمرات الرامية إلى تقسيمها، كما أشرنا إلى ذلك في الهامش 2 ص163.

بسبب الاعلان عن ابرام الصلح[1]. وكان الإنكليز يهتمون بإيران من منطلق آخر ايضاً هو إشغال أكبر ما يمكن اشغاله من قطعات الجيش العثماني هناك خاصة وإنها كانت تجابه القوات الروسية بالأساس مما كان يؤثر حتماً على امكانات الاتحاديين العسكرية في العراق، وهذه النقطة كانت حيوية للانكليز بشكل خاص عندما كانت قواتهم محاصرة في الكوت.

بدافع من هذه العوامل وغيرها حاول الإنكليز كسب أوسع قطاع عشائري كردي ممكن، وبالفعل فإنهم تمكنوا من شراء ذمم العديد من الرؤساء المتنفذين وعلى رأسهم رئيس عشيرة كلهور التي تعتبر من أكبر العشائر الكردية في ايران، وقد تمكنوا بمساعدتها هي وغيرها، من توجيه بعض الضربات للمصالح الألمانية.[2] ومن الجدير ذكره أن العميل الألماني الكابتن شوسلتسي الذي تطرقنا إلى نشاطاته من قبل، اغتيل مع ألماني آخر بأيدي رجال الكلهور الذين وجدوا بحوزتهما 12 ألف ليرة مع 800 بندقية[3]. ومن المهم أن نشير هنا إلى أن نجاحات الإنكليز بين العشائر الكردية بلغ حد إثارة المخاوف في نفوس المسؤولين الروس. فقد جاء في تقرير سري بعثه العميل الروسي في قصر شيرين ليفكييسكي إلى المسؤولين في وزارة الخارجية الروسية ما يلي:

«يمارس الإنكليز نفوذهم في كردستان بنجاح بالغ. ومع انتهاء الحرب وخروج قواتنا من ايران، فإنهم سوف يستقرون بشكل وطيد في تلك المناطق التي ينوون تحويلها إلى ما يمكن تشبيهه بحصن في وجه التجاوز على ميسوبوتاميا....».[4]

---

(1) راجع: S. L. Agaev, op. cit., p. 8.

(2) راجع: Kurd- Oghlu, op. cit., p. 109-110.

(3) راجع: M.S. Lazarev, *Kurdistan...*, p. 350-351.

(4) مقتبس من: M.S. Lazarev, *The Kurdish Question...*, p. 349, 451.

لم تقل نجاحات الإنكليز بين أكراد العراق عن نجاحاتهم بين أكراد ايران، وهو ما سنتطرق اليه ضمن بحثنا عن العمليات العسكرية البريطانية في العراق.

لم يمض أكثر من يوم واحد على اشتراك الدولة العثمانية بصورة رسمية في الحرب العالمية الأولى حتى هاجمت القوات البريطانية المسلحة جنوبي العراق واحتلت الفاو ـ الميناء الوحيد في البلاد، واستطاعت أن تحتل بعد ذلك بأيام قلائل مدينة البصرة كذلك. وفي محاولة لوقف الزحف البريطاني بدأ المسؤولون العثمانيون في العراق باتخاذ اجراءات سريعة كان من أهمها تحريض العشائر العربية والكردية على الاشتراك في القتال باسم «الجهاد» ضد الكفار واستطاعوا فعلاً إثارة مشاعر الكثيرين عن هذا الطريق، فأخذ هؤلاء يلتحقون بالقوات العثمانية بحيث لم يمر على احتلال البصرة وقت طويل حتى احتشد حوالى عشرة آلاف مقاتل كان بينهم أكثر من ألف خيال كردي بقيادة الشيخ محمود[1] قرب مدينة الناصرية تدفعهم العاطفة الدينية لردع القوات البريطانية الغازية. وفي المعركة التي وقعت في نيسان/ إبريل من العام 1915 بالقرب من الشعيبة بينهم وبين الإنكليز هزم العثمانيون والمتطوعون هزيمة منكرة. لقد قتل وجرح في تلك المعركة من الجانب العثماني أكثر من ألفين وخمسمئة شخص، كما أسر منهم حوالى 800 شخص، فضلاً عن كميات من الأسلحة والعتاد استولى عليها المنتصرون. أما خسائر الإنكليز في هذه المعركة فقد بلغت حوالى 1250 شخصاً.[2] إن هذه الهزيمة، فضلًا

---

(1) راجع: رفيق حلمي، يادداشت (مذكرات)، الجزء الأول، بغداد، 1956، ص 49 ـ 50.

(2) راجع: A. T. Wilson, *Loyalities Mesopotamia...*, p. 35.

حسبما جاء في بعض المصادر، فإن عدد القتلى والجرحى من الجانب العثماني كان أكثر من ذلك (راجع على سبيل المثال: محمد طاهر العمري، تاريخ مقدرات العراق =

عن موقف الضباط العثمانيين غير الودي، والتسيب الذي ساد جبهتهم، دفعت المقاتلين العرب والكرد إلى ترك ساحات القتال والعودة إلى ديارهم رغم أنهم كانوا قد جاؤوا إلى الشعيبة باندفاع ذاتي كان بالإمكان تحويله إلى قوة مؤثرة في ميزان القوى[1].

أولى الإنكليز احتلال بغداد اهتماماً خاصاً لما كان ينطوي عليه من مغزى معنوي عميق بالنسبة للعالم الاسلامي وباعتباره «أفضل تعويض عن كل ما فقد في أي مكان آخر» فتحوَّل إلى هدف مبكر في مخططات القادة البريطانيين ومقر الجيش في الهند وحظي باهتمام كبير من قبل المحافل السياسية في لندن[2]، كما حرضت على تحقيقه الأوساط الرأسمالية الإنكليزية[3]. ولم يكن بلوغ هذا الهدف أمراً سهلاً نظراً للإهتمام المشابه الذي كان يبديه الجانب المقابل وللدوافع ذاتها للحفاظ على بغداد في حوزته، فاصطدمت خطط الإنكليز بصعوبات كبيرة وكلف تحقيقها أخيراً في 12 آذار/ مارس من العام 1917 وقتاً كثيراً وضحايا جسيمة.[4] وقد أصدر الجنرال مود بعد دخوله بغداد بيانه المعروف الذي تم اعداده بأسلوب خاص وبتوجيه من أعلى المستويات،

= السياسية، الجزء الأول، الموصل، 1924، ص 105. حول معركة الشعيبة يمكن كذلك مراجعة: شكري محمود نديم، حرب العراق، ص 26 ـ 34).

(1) لاينكر أن رجال العشائر لم يستطيعوا أن يلعبوا دوراً كبيراً في الشعيبة وذلك للأسباب التي عرضناها، إلّا أن أ. ت. ويلسون يحاول الانتقاص من دورهم بشكل واضح وقريب من الاستهزاء.

(2) A.T. Wilson, *Loyalities Mesopotamia...*, p. 22-23.

(3) راجع: الدكتور زكي صالح، مقدمة في دراسة العراق المعاصر، بغداد، 1953، ص 11.

(4) للتفصيل راجع: شكري محمود نديم، حرب العراق، ص 54-142 (راجع أيضاً الهامش 1، ص171 من هذا الفصل). كانت ضحايا القوات العثمانية المنسحبة اكثر بكثير من ضحايا الإنكليز.

ولكن عملاء الالمان والعثمانيين حاولوا استغلال خلو البيان من أي اشارة إلى الاكراد لتحريضهم ضد الإنكليز[1].

وكما كان متوقعاً فقد ترك سقوط بغداد أثراً كبيراً في نفوس الالمان والعثمانيين بشكل خاص لما تركه من تأثير كبير على سمعتهم بين جميع الشعوب الاسلامية فاضطر الاتحاديون للتفكير جدياً في عاصمة العباسيين بأسرع ما يمكن، فتم في 31 آذار/ مارس عقد اجتماع سري حضره أنور باشا وطلعت باشا وجميع الوزراء وممثلون عن مجلس النواب مع ليمان فون ساندرس حيث اقر المجتمعون بأن «كارثة بغداد سوف تترك أثراً بالغاً على جميع المسلمين». ومن المهم أن نشير أيضاً إلى أن سقوط بغداد كان من شأنه دفع الخلافات القائمة بين الاتحاديين إلى السطح بقوة أكبر من السابق. ورغم أن الأكثرية الساحقة من الحاضرين في الاجتماع السري المذكور كانوا في من اتباع انور وطلعت المقربين، إلّا أن 36 شخصاً منهم تجرأوا على توجيه نقد لاذع لسياسة الدولة معلنين معارضتهم القوية لأسلوبها.[2]

غير أنه لم يكن من السهل إيجاد مخرج للأزمة التي فجرها سقوط بغداد بقوة أكبر من السابق، ذلك لأن سياسة الاتحاديين نفسها كانت تشكل المعرقل الاساس أمام وضع أي خطة عملية من شأنها التخفيف من الوضع سواء في ميادين القتال أو على الصعيد الداخلي. وفي هذه الأثناء انكشفت أوراق (الصديق الوفي لألمانيا)[3] أنور باشا أكثر من أي وقت مضى، فبدلًا من أن يبادر لإرسال تعزيزات عاجلة إلى العراق – وهو ما كان يطالب به الضباط الوطنيون وعدد من النواب – أمر بتوجيه سبع فرق مختارة قوامها 120

(1) راجع: A. T. Wilson, *Loyalities Mesopotamia...*, p.266-267.

(2) راجع: G.Z. Aliev, op.cit., p.316-364.

(3) كان القادة العسكريون الالمان يصفون أنور باشا عادة بـ(الصديق الوفي لألمانيا).

الف رجل لمساندة القوات الالمانية - النمساوية العاملة في جبهات رومانيا وغاليسيا ومقدونيا في وقت اصبح من المتعذر تماماً على اسطنبول ملء الفراغ الكبير في صفوف قواتها العاملة في جبهتي العراق ومصر والناجم عن العدد الكبير من القتلى والاسرى والجرحى والهاربين منها، ففي هذه الفترة بالذات بلغ عدد الجرحى والمرضى الذين كانوا ينقلون إلى الخطوط الخلفية في الجبهتين حوالى اربعة آلاف شخص في الشهر[1].

جاءت إجراءات الاتحاديين (لاسترداد بغداد) صورة معبِّرة عن الوضع السائد، فقد تقرر تشكيل وحدات من بقايا القوات المدمرة والمنهوكة في ميادين القتال لإنجاز هذه المهمة الشاقة التي ربما اعتقد الاتحاديون امكانية تحقيقها بإضفاء اسم رومانسي عليها هو «يلدرم» أي (الصاعقة). وتتجسد الصورة داخل اطار أكثر تعبيراً إذا علمنا أن الضباط الالمان الخمسة والستين الذين انضموا إلى (الصاعقة) كانوا هم الذين يشرفون على شؤونها، وليس في ذلك - بالطبع - ما يشوه الصورة التي تبدو اروع وأقوى إذا عرفنا أيضاً أن على رأس هؤلاء كان يقف فيلد مارشال الماني... لكن هذا الفيلد مارشال لم يكن سوى فالكينهاين (Falkenhayn) المطرود من منصبه كرئيس لهيئة الاركان إثر فشله الذريع في معارك فردان (1916) التي انتهت بانتصار الفرنسيين واندحار الالمان الذين فقدوا حوالى 600 ألف شخص أي ضعف ما فقده الفرنسيون تقريباً[2].

---

(1) راجع: G.Z. Aliev, op.cit., p.316-317, 384.

(2) من الطريف أن نذكر أن إيريخ فون فالكينهاين (1861-1922) أصبح رئيساً لهيئة الأركان إثر فشل مولتكه في مارن (راجع الهامش 2، ص142 من هذا الفصل)، وقد كان قبل ذلك وزيراً للحربية (1913-1914). وبعد فشله في فردان. أُعطي مهمة الاشراف على القوات الالمانية - العثمانية المشتركة في ميادين الشرق الأوسط.

بلغ تعداد (الصاعقة) حوالى 38 الف جندي وضابط كان يوجد بينهم عدد غير قليل من الاكراد[1]. وعلى ما يبدو فإن الفيلد مارشال فالكينهاين كان يتحرق شوقاً للإقدام على خطوة نابوليونية من شأنها إسدال الستار على هزيمة فردان، لذا كان يتعجل في نيل شرف استرداد المدينة التاريخية، وهو ما اصر عليه في المؤتمر الخاص الذي عقده القادة الاتحاديون في حلب بحضوره وحضور ليمان فون ساندرس وعدد من الضباط الالمان والعثمانيين لهذا الغرض، الامر الذي استدعى تهكماً لاذعاً واحتجاجاً جريئاً من أحد الضباط الاتراك الوطنيين المشتركين في هذا المؤتمر والذي لم يكن سوى.. مصطفى كمال (أتاتورك فيما بعد)[2].

كان من الطبيعي أن لا يسفر مثل هذا الاجراء الهزيل وغيره عن أي نتيجة، فهو لم يؤد إلى استرداد بغداد فحسب، بل لم يكن بإمكانه أن يؤثر بشيء أصلاً

---

(1) أكد هذه الحقيقة عدد من الضباط السابقين في الجيش العثماني من الذين اتصلت بهم. فحسب أقوال المرحوم الاستاذ اسماعيل حقي شاويس سعى المشرفون على (الصاعقة) لاستغلال روح الاقدام والعاطفة الدينية لدى البسطاء من الأكراد بتجنيدهم في هذه الوحدات ودفعهم إلى المغامرات القتالية.

(2) التفصيل راجع:

H.C. Armstrong, *Grey Wolf Mustafa Kemal.An Intimate study of a Dictator,* London.Third Ed.1932, p.89-90 .

من الصفحات المشرقة التي يسجلها التاريخ لمصطفى كمال تحديه النابع من حبه العميق لوطنه ولذكائه ولاعتراضه الخطط العسكرية الألمانية (اصطدم مع ليمان فون ساندرس وفالكينهاين)، وكذلك لاعتراضه على مواقف القادة الاتحاديين خلال سنوات الحرب العالمية الاولى. ولا شك أن الاحداث المفجعة التي رافقت تلك الحرب قد لعبت دوراً مباشراً في صياغة فكره السياسي، وصياغة توجهاته فيما بعد.

في ميزان القوى بالنسبة لميدان العرا[1]ق العسكري الذي شهد تقدماً متواصلًا للقوات البريطانية باتجاه الشمال والشمال الشرقي. وفي هذه المرحلة بالذات ظهر عنصر جديد على الصعيد الدولي دفع الإنكليز إلى التسريع في حركة قواتهم فيما وراء بغداد نحو الشمال، ألا وهو انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى في روسيا. فقد تركت هذه الثورة أثاراً عميقة على أصعدة مختلفة من اهمها، بالنسبة للشرق الأوسط خاصة، حدوث تغير ملموس في ميزان القوى استوجب إجراء تغيير متوافق في خطط الدول الكبرى الخاصة للمنطقة والتي تجسدت في بنود إتفاقية «سايكس - بيكو» السرية. وقد اعترف رئيس الوزراء البريطاني لويد جورج بذلك صراحة في خطابه الشهير الذي القاه في الخامس من كانون الثاني/ يناير من العام 1918 [2] عندما دعا إلى «نقاش حر» حول شروط السلام لأن خروج روسيا من اللعبة ادى إلى «تغيير وضع الاشياء بشكل جذري».

انعكس هذا الواقع في الميدان العسكري للعراق بسرعة لأن بريطانيا التي لم تكن ترغب في المجاورة المباشرة في مناطق نفوذها مع روسيا القيصرية فتنازلت عن ولاية الموصل لفرنسا بموجب إتفاقية «سايكس - بيكو»، بدأت الآن ترنو إلى ما وراء هذه الولاية، أي إلى المناطق الكردية التي خصصتها هذه المعاهدة السرية نفسها لروسيا. وهكذا جاء اندفاع القوات الإنكليزية منذ أواخر العام 1917 وبشكل خاص مع اقتراب الحرب من نهايتها متوافقاً كلياً مع التغييرات في الخطط التي فرضتها نتائج ثورة اكتوبر. ولا تخلو من معنى عميق في هذا المجال حقيقة أن القوات البريطانية التي احتاجت إلى حوالى

---

(1) اضطر العثمانيون والالمان بعد حماسهم الكبير واستعداداتهم السريعة للتنازل عن فكرة استخدام (الصاعقة) في ميدان العراق الحربي.

(2) نص الخطاب في:

War Memories of David Lloyd George, Vol. V, London, 1936, p. 2515-2527.

ثلاثة اعوام لدخول بغداد، تمكنت خلال فترة اقصر بكثير من طرد القوات والإدارة العثمانية من معظم مناطق العراق الاخرى. ومن مؤشرات السرعة غير الاعتيادية التي شهدتها ميادين القتال العراقية في هذه الفترة، أن لواءً خيّالاً بريطانياً قام خلال يومين فقط بقطع مسافة ثلاثة وثمانين ميلاً تضمنت اجتياز نهرين كبيرين هما الزاب الصغير ودجلة، كما قام لواء خيال آخر بقطع مسافة خمسين ميلاً خلال 16 ساعة فقط[1] ومن جانب آخر لم يبخل الإنكليز في تقديم ضحايا جسيمة من اجل التقدم خطوات أكثر نحو الشمال[2].

ومن الأمثلة الدالة التي تستحق الذكر هنا بشكل خاص، الحرب الضروس التي خاضتها القوات البريطانية في جنوبي الموصل قبل التوقيع على هدنة مودروس بإثني عشر يوماً فقط أي في وقت بدت نهاية الحرب في صالح الحلفاء واضحة بالنسبة للجميع، ومع ذلك فقد ضحى البريطانيون بحوالى ألفي شخص من قواتهم[3] لا لشيء إلاّ ليتقدموا خطوات قليلة أخرى قبل أن تنتهي الحرب[4]. وقبل ذلك بفترة تقدم الجيش البريطاني في الجبهة الشمالية

---

(1) راجع: شكري محمود نديم، حرب العراق ١٩١٤-١٩١٨، ص 210-211.

(2) يقول الاستاذ شكري محمود نديم في تعليقه على التحركات العسكرية التي وقعت خلال هذه المرحلة في جبهة العراق «كانت العوامل السياسية مسيطرة سيطرة تامة طوال هذه الفترة من التحركات... وقد طغت الاعتبارات السياسية على جميع العوامل العسكرية وبرزت بروزاً واضحاً في إدارة هذه التحركات». راجع: شكري محمود نديم، حرب العراق ١٩١٤-١٩١٨، ص 214.

(3) الجدير ذكره أن مجموع عدد قتلى القوات البريطانية في جميع أنحاء العراق خلال أربع سنوات من القتال بلغ حوالى 31 ألف شخص.

(4) خسر العثمانيون في تلك المرحلة حوالى أحد عشر ألف أسير و 51 مدفعاً وكميات كبيرة من الذخائر . راجع:

A. T. wilson, *Mesopotamia, 1917-1920. A clash of loyalities. A personal and historical record,* London, 1931, p. 16-17.

الشرقية تقدماً ملحوظاً واستطاع أن يدخل قصبة كفري في الثامن والعشرين من نيسان/ إبريل من العام 1918 واحتل بعد ذلك بيوم قصبة طوزخورماتو[1].

وقد وقعت في هذه المناطق أيضاً مصادمات بين القوات الإنكليزية والقوات العثمانية خسرت أثناءها الأخيرة أكثر من 200 جندي مع 20 مدفعاً وحوالى 1300 أسير بينما بلغت خسائر الإنكليز حوالى 200 قتيل وجريح فقط.[2] واستطاع البريطانيون فيما بعد وإثر معركة صغيرة احتلال كركوك أيضاً في السابع من أيار/ مايو، لكنهم انسحبوا منها بعد حوالى ثلاثة اسابيع (في الرابع والعشرين من نفس الشهر) وعادت اليها القوات العثمانية التي اضطرت بعد فترة قصيرة إلى تركها ثانية... وفي هذه المرة لاحقتها القطعات البريطانية إلى اطراف التون كوبري.

هنا يجدر بنا الإشارة إلى أنه بعد احتلال بغداد مباشرةً بدأ الإنكليز يرسلون عدداً من ضباطهم القديرين، ولا سيما اولئك الذين تلقوا من بينهم تدريباً خاصاً في الهند أو عاشوا في كردستان قبل الحرب، وذلك بقصد اقامة اتصالات مباشرة مع الاكراد، وبشكل خاص مع زعماء العشائر الكردية، وكان الميجر سون واحداً من هؤلاء الضباط الذين زاروا المناطق الكردية لمرات عديدة خلال هذه المرحلة من الحرب[3]. وما إن احتل الإنكليز بلدة كفري

(1) وردت معلومات مفصلة ومفيدة عن هذه المواقع في جريدة «تيكةيشتني راستي» الكردية وبأسلوب كان الإنكليز يبغون من ورائه الكشف اكثر عن ضعف العثمانيين (راجع على سبيل المثال الاعداد الصادرة في 13 أيار/ مايو و3 حزيران/ يونيو و5 آب/ أغسطس و14 تشرين الأول/ أكتوبر 1918).

(2) راجع: A. T. Wilson, *Mesopotamia...*, 1917-1920, p. 8.

(3) اشاد أرنولد ويلسون، وهو أول وكيل حاكم سياسي في العراق، بالميجر سون، وتحدث بصورة خاصة عن خدماته في المناطق الكردية والتي اعتبرها مفيدة جداً لعمل الجيش البريطاني في تلكم الانحاء. ومما قاله عنه: «كان سون أحد الرجال =

حتى اقاموا الصلات عن قرب مع بعض الشخصيات المعروفة في كركوك والسليمانية[1] كما أوفدوا الكابتن نوئيل[2] خصيصاً إلى السليمانية لمقابلة الشيخ محمود الذي اخذ زمام امور المنطقة بيده منذ أن انسحب منها الجنود والموظفون العثمانيون.

= البارزين الذين اسعدني الحظ بالتعرف إليهم.. كان عالماً باللغات لا نظير له... ومن بين الذين رأيتهم في حياتي كان الوحيد الذي استطاع العيش بنجاح، متنكراً بين الفرس وكأنه فارسي».

A. T. Wilson, *Loyalities Mesopotamia...*, p. 168-169.

(1) للتفصيل راجع:

C. J. Edmonds, Kurds, *Turks and Arabs. Politics travel and research in North-Eastern Iraq*, London 1957, p.29

راجع أيضاً: تيكةيشتني راستي، 26 آب/ أغسطس 1918.

(2) كان الكابتن (فيما بعد الميجر) نوئيل ضابطاً نشيطاً هادئاً واسع الاطلاع، يعرف اللغة الفارسية معرفة جيدة. تفهّم نفسية القبائل الشرقية ورؤسائها تفهما تاما. كان يعمل في البداية بين قبائل بختياري وقد استطاع إثارة الناس في تلك المناطق ضد الالمان وأن يقدم خدمات إلى شركة النفط الإنكليزية في ايران. وفي السنوات الاخيرة من الحرب استطاع أن يعقد صلات قريبة مع عدد كبير من رؤساء العشائر والشخصيات المتنفذة في كردستان حتى إنه بدأ يتعلم اللغة الكردية. والجدير ذكره أن سون كان يصر على ضرورة اهتمام الإنكليز بالاكراد بشكل يؤدي إلى كسبهم. وفي تقاريره السرية التي كان يرفعها إلى المسؤولين البريطانيين كان يحثهم بحرارة على ذلك. راجع:

Documents on British Foreign Policy. 1919-1939, First series, Vol. IV, London, 1952, p. 678. 693, 742, 782 .

ورغم أن نوئيل قد عمل لسنوات قليلة فقط بين الاكراد، إلّا أنه سرعان ما استطاع أن يكسب إلى جانبه مشاعر عددٍ كبيرٍ من رجالهم المعروفين، حتى إن واحداً مثل الاستاذ رفيق حلمي اصبح على ثقة من أنه لو سارت الامور وفق رغبات نوئيل، فإن الاكراد كانوا سيحققون جميع طموحاتهم (رفيق حلمي، المصدر السابق، ص 69). لم يبق نوئيل طويلاً في كردستان فقد ارسله المسؤولون الإنكليز لإنجاز مهام (خاصة) إلى منطقة القفقاس، وعند عودتة تعرّض للأسر من قبل الثوار الجنكليين.

ومن مؤشرات اهتمام الإنكليز، المتزايد، بالاكراد منذ احتلال بغداد وإثر «خروج روسيا من اللعبة» بشكل خاص، أنهم بدأوا منذ اليوم الاول من كانون الثاني/ يناير من العام 1918 بإصدار جريدة كردية في بغداد تحمل اسم «تيكةيشتني راستي» (فهم الحقيقة). لا يمكن عزل إصدار هذه الجريدة بالطبع، عن حرب الدعاية الواسعة التي رافقت الحرب العالمية الاولى. فإن طبيعة هذه الحرب وظروفها الحساسة ومرحلتها المتطورة استدعت الاهتمام بمسألة الدعاية بأسلوب جديد وواسع للغاية. وفي العراق نفسه نماذج كثيرة تبين هذه الحقيقة بجلاء ووضوح. فإن الإنكليز، مثلاً، زينوا صدر .جريدتهم «العرب» منذ عددها الأول الصادر في 4 تموز/ يوليو من العام 1917 بشعار دعائي صارخ ومثير هو أنها «عربية المبدأ والغرض ينشئها في بغداد عرب للعرب»[1].

اهتم المسؤولون السياسيون في الجيش البريطاني المحتل اهتماماً ملموساً بجريدتهم الكردية التي أشرف على اصدارها الميجر سون لا لإلمامه التام باللغة الكردية وحسب، بل ولاطلاعه الواسع كذلك على مهنة الصحافة مما أهّله لأن يلعب دوراً بارزاً في سائر الجرائد التي أصدرها الإنكليز منذ احتلالهم للبصرة[2] وهذا بالذات هو الذي أدى إلى أن تصدر الجريدة بمستوى رفيع لم تبلغه صحف كردية أخرى عديدة صدرت بعدها بسنوات كثيرة، وفي ظروف أصبح فيها للصحافة وزنها الكبير في الوسط الثقافي الكردي.

جاء اسم الجريدة «فهم الحقيقة» مطابقاً تماماً لأهدافها المقصودة، فإن الغرض الأساس لـ «تيكةيشتني راستي» كان ـ كما يبدو واضحاً من مضمون

---

(1) العرب، بغداد، العدد الاول، 4 تموز/ يوليو 1917 والأعداد التالية.

(2) لعب الميجر سون دوراً بارزاً في اصدار جريدتي التايمز البصرية والتايمز البغدادية اللتين بدأ صدورهما منذ احتلال الإنكليز لمدينتي البصرة وبغداد.

أعدادها المختلفة ـ جعل الأكراد «يفهمون حقيقتين» نابعتين من وجهة نظر انكليزية بحتة ــ حقيقة بريطانيا الناصعة والحقيقة القاتمة للألمان والعثمانيين بشكل خاص. وكانوا يبغون من ذلك تحويلها، مع جريدة «العرب»، إلى وسيلة دعائية فعالة لإظهار «عظمة بريطانيا»[1] ولقطع خط الرجعة على العثمانيين والحط من سمعتهم بأسلوب يؤدي إلى «التخلص من شرهم» بحيث لا يعود العراقيون يسمعون «اسمهم القبيح» مرة أخرى وذلك في سبيل أن «تحيا حكومة بريطانيا العادلة» و«يهلك الأتراك الظالمون» لأنهم «قلبوا النعيم بؤساً، والسعادة شقاءً، والخصب جدباً، والعمران خراباً».[2] ومقابل ذلك فـ «إن بريطانيا العظمى ... ستقوم، بعد أن تخرج ظافرة من الحرب، بإنقاذ شعوب الشرق قاطبة، ولاسيما عرب العراق وما حوله والكرد، من المآسي وتسعدهم بالانعتاق والحرية والاتحاد إذ إن تحقيق مثل هذه المطالب المقدسة محال دون مساعدة حكومة عادلة منصفة مثل بريطانيا العظمى». بقي أن نضيف أن هذا القول جاء تحت عنوان مماثل لاسم الجريدة نفسها ـ «فهم الحقيقة»[3].

حاولت «تيكهيشتني راستي» استغلال العاطفة الدينية والشعور القومي للجماهير الكردية بأسلوب من شأنه إثارة الضغائن ضد العثمانيين الذين لا يمكن أن يكون الوقوف بوجههم متعارضاً مع القيم الاسلامية، كما أكدت الجريدة مراراً، ذلك لأن «الدين شيء والسياسة شيء آخر» «عنوان افتتاحية العدد الرابع»[4] بل ذهبت «تيكهيشتني راستي» إلى أبعد من ذلك عندما حاولت

---

(1) ورد مثل هذا التعبير عشرات المرات على صفحات «تيكهيشتني راستي».

(2) راجع: تيكهيشتني راستي، بغداد، 5 و12 و26 كانون الثاني/ يناير و5 و19 شباط/ فبراير 1918، العرب، 12 و 17 كانون الثاني 1918.

(3) تيكهيشتني راستي، 12 كانون الثاني 1918.

(4) المصدر السابق.

إظهار الاتحاديين في ثوب الخارجين على الدين مما يجعل مناهضتهم فرضاً على كل المخلصين «باعتبار حكومتهم غير شرعية» ولأن الكفر بلغ بهم حد أنهم «ينفرون من سماع اسم محمد صلوات الله عليه، بينما إذا سمعوا أسماء أنور وطلعت وجمال فإنهم يصلون عليهم ويسلمون»[1]، علماً بأن رجال هؤلاء «كانوا يبيعون حقاً كبيراً مع دينهم لقاء رشوة بخسة»[2]. وبالمقابل فقد أجهدت «تيكةيشتني راستي» نفسها لإظهار الإنكليز كمدافعين أمناء عن الاسلام بحيث لا مناص من الوقوف في صفهم. فلا عجب إذاً خرجت علينا الجريدة في عددها الثالث عشر بمثل هذا العنوان البارز: «انكلترا والإسلام»[3] ثم يصبح العنوان في العدد الحادي والعشرين بهذا الشكل: «الأتراك الاتحاديون مضرون بالإسلام»[4] لأنهم دأبوا على «إمحاء مفاتيح آداب الدين الاسلامي الحنيف» بينما أن «من يرجع إلى التاريخ» يرى جلياً كيف أن «حكومة بريطانيا العظمى هبّت مراراً لمساعدة الاسلام» وأنها «قامت من أجل المسلمين بإنقاذ الحكومة التركية مرات عديدة من موت أكيد» وحتى في هذه الحرب فإن «حكومات بريطانيا وفرنسا وروسيا» فكرت بالمسلمين و «من أجلهم نصحت الحكومة التركية بأن تقف على الحياد .... لكن الاتحاديين الذين يرومون إمحاء العرب والكرد... لم يصغوا إلى مثل هذا الكلام». والدليل الآخر على حب بريطانيا للإسلام والمسلمين هو «ذلكم النعيم» و «تلكم السعادة» التي تتمتع بها «شعوب اسلامية كثيرة» في ظل الإنكليز الوارف، بينما، «والكل

---

(1) المصدر السابق، 20 أيار/ مايو 1918.

(2) ورد ذلك في العدد الأول من الجريدة ضمن مقال: حسنات الحكومة البريطانية المعظمة للعراق، (المصدر السابق، 1 كانون الثاني/ يناير 1918).

(3) المصدر السابق، 12 شباط/ فبراير 1918.

(4) المصدر السابق، 25 آذار/ مارس 1918.

يعرفون ذلك»، تعمل «ألمانيا بدأب من أجل القضاء على المسلمين» لأنها «عدوة للاسلام»[1]، وهاكم «أيها القراء الأكراد المسلمون» دليلًا قريباً، مثيراً، لايدحض، فهذه قائمة بأسماء الإنكليز الذين تركوا المسيحية واعتنقوا الدين الاسلامي واختاروا لأنفسهم أسماء عربية اسلامية[2].

بالإمكان ايراد أمثلة كثيرة تبين أسلوب الجريدة في إثارة الشعور القومي الكردي باتجاه يخدم مصالح بريطانيا في الحرب الدائرة آنذاك. فقد زينت «تيكةيشتني راستي » صدر عددها الأول بهذا الشعار: «صحيفة سياسية ـ اجتماعية تخدم اتحاد الأكراد وحريتهم». لا غبار بالطبع على مثل هذا الشعار، لو لا التأكيد في افتتاحيات الجريدة ومقالاتها على أن «بإمكان بريطانيا العظمى وحدها» تحقيق مثل «هذه الأهداف المقدسة» مما يحتم «تقدير صداقة الإنكليز» وعدم «الاتيان بعمل يفضي إلى ندم أبدي» ولاسيما وأن «الإنكليز أصدقاء للكرد أكثر من أي شعب آخر» فهم «عشاق بسالتهم» ويحبونهم «أكثر حتى من أهالي بغداد» الذين «أصبحوا بفضلهم ينعمون برفاه الحياة» لأن ما أنجزه الإنكليز في هذه المدينة خلال عام واحد «ما كان بمستطاع الأتراك انجازه خلال 500 سنة»، بل «إنهم (الأتراك ـ ك. م.) لم يستطيعوا خلال كل عهدهم ضمان ساعة واحدة من تلك السعادة التي يتمتع بها الأهلون في العراق وفلسطين من أول يوم وطأت فيه أقدام جيش الانكليز أراضيهما» لذا عبرت الجريدة عن ثقتها بأن أبناء «الشعب الكردي لن ينخدعوا بأكاذيب الترك» ولذلك فإنهم «يضعون أيديهم بأيدي الإنكليز وينقذون أنفسهم من مظالم

(1) المصدر السابق، 12 شباط/ فبراير و22 نيسان/ إبريل 1918.

(2) المصدر السابق، 12 كانون الثاني/ يناير 1918.

الأتراك لينهمكوا في إعمار اصقاعهم»[1]، ولاسيما وأن «حكومة بريطانيا المعظمى تسعى لسعادة الكرد» «عنوان افتتاحية العدد32» [2].

انعكست جهود البريطانيين لدفع رؤساء العشائر الكردية العراقية إلى حمل السلاح ضد العثمانيين واتصالاتهم بهؤلاء الرؤساء من أجل ذلك، على صحفات «تيكةيشتني راستي» بوضوح وبأسلوب لم يخلُ من ذكاء وإثارة وخبث. وبالنسبة لهذه النقطة الأخيرة نكتفي بالقول ان الأدبيات السياحية التي دونها البريطانيون الذين زاروا كردستان العراق قبل الحرب مليئة بصور رومانتيكية، إلّا أنها مخيفة للغاية، عن عشيرة الهموند، جاء تجسيدها في كتاب المشرف على جريدة «تيكةيشتني راستي» الميجر سون[3] بأسلوب لم يبلغه غيره، ومع ذلك نرى هذه الجريدة نفسها تتغنى بمآثر الهموند كخير دليل على شجاعة الكرد وإقدامهم فتقول ما نصه: «لا داعي لكي نبتعد كثيراً. فقبل سنوات مضت أذلت عشيرة الهموند الكردية عساكر الترك والعجم مراراً. واليوم لانريد منكم أنتم يا أحفاد هؤلاء الميامين سوى أن تكونوا حريصين على صداقة الإنكليز....»[4] و«الحرص على صداقة الإنكليز» يفرض سؤالًا ملحاً يتحول إلى عنوان لافتتاحية العدد التاسع عشر: «ماذا على رؤساء الكرد

(1) المصدر السابق، 23 شباط/ فبراير و13 أيار/ مايو و3 حزيران/ يونيو 1918. ورد قسم كبير من المقتبسات المذكورة في هذه الفقرة ضمن افتتاحية العدد 28 الصادر في 13 أيار/ مايو المعنونة «لن يفيد الترك الكرد والأقوام الأخرى» وافتتاحية العدد 31 في حزيران المعنونة «هل بقي شيء لم يفعله الأتراك الاتحاديون ضد الاسلام؟».

(2) المصدر السابق، 10 حزيران/ يونيو 1918.

(3) راجع:

E. B. Soane, *To Mesopotamia and Kurdistan in disguise*, p. 164, 179-182, 287-288.

(4) تيكةيشتني راستي، 23 شباط/ فبراير 1918.

أن يفعلوا؟» وفيها إطناب كثير لماضي الأكراد الذين «لم يخضعوا في أي عهد» للعثمانيين، مما يدعو إلى العجب لـ «أنهم لم يتحركوا بعد» مع كونهم «أشجع من أقوام أخرى كثيرة». ثم تذكر الجريدة أسماء عدد من الأكراد النافذين المعروفين مثل الشيخ محمود واقربائه «الذين لم يهابوا الترك يوماً ما» ورؤساء «عشيرة الجاف الكبيرة التي لا تعترف بوجود الحكومة التركية وأفرادها مسلحون بأسلحة جيدة» ورؤساء البشدر ومنكور «الذين لم يقدر عليهم الأتراك بمدافعهم وجندهم» ورؤساء بانه وهموند وزنكنة وطالباني وشوان وشيخ بزيني وباجلان الذين تطلب منهم الجريدة اثارة «حركة واسعة» من شأنها «انقاذ السليمانية وما والاها من ظلم الأتراك»[1].

ويبدو واضحاً من مضامين «تيكةيشتني راستي» أن الإنكليز اهتموا اهتماماً خاصاً بالرؤساء الأكراد الذين كانوا يعيشون في بغداد أو الذين كانوا يزورون المناطق الواقعة تحت الاحتلال البريطاني، فقد ورد اسم «سليل الأمراء الأجلّ الأكرم حمدي بك بابان» مراراً على صفحات الجريدة كما اهتم المسؤولون بمقدم «الأجلّ سليمان خان بن الأجلّ داود خان الكلهري» لزيارة العتبات المقدسة في النجف وكربلاء مما اعتبرته الجريدة دليلاً على «الحب العميق الذي يكنه الإنكليز للأكراد»[2].

وكرَّست الجريدة جانباً كبيراً من أعدادها لإبراز انتصارات القوات العربية في الحجاز وسوريا وحاولت جعلها نموذجاً يقتدى به، مستغلة في سبيل ذلك العواطف الدينية والشعور القومي للجماهير الكردية بأسلوب ناجح. فإن العرب «بدأوا يتداركون وضعهم منذ سنوات تحت ضغط الاتحاديين» وأوشكوا أن يبلغوا مآربهم «بالتضحية ... فأقاموا حكومة عربية

(1) المصدر السابق، 5 آذار/ مارس.

(2) المصدر السابق، 2 و 11 آذار 1918.

في أرض الحجاز الطاهرة باعثين بها اسم قحطان وقريش ...» وهي تستظل «براية رسول الله» وبفضلها «أصبحت الكعبة بيد حفيد النبي حسين الثاني» الذي «أصبح اليوم ملكاً معظماً للعرب وبادشاهاً شرعياً للمسلمين» فأعلن الجهاد «الذي قوبل من المسلمين بحماسة» وبدافع منه «انفصل نجله الطاهر فيصل عن العثمانيين» لأن جميع توسلاته بهم «للرفق بالنساء والأطفال»لم تجد نفعاً، وبين الكرد «يوجد كثير من الرؤساء» الذين يستطيعون الوقوف «مثل السلطان حسين» ضد الاتحاديين، ولاسيما وأنهم «فقدوا قواهم ولم يبق من يخشاهم»[1] والواقع أن جهود «تيكةيشتني راستي» والمحاولات الأخرى التي بذلها الانكليز لكسب اكراد العراق لم تذهب هباءً، فقد استجاب لهم العديد من رؤساء العشائر المتنفذة الذين رغبوا في التعاون معهم.

وهكذا استطاع الانكليز قبل الاعلان عن هدنة مودروس في الثلاثين من تشرين الاول/ أكتوبر من العام 1918 بين الحلفاء والدولة العثمانية، أن ينشروا نفوذهم في معظم الاصقاع الشمالية والشمالية- الشرقية العراقية بما فيها معظم المناطق الكردية. ولكن ظلت مع ذلك مناطق عديدة في ولاية الموصل لم تدخلها القوات البريطانية قبل الهدنة. ففي جبهة الموصل مثلاً بقي أمام تلك القوات اثنا عشر ميلاً للدخول إلى المدينة نفسها، إلّا أن الانكليز لم يعيروا أي انتباه لوقف القتال، فدخلوا مدينة الموصل وطردوا المسؤولين العثمانيين منها متعللين بالبند السابع من اتفاقية مودروس التي كانت تسمح لهم بـ«احتلال أي موقع استراتيجي» والبند السادس عشر منها الذي فرض على العثمانيين استسلام جميع قواتهم «في ما بين النهرين». وبهذه الحجة تم احتلال جميع أجزاء ولاية الموصل التي لم تحتلها القوات البريطانية قبل

---

(1) المصدر السابق، 8 كانون الثاني/ يناير و 23 شباط/ فبراير و 5 آذار / مارس 1918.

عقد الهدنة وكان الانكليز مصممين على فرض انتدابهم عليها مع بقية أقسام البلاد[1] دون أن يعيروا بنود معاهدة «سايكس- بيكو» أي اهتمام، لذا فإنهم كانوا على استعداد فعلاً للّجوء إلى استخدام القوة لإجبار العثمانيين على تركها بعد الهدنة مباشرة[2]. فالانكليز، كما قال اللورد كيرزن في حينه، كانوا يرون أن الحدود الغربية للهند تمر عبر الفرات الذي لايمكن السيطرة عليه إلّا عن طريق الموصل[3] وحدها[4]. ويبدو أن مثل هذا التمسك الانكليزي الشديد بولاية الموصل هو الذي دفع الفرنسيين إلى التنازل عنها بعد الحرب مباشرة، ولاسيما أنهم كانوا بحاجة إلى إجراء مساوماتٍ معينة مع الانكليز. يقول لويد جورج بهذا الصدد:

«عندما جاء كليمنصو بعد الحرب إلى لندن... سألني عما أود الحصول عليه من فرنسا بشكل خاص، فأجبته على الفور إنني أريد ضم الموصل إلى العراق... وافق كليمنصو على ذلك بدون أي نقاش، ونحن وإن لم نسجل اتفاقنا في مكان، فإن كليمنصو تمسك به بإخلاص خلال المحادثات التي جرت فيما بعد».[5]

يبدو واضحاً من الحقائق الواردة في هذا الفصل أن المناطق الكردية المختلفة غدت جزءاً مهماً من ميادين الحرب العالمية الأولى في الشرقين

---

(1) راجع: . *Documents on British Foreign Policy,* Vol. IV, p. 676, 694, 743

(2) راجع: .H. J.Philby, *Arabian days*, London, 1948, p . 173-174

(3) يقصد ولاية الموصل.

(4) مقتبس من:

Корсун Н.Г. , *Арабский Восток-Ирак*, Москва, 1928 , стр. 35.

ن. غ. كارسون، الشرق العربي – العراق، موسكو، 1928، ص 35.

(5) راجع: .Lloyd George, *The truth...*, Vol. II. p. 1038

وسوف نعود إلى تفاصيل هذا الموضوع ضمن الفصل الأخير من هذا الكتاب.

الأدنى والأوسط، وكانت الجيوش البريطانية والروسية والعثمانية والعشائر الكردية المسلحة وعملاء الألمان والعسكريون منهم يؤدون أدواراً مختلفة على مسرح كردستان. وتشير الوقائع إلى أنه لو لم تنتصر ثورة أكتوبر التي أدت إلى انسحاب القوات الروسية، لما ظل أي جزء من كردستان حتى نهاية الحرب في قبضة محتليها الأولين. ومع ذلك فإن هذه الحرب وعواقبها أدت إلى حدوث تغيرات سياسية واقتصادية هامة في معظم أرجاء كردستان، ولاسيما القسم الجنوبي منها الذي وقع تحت السيطرة الانكليزية مباشرة. وفي الوقت نفسه فإن أحداث الحرب العالمية الأولى تركت في أعوام الحرب نفسها أثراً كبيراً على الوضع السياسي للشعب الكردي وجلبت له دماراً كبيراً وبؤساً شاملاً وخسائر جسيمة نستعرض بعضاً من أوجهها ضمن الفصل القادم.

الفصل الرابع

نضال.. وضحايا

باتت الحرب العالمية الأولى والأحداث التي رافقتها، عقبة كبيرة في طريق تطور حركة التحرر-القومي الكردية ونموها وتعمق محتواها. إلّا أن ذلك لا يعني البتة أن الشعب الكردي تخلى كلياً عن النضال في تلك السنين[1]. فعلى أقل تقدير ظلت العوامل المحركة لهذا النضال باقية، كما في الماضي، بل إن بعضاً منها تعمقت أكثر من ذي قبل. فقبل كل شيء واصل الحكام العثمانيون سياستهم الشوفينية السابقة تجاه جميع شعوب السلطنة، بل إن هذه السياسة بدت في مجمل تصرفاتهم اليومية بصورة أكثر جلاء بسبب من أن الوضع الاقتصادي قد ساء في مختلف أنحاء البلاد، ولحد الغاية، من جراء الحرب. وكان سلوك العثمانيين في هذا المضمار سلوك من لا يدرك شيئاً من عواقب الأمور، فقد اغتنموا فرصة الحرب، كما يبدو، لضرب الحركة التحررية لشعوب السلطنة بما في ذلك الحركة الكردية. وامتدت آثار سياستهم هذه لتشمل أبناء فئات اجتماعية مختلفة، لم يحاول الاتحاديون في ظروفهم الحرجة تلك، أن يكسبوا حتى الزعماء السياسيين والروحيين للشعوب

(1) أخطأ بعض المؤرخين، ومنهم باسيل نيكيتين، في ما زعموا من أن الشعب الكردي تخلى عن النضال في سنوات الحرب تحت تأثير الدعوة إلى الجهاد. لقد أثرت الحرب بالطبع على وضع الشعوب العثمانية الاسلامية وموقفها، إلّا أنها لم تستطع أن تضع حداً لظاهرة لم تختف عوامل حياتها بمجرد ظهور الدعوة إلى الوقوف بوجه «الكفار».

الأخرى إلّا في نطاق ضيق للغاية وبأسلوب لم يخل من تعالٍ بعيدٍ عن الذكاء السياسي، بينما بدأوا في المقابل بضرب جميع من اعتبروهم أعداء سياسيين لهم، فمنذ بدايات الحرب شهدت العديد من مدن السلطنة مشانق صعد عليها المثقفون ورؤساء العشائر والفلاحون، واغتيل آخرون منهم باساليب أخرى. وبالامكان إيراد أمثلة عديدة من هذا القبيل وقعت في مناطق كردية مختلفة. ففي الأول من كانون الأول/ ديسمبر من العام 1914 شنق الشيخ عبدالسلام واثنان من رجاله وأحد الرؤساء الريكانيين في سجن الموصل مما اثار حفيظة الناس في معظم مناطق بهدينان[1].

ورأى ولاة الأمر في بدليس في اعلان الحرب على روسيا فرصة سانحة للهجوم على القنصلية الروسية واعتقال الملا سليم الخيزاني ورفاقه. فشنقوهم فوراً بقصد ارهاب الناس في تلكم المناطق وتركوا جثثهم معلقة في الشوارع عدة أيام[2].

لم تستطع هذه الأعمال المستنكرة التي اقترفها الاتحاديون في كل مكان، ولا النظام الدكتاتوري الذي فرضوه على الناس تحت شعار ظروف

(1) للتفصيل راجع: صديق الدملوجي، المصدر السابق، ص 102-105 و166-167، وعبدالمنعم الغلامي، الضحايا الثلاث، الموصل، 1952، ص50-51 . يورد الأستاذ صديق الدملوجي معلومات مهمة حول هذا الموضوع ولاسيما أنه عاصر أحداثه وكان أيضاً في نفس السجن الذي نفذ فيه حكم الإعدام بحق الشيخ عبدالسلام وأعوانه، وهو يؤكد أن التنفيذ جاء قبل مصادقة الباب العالي على الحكم الصادر من المحكمة وذلك - كما يذكر - بتدبير خاص من قبل والي الموصل سليمان نظيف الذي كان يعد من الأنصار المتطرفين للاتحاديين. والجدير بالذكر أن العثمانيين تمكنوا من القاء القبض على الشيخ عبدالسلام في خريف العام 1914 بواسطة شرك نصبوه له بمساعدة المدعو الصوفي عبدالله الشكاكي الفنكي.

(2) الدكتور بلةج شيركوه، المصدر السابق، ص 50.

الحرب، وضع حدٍ لنضال شعوب السلطنة بما فيها الشعب الكردي. صحيح أنه في تلك الظروف حيث كان معظم المثقفين الكرد قد سيقوا إلى الخدمة العسكرية وأرسلوا إلى ميادين القتال وتعطلت المنظمات والجمعيات والصحف التي كانوا قد أسسوها قبل الحرب،فلم يعد بالإمكان إلهاب حماسة جماهير الشعب، كما كان بالأمس، إلّا أنه، وبالرغم من ذلك، سرعان ما أدت سياسة الاتحاديين إلى ظهور منظمات سرية جديدة. فكما تشير بعض الوثائق الديبلوماسية الموثوقة لم تمض على اندلاع نيران الحرب سوى فترة وجيزة حتى ظهرت جمعيات كردية جديدة في الولايات الشرقية، وبشكل خاص في منطقة وان[1]، وكانت هذه الجمعيات تستهدف - حسبما تؤكد الوثائق نفسها- تنظيم انتفاضة عامة ضد الاتحاديين واختارت أساليب ارهابية للعمل ضد المتعاونين معهم. كما حاول بعض المثقفين تنظيم جمعية باسم «جمعية استخلاص كردستان» في اسطنبول، كان لها على ما يبدو بعض الصلات مع الروس ومع أوساط عربية معينة[2].

لم تستطع هذه الجمعيات أن تلعب دوراً ملموساً في الحياة السياسية لكردستان خلال سنوات الحرب، إلّا أن ذلك لم يحل دون أن يعبر السكان عن سخطهم واستيائهم على شكل انتفاضات وتحركات عفوية في العديد من الاصقاع الكردية. فعلى سبيل المثال لجأ الأهالي في منطقة بوتان إلى السلاح بصورة علنية في ربيع العام 1915 ضد السيطرة العثمانية وأخذوا يقاومون قواتها. وبالرغم من المحاولات التي قام بها أنور باشا للتقرب من بعض المتنفذين في منطقة درسيم الوعرة «التي لم تشترك في الحرب أصلاً»

---

(1) كان للمثقفين الأرمن على ما يبدو دورهم في تأسيس هذه المنظمات.

(2) للتفصيل راجع:

M. S. Lazarev, *The Kurdish Question*...,p.220, 346- 347, 422 .

كما شهد شاهد من أهلها[1]، فإن الأوضاع قد توترت فيها في الفترة نفسها تقريباً وتمكن سكانها من طرد الجنود العثمانيين من منطقتهم لأكثر من سنة واستولوا على مقاليد الأمور كاملة فيها.[2] وقد لعب الشاعر المعروف في هذه المنطقة علي شير دوراً بارزاً في إثارة مشاعر الناس وأخذ يحرض بكل قواه عشائر درسيم وقوجكير على الاتحاد في سبيل الانعتاق والحيلولة دون إفساح المجال لعودة المظالم العثمانية، وكان من المتوقع لهذه الحركة أن تتطور لتتخذ بعداً أعمق وأشمل، لولا الموقف السلبي الذي وقفه عدد من رؤساء العشائر الموالين للعثمانيين والذين لم يكونوا مرتاحين من نشاطات الشاعر الشعبي علي شير وأعوانه[3].

وبتأثير الهزائم المتلاحقة التي أصابت الجيش العثماني في مختلف الميادين واتساع نطاق الحركة التحررية لمعظم الشعوب الواقعة تحت سيطرة السلطنة العثمانية، أخذ نضال الشعب الكردي يتخذ في أواخر الحرب طابعاً أكثر عمقاً واتساعاً. فقد تمرد السكان في العمادية والسليمانية وأنحاء أخرى من كردستان عدة مرات ضد السيطرة العثمانية، وكان الشيخ محمود منذ أن قتل والده الشيخ سعيد بتحريض من المسؤولين العثمانيين في الموصل قبل الحرب[4]، فقد ثقته بالاتحاديين، فكان يتحين الفرص للثأر لوالده، حتى

(1) للتفصيل راجع:

Dr. Nuri Dersimi, *Kurdistan Tarihinde Dersim*, Halep, 1952, S. 94-99.

(2) راجع: M. S. Lazarev, *Kurdistan...*, p.311.

(3) حول حياة علي شير ونضاله في سنوات الحرب العالمية الأولى. راجع:

Dr. Nuri Dersimi, *Kurdistan Tarihinde Dersim*, s. 112-113.

(4) أبعد الشيخ سعيد والد الشيخ محمود إلى الموصل بعد انتصار ثورة الاتحاديين، وفي العام نفسه قتل هناك مع ابنه الشيخ أحمد وبعض رجاله بأسلوب درامي دبّره المسؤولون العثمانيون في المدينة (للتفصيل راجع: عبدالمنعم الغلامي، المصدر =

إن ذهابه إلى الشعيبة لمقاتلة الإنكليز كان بتحريض من رجال الدين وبتأثير فتاواهم والموقف الذي اتخذته العشائر العربية في الوسط والجنوب، كما أن عودته كانت من جراء كرهه للضباط العثمانيين ونقمته عليهم. لقد اغتنم الشيخ محمود فرصة الوضع السيّئ الذي كانت تتخبط فيه الدولة العثمانية في السنوات الأخيرة من الحرب وأخذ يناضل علناً لإسقاط السيطرة العثمانية في كردستان الجنوبية على الأقل والتي كانت الجيوش البريطانية قد اقتربت منها. وتحقيقاً لهذا الغرض فقد بدأ يقيم العلاقات مع خصوم الدولة العثمانية وفي مقدمتهم روسيا حيث بعث رسالة خاصة إلى المسؤولين الروس طلب فيها مساعدتهم. وسعياً وراء الهدف نفسه أقام الصلات مع الإنكليز الذين ما إن وصلت قواتهم إلى منطقة كفري حتى بدأوا يراسلونه مباشرة و تضع الحرب أوزارها بعثوا الكابتن نوئيل إلى السليمانية للتفاوض معه شخصياً.[1] وكما ذكرنا في مكان آخر من هذا البحث، فقد أصبح الشيخ محمود قبيل انتهاء الحرب المسيطر الفعلي الوحيد في منطقة السليمانية كلها، وكان ينوي استغلال الظروف الجديدة للعمل في سبيل ضمان حقوق شعبه، وكان يرغب في التعاون مع الأطراف الأخرى العاملة من أجل الهدف نفسه[2].

= السابق، ص 12 ـ 26). ومن الشواهد المهمة على مسؤولية الاتحاديين في تدبير أمر اغتيال الشيخ سعيد أن المهتمين في الحادث حوكموا بعد انقلاب الائتلافيين ومجيئهم المؤقت للسلطة فصدرت بحقهم أحكام مشددة، منها عقوبة الإعدام، ولكن ما أن تسلم الاتحاديون السلطة من جديد حتى أفرجوا عنهم دون تأخير.

(1) راجع: C. J. Edmonds, op.cit., p.39.
راجع أيضاً بحثنا المذكور سابقاً: وثائق وحقائق جديدة عن حركات الشيخ محمود.

(2) انعكس ذلك بشكل خاص في محاولاته لإقامة صلات قريبة مع الوفد الكردي في مؤتمر باريس.

أصبحت الجماهير الكردية مع اقتراب الحرب من نهايتها أكثر اصراراً على النضال. ففي صيف العام 1917 انتفض السكان في درسيم وبوتان للمرة الثانية، كما انتفض سكان خربوط للمرة الأولى. وفي أوائل آب/ أغسطس قام الأهالي في ماردين وآمد (دياربكر) بانتفاضة كبرى أجبرت المسؤولين العثمانيين على تخصيص قوة كبيرة لقمعها[1] ولاسيما وأنهم كانوا يخشون عواقب العلاقات القريبة التي كان زعماء الانتفاضة قد أقاموها مع القوات الروسية المحاربة في تلك المناطق، حتى انهم كانوا يزودونهم بالمعلومات عن الجيش العثماني وتحركاته. وفي الخريف من العام نفسه انتفض سكان بدليس من جديد، وكان عدد مسلحيهم في هذه المرة يناهز الثلاثين ألفاً. ومن الجدير بالذكر أن المسؤولين السياسيين والعسكريين الروس وعملاءهم أولوا هذه الانتفاضات والتحركات الكردية اهتماماً بالغاً وكانوا يحاولون اذكاء نارها حيثما أمكنهم ذلك، كما كانوا يبعثون بتقارير مفصلة ودقيقة عن أحداثها إلى قيادة القفقاس ووزارة الخارجية في بطرسبورغ[2].

خاض أكراد ايران كذلك حومة النضال في تلك السنوات بحماسة ورفعوا السلاح علناً ضد السلطات الايرانية والمحتلين الأجانب في العديد من المناطق وقد تجسد ذلك بشكل صارخ في اشتراكهم الفعال في حركة الجنكليين وهو ما نعود إلى تفاصيله ضمن هذا الفصل. وقد برز في ميدان النشاط الوطني آنذاك بعض المثقفين الكرد الايرانيين منهم أفراد أسرة قاضي

(1) خصصت السلطات العثمانية الفرقة السابعة والأربعين برمتها، فضلًا عن بعض القوات الأخرى، لإخماد انتفاضة دياربكر وماردين. راجع:

M. S. Lazarev, *Kurdistan*..., p.349.

(2) تدخل هذه التقارير ضمن المصادر الأصيلة لدراسة تلك المرحلة من تاريخ الشعب الكردي وقد أعانت المستشرقين السوفيات في دراساتهم كثيراً.

المعروفة في ساوجبولاق والشاعر الشيخ بابا الغوث آبادي الذي أسس جمعية صغيرة وحاول الاتصال بالروس، ولكن نشاط جمعيته ظل، على ما يبدو، محصوراً في نطاق ضيق لم يتعد الشاعر والبعض من أصدقائه المقربين.

ومن جهة أخرى خلقت مظالم المحتلين بمختلف فصائلهم، ردود فعل كبيرة بين أوساط كردية مختلفة اضطرت للّجوء إلى السلاح دفاعاً عن كرامتها مما بات جزءاً مهماً من نضال الشعب الكردي خلال سنوات الحرب العالمية الأولى. فقد أثارت تصرفات المحتلين السكان في العديد من مناطق كردستان الايرانية ودفعتهم إلى مقاومتهم بالقوة. ورداً على تصرفات الجنود العثمانيين، تقرب المسيحيون في منطقة ورمى أكثر من ذي قبل من الروس ومن بعدهم من الإنكليز، وأخذ سكان منطقة ساوجبولاق يقاومون الجيش العثماني ثم الجيش الروسي بنشاط تقودهم الشخصية المعروفة القاضي فتاح[1]. وقد أثارت الأعمال التي اقترفها الجنود الروس والمتطوعون الأرمن في منطقة رواندوز، جميع الناس هناك وفي مناطق كويسنجق وأربيل فاندفعت العشائر الكردية إلى مقاومتهم، كما هاجمهم الشيخ محمود ومسلحوه في جبهة بينجوين، وقاومهم سكان علياوه في منطقة خانقين ببسالة ولايزال أبناء الجيل القديم يتذكرون صور تلك الأيام القاتمة.

وفضلاً عن كل ذلك تجاوز نضال الأكراد في المرحلة الأخيرة من

---

(1) القاضي فتاح (الميرزا فتاح القاضي) (1832 - 1916) هو الأخ الأصغر لجد القاضي محمد، واحد من أشهر رجال المكريان، عرف بخدماته الجليلة مما أثار حنق المسؤولين عليه. دافع في سنوات الحرب عن منطقة ساوجبولاق ضد الجيوش العثمانية والروسية فيما بعد، وأستشهد هو وأحد أنجاله على أيدي الروس. وقد أبدى شجاعة كبيرة في المعركة كما يروي المطلعون، ووجدت فيما بعد آثار 17 طلقة على جثته (للتفصيل راجع: الدكتور رحيم قاضي، القاضي محمد، (مخطوطة)، ص 31 - 34).

الحرب حدود كردستان، وعاد المثقفون الكرد في العديد من المناطق إلى ساحات النضال وبدأوا يحاولون جلب الأنظار إلى المسألة الكردية من جديد، ولاسيما بعد أن لاحت عاقبة النظام العثماني في الأفق الدولي.

أخذ ثريا بدرخان قبيل انتهاء الحرب زمام المبادرة وبدأ نشاطه في القاهرة فاستطاع ان يؤسس جمعية سياسية تتولى أمر توضيح المسألة الكردية وشرع في اقامة الصلات مع المثقفين الكرد الذين أسرتهم القوات البريطانية أثناء القتال وأرسلتهم معتقلين إلى مصر والهند.[1] كان ثريا بدرخان ورفاقه يريدون عقد مؤتمر في احدى المدن الأوروبية تحضره الشخصيات السياسية الكردية لدراسة الوضع في كردستان ولبحث مصيرها في ضوء الأحداث التي وضعت عموم الشرقين الأدنى والأوسط على حافة مرحلة تاريخية جديدة.

يجدر بنا قبل أن نأتي على نهاية هذا الموضوع أن نشير كذلك إلى أن أحداث كردستان خلال سنوات الحرب العالمية الأولى لا تخلو من صور جديدة للنضال المشترك تستحق الذكر والاهتمام في إطار بحثنا. ولا جدال في أن أبرز تلك الصور قد تجسدت في ميدانين مهمين ـ في كيلان الايرانية وفي ظهور بوادر جديدة للتعاون العربي ـ الكردي.

شهدت منطقة كيلان الواقعة في شمالي ايران مداً جديداً في حركة الجنكليين[2]، المعروفة التي تعود بداية انفجارها إلى ما قبل الحرب بحوالى

(1) كان المثقفون الكرد المعتقلون في الخارج قد أسسوا لهم، وفق ما جاء في المعلومات التي نشرتها الشخصية المعاصرة لتلك الأحداث الأستاذ اسماعيل حقي شاويس، شبه منظمة قومية سرية (راجع: مجلة روزى نوى، العدد 9، كانون الأول/ ديسمبر 1960، ص 24-26).

(2) تعني كلمة (جنكل) في اللغتين الفارسية والكردية الغابة، وبما أن الثوار اتخذوا من غابات كيلان الكثيفة مركزاً لنشاطاتهم فقد عرفوا بالجنكليين أي سكان الغابة.

العامين[1] والتي كان يقودها ميرزا كوجك خان[2] بالتعاون مع عدد من المثقفين وبعض المنتمين إلى الأوساط التجارية منهم الدكتور حشمت الطالقاني والتاجر الحاج أحمد القاسمي وغيرهم، أما قاعدة الحركة فقد كانت فلاحية بالأساس. كانت قيادة الحركة وقاعدتها تتألف من انتماءات قومية مختلفة[3] جمعتها أهداف مشتركة تركزت خلال سنوات الحرب في النضال ضد المستعمرين والمحتلين وفي مقدمتهم الروس والإنكليز ومن أجل ضمان الاستقلال السياسي الناجز لإيران[4]. ومما كان يدفع الناس، وبشكل خاص الفلاحين للالتفاف حول الحركة تأكيد قادتها على ضرورة العودة إلى القيم الاسلامية الأصيلة وتحويلها إلى سلاحٍ ماضٍ للنضال ضد المحتلين الأجانب والى حد أقل ضد المستغلين في الداخل. وقد شكل الجنكليون منذ

(1) عن بداية المد الثوري في تلك المناطق راجع ص 127 ـ 128 من الفصل الثاني.

(2) اعتبر السيد علي السنجري، خطأً، ميرزا كوجك خان من «الشخصيات الكردية المعروفة» (راجع: مةلاعةلي سةنجةري، لةبياوة ناودارةكاني كورد ـ ميرزا كوجك خان، جريدة «زين»، السليمانية، العدد 32، تموز/ يوليو 1971)، فقد ولد ميرزا كوجك خان في رشت التي تعتبر أهم مدينة في مقاطعة كيلان المحاذية لحدود أذربيجان السوفياتية وهو ينتمي إلى عائلة أمتهنت التجارة والزراعة، أتاه لقب الخان من أنصاره وكان اسمه في الأصل يونس، تثقف في المدارس الدينية واشترك بنشاط في الثورة الدستورية وفي الحياة السياسية لايران (لمعرفة المزيد عن حياته راجع: ابراهيم، فخرائي، ميرزا كوجك خان سردار جنكل، ص 28 ـ 38. راجع كذلك:
M. S. Ivanov, op. cit., p. 259 -261.

(3) اشترك في الحركة، فضلًا عن سكان منطقة كيلان، عدد كبير من المتطوعين الذين أتوا من المدن والمناطق الأخرى بما فيها العاصمة طهران ومدينة تبريز الآذربيجانية وبعض المناطق الكردية وغيرها.

(4) تحول استقلال إيران شعاراً رئيسياً للحركة في سنوات الحرب، وقد أقسم المشتركون فيها على أن لا يحلقوا لحاهم حتى يتحقق مبتغاهم، وقد صار هذا تقليداً غالباً ما التجأ إليه الثوريون الايرانيون فيما بعد.

أواخر العام 1917 لجنة خاصة للاشراف على حركتهم باسم «اتحاد اسلام». والجدير ذكره أن الألمان والعثمانيين عملوا بنشاط في سنوات الحرب من أجل اذكاء الدعاية للجامعة الاسلامية في منطقة كيلان لأنهم كانوا يدركون امكانية توجيه ضربات إلى أعدائهم الروس والإنكليز بواسطة الجنكليين فبعثوا عدداً من الضباط إلى منطقتهم كان من بينهم الضابط العثماني المقدم حسين أفندي التبريزي الذي كان مطلعاً على المناطق والشؤون الكردية خاصة لاشتراكه في المعارك الحربية التي وقعت بين القوات الروسية والعثمانية في كردستان.[1] وقد تمكن الاتحاديون والألمان فعلّا من الاستفادة إلى حدٍ ما من الحركة الجنكلية حتى إن ميرزا كوجك خان أرسل مجموعات من المجاهدين لمعاونة القوات التركية والألمانية في المناطق الأخرى بما فيها منطقة كرمانشاه. كما أن توسع الحركة التي امتدت منذ العام 1917 إلى المناطق المجاورة من كيلان (مازندران، طالش وغيرهما) لم يكن في كل الأحوال في صالح الروس والأوساط الحاكمة الايرانية التي كانت تتعاون آنذاك مع الإنكليز على مختلف الأصعدة.

اشترك عدد غير قليل من الفلاحين الكرد بحماسة في الحركة الجنكلية وتقاطرت مجموعات منهم إلى مركز الحركة مع اندلاع الحرب مباشرة، وتحول خالو قوربان إلى واحد من أبرز قادة الحركة المقربين من ميرزا كوجك خان كما برز عدد آخر من الأكراد في صفوف الجنكليين منهم كريم خان وقنبر خان و خالو حشمت وباباخان الذي كان ينتمي إلى خالو قوربان[2] بصلة القرابة.

---

(1) راجع: M. N. Ivanova, op.cit., p.18.

(2) علا شأن خالو قوربان في صفوف حركة الجنكليين حتى إنه بلغ منصب قوميسير أو ما يوازي درجة وزير الحربية، ولكنه انفصل عنها في النهاية ودخل سوق المساومات الرائجة آنذاك وقتل أثناء اشتراكه في العمليات العسكرية التي جرت ضد سمكو، =

لم يقتصر اشتراك الأكراد الايرانيين في حياة البلاد السياسية أثناء الحرب على الحركة الجنكلية التي لم تنته بانتهاء الحرب[1]، بل إنهم أسهموا كذلك وبأشكال مختلفة في نضالات الشعب الايراني. فعندما احتدم صراع القوى الوطنية ضد حكومة وثوق الدولة[2] التي عرفت بموالاتها للإنكليز، ومن أجل إجبار تلك الحكومة على إجراء انتخابات جديدة ودعوة المجلس للإنعقاد، عقدت اجتماعات جماهيرية في مدينة كرمانشاه رفعت فيها شعارات بهذا المعنى، وقد لعب الشاعر المعروف، الكردي القومية، أبو القاسم لاهوتي دوراً بارزاً في تلك الاجتماعات.[3]

وعلى صعيد آخر شهدت سنوات الحرب العالمية الأولى كذلك أمثلة للتعاون بين العرب والأكراد في نضالهم العادل ضد السياسة العنصرية للاتحاديين. فقد قدم العرب ما كان بإمكانهم تقديمه من مساعدات إلى المشتركين في الانتفاضة التي اندلعت نيرانها في مناطق ماردين ودياربكر[4] في آب/ أغسطس من العام 1917 والتي سبق أن تطرقنا اليها. وكان لموقف السكان

= راجع: ابراهيم فخرائي، المصدر السابق، ص 347، وكذلك المقال المنوه عنه للسيد علي السنجري ـ الهامش ـ 2، ص207 (M. S. Ivanov, op, cit., p. 282, 293, 295.)

(1) دخلت الحركة الجنكلية مرحلة جديدة بعد انتصار ثورة أكتوبر وانتهاء الحرب العالمية الأولى فتم في الخامس من حزيران/ يونيو 1920 الاعلان عن تشكيل جمهورية كيلان، إلّا أن ضعف التحالف بين القوى الوطنية أحدث ثغرة كبيرة في جبهة الجنكليين مما مكن من القضاء على حركتهم وجمهوريتهم في تشرين الأول/ أكتوبر من العام التالي ولقي ميرزا كوجك خان مصرعه في جبال طالش وذلك أثناء مطاردته من قبل القوات الحكومية في أواخر تشرين الثاني/ نوفمبر من العام 1921:

(2) شكل في آب/ أغسطس من العام 1916 وزارة جديدة وكان من السياسيين الموالين لبريطانيا.

(3) راجع: M. N. Ivanova, op, cit., p. 22-23.

(4) راجع: M. S.Lazarev, *Kurdistan...*, p. 249.

العرب من الإنتفاضة المذكورة تأثيره في دفع الاتحاديين إلى اتخاذ اجراءات سريعة لقمعها خشية المضاعفات المتوقعة منها، لاسيما وأن الاوضاع بين العشائر الكردية والعربية في المناطق المجاورة لم تكن أقل توتراً من ذلك. ثم إن الروس كانوا يتحينون الفرص لاستغلال كل ثغرة جديدة يمكن التغلغل من خلالها لتوجيه ضربات جديدة لمواقع العثمانيين في المنطقة، لذا أقاموا ـ كما ذكرنا ـ اتصالاً وثيقاً مع قادة الإنتفاضة.

وهنا يجب أن نشير إلى أن اتصالات الشيخ محمود في سنوات الحرب العالمية الأولى لم تقتصر على ممثلي الدول الكبرى في السلطنة العثمانية وايران بل شملت كذلك بعض قادة الحركات السياسية لشعوب المنطقة الذين كانوا يعملون في سبيل تحرير شعوبهم من نير العثمانيين. وأهم تلك الاتصالات أجراها الشيخ محمود مع شريف مكة حسين وأولاده مقترحاً عليهم التعاون في نضال الطرفين ضد الاتحاديين، فبعث اليهم رسائل عديدة حول هذا الموضوع وقعت إحداها بيد المسؤولين العثمانيين[1]. وبالرغم من أن هذه الاتصالات لم تؤد إلى نتائج ملموسة إلّا أنها تعتبر في كل الأحوال من الدلائل التي تشير إلى انعكاس الأحداث العربية في المناطق الكردية وهي ما يؤكد عليها الدكتور م. س. لازاريف بشكل خاص[2]. ومن جانب آخر أثارت تلك الاتصالات حقد الاتحاديين أكثر ضد الساسة الأكراد، فبعد وقوفهم على اتصالات الشيخ محمود بشريف مكة المعادي لهم، تمادوا في التركيز على حبك الدسائس ضده بقصد اضعاف نفوذه بين الأكراد، كما دبّروا نهب داره في السليمانية.

---

(1) كان الديبلوماسيون والعسكريون الروس على علم باتصالات الشيخ محمود مع شريف مكة حسبما يبدو وقد أشاروا اليها في تقاريرهم الخاصة. راجع:

M. S. Lazarev, *The Kurdistan Question*..., p. 340, 449.

(2) M. S. Lazarev, *Kurdistan*..., p.349.

والجدير ذكره أن الإنكليز أيضاً أدركوا مدى تأثير الموقف العربي من العثمانيين على الأكراد، ولذا نراهم يركزون على هذه النقطة بشكل ذكي وبأساليب مختلفة وذلك بقصد إثارة الأكراد ضد الاتحاديين أكثر فأكثر. فجريدتهم الكردية «تيكةيشتني راستي» طافحة بالأمثلة الواضحة على ذلك كما ذكرنا في حينه[1] كما أن الجريدة نفسها أولت نضالات الشريف حسين ضد العثمانيين وانتصارات قوات الأمير فيصل في ميادين فلسطين وسوريا اهتماماً أكبر من أي حدث آخر من أحداث الحرب[2].

شهدت سنوات الحرب العالمية الأولى صوراً رائعة للتعاون الأرمني ـ الكردي، ولاسيما في أيام المذابح الأرمنية التي دبرها الاتحاديون في العام 1915 وسوف نعود إلى تفاصيلها ضمن الفصل المخصص لهذا الموضوع. إلّا أنه يجب الاعتراف كذلك بأن أحداث كردستان خلال سنوات الحرب لا تخلو في الوقت نفسه من بعض الصور المعاكسة القاتمة التي كان من شأنها تعكير صفو العلاقات بين شعوب المنطقة. فالزعيم الكردي المعروف سمكو لم يتورع مثلاً عن اللجوء إلى أقسى الأساليب في تعامله مع الأذربيجانيين والآشوريين بشكل خاص، وكان أسوأ ما قام به في هذا المجال تدبيره اغتيال مار شمعون بنيامين مع عدد كبير من أعوانه في اليوم الثالث من آذار/ مارس من العام 1918 بعد أن دعاه للاجتماع به بحجة التباحث معه حول مستقبل شعبيهما المتجاورين مما ترك آثاراً سلبية جداً على العلاقات

---

(1) راجع: ص 187 ـ 195 من هذا الكتاب.

(2) راجع على سبيل المثال: «تيكةيشتني راستي»، العدد 28، 13 أيار/ مايو والعدد 52، 28 تشرين الأول/ أكتوبر 1918 وتحدثت الجريدة عن الموضوع نفسه في أعداد أخرى كثيرة. كما أنها كانت تكرّس أحياناً إفتتاحية عدد بكاملها لبحث الانتصارات في ميادين فلسطين (راجع: العدد 48، 30 أيلول/ سبتمبر 1918).

الأشورية ـ الكردية فيما بعد[1]. وسوف نتطرق إلى صور قريبة من هذا في الفصل الخامس من هذا الكتاب.

تبقى نقطة أخيرة في مجال البحث في نضال الأكراد في سنوات الحرب تستحق الاهتمام وهي ما يتعلق بالآثار المبكرة التي تركها انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية في العام 1917 على المتنورين الأكراد وعلى الوضع العام في كردستان. فقبل كل شيء أدى انسحاب روسيا من الحرب ومن مخططات تقسيم مناطق النفوذ، إلى تغيير موازين وحسابات تكتيكية واستراتيجية كثيرة في ميادين الشرقين الأدنى والأوسط سنأتي على تفاصيل ما يتعلق منها بالأكراد ضمن الفصل الأخير من هذا الكتاب[2]. ولكن إلى جانب ذلك كان

---

(1) صحيح أن المستعمرين الأجانب، والمبشرين بشكل خاص، حاولوا بث بذور الشقاق بين الآشوريين والأكراد، وصحيح أيضاً أن الروس والإنكليز استغلوا الأشوريين ضد العشائر الكردية التي تعاونت مع الألمان والعثمانيين مما ترك آثاراً سلبية على العلاقات القائمة بين الشعبين، وهو ما يعترف به المؤرخون الآشوريون أنفسهم. راجع على سبيل المثال:

ك. ب. ماتفييف (بارماتاي)، أ. أ. مار يوحنا، المسألة الآشورية خلال الحرب العالمية الأولى وبعدها، موسكو، 1968، ص 62).

Матвеев (Бар-Маттай) К.П., *Мар-Юханна И.И., Ассирийский вопрос во время и после первой мировой войны*, Москва, 1968 , стр. 62.

إلّا أن التاريخ يدين، بالرغم من كل ذلك، ما قام به سمكو ولا يمكن الاتفاق قطعاً مع محاولات بعض المؤلفين الأكراد إيجاد مبررات غير منطقية البتة لعمله هذا، فهي محاولات لا تتفق بأي حال مع تفاصيل الأحداث التي رافقت هذه القضية من وجهة النظر التاريخية البحتة (راجع على سبيل المثال: علاءالدين سجادي، شورشه كانى كورد و كورد و كوماري عيراق (الثورات الكردية والكرد والجمهورية العراقية)، بغداد 1959، ص 251 ـ 254). والجدير ذكره أن سمكو نفسه راح في العام 1930 ضحية مؤامرة شبيهة تماماً لتلك التي دبرها هو ضد مار شمعون.

(2) تطرقنا في الفصل السابق إلى تأثير ذلك على تحركات الجيش البريطاني في العراق.

لانتصار الثورة تأثيره الواضح على المواقف السياسية لبعض الأوساط الكردية ظهرت أولى بوادرها في السنة الأخيرة من سنوات الحرب. فقبيل انتصار الثورة أقامت المنظمات السياسية السرية العاملة في صفوف الجيش الروسي الصلات مع بعض المثقفين الثوريين الكرد، بل إنها أسست لجنة مشتركة من ممثلي الجانبين في منطقة كرمانشاه[1]. وفي الوقت نفسه كان لبعض الشوريين من مدينة ساوجبولاق، وعلى رأسهم القاضي محمد، صلات مع المنظمات البلشفية التي كانت تعمل داخل صفوف قطعات الجيش الروسي العاملة في تلك المنطقة وقد مهد ذلك الطريق لإقامة منظمة سياسية سرية في هذه المدينة قبيل انتصار ثورة أكتوبر رفعت شعار تلبية الحقوق القومية للأكراد[2]. ويشير المؤلف الايراني أحمد شريفي إلى اتصال كل من سمكو والسيد طه الشمديني بالبلاشفة عندما كانا منفيين في روسيا[3] في بداية الحرب كما سبق أن ذكرنا.

---

(1) راجع:

Всемирная история, т. У II , Москва, 1960 , стр. 574.

تاريخ العالم، الجزء السابع، موسكو، 1960، ص 574. (ورد في ص 80، الهامش رقم 10، من النص الكردي لهذا الكتاب (الجزء الثامن) سهواً مما اقتضى التنوية ـ المؤلف).

(2) راجع: الموسوعة السوفياتية الكبرى، الطبعة الثانية، الجزء 28، موسكو، 1954، ص 460 ـ 461.

Большая Советская Энциклопедия, второе издание, Т.28, 1954 , стр. 460-461.

(3) أحمد شريفي، عشائر شكاك وشرح زندكي آنها به رهبرى أسماعيل آغا سمكو، طهران 1348/ ص19. (أحمد شريفي، عشائر الشكاك وتفاصيل حياتها بقيادة اسماعيل آغا سمكو، طهران، 1348 (1969م)، ص 19). حاولنا دون جدوى العثور على دلائل من مصادر أصلية تؤيد ذلك. يشير الأستاذ علاء الدين سجادي إلى=

توجد دلائل من نوع آخر تشير كذلك إلى هذه الحقيقة. فعندما دبر الروس البيض، بتحريض من الإنكليز، هجوماً في 2 تشرين الثاني/ نوفمبر من العام 1918 على مركز أول بعثة سوفياتية في طهران وألقوا القبض على جميع العاملين فيها، استطاع رئيسها ي. و. كليميتسيف الهرب والعودة إلى بلاده بمساعدة أفراد عشيرة سنجاوي الكردية[1]، أما بقية أعضاء البعثة، بما فيهم زوجة كليميتسيف، فقد نفاهم الإنكليز عن طريق بغداد إلى الهند. ولايخلو من معنى أن لسان حال القوات البريطانية العاملة في العراق، الجريدة الكردية «تيكةيشتني راستي»، بدأت مباشرة بنشر أخبار ومواضيع معادية لروسيا السوفياتية وبأسلوب من شأنه إثارة الحذر والريبة في نفوس الناس البسطاء فوصفت السلطة الجديدة بأنها «حكومة غير شرعية»، وادعت أن «سكان روسيا استنجدوا بالحلفاء»، فأعطت على هذا الأساس صوراً مغايرة للواقع عن حرب التدخل التي شاركت فيها قوات 14 دولة رأسمالية[2] وقاومتها شعوب روسيا السوفياتية بشدة مما أجبرها على التقهقر، بينما كانت

= علاقات محددة لسمكو مع القنصل الروسي في ورمى بعد الحرب (راجع: علاء الدين سجادي، المصدر السابق، ص 266).

(1) راجع: ل. ي. ميروشنيكوف، التغلغل الإنكليزي في ايران (1914ـ 1920)، موسكو، 1961، ص 145 . (في الهوامش القادمة: ...L.Miroshnikov).

Мирошников Л.И. Английская экспансия в Иране (1914-1920). Москва, 1961, стр. 145.

(2) تحولت بغداد إلى أحدى قواعد حرب التدخل الرئيسة، إذ إن القوات البريطانية بقيادة الجنرال دنسترفيل توجهت من بغداد إلى مناطق القفقاس، كما تم إرسال العديد من رجال الاستخبارات الإنكليز عن طريق العراق، منهم ـ كما ذكرنا ـ المتخصص في الشؤون الكردية الكابتن نوئيل.

«تيكةيشتني راستي» تؤكد «استقبال أهل روسيا لعساكر الحلفاء بكل ترحاب» لكونهم «حماة حريتهم واستقلالهم»[1]. إن مثل هذا الموقف لم يكن يعكس فقط ما أثاره انتصار أول ثورة اشتراكية من مخاوف في العالم الرأسمالي فحسب، بل كان أيضاً بمثابة خطوة وقائية كان لها موقعها، بالرغم من صغر حجمها، في حسابات الإنكليز بالنسبة لمستقبل المنطقة. وعلى أي حال لم يكن قد مضى سوى وقت قصير للغاية على انتهاء الحرب عندما كتب حاكم مدينة السليمانية الميجر سون ضمن تقرير سري رفعه إلى وكيل الحاكم العام البريطاني في العراق يقول «إن الناس هنا بدأوا، لسوء الحظ، يتفهمون أفكار البلاشفة»[2]. وقد وضع كل ذلك بدايات لأحداث أهم وأبرز بدأت تظهر على المسرح السياسي في كردستان بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى[3].

من كل ما سبق يبدو واضحاً أن أحداث الحرب ومآسيها والسياسة الدكتاتورية التي انتهجها الاتحاديون وألاعيب المحتلين لم تؤد إلى وقف

---

(1) تيكةيشتني راستي، العدد 21، 25 آذار/ مارس، العدد 44، 2 أيلول/ سبتمبر، العدد 45، 9 أيلول، العدد 60، 23 كانون الأول/ ديسمبر 1918. يجدر بنا الإشارة إلى أن «تيكةيشتني راستي» تحتوي في الوقت ذاته على اتجاهات مضادة أيضاً، لأنه من شأن هذه الاتجاهات المضادة فضح أعداء الإنكليز من الألمان والعثمانيين، لذا نرى الجريدة تتحدث عن احتجاج السلطة السوفياتية على سياسة الاتحاديين تجاه الأرمن وتشير إلى التحاق جنود ألمان ونمساويين بالبلاشفة وغير ذلك من المواضيع (راجع: العدد 25، 22 نيسان/ إبريل والعدد 31، 3 حزيران/ يونيو 1918).

(2) مقتبس من: A. T. Wilson, *Mesopotamia 1917-1920*, p.145.

(3) للتفصيل راجع: الدكتور كمال مظهر أحمد، أكتوبر والمسألة الكردية، ترجمة محمد الملا عبدالكريم، «الثقافة الجديدة»، العدد 2 ، تشرين الأول/ أكتوبر 1971، ص 152 ـ 162، أو الأصل الكردي للمقال: «برايةتي» العدد 9، السنة الأولى، الدورة الثانية، كانون الأول/ ديسمبر 1970، ص 4 ـ 12.

نضال الشعب الكردي في سنوات الحرب. ومع ذلك فإن هذا النضال لم يحقق أياً من أهدافه الكبرى، ففضلاً عن الوضع السياسي الدولي آنئذٍ، حالت أسباب عديدة أخرى دون ذلك. وتعود تلك الأسباب في الواقع إلى تخلف سكان كردستان في تلك الأيام وانخفاض مستوى وعيهم السياسي. فقبل كل شيء لم تصب الانتفاضات التي قام بها الشعب الكردي في تلكم السنوات في مجرى واحد كي تستطيع الصمود وتتمكن من خلال ذلك من تحقيق نتائج ملموسة. ورغم حدوث العديد من تلك الانتفاضات في وقت واحد في أنحاء مختلفة من كردستان، لم يفكر قادتها في أن يقيموا علاقات معينة فيما بينهم يتوحدون من خلالها. وفضلاً عن ذلك لم يكن لأي من تلك الانتفاضات تكتيك واستراتيجية محددان. فعلى سبيل المثال كان الشعور الديني يكفي بالنسبة للشيخ محمود ليحمله على حمل السلاح في سبيل أعدائه هو ضد الإنكليز، هذا فضلاً عن أنه كان يهاجم القوات الروسية بالسلاح في نفس الوقت الذي كان يراسلهم فيه ويطلب منهم المساعدة. ثم إن العديد من رؤساء العشائر الكردية كانوا يحاولون استغلال ظروف الحرب من أجل مصالحهم الذاتية فكانوا يدخلون ساحات المساومات ويغيّرون المواقف بسرعة، فمنهم من تعاون مع الروس والإنكليز والألمان والعثمانيين، وفي بعض الأحيان كان بعضهم يحتفظ بالعلاقات مع أكثر من جهة في وقت واحد، وقلما أعار هؤلاء حقوق الجماهير القومية والاجتماعية أي اعتبار يذكر، بل وإن معظمهم لم يستطيعوا ادراك كنه ذلك وتقييم أهميته.

ومن العوامل الأخرى التي أثرت سلباً على تطور النضال الكردي في هذه المرحلة أن الجهات المتصارعة المختلفة كانت تحاول بأساليب شتى دفع استياء الجماهير الكردية في مجرى يخدم مصالحها هي، بتحويل ذلك الاستياء إلى رأس حربة موجهة ضد أعدائها، مما كان يحول حتماً دون تعميق

محتواه القومي بنفس المستوى الذي حدث بين العرب والأرمن مثلاً، ففي هذا الاتجاه عمل كل من الروس والإنكليز والألمان وحتى الاتحاديون، وفي مضامين جريدة «تيكةيشتني راستي» دلائل مقنعة كثيرة تؤيد هذه الحقيقة. كما لم يكن من العبث أن نشاطات الروس بين الأكراد بلغت في سنوات الحرب حد أنهم نظموا عقد مؤتمرات كبيرة ضمت أعداداً غفيرة من الرؤساء الكرد وغيرهم كالمؤتمر الذي عقد في كردستان ايران في أواسط تموز/ يوليو من العام 1917 والذي استمر ثلاثة أيام واشترك في أعماله أكثر من ألفي كردي فضلاً عن ممثلين عن روسيا وانكلترا وايران، والمؤتمر الذي عقد بعد ذلك بأقل من شهرين بالقرب من مدينة سنندج والذي حضره الجنرال باراتوف شخصياً وحدد أهدافه في «توحيد جميع العشائر الكردية وفسح المجال أمام قواها للدفاع عن الوطن»(!) وهو ما أدرك الروس أخيراً كنهه، بعد المرور بطريق مليء بالأخطاء، كخير وسيلة لضمان مصالحهم في المنطقة مما أعطاهم نتائج ايجابية كثيرة يراها الدكتور لازاريف أمراً منسجماً مع المنطق، فكما يقول في تعليقه على ذلك: «كان يكفي الاستجابة للمطالب القومية للشعب الكردي وتأييد فكرة الحكم الذاتي أو حق تقرير المصير للأكراد ورفض أسلوب الحملات، لتغيّر العشائر مواقعها في الجبهة وتوافق على التعاون مع روسيا»[1].

ورغم جميع النواقص والثغرات التي نوهنا عنها فإنه يجب الاقرار بأهمية نضال الشعب الكردي خلال سنوات الحرب العالمية الأولى والذي تحول إلى أحد العوامل المساعدة على انهيار أسس النظام العثماني وذلك ضمن اطار أشمل حددت السياسة القومية للاتحاديين بعده الواقعي، حتى

(1) للتفصيل راجع: M. S. Lazarev, *Kurdistsan...*, p.362-364.

إن المؤرخ الآذربيجاني الدكتور حميد عليف يعطي هذه القضية في دراسته الواسعة عن تركيا في عهد الاتحاديين المقام الأول بين عوامل انهيار السلطنة العثمانية فيقول: «يمكن القول بدون مبالغة إن الاضطهاد القومي لشعوب البلدان الخاضعة والنضال ضده يحتلان المكانة الأولى بين الأسباب التي أدت إلى سقوط السلطنة العثمانية»(1).

ومن جانب آخر ساعد نضال الأكراد في سنوات الحرب على رفع الوعي القومي بينهم والاحساس بالغبن الذي لحقهم، شأنهم شأن القوميات الأخرى الداخلة في السلطنة، مما أدى إلى رسوخ شعار الحكم الذاتي لكردستان بل وحتى شعار حق تقرير المصير أكثر فأكثر في نفوس الناس والمثقفين منهم بوجه خاص، وهذا تحوّل بدوره إلى عامل مساعد للانتقال إلى مرحلة جديدة من النضال التحرري فيما بعد الحرب. كما أن ذلك النضال لعب دوره كذلك في لفت نظر أوساط مختلفة إلى المسألة الكردية أكثر من السابق وتقييم أبعادها بشكل أكثر واقعية. فليس مجرد صدفة مثلاً أن أقرت أعلى المستويات المسؤولة في بطرسبورغ اقتراح مينورسكي في العام 1917 (2) حول ضرورة وقوف روسيا بشكل رسمي إلى جانب طموحات الشعب الكردي(3). ولم يكن أيضاً مجرد صدفة أن جريدة «تيكةيشتني راستي» كانت تؤكد باستمرار استعداد الإنكليز الكامل للوقوف إلى جانب طموحات الشعب الكردي و«العمل من أجل إسعاده» كما «يفعلون ذلك مع الشعوب الأخرى» بل «وحتى اكثر مما يفعلون

(1) راجع: G. Z. Aliev, op. cit., p. 275.

(2) قبل انتصار ثورة أكتوبر.

(3) ورد ذلك ضمن الوثائق الديلوماسية الروسية الخاصة، للتفصيل راجع:
M. S. Lazarev, *The Kurdish Question*, p.351, 451.

للآخرين» لأن «انكلترا تعرف الأكراد أكثر مما تعرفهم الدول الأخرى»[1].

أثار استمرار النضال التحرري لشعوب السلطنة، والذي اتخذ بالنسبة لعدد غير قليل منها طابعاً في غاية الجدية، حقد الحكام العثمانيين أكثر من ذي قبل وألهب فيهم روح التعصب العنصري في أسوأ أشكاله. وبالنسبة للأكراد فقد اتخذ هذا الأمر طابعاً خاصاً بعد أن فشل الحكام العثمانيون في تحويلهم إلى عنصر مؤثر في الحرب الجارية كما كان عليه الأمر في الماضي، إذ بدأ الجنود الأكراد يتركون صفوف الجيش العثماني أفواجاً[2] وكثيراً ما كانوا ينضمون بكامل أسلحتهم إلى جانب الثوار من أبناء شعبهم. ويعلق الأكاديمي غاردليفسكي على هذه الحقيقة قائلا: «ثارت ثائرة الترك ضد الكرد لأنهم لم يشتركوا في الدفاع عن الوطن[3]، أما الكرد فقد ثارت ثائرتهم ضد الترك لأنهم عانوا من الجوع بسببهم»[4].

ومما كان يثير العثمانيين أيضاً أنهم لم يستطيعوا، كما سنتحدث عن ذلك في مجال آخر من هذا البحث، جعل أبناء الشعب الكردي آلة في أيديهم ضد الأقليات الدينية في الدولة العثمانية، وبشكل خاص ضد الشعب الأرمني المجاور. وأخيراً فإن الاتحاديين كانوا مستائين جداً من اتصالات الرؤساء الأكراد بالروس والإنكليز من جهة وبالزعماء العرب والأرمن المناوئين لهم

---

(1) الجريدة طافحة بمقالات حول هذه المواضيع وبتحريض واضح لإثارة الشعور القومي الكردي ضد العثمانيين وبالاستناد إلى الوقائع التاريخية (راجع على سبيل المثال: تيكەيشتني ر\ستي، العدد 3، 8 كانون الثاني/ يناير والعدد 4، 12 كانون الثاني والعدد 15، 19 شباط/ فبراير والعدد 19، 5 آذار/ مارس 1918 وأعداداً أخرى كثيرة).

(2) بلغ الأمر في أواخر الحرب حد أنه نادراً ما كان يعثر على جندي كردي أو عربي في صفوف الجيش العثماني.

(3) يقصد المعلق أنهم لم يشتركوا إلى جانب العثمانيين في الحرب الجارية (آنئذٍ).

(4) راجع: V. A. Gardlevski, op. cit., p.212.

من جهة أخرى. لهذه الأسباب باتت الفئات العثمانية الحاكمة واثقة من أنها خسرت عواطف الشعب الكردي نهائياً، لذلك فإنها بدأت تعمل في المرحلة الأخيرة من الحرب بقسوة وفظاظة لصهر الشعب الكردي وأطلقت يدها فيه واهمة أن ذلك خير سبيل للحفاظ على كردستان. والجدير ذكره أن حلفاءَهم الألمان كانوا يشاركونهم رأيهم هذا. ولتحقيق هذا الغرض أصدر الاتحاديون قبيل انتهاء الحرب سلسلة من المراسيم والفرمانات تقضي بتشتيت الأكراد في القرى التركية على أن لا تتجاوز نسبتهم في أي مكان 5 ـ 10 % من السكان الأصليين للمناطق التي يعاد توطينهم فيها، وكان من المقرر اسكان الشخصيات ورؤساء القبائل الكردية في مدن الأناضول الغربية ووضعهم هناك تحت الأقامة الجبرية ومنعهم من الاتصال فيما بينهم أو برجالهم الموزعين في القرى[5]. باشر الاتحاديون قبيل انتهاء الحرب تنفيذ خطتهم هذه بنشاط، بادئين بالقبائل «الجامحة» والرؤساء «الجامحين» الذين ما كان بوسع الحكام ترويضهم، وقد استطاعوا ابعاد الألوف منهم بقوة السلاح إلى المناطق النائية والقصية من غربي الأناضول. وهكذا تمكن الحكام الاتحاديون من ابعاد عدد كبير من الأكراد خلال الفترة الأخيرة من الحرب، فمات أكثر من نصفهم في الطريق جوعاً ومن شدة البرد أو فتكت بهم الأمراض ولم يستطع إلّا قلة منهم العودة إلى أماكنهم الأصلية، وذلك بعد انتهاء الحرب. أما الذين استقروا منهم في مهاجرهم فقد عاشوا في ظروف بالغة القسوة من البطالة والمرض، مما أدى إلى أن يموت من هؤلاء أيضاً خلق كثير[6]. وهكذا أعاد العثمانيون بعد

---

(5) الدكتور بلەج شيركوه، المصدر السابق، ص 60.

(6) تقدر مصادر مختلفة عدد المهجرين بما لا يقل عن 700 ألف شخص. راجع على سبيل المثال:

= *Memorandum sur la situation des kurdes*..., p. 11; A. safrastian, op. cit., p. 76,81;

مرور ثلاثة قرون ونيف صورة أخرى للمآسي التي شهدتها اسبانيا والتي أدانها التاريخ[1]، بل أعادوا صورة مصغرة لمآسي الأرمن التي بقيت ذيولها حتى

= M. S. Lazarev, *Kurdish Question...*, p. 309; *The massacres of Kurds in Turkey*, Cairo, 1928, p. 9 & D. A. Shmidt, *Journey.among brave men,Toronto*, 1964, p. 52.

ومع ذلك فإن المؤلف يشك في صحة هذا الرقم ويراه أكثر من الواقع مع أن الدكتور بلةج شيركوة يؤكد أن هذه الاحصائية مثبتة في ملفات «مهاجرة ادارةسى» (دائرة الهجرة في اسطنبول) (الدكتور بلةج شيركوة، المصدر السابق، ص 62). وأيّما كان الامر فإن جريدة «سربستي» (الاستقلال أو الحرية) ألتي كانت تصدر في اسطنبول تحدثت في عددها الصادر في الثلاثين من نيسان/ إبريل من العام 1919 عن عدة ألوف من الأكراد أبعدوا قسراً في سنوات الحرب إلى بعض المناطق غربي الأناضول. كما أكدت جريدة «مشاك» الأرمنية أن المنطقة الممتدة إلى الجنوب والغرب من بحيرة وان كانت خالية من السكان بعد الحرب بعد أن كان يقطنها في السابق ما لايقل عن800 ألف كردي. (راجع: M. S. Lazarev, *Kurdistan...*, p.314).

وبعد انتهاء الحرب طالب هؤلاء المسؤولين بالسماح لهم بالعودة إلى ديارهم، واستغل عدد غير قليل منهم ظروف انهيار الامبراطورية فعادوا إلى مواطنهم الاصلية دونما أخذ أي رخصة بذلك.

(1) للعرب، كما هو معروف، تاريخ سياسي ـ حضاري حافل في اسبانيا فأصبح استيطان قسم منهم في تلك البلاد نتيجة ملازمة لذلك التاريخ. وباعتراف المؤرخين الغربيين أنفسهم لعب العرب هناك دوراً بارزاً في تطوير الانتاج الزراعي والحرفي وفي تشييد صرح حضاري شامخ بقيت آثاره حتى اليوم. وبعد سقوط آخر معاقلهم في غرناطة عام 1492 وساءت أوضاعهم إلى حد كبير، وبلغ سوء معاملتهم منذ عهد فيليب الثاني (1556 ـ 1598) الذروة، فقد اتبع أبشع الأساليب معهم لإجبارهم على ترك لغتهم القومية ومعتقداتهم الدينية وعاداتهم الموروثة ومنعوا حتى من استخدام الأسماء العربية وأصبح العديد من المخطوطات والمؤلفات الاسلامية القيّمة معرضاً لنيران محاكم التفتيش في عهده، وأصدر خلفه فيليب الثالث في العام 1609 مرسوماً يقضي بإبعاد جميع المسلمين (أكثر من نصف مليون نسمة) من اسبانيا فتوجهوا تحت تهديد السلاح إلى أقطار المغرب العربي مما أضر إلى حد كبير باقتصاديات البلاد، لأنهم =

اليوم[1]، وكان ذلك في الوقت نفسه جزءاً من سياسة عامة عانت منها جميع شعوب السلطنة وتمكن أعداء العثمانيين من استغلالها بسهولة لصالحهم.

وفضلاً عن كل ذلك فإن الجيش العثماني شرّد وطرد معظم سكان مناطق دياربكر وموش وبدليس من مواطنهم تحت ستار متطلبات القتال، فاضطر الكثير من هؤلاء للّجوء إلى مدن كحلب والموصل يعيشون فيها في حر الصيف وبرد الشتاء على أرصفة الشوارع ويأكلون تحت وطأة الجوع جيف الحيوانات الفاطسة في تلك الأنحاء بل وحتى جثث الموتى من ذويهم[2] الذين هلكوا بدورهم من شدة الجوع.

ومن جانب آخر أدت السياسة الاقتصادية للاتحاديين في سنوات الحرب إلى إلحاق الدمار بجميع أصقاع السلطنة بما فيها المناطق الكردية. ففي تلك السنوات تضاعفت الديون الخارجية للدولة العثمانية بمقدار ثلاث مرات (من 153,6مليون ليرة إلى 465,7 مليون)، والأنكى من ذلك أن أكثر من نصف هذه المبالغ جاء من ألمانيا على شكل معدات حربية بالأساس.

وتعطي ميزانية الدولة في سنوات الحرب صورة أكثر قتامة. فقد كان قد من المتوقع أن تبلغ واردات الدولة للسنة المالية 1916 ـ 1917، 21 مليون

= عرفوا بمهارتهم الحرفية وخبراتهم الزراعية. وقد اتبع العثمانيون سياسة مشابهة لتلك مع الأكراد ومع الأرمن بشكل خاص. ولئن كان حكام اسبانيا اتخذوا من الحرص على الديانة المسيحية حجة لما أقدموا عليه، فإن حكام السلطنة العثمانية قلبوا العملة نفسها وجعلوا من الحرص على الإسلام حجة رئيسة لهم في تعاملهم مع الأرمن.

(1) للتفصيل راجع الفصل الخامس.

(2) تحدث عدد من المؤرخين عن المحن والمصائب الكثيرة التي أصابت الشعب الكردي في سنوات الحرب، ومن هؤلاء الأستاذ محمد أمين زكي الذي شاهد الكثير منها بأم عينيه (راجع: محمد أمين زكي، المصدر السابق، ص 273 ـ 280).

ليرة على ألّا تزيد مصاريفها عن 32 مليون ليرة، بينما لم تتجاوز الواردات في الواقع 19 مليون ليرة وارتفعت المصاريف بالمقابل إلى 75 مليون ليرة، وهذا يعني أن العجز السنوي للميزانية خلال الحرب بلغ 56 مليون ليرة بدل 11 مليون ليرة حسب «تخطيط» وزارة المالية.[1]

وقد تحوَّل الغلاء الفاحش إلى أسوأ ظاهرة للأزمة الخانقة التي بدأ الاقتصاد العثماني يعاني منها طيلة سنوات الحرب، ومن شأن نماذج قليلة إعطاء صورة واضحة عن مدى عمق المأساة التي بدأ يعيشها سكان السلطنة. فحتى العام 1917 ارتفع سعر الخبز أكثر من اثنتي عشرة مرة بالقياس مع العام 1913، وارتفع سعر اللحم خلال الفترة نفسها بمقدار ثلاث مرات والرز بمقدار خمس عشرة مرة والدهن بمقدار يزيد عن اثنتي عشرة مرة وارتفع سعر النفط بمقدار يزيد عن خمس عشرة مرة. وفي العام 1918 أصبحت لوحة الأسعار بهذا الشكل المفزع: حقة[2] اللحم أصبحت تباع بـ 130 قرشاً بعد أن كانت تباع بـ 30 قرشاً في العام 1917، وخلال العام نفسه ارتفع سعر حقة الرز من 45 إلى 90 قرشاً والدهن من 200 إلى 400 قرش بعد أنْ كانت الحقة تباع في العام 1913 بـ 16 قرشاً فقط[3]. ولم يقتصر ارتفاع الأسعار في الواقع على الحاجيات الحياتية الضرورية كالخبز واللحم فحسب، بل إن آثاره امتدت إلى حاجيات أخرى أصبحت تدخل في عداد الكماليات النادرة بسبب ارتفاع أثمانها الفاحش، فقد ارتفع سعر القهوة مثلاً بمقدر 70 مرة عما كان عليه قبل الحرب[4]. وإلى جانب الأسعار الخيالية هذه كانت الحاجيات نفسها

---

(1) للتفصيل راجع: .A. F. Miller, op. cit., p. 70

(2) الحقة تعادل 1,25 كيلو غراماً.

(3) الأرقام والنسب المذكورة احتسبت بالاستناد إلى المعلومات التي أوردها البروفيسور ميللر في كتابه: .(A. F. Miller, op. cit., p. 70-71)

(4) راجع: .Ahmed Emin, *Turkey in the World War*, New Haven, 1930, p.147-148

غير متوافرة بشكل يمكِّن من تلبية الحد الأدنى من متطلبات الناس، لذا صار وقوف الطوابير الطويلة أمام المخابز والمخازن وكذلك تدخل رجال الشرطة، من المظاهر المألوفة منذ الأيام الأولى لإعلان الحرب[1].

وزاد الركود الذي أصاب تجارة تركيا الخارجية من ثقل الضائقة المالية في كل البلاد. فقد انخفضت وارداتها من 42 مليون ليرة في العام 1913 إلى 4,7 مليون ليرة فقط في العام 1918، أما صادراتها فقد انخفضت خلال الفترة نفسها من 21 مليون ليرة إلى 5,5 مليون فقط.[2] وقد دفع هذا الهبوط الكبير معظم التجار الكومبرادور إلى ساحات السوق السوداء للتعويض بذلك عن جانب من خسائرهم الكبيرة فتحول الأمر بشكل غير مباشر إلى عبء جديد على كاهل فقراء الناس وذوي الدخل المحدود.

ومما زاد أكثر فأكثر آثار هذه الأوضاع المؤلمة ونتائجها، موقف القسم الأعظم من المسؤولين الاتحاديين الذين استغلوا ظروف الحرب للإثراء بأساليب جد رخيصة على حساب الشعب والوطن ولقمة عيش الأطفال الذين كان آباؤهم يخرون صرعى بالآلاف في جبهات القتال المختلفة دفاعاً عن الوطن في أحرج مراحل تاريخه. وهنا أيضاً يمكن الركون إلى نماذج قليلة لتقديم صورة مجسمة عن الواقع المخزي. فمثلاً تم في العاصمة اسطنبول تأسيس ما سمي بـ «جمعية الأصناف» لتنظيم شؤون الحاجيات الحياتية الضرورية وعلى رأسها المواد الغذائية في ظل الظروف الجديدة، إلّا أنها تحولت في الواقع إلى مؤسسة احتكارية أو سوق سوداء «رسمية» ضمنت أرباحاً خيالية لعدد قليل من المسؤولين على حساب جماهير الشعب، وكان في مقدمة المستفيدين من الجمعية قره كمال الذي لم يكن سوى أحد أعضاء اللجنة المركزية لحزب

---

(1) راجع: V. A. Gardlevski, op. cit., Vol. III. p . 86.

(2) راجع: A. F. Miller, op. cit., p . 72.

الاتحاد والترقي وقد نظم الأمور بشكل يؤدي إلى انتقال مئات الألوف من الليرات من أرباح الجمعية إلى خزينة الدولة العامة وتذهب الملايين إلى بعض الجيوب الخاصة. كما تحولت ألاعيب وصفقات كل من وزير التموين اسماعيل حقي توبال (الأعرج) ومحرر جريدة الاتحاديين «تنين» حسين جاهد والصحافي المعروف أحمد أمين وغيرهم من الشخصيات الاتحادية البارزة إلى حديث مجالس الخواص والعوام. ولم يكن غريباً أن تظهر في سنوات الحرب العصيبة، ولكن بفضل هذه الظروف، مجلة راقية جديدة في اسطنبول اختارت حكمة الناس لقصورها أسماء معبرة تدل على مصادرها مثل «شكر بالاس» (قصر السكر) و «كيميور بالاس» (قصر الفحم) و «جوال بالاس» (قصر الأكياس)[1] وما شابه ومنح الناس البسطاء قره كمال لقباً جاء في مكانه ـ «ديكتاتور المؤن» (!!). فمن ذا الذي كان يجد في نفسه الشجاعة الكافية ويتجرأ على أن يقف في وجه هؤلاء بعد الدرس القاسي الذي تعلمه المخلصون من الاتحاديين من تجربة أحد رواد حزبهم أحمد رضا الذي كان يشغل منصب رئيس مجلس الأعيان في سنوات الحرب.[2] فعندما بلغ السيل الزبى، وبعد أن تحوّلت صورة النظام الذي كان يحلم به إلى صفحة قاتمة في تاريخ بلاده الحافل تجرأ أحمد رضا واتهم الجهاز الاداري في العاصمة بالفساد فما كان عليه إلّا أن ... يقضي 24 ساعة فقط في التوقيف، فكان طبيعياً أن لايكرر هو أو غيره مثل هذه «الخطيئة»[3].

(1) حتى الأكياس الفارغة تحولت إلى مصدر رزق حرام بالنسبة لعدد من المتنفذين.

(2) بعد انتصار ثورة العام 1908 عين أحمد رضا أول رئيس لمجلس النواب الجديد، إلاّ أنه عُرف بضعف شخصيته وبقلة تأثيره على سير الأحداث. للتفصيل عنه راجع:
E. E. Ramsaur, op. cit., p. 22-26, 35-40, 94-129

(3) راجع: A. F. Miller, op. cit., p. 70-71.

أدت المشاكل الاقتصادية ومآسي الحروب المتكررة التي خاضتها الدولة إلى تفاقم المشاكل الاجتماعية في طول البلاد وعرضها، وكان بسطاء الناس ضحاياها الأبرياء وها نحن ننقل هنا صورة على لسان واحد من هؤلاء الضحايا، صورة بسيطة في مظهرها إلّا أنها عميقة في محتواها. ففي حديث جرى بين الروسي غاردليفسكي وجندي أسير من الجيش العثماني، قال الأخير:

«انك تسألني لماذا لم أتزوج، وأنا أقول: وهل كان لدي وقت لذلك؟. بدأت حرب طرابلس فوقعت في أسر الطليان، ثم في حرب البلقان وقعت في أسر البلغار، وها أنا الآن في أسر الروس»[1].

ورغم أن آثار هذه المآسي كانت عامة بالنسبة لجميع أجزاء السلطنة العثمانية، إلّا أن ظروفاً خاصة جعلت من بعض أقسامها تعاني من ويلات الحرب أكثر من غيرها. وتدخل كردستان ضمن هذه الأخيرة، ذلك لأنها تحولت، كما رأينا، إلى أحد ميادين القتال الرئيسة في الشرق الأوسط. ثم إنها بالاضافة إلى ذلك كانت متخلفة أكثر من غيرها فلم تكن اقتصادياتها تتحمل ضربات كتلك التي جلبتها أحداث الحرب معها. كما أن وجود قطعات من جميع الجيوش المتحاربة تقريباً على أرض كردستان زاد من تفاقم وضعها الاقتصادي، وكانت القطعات العثمانية نفسها تشكل العبء الأكبر على كاهل الناس، لاسيما وأن الجيش أعطي حق جمع ضريبة العُشر من الناس منذ بداية الحرب[2] وذلك من أجل سد جانب من احتياجات قطعاته.

يمكننا في الواقع عرض مئات الصور المؤسفة عن آثار مآسي الحرب في كردستان حيث راحت عشرات الألوف من أبنائها أكباش فداء للجوع

(1) راجع: V. A. Gardlevski, op. cit., Vol. III, p. 107.

(2) راجع: G. Z. Aliev, op.cit., p.258.

والأمراض والدمار. وعلى سبيل المثال فمن مجموع اثني عشر ألف شخص كانوا يقطنون عشرين قرية في احدى مناطق كردستان الشمالية مات في الأشهر الستة أو السبعة الأولى من الحرب حوالى ثمانية آلاف شخص[1]. بل إن منطقة مثل كردستان الجنوبية التي كانت من أبعد المناطق الكردية عن لظى الحرب ومآسيها، أصابتها ويلات كثيرة، ننقل فيما يلي نماذج قليلة منها: إنخفض عدد السكان في مدينة السليمانية حتى نهاية الحرب إلى الثلث. وبنفس النسبة بل وأكثر منها إنخفض عدد السكان في القرى المحيطة بها[2]، واضطر أكثر من نصف السكان في بعض المناطق الأخرى إلى ترك بيوتهم بسبب الجوع والمرض ومظالم المحتلين[3] واضطر قسم كبير منهم للانتقال إلى ضواحي ديالى والخالص والمقدادية وغيرها[4]، ولم يكن الوضع في رواندوز أحسن بحال من الأحوال[5].

شهدت المناطق الكردية موجة غلاء لم تر لها مثيلاً من قبل، وقد شملت حتى المنتوجات المحلية التي كانت إلى ما قبل الحرب تفيض عن حاجة السكان، كما امتدت أيضاً إلى المناطق التي لم يكن ضغط المحتلين عليها كبيراً. ففي كردستان العراق ارتفع سعر القمح بما يزيد سبع مرات بالمقارنة مع ما كان سائداً في أسوأ فترات المجاعة التي مرّت بها المنطقة في أواخر

---

(1) راجع: M. S. Lazarev, *Kurdistan...*, p.314.

(2) راجع: C. J. Edmonds, op. cit., p.81.

(3) راجع: A. T. Wilson, *Loyalities Mesopotamia...*, p. 266.

(4) راجع: تيكةيشتني راستي، العدد 15، 19 شباط/ فبراير 1918.

(5) للتفصيل راجع: حسين حزني المكرياني، موجز تاريخ أمراء سوران، ترجمة محمد الملا عبدالكريم، بغداد (بلا)، ص 83، أو الأصل الكردي: بة كورتي ميزوودي ميري سدران، هةولير، 1935، ص 102 ـ 103.

القرن الماضي[1]. والجدير ذكره أن الإنكليز حاولوا استغلال هذه الأوضاع بذكاء، فقد قاموا، من جهة، بتشغيل المشردين حيثما كانوا بحاجة إلى الأيدي العاملة لإنجاز الأعمال الضرورية لتحركات قطاعاتهم نحو الشمال والشمال ـ الشرقي من البلاد بل وحتى في أعمال السكك والميناء في أقصى الجنوب، كما قدموا بعض المساعدات لغيرهم. وجعلوا ذلك، من جهة أخرى، موضوعاً مهماً ضمن حملتهم الدعائية لكسب الأكراد وإثارتهم ضد العثمانيين. كتبت جريدة «تيكةيشتني راستي» في تعليق لها على تشغيل الأكراد، تقول: «كم من المرات أكدنا أن الاتراك ينوون إبادة العرب والكرد والأرمن والروم(!)[2]، فعلى كل من له عقل أن ينقذ نفسه من هؤلاء الظالمين قبل ان يقوموا هم بالقضاء عليه»[3]. وفي عدد آخر حرّضت الجريدة الفقراء على الانتفاض «أسوة بفقراء النمسا وألمانيا» ودعت الجنود الأكراد للالتحاق مع أسلحتهم بإخوتهم واستغلال فرصة انشغال القوات العثمانية في الجبهات الأخرى «لإثارة حركة واسعة» من أجل الانعتاق، فمن الأفضل «أن يموت الانسان في سبيل الوطن بدلاً من أن يقتله العدو جوعاً»، ولم يفت الجريدة بالطبع تحديد مفهوم ذلك الانعتاق في عددٍ آخر عندما أكدت أنه «في كردستان والموصل يموت عدد كبير من الناس جوعاً» بسبب العثمانيين والألمان، بينما «جيوب الجميع مليئة وبطونهم شبعى» في بغداد بفضل الإنكليز[4].

هكذا بات الألوف وعشرات الألوف من أبناء الشعب الكردي ضحايا

---

(1) أشارت إلى ذلك «تيكةيشتني راستي» وأعطت بعض الأرقام المقارنة حول الموضوع تيكةيشتني ر\ستي، العدد 15، 19 شباط/ فبراير 1918).

(2) علامة التعجب وضعت من قبلنا.

(3) تيكةيشتني ر\ستي، العدد 14، 16 شباط/ فبراير 1918.

(4) تيكةيشتني ر\ستي، العدد 14، 16 شباط/ فبراير والعدد 15، 19 شباط والعدد 19، 5 آذار/ مارس والعدد 28، 13أيار/ مايو 1918.

للحرب العالمية الأولى. وقد قدر الأستاذ محمد أمين زكي عدد هؤلاء بحوالى نصف مليون شخص، ولا يُستبعد أبداً أن يكون العدد أكبر، فحسب المعلومات التي وردت في كتاب الدكتور م. س. لازاريف والتي استخلصها من الوثائق الديبلوماسية للعهد القيصري، انخفض عدد أفراد الأسر المتكونة من 20ـ30 شخصاً، إلى ثلاثة أو أربعة اشخاص في سني الحرب في العديد من المناطق[1]. وفضلًا عن ذلك، فقد أدت الحرب إلى تدمير الحياة الاقتصادية للمناطق الكردية من أسسها وكان أحد الأسباب الرئيسة لذلك الشلل الذي أصاب قوة العمل فيها. فمن جهة سيق كل القادرين على العمل إلى ساحات القتال أو أنهم هربوا من مواقع أعمالهم والتجأوا إلى الجبال، ومن جهة أخرى وضع الجيش العثماني اليد على معظم الدواب في هذه المنطقة والتي كان قسم كبير منها يستخدم في مجال الانتاج الزراعي، لذلك لم يبق من يعمل في الحقول إلّا الشيوخ والنساء والأطفال، بل إن كثيراً ممن كانوا لايزالون يطيقون العمل إلى حد ما تركوا قراهم لأن ما كان يبقى لهم من نتاج عملهم لم يكن يكفي لسد رمقهم فساروا إلى المدن الكبيرة أو القواعد العسكرية أو المنشآت التي كانت تبنى لأغراض الحرب، بحثاً عن لقمة العيش. ونتيجة لهذه العوامل كلها فقد أُهملت أراض واسعة في سني الحرب، ففي كردستان الجنوبية اهمل أكثر من 50 % من الأراضي التي كانت تزرع آنذاك. وهكذا هبط انتاج المحاصيل الزراعية في المناطق الكردية هبوطاً تاماً. أما النزر اليسير من المحاصيل والذي كانت تنتجه البقية الباقية من الأيدي العاملة بصعوبة بالغة ومشقات لا يمكن تصورها، فقد كان محرماً على المواطن العادي، مادام هناك الجيش العثماني الذي لم يكن يتردد في نهبه، أو كان يفرض على

(1) راجع: M.S.Lazarev, *Kurdistan...*, p.314.

أصحابه بيعه له، مقابل أسعار بخسة، ويدفع لهم في الغالب نقوداً لارصيد لها[1]. وكان وضع المواشي أكثر سوءاً فقد هلكت أو استولى عليها الجندرمة والجنود، حتى إن القبائل الكردية من المناطق الشمالية والتي التجأت بمواشيها إلى مراعي منطقة أربيل والموصل، لم تتحمل مواشيها الظروف المناخية الجديدة، فنفق الكثير منها[2]. وتضررت الغابات في مناطق عديدة من كردستان من جراء تصرفات أفراد الجيش الذين لم يترددوا في قطع أثمن

---

(1) اضطرت بعض الدول، تحت وطأة الوضع الاقتصادي المرهق، إلى إصدار أوراق المالية دونما رصيد مما أدى إلى انخفاض أسعار عملتها بدرجة كبيرة. فقد انخفض سعر الأوراق المالية العثمانية بالقياس إلى العملة الذهبية بمقدار خمس مرات حتى العام 1917.

(2) راجع: League of Nations. *Question of the frontier between Turkey and Iraq*, Geneva, 1924, p.42

لا تتوافر احصاءات كافية لتحديد خسائر المناطق الكردية بشكل دقيق، ولكن يمكن تكوين فكرة واضحة عن الموضوع من خلال إلقاء نظرة على خسائر تركيا نفسها. فإذا كانت الثروة الحيوانية في تركيا بلغت في العام 1913، وبالرغم من جميع النكسات التي أصابت البلاد قبيل الحرب، حوالى 40 مليون رأس، فإنها انخفضت في نهاية الحرب إلى ما لا يزيد عن 19 مليون رأس فقط. ومما زاد آثار هذا النقص الكبير أن دواب العمل (الثيران والجواميس) هي التي قلّت أكثر من غيرها، بحيث انخفض عددها من حوالى ثلاثة ملايين في العام 1913 إلى حوالى 380 ألف رأس فقط في نهاية الحرب.

أما فيما يخص الأراضي الزراعية فإنها تقلصت على صعيد السلطنة (بدون البلدان العربية) من 64 مليون دونم في العام 1913 ـ 1914 إلى 25 مليوناً في العام 1916، وبصعوبة بالغة أصبح بالإمكان رفع هذا الرقم إلى 30 مليوناً في العام 1917 . فكان من الطبيعي بالتالي أن ينخفض إنتاج التبغ مثلاً من 49 ألف طن إلى 18,5 ألف طن، وإنتاج القطن من 24 ألف طن إلى ألفي طن فقط، كما تقلص انتاج الفواكة بالنسبة نفسها أو أكثر للتفصيل راجع: A. F. Miller, op. cit., p.69-70.

اشجارها لأغراض الطبخ والتدفئة بشكل خاص، ولم يكن أمام هؤلاء البؤساء مخرج آخر في واقع الأمر بفعل ظروفهم الصعبة للغاية[1].

أدت العوامل المذكورة مجتمعة إلى أن يعم المناطق الكردية قحط شديد شمل كل مدينة وقرية ومنزل، واضطر الناس للاقتيات بأعشاب البراري. وكما يروي الأستاذ رفيق حلمي، وهو شاهد عيان، فإنه «حتى الخبز اليابس والباقلاء المسلوقة باتا نادرين كالدواء، ولم يكن يحصل عليهما إلّا المحظوظون، بل حتى إن ذلك أيضاً كان أمراً بعيد المنال» و «لم يعد بوسع الدوائر البلدية دفن الموتى» وقلة من النسوة كن يستطعن أن يعشن عيشة ضنكة بعض الوقت وذلك «عن طريق الاتجار بإجسادهن»[2].

وقد حاولت فئات كردية معينة استغلال ظروف الناس القاسية للإثراء على حسابهم، فحقق بعض رؤساء العشائر والتجار الأكراد، مثل سواهم، مكاسب مادية ملموسة في سنوات الحرب. كما أن السلطة العثمانية نفسها اتبعت سياسة كان من شأنها إفساح المجال أمام رؤساء العشائر وكبار الملاكين لتوسيع إمكاناتهم[3]، ولئن ظلت آثار إجراءات السلطة في هذا

---

(1) لا تتوافر أحصاءات عن الخسائر التي أصابت غابات كردستان، ولكن الجنود لجأوا إلى العملية نفسها في مناطق أخرى كثيرة مما أدى إلى تدمير غابات وبساتين واسعة. ففي سوريا مثلاً تم حتى نهاية الحرب قطع أشجار حوالى 60 % من بساتين الزيتون فيها. لم يكن أمام الجنود العثمانيين مخرج آخر في ظروفهم القاسية تلك، كما ذكرنا، فإن الواحد منهم كان يتسلم في جبهة العراق مثلاً ما لا يزيد عن 350 غراماً من الخبز في اليوم، ولم يكن في الامكان كذلك اعطاء أكثر من كيلوين ونصف الكيلو من العلف للدابة الواحدة في اليوم (للتفصيل راجع: G. Z. Aliev, op. cit., p. 263-264).

(2) رفيق حلمي، المصدر السابق، الجزء الأول، ص 30 ـ 31.

(3) منح الاتحاديون كبار الملاكين بعض الامتيازات الجديدة في سنوات الحرب للتفصيل راجع: =

المجال محدودة بالنسبة لكردستان، فإن عاملاً آخر لعب دوره في إثراء عدد من المتنفذين الأكراد. فقد حاولت جميع الجهات المتنازعة كسب ود هؤلاء ولم تبخل أي منها في صرف الأموال من أجل تحقيق ذلك، حتى إن هذا الأمر تحول إلى عامل فعال جديد لتعميق التناقضات القبلية في كردستان. فعلى سبيل المثال احتدم النزاع في العام 1917 بين العشائر الكردية الايرانية الموالية للانكليز وتلك التي كانت تؤيد الألمان والعثمانيين، فقامت عشيرة كلهور وعشائر غيرها بالاعتداء على عشائر كردية أخرى منها عشيرة سنجاوي وذلك بتحريض من الإنكليز الذين تمكنوا من شراء ذمم رؤساء العشائر المتعدية[1]. وحقق بعض التجار الأكراد وبأساليب مختلفة مكاسب مادية في سنوات الحرب ظلت محدودة بالمقارنة مع ما حققه غيرهم في معظم المناطق الأخرى وذلك بحكم إنخفاض مستوى المعيشة في كردستان أكثر من غيرها. وعلى أي حال فقد أسهمت هذه الظروف في تعميق التناقضات الاجتماعية بشكل أو بآخر في المناطق الكردية. ومن الطريف أن نذكر أن جريدة «تيكةيشتني راستي» اعترفت بهذه الحقيقة بكل صراحة فرأت أنه من الواجب التوجه إلى الفقراء لحثهم على الانتفاض ضد الاتحاديين حيث «إن الاغنياء بلغوا مآربهم» ولذا فإنهم «يحبون أرواحهم أكثر من الشعب الكردي، بل أكثر من الدنيا بأسرها»[2].

ولم يكن دور السياسة الضريبية للدولة في تردي الوضع الاقتصادي للفئات الاجتماعية الكردية الدنيا، شأنها في ذلك شأن الفئات الشبيهة لها في

= Новичев А.Д. , *Крестьянство Турции в новейшее время*, Москва, 1959 , стр. 13.

أ. د. نوفيتشيف، فلاحو تركيا في العصر الحاضر، موسكو، 1959، ص 13.

(1) للتفصيل راجع: Kurd-Oghlu, op. cit., p. 110.

(2) تيكةيشتني راستي، العدد 15، 19 شباط/ فبراير 1918.

كل السلطنة العثمانية، دوراً ثانوياً. ورغم صعوبة الظروف المعيشية للناس، ورغم تذمرهم أصلاً من الضرائب القائمة، لجأ الاتحاديون في سنوات الحرب إلى وضع ضرائب جديدة طارئة والى زيادة القديمة منها، فضريبة الأغنام مثلاً زيدت بمقدار أربع مرات[1] وكان هذا بحد ذاته كافياً ليدفع العديد من أصحاب الحيوانات الأكراد للانتقال إلى المناطق التي لم تكن تخضع لسيطرة القوات العثمانية.

ومما كان يزيد وطأة هذه الأوضاع الأسلوب الفظ الذي غالباً ما كان المحتلون يلجأون اليه في تعاملهم مع بسطاء الناس ومع أولئك الذين كانوا يرفضون التعاون معهم. ففي كثير من المناطق الكردية الايرانية أطلق الجندرمة العثمانيون أيديهم في حياة الناس دونما رحمة أو شفقة .وعلى سبيل المثال شنقوا في احدى المناطق الكردية اثنين من الرؤساء هما محمد حسني خان السقزي وابنه سيف الدين خان وذلك بعد اعلان الحرب مباشرة وتركوا جثتيهما معلقتين عدة أيام ارعاباً للناس في تلك المناطق. ولم يقم الروس بأقل مما قام به العثمانيون. إن كلمة «مسقوف»[2] إنما هي من مخلفات تلك الأيام المظلمة[3].

---

(1) راجع: G. Z. Aliev, op. cit., p.264-265.

(2) الكلمة مأخوذة من «الموسكوفي» أي المنسوب إلى موسكو. لاتزال العجائز الكرديات في العديد من مناطق كردستان يتذكرن كيف أن الروس ما كانوا يسمحون بأكثر من سكينة واحدة لكل سبع أسر. وقد سجل أرنولد ويلسون في الجزء الأول من كتابه أن أي منطقة دخلها الجيش الروسي بات سُكانها حاقدين عليه. راجع:

A. T. Wilson, *Loyalities Mesopotamia...*, p.162.

(3) يذكر الأستاذ حسين حزني المكرياني أن الجيش الروسي لم يُبق إلاّ على منازل قليلة في مدينة رواندوز، وتلك هي المنازل التي كان يحتاج إليها لأغراضه الخاصة، وأحرق ما عداها دفعة واحدة (راجع: حسين حزني المكرياني، المصدر السابق، ص

وقبل أن نأتي على نهاية هذا الموضوع من الضروري أن نشير كذلك إلى أنه كان للكرد أيضاً نصيبهم من الخسائر الكبيرة التي لحقت بالجيش العثماني في سنوات الحرب من جراء أحداثها المؤلمة ومعاركها الطاحنة، ورغم أن قسماً كبيراً من الجنود الأكراد تركوا صفوف الجيش، لاسيما عندما أوشكت الحرب على النهاية، إلّا أنهم تمتعوا مع ذلك بحق المساواة في تقديم الضحايا، وخاصة لأن القطعات التي كان الجنود الأكراد يؤلفون نسبة كبيرة فيها خاضت معارك حاسمة في بداية الحرب، وأن العديد من العشائر الكردية اشتركت في الكثير من تلك المعارك كما جرى في موقعة ساري قاميش التي تطرقنا إلى تفاصيلها في الفصل السابق .أما خسائر القوات العثمانية في الحرب فتقدر بحوالى 600 ألف شخص بما في ذلك حوالى 400 ألف من القتلى أو من الذين ماتوا متأثرين بجروحهم، وحوالى 100 ألف من الجرحى و 80 الف من الأسرى والمفقودين[1].

يعطي كل ما سبق إمكانية القول إن سنوات الحرب العالمية الأولى الأربع لم تجلب للجماهير الكردية ولبلادها بل وحتى لعدد غير قليل من الملّاكين والتجار الأكراد سوى الدمار والتشرد والأمراض والهلاك. ولا نجانب الحقيقة إذا ما أكدنا أن أياً من شعوب الشرقين الأدنى والأوسط لم يعانِ من جراء الحرب ما عاناه الأرمن والآشوريون والكرد من بؤس وشقاء وتعاسة. والأنكى من ذلك أن العثمانيين كانوا يسعون بكل وسيلة لأن يمسحوا أيديهم الملطخة بدماء الأرمن بأيدي الكرد المشدودة الوثاق وهو ما سنتحدّث عنه في الفصل التالي بشيء من التفصيل.

---

83). أغلب الظن أن ما يذكره المؤلف إنما كان من عمل المتطوعين الأرمن الذين رافقوا القطعات الروسية.

(1) راجع: A. Emin, op. cit., p. 252: بعض المصادر تعطي أرقاماً أقل من تلك (راجع مثلاً: A. D. Novichev, *Turkey*, p.130).

الفصل الخامس

الكرد والدم الأرمني المراق

يؤلف الأرمن واحداً من أقدم شعوب منطقة الشرق الأوسط. وتقع بلاد الأرمن، أرمينيا أو أرمنستان، إلى الشمال من منابع الفرات عند بحيرة وان، أي أنها تحادد كردستان. كان للشعب الأرمني، منذ الأزمنة السحيقة في القدم، دولته المستقلة وحضارته المتقدمة[1]. وقد انتشر الدين المسيحي بين الأرمن منذ القرن الرابع. واللغة الأرمنية واحدة من اللغات الهندو ـ أوروبية المستقلة القديمة.

يتشابه تاريخ الأرمن والكرد والأحداث التي مرّت على الشعبين من عدة أوجه. فلم يستمر استقلال الشعب الأرمني أيضاً أمداً طويلاً. ومنذ أن خسر سيادته على أرض بلاده وقع هو الآخر في قبضة الأجانب وغدا وطنه جزءاً من مملكة الرومان. كما أنه وقع كذلك في أيدي الايرانيين مرات عديدة. وفي العام 387م قسمت بلاده بين الدولتين الساسانية الايرانية والبيزنطية. وفي بداية القرن الثامن صارت أرمينيا جزءاً من الأمبراطورية العربية ـ الاسلامية. وفي منتصف القرن الحادي عشر وقعت من جديد في قبضة البيزنطيين ثم السلاجقة الذين تسببوا للشعب الأرمني بمحنٍ كثيرة.

وحمل اليه التتر والمغول في أواسط القرن الثالث عشر قدراً غير يسير

(1) تأسست أول دولة أرمنية مستقلة في القرن السادس ق. م. كان للأرمن في العصور القديمة والوسطى حضارتهم الزاهرة، ولهذه الحضارة مكانة بارزة في تاريخ الشرق الأوسط.

من الدمار والخراب والمصائب. وفي الفترة الواقعة بين القرنين السادس عشر والثامن عشر كانت أرمينيا أحد أهم ميادين التوتر والحروب العدوانية بين الدولتين العثمانية والصفوية، مما جلب للأرمن مزيداً من التخلف. وقد شرد الشاه عباس الصفوي وحده عشرات الألوف من الأرمن من أرض آبائهم وأجدادهم[1]. وفي العام 1639 قسّمت أرمينيا نهائياً، وألحق القسم الشرقي منها بالدولة الصفوية، كما أعطي قسمها الغربي للدولة العثمانية[2]. ونتيجة لهزيمة الايرانيين في حربهم مع الروس في الأعوام (1826 ـ 1828) التي أسفرت عن عقد معاهدة (تركمان جاى) بين الطرفين في العام 1828، أصبحت أرمينيا الشرقية جزءاً من روسيا.[3]

تعود العلاقات بين الأرمن والكرد بوصفهما شعبين يعيشان في وطنين متجاورين، إلى عهد قديم، عهد الميديين. إلّا أن تلك العلاقات كانت منذ الفتح الاسلامي، وبصورة خاصة منذ أن صارت أرمينيا، شأنها شأن كردستان، جزءاً من ايران والدولة العثمانية ـ عرضة لتغيرات ايجابية أو سلبية مستمرة.

فقد كانت هناك عوامل تبعد الشعبين، أو بتعبير أدق بعض الطبقات من الشعبين، عن بعضها. كما كانت هناك عوامل أخرى تقرب بينهما. كان الدين أحد العوامل المفرقة أو الفاصلة بينهما على الأقل. إلّا أن اختلاف الدين لم يصبح، وإلى فترة طويلة، وفي الحقيقة حتى ظهور عوامل أخرى مساعدة، سبباً

---

(1) شرّد هذا الشاه نفسه، العديد من القبائل الكردية عن بلادها. للتفصيل راجع: محمد أمين زكي، المصدر السابق، ص 115.

(2) قسمت كردستان قبل ذلك بحوالى قرن، أي في العام 1514، بين ايران الصفوية والدولة العثمانية.

(3) في تلك السنة نفسها انضم جزء من الشعب الكردي إلى روسيا، ومعظم أكراد الاتحاد السوفياتي اليوم هم أحفاد هؤلاء.

لظهور الخلافات والتناقضات بين الأرمن والكرد، أو بين الكرد والشعوب المسيحية الأخرى في المنطقة[1].

كان هناك سبب آخر يفصل الشعبين عن بعضهما بعضاً، ألا وهو تقدم الأرمن بالقياس إلى الكرد. لقد مر هذا الشعب بمرحلة العبودية منذ زمن بعيد وأقام أسس حضارته واستقلاله في هذه المرحلة، واجتاز عهد الاقطاع قبل الكرد بمدة طويلة وسنحت له الفرصة في القرون الوسطى أكثر من مرة للتمتع بالاستقلال، وكان له أدبه المتطور وأبجديته المتميزة[2]. ووقع جزء من وطنه تحت سيطرة دولة أوروبية متقدمة، بدلاً من أن يكون جزءاً من بلد آسيوي متخلف. ولأسباب عديدة سبقت أرمينيا كردستان في الاندماج بالسوق الرأسمالية، ولذلك فقد ظهرت العلاقات الجديدة في المجتمع الأرمني قبلها في المجتمع الكردي وتسببت له في حدوث تغيرات كبرى داخله. وبسبب من توطن الأرمن وسد أبواب الزراعة بوجههم إلى حد ما منذ زمن بعيد[3]، فإن الصناعات الحرفية المحلية، شأنها شأن التجارة، في كردستان، وقعت في أيدي الحرفيين الأرمن المعروفين بمهاراتهم وخبراتهم الواسعة[4].

---

(1) أكد العديد من الكتاب الأجانب الذين تحدثوا عن الكرد، بصورة خاصة، أنهم ـ أي الكرد ـ قوم بعيدون عن التعصب، مما أدى، في رأيهم، إلى أن يستطيع الآشوريون مئات السنين الحفاظ على دينهم وتقاليدهم في قلب كردستان.

(2) ظلّ الأرمن يستعملون أبجديتهم الخاصة حتى بعد أن تعلموا اللغة التركية وأخذوا يستخدمونها للكتابة، فكانوا يكتبونها بالحروف الأرمنية. ويذكر الدكتور أستارجيان، أنه بصدور أول جريدة أرمنية في عام 1794 أصبح الأرمن عاشر شعب له صحافته وبذلك سبقوا حتى الأميركان والأتراك، راجع الدكتور أستارجيان، تاريخ الثقافة والأدب الأرمني، الموصل، 1954، ص 131.

(3) يتحدث المؤلف، فيما بعد، عن أسباب انسداد أبواب الزراعة بوجه الأرمن ـ المترجم.

(4) في مدينة كسيواس، مثلًا، حيث كان الأرمن يشكلون قبل مذابحهم 35 % من=

وكان عدد كبير من الاقطاعيين وملاك الأراضي والفلاحين الكرد يلجأون للحصول على أدواتهم الزراعية ووسائل انتاجهم الأخرى ولشراء البضائع الضرورية لهم إلى أولئك الحرفيين. وعندما اندمجت كردستان بالسوق الرأسمالية وصارت النقود الواسطة الرئيسة لتنظيم العلاقات أصبح الأرمن الأثرياء أكبر مصدر للاستدانة والاستلاف. فكان الاقطاعيون والكادحون الفقراء في كردستان يتوجهون سوية، عندما كان المال يعوزهم، إلى أولئك. وبديهي أنه لا يحدث قط أن يحب مدين دائناً من هذا النوع. كما لم يكن بوسع الحرفي الكردي الذي لم يستطع أن ينافس في عمله منتجات الحرفيين الأرمن، أن ينظر اليهم بعين المودة. وكثيراً ما كان يحدث أن ينهب الاقطاعيون الأكراد بطرق لصوصية التجار الأرمن ويسلبونهم بضائعهم خشية أن يقعوا تحت أعباء ديونهم.

وفضلاً عن ذلك فإن الحركة التحررية العادلة للشعب الأرمني أصبحت لأسباب عديدة، ولفترة من الزمن، سبباً لأن يتوجس الأكراد بعض الخوف من نتائجها المتوقعة حسب مخططات الجناح المتطرف في الحركة المذكورة، كما سنتحدث عن ذلك بالتفصيل فيما بعد.

إلّا أنه كان هناك، بالمقابل، بعض العوامل الفعالة التي تقرب الكرد والأرمن من بعضهم البعض، لاسيما الجماهير الشعبية منهم، كان العامل الأكبر والأهم في هذا المجال وحدة الجهة التي تضطهد الشعبين معاً وتحتل

= السكان، كان 125 تاجراً كبيراً مستورداً من مجموع 166 تاجرا (أي حوالى 75 % منهم) من الأرمن. كما كان 6800 تاجر صغير من مجموع 9800 تاجر في هذه المدينة من الأرمن أيضاً. وكان 130 محلاً حرفياً من مجموع محلاتها الحرفية البالغة 153 محلاً، يعود لحرفيين أرمن كذلك. أما في مدينة وان، فكانت النسبة أكثر. راجع:

M. S. Lazarev, *Kurdistan...*, p.36.

بلادهما، فقد كان الكرد والأرمن يئنون سوية وبصورة متشابهة إلى حد بعيد، تحت وطأة حكم الشاهات الصفويين [1] من جهة والسلاطين العثمانيين من جهة أخرى. فالشاه عباس نفسه الذي حرم ألوف الأرمن من وطنهم، هو نفسه الذي فعل بالكرد ما هو أدهى وأمّر[2]. والسلاطين الذين سدوا كل أبواب الرقي والتقدّم بوجه الكرد، هم أنفسهم الذين كانوا يوقفون عجلة التقدم بالنسبة للأرمن كذلك. ولا شك في أن هذا الوضع كان مما يوحد مشاعر الكرد والأرمن، وإن كان قصر النظر قد حال في بادئ الأمر دون أن يستوعب زعماء الشعبين أهمية تلكم الظروف التاريخية. غير أن هذه الحقيقة أخذت بعد حين تلعب دورها بصورة تدريجية في تقريب الشعبين من بعضهما بعضاً كما سنتحدث عن ذلك أيضاً فيما بعد.

كان هناك عامل مهم آخر في هذا المجال يترك أثره ويقرب الجماهير الشعبية في أرمينيا وكردستان من بعضها بعضاً. فقد كان الفلاحون وسائر الكادحين الزراعيين من الشعبين يدفعون الضرائب إلى خزانة واحدة، وكانت وطأة هذه الضرائب تشتد عليهم يوماً بعد آخر. وخير تعبير عن هذه الحقيقة ما ورد في احدى الوثائق التاريخية التي تعود إلى ذلك العهد. ففي رسالة سرية أرسلها أحد زعماء الأرمن الدينيين من موش في الثالث عشر من تشرين الأول/ أكتوبر من العام 1912 إلى الحبر الأعظم للأرمن الكاثوليك، تحدث ضمن ما تحدث، عن أن الكادحين الأرمن والكرد كانوا يعانون معاً من وطأة جباة الضرائب، فيقول في رسالته إنه «فضلاً عن كل ما نحن فيه من بؤس وشقاء، فإن قضية المظالم التي يرتكبها بحقنا الملتزمون قد أرهقتنا إلى

(1) قبل أن تصبح أرمينيا الشرقية جزءاً من روسيا.

(2) راجع الهامش 1، ص 238.

حد كبير.. إنهم ينهبون الفلاحين الأرمن والكرد معا بحجة (ضريبة العُشر).[1] فعندما يأتون إلى الحقول لعدة أسابيع، يأخذون الحنطة المدروسة لهم دون أن يكيلوها ويطالبون بضرائب أكثر حتى يأخذوا حصتهم».[2] وهذا يعني أن الضريبة المجباة كانت تذهب، عملياً، إلى ثلاث جهات: خزينة الدولة وجيوب الملتزمين الكبار وجامعي الضريبة الصغار الذين كانوا يلتجئون إلى أبشع الأساليب وأفظعها لجمع أكبر مقدار يزيد عن حصة الدولة المقررة. وهؤلاء الجباة كانوا إما من الشقاة أو يحيطون أنفسهم بعددٍ منهم.

وفي القرون الأخيرة بلغ الأمر حد أن الاقطاعي الذي كان يستغل الفلاح الكردي كان هو الذي يضطهد الفلاح الأرمني أيضاً. فقد صارت الظروف موآتية بالنسبة للاقطاعيين الأكراد للاستحواذ، بالتدريج، على أراضي الفلاحين وحتى المتنفذين من الأرمن، بحيث إن بعض المصادر الأرمنية تؤكد أن الآغوات الأكراد كانوا يشكلون الأكثرية من بين ملاكي الأرض في أرمينيا الغربية كلها التي لم يبق فيها ـ كما تؤكد المصادر نفسها ـ ملاكون

(1) كان إطلاق أسم (ضريبة العُشر) على هذه الضريبة مجرد تسمية. ففي حين كان المقدار الرسمي للضريبة 12,63٪، كانت في الواقع أكثر من ذلك، وكان قسم كبير من أولئك الملتزمين الذين يجمعون العشر في كردستان وأرمينيا من الأكراد.

(2) كانت هذه الرسالة رسالة سرية وقد كتبت باللغة الأرمنية، وكانت مكرسة للحديث عن حياة الأرمن. ومع ذلك فلم يكن بوسع كاتبها التمييز بين الفلاحين الأرمن والكرد. بشأن هذه الرسالة راجع:

Геноцид Армян в Османской Империи , (Сборник документов и материалов под редакцией проф. М.г.Нерсисиана), Ереван , 1966, стр. 209-210.

إبادة الأرمن في السلطنة العثمانية، مجموعة وثائق ومواد جمعت تحت أشراف البروفيسور م.غ. نيرسيسيان، يريفان، 1966، ص209 ـ 210. (في الهوامش القادمة: *The Genocide of the Armenians...*).

أرمن متنفذون[1]. وفي ظل الحكم العثماني، وبصورة خاصة بسبب السياسة المتخلفة التي كان ينتهجها السلطان عبدالحميد الثاني، كانت قبضة الاقطاعيين الأكراد على القرى الأرمنية تشتد وتقوى. فكانوا يستوفون منهم الضرائب، وكانوا يسمونها، بكل بساطة، «ضريبة الكفر!»، وكان معظم الفلاحين الأرمن في أرمينيا الغربية مضطرين ليدفعوا، فضلاً عن الضرائب الحكومية الكثيرة، اتاوات إلى الاقطاعيين الأكراد، بل بلغ الأمر حد إن القساوسة وسائر رجال الدين كانوا مضطرين كذلك لدفع هذه الاتاوات. لم تقف مظالم الآغوات والاقطاعيين الكرد تجاه الفلاحين الأرمن عند هذا الحد، فقد كان على أولئك الفلاحين البائسين أن يدفعوا، علاوةً على «ضريبة الكفر»، ضروباً أخرى من الضرائب والاتاوات، بل إن بعض المصادر تروي كيف كانت العروس الأرمنية في بعض المناطق، تؤخذ في «ليلة الدخلة» إلى الاقطاعي الكردي أولاً.[2]

والواقع أن المظالم التي كان ينزلها الآغوات الأكراد بالفلاحين الأرمن، كانت أكثر بكثير مما كان يتعرض له الفلاح الكردي المسلم، مما غدا عبئاً ثقيلاً

(1) راجع على سبيل المثال:

Ашбарян А.С. , Аграрные отношения в Западной Армении (1856-1914) , авт. док. дисс. , Ереван , 1965, стр. 15-16.

أ. س. أمباريان، العلاقات الزراعية في أرمينيا الغربية (1856ـ 1914)، ملخص رسالة لنيل دكتوراه العلوم، يريفان، 1965، ص 15ـ 16 . من الضروري أن نلفت الأنظار إلى أن المؤلف يدخل مناطق كردية كثيرة مثل خربوط ودياربكر وهكاري ضمن أرمينيا الغربية، ألا أن ذلك لايغير من حقيقة تغلغل المتنفذين الكرد في المناطق الأرمنية نفسها.

(2) راجع:

M. S. Lazarev, *The Kurdish Question...*, p. 40, 381; M. S. Lazarev, *kurdistan...*, p. 33.

على عاتق الفلاحين الأرمن. كانت الظروف تساعد الآغوات الأكراد في هذا المجال مساعدة كبيرة، خاصة وأن السلطان عبدالحميد كان يحرضهم جهاراً ويغض الطرف عن مظالمهم بل ويقدم اليهم المساعدات النقدية والعينية للاستيلاء على أراضي الآخرين.[1] وكان اختلاف الدين، أي كون الأرمن «كفاراً»، وفر لهم التبرير المقبول في نظرهم ونظر الناس البسطاء لاضطهاد الأرمن. كانت هناك عبودية حقيقية في بعض المناطق، وكان الفلاحون الأرمن قد سجلوا كممتلكات للملاكين الأكراد، كما كانوا يباعون ويشترون كأقنان.

كتب الأكاديمي ف. غاردليفسكي[2] الذي طاف عدة مرات قبل الحرب وخلالها بالعديد من المناطق في أرمينيا وكردستان ورأى بأم عينيه الوضع السيّئ الذي كان يعيشه الأرمن والمظالم التي تجاوزت الحدود والتي كان الاقطاعيون الكرد ينزلونها بالفلاحين الأرمن، كتب يقول: «كان الأرمني الذي يعيش في أراضي الكرد يُباع ويُشترى كالقن... كان عليه أن يعمل للاقطاعي الكردي، ولم يكن يتصور أن هناك أرضاً تتوافر فيها الحرية... حتى إن العبودية والخضوع باتا من الأمور المألوفة في نظره»[3].

بديهي أن كل هذه المظالم والاستعباد وسلب الأراضي ونهب المحاصيل قد ولّدت كرهاً شديداً ومشروعاً في قلوب الناس في أرمينيا تجاه الاقطاعيين الأكراد. وكانت شرارات هذا الكره تصل أحياناً، اذ ينفخ في ناره المحرضون ودعاة السوء، إلى العلاقات بين الشعبين الأرمني والكردي كذلك. يقول

(1) كان هناك أكراد يتعاطون الربا ويستولون عن هذا الطريق على أراضي الأرمن.

(2) لتقييمات الأكاديمي ف. أ. غاردليفسكي أهميتها في كل مجال وفي هذا المجال على وجه الخصوص لا لكونه متخصصاً كبيراً في الدراسات التركية وحسب، بل ولأنه تتبع كذلك أحداث المسألة الأرمنية وراقبها عن كثب، كما كان على اتصال مباشر بالعديد من الأرمن المنتمين إلى أوساط مختلفة.

(3) راجع: V. A. Gardlevski, op. cit., Vol. III, p. 127.

غاردليفسكي نفسه بهذا الصدد: «كان الحكام يعلّمون الاقطاعيين الأكراد أن ينظروا إلى الأرمني بمثابة (بقرة حلوب)، وكانوا يتفرجون بأنفسهم على ما يجري على المسرح، من وراء حجاب. فقد كان العداء بين الأرمن والكرد في صالحهم هم. ولذلك فقد كانوا يتّبعون معهم دوماً ـ كما يؤكد غاردليفسكي وغيره ـ سياسة (فرق تسد)»[1].

لا شك في أن أي تحليل علمي للعلاقات الكردية ـ الأرمنية في المرحلة الجديدة والتي تلتها، يجب أن يأخذ هذين الجانبين بنظر الاعتبار، أعني الأسباب التي كانت توحد الشعبين، والتي كانت تفرق بينهما. ولدراسة دور الكرد في مذابح الأرمن يجب ملاحظة تلكم الأسباب مجتمعة قبل أي شيء آخر. فهناك أسباب، كما سنذكر ذلك فيما بعد بالتفصيل، أدت إلى أن يشترك الأكراد إلى حدٍ غير يسير في تلك المذابح. ولدراسة هذه القضية التي بلغت في سنوات الحرب العالمية الأولى ذروتها ـ أهمية تاريخية كبيرة، إن لم يكن لشيء فلأن الكرد أدينوا أكثر مما يستحقون وعن أكثر مما ارتكبوا في الواقع. وقد تسببت تلك المذابح في الحقيقة، والى حدٍ كبير، في تشويه سمعة الكرد في أوروبا. إن معظم الكتّاب الغربيين الذين تحدثوا عن تعطش الكرد «لسفك الدماء» ورغبتهم في «السلب والنهب» و«ميولهم الغريزية للاعتداء»، إنما تأثروا، على الأغلب، بوقائع تلك الأحداث، ذلك لأنها لم توضع حتى الآن في إطارها الحقيقي السليم[2]. ومن هنا فإننا نتحدث عنها في هذا المجال لعلنا نجلو الغطاء عن المسألة بقدر ما في وسعنا.

***

(1) راجع: Ibid, p. 127.

(2) تستثنى من ذلك بعض الدراسات السوفياتية التي حاول أصحابها عرض المسألة في إطارها الموضوعي وحالفهم النجاح إلى حد كبير لتوافر وثائق مختلفة ومهمة بين أيديهم تتعلق بدقائق الأحداث التي رافقت مذابح الأرمن في جميع مراحلها.

أخذت أرمينيا الشرقية، منذ أن صارت جزءاً من روسيا، تتطور بوتائر أسرع من أرمينيا الغربية بل ومن أجزاء الدولة العثمانية الأخرى أيضاً. وقد كان ذلك أمراً طبيعياً، لأن مجال التطور في ظل دولة أوروبية أكبر بكثير منه في ظل دولة آسيوية متخلفة. لقد انتهجت الحياة الثقافية في هذا الجزء من أرمينيا طريق الازدهار أسرع بكثير مما في أرمينيا الغربية[1] واندمجت بالسوق الرأسمالية العالمية قبل الجزء الغربي بوقت غير قليل ونشأت العلاقات الانتاجية الجديدة والطبقات والفئات الجديدة داخل القاعدة الاجتماعية لاسيما وأن الزراعة والصناعة أخذتا تنموان في هذا الجزء وتزدهران بصورة أسرع. وعلى سبيل المثال فخلال السنوات (1880 ـ 1890) تضاعف انتاج النحاس في أرمينيا الشرقية خمسة أضعاف ونصفاً، وتضاعف في الستة عشر عاماً التي تلت هذه الفترة ست مرات أخرى، وازداد انتاج الكونياك في فترة وجيزة حوالى أربعين ضعفاً وأخذ يغزو، إلى جانب الخمر الأرمني، العديد من الأسواق الأجنبية، وتطورت صناعة الأقشمة الوطنية بسرعة[2]. أما من الناحية الادارية فقد تحسنت حياة الأرمن بعد تأسيس حاكمية يريفان، وتعزز دورهم أكثر بكثير من ذي قبل.

وهكذا فمنذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر ظهر عامل محرك آخر مهم فضلاً عن الدين، يدفع الأرمن إلى التطلع نحو روسيا والنظر بحقد أشد من ذي قبل إلى سياسة السلاطين العثمانيين. فلم يكن قد مضى أكثر من سنة

(1) وضعت أسس الكثير من دور الأوبرا والمتاحف والمكتبات وغيرها من المؤسسات الثقافية في أرمينيا وآذربيجان السوفياتية قبل انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية.

(2) واضح أن هذا لا يعني بأي حال أن وضع الأرمن في ظل حكم القياصرة الروس كان وضعاً جيداً. إلّا أنه كان أحسن بكثير، على كل حال، من وضعهم داخل الدولة العثمانية. وهذه الأدلة إنما نوردها لإيضاح تلك الحقيقة التي لعبت دورها في الإعداد لمذابح الأرمن.

على انضمام أرمينيا الشرقية إلى روسيا عندما عبر حوالى 90 ألف أرمني حدود الدولة العثمانية إلى الجانب الآخر. وكان عدد كبير من رؤساء الأرمن يطالبون القياصرة الروس منذ زمن بعيد بمد يد المساعدة بمختلف أشكالها إلى الأرمن في صراعهم ضد العثمانيين. وخلال الحروب التي كانت تقع بين روسيا والدولة العثمانية، كان الأرمن يقفون دائماً إلى جانب الجيوش الروسية(1)، فأثناء حرب العام 1877 ـ 1878 مثلاً انضم الكثير من الأرمن بأسلحتهم إلى الجيش الروسي وقدموا له مساعدات مفيدة جداً.

ولم تقصّر روسيا أيضاً من جانبها، فقد كانت تنظر بعيون طامعة إلى القسم الآخر من أرمينيا، وكانت تستخدم كل وسيلة لجلب عطف السكان هناك إلى جانبها. وفي حرب العامين 1828 ـ 1829 بين السلطنة العثمانية وروسيا احتل جيش الأخيرة قسماً كبيراً من أراضي أرمينيا الغربية بما فيها قارص وأرضروم، ولكنه اضطر إلى إعادة هذه الأراضي المحتلة إلى الدولة العثمانية وفقاً لمعاهدة أدريانوبول للعام 1829 . ولم تمض فترة طويلة حتى سنحت فرصة جديدة لروسيا، فبعد حرب العامين 1877 ـ 1878 أعطيت قارص ومناطق أخرى من أرمينيا الغربية، وكان قد تقرر تخصيص أرمينيا الغربية كلها لها وفق معاهدة «سايكس ـ بيكو» السرية للعام 1916.

أثار ميل الأرمن إلى روسيا ومساعي الأخيرة لاحتلال أرمينيا الغربية حقد الحكام العثمانيين ضد الأرمن إلى أقصى حد. وبدلاً من أن يفعلوا شيئاً يجلب لهم عطف الأرمن بهدف وضع حد لتغلغل النفوذ الروسي على أقل تقدير، فإنهم كانوا يبحثون عن فرصة يغتنمونها للقضاء عليهم نهائياً. وقد أدى

(1) كثيراً ما انضمت القبائل الكردية المسلحة كذلك إلى جانب الجيش الروسي وتودد العديد من الزعماء الكرد إلى روسيا وطلبوا منها المساعدة ضد الدولة العثمانية، وقد أعطينا بعض الشواهد على ذلك في إطار بحثنا ضمن الفصول السابقة.

نشوء الحركة التحررية الأرمنية وتطورها إلى تعمق كره العثمانيين للأرمن، مما انعكس أكثر فأكثر في ترسخ جذور سياستهم المختلفة إزاءهم والتي تحولت إلى عنصر مهم في نمو الحركة الأرمنية.

تضافرت في جانبي أرمينيا عوامل ومبررات موضوعية لميلاد الحركة الوطنية التحررية ونموها وانتشار أفكارها بين أوساط الشعب بقوة. ففي النصف الثاني من القرن التاسع عشر كانت هذه الحركة قد قطعت شوطاً بعيداً في الجانب الغربي من أرمينيا بحيث عبّرت عن نفسها في انتفاضات مسلحة. فقد انتفض الفلاحون في العام 1862 في منطقة زيتون ضد مظالم العثمانيين. وفي العامين 1878 و 1884 انتقض سكان هذه المنطقة مرتين أخريين. كما انتفض سكان وان الأرمن في العام 1886 . وقد قمع العثمانيون هذه الانتفاضات وسائر انتفاضات الأرمن، كما كانوا يقمعون انتفاضات الشعوب الأخرى الواقعة تحت سيطرتهم، بكل قسوة وشدة.

كان من الأسباب التي تسهل مهمة قمع هذه الانتفاضات ضعفها التنظيمي. وهذا ما حدا بالمثقفين الأرمن البعيدي النظر إلى أن يفكروا في أمر إقامة منظمات خاصة بهم. وقد لعب النهج الذي سلكته الشعوب الأخرى، دوره إلى حد ما في هذا المضمار. وهكذا فقد تأسس في العام 1887 حزب «الهنشاك» ويعني «الناقوس». وبعده بثلاثة أعوام تأسس حزب «الطاشناق» أي «الاتحاد». وقد لعب هذان الحزبان دوراً بارزاً في تاريخ أرمينيا الحديثة، كما سنتحدث عن ذلك فيما بعد.

ورغم الفشل الذي آل اليه أمر انتفاضات الشعب الأرمني في تحقيق أهدافها النهائية، إلّا أنها لم تكن دون جدوى. فقد أدت، من جهة، إلى اشتداد الاحساس القومي لجماهير الشعب الأرمني. ومن جهة أخرى أخرجت المسألة الأرمنية من اطار السلطنة العثمانية لتصبح قضية دولية حساسة،

خاصة وأن الدول الكبرى الطامعة في الممتلكات العثمانية عرفت كيف تستغل وبدهاء مآسي الأرمن للتدخل من خلالها في شؤون الدولة العثمانية أكثر فأكثر. ومن هنا فقد غدت المسألة الأرمنية مسألة تبحث في المؤتمرات والمعاهدات الدولية. وعلى سبيل المثال فإن المادة السادسة عشرة من معاهدة (سان ستيفانو) المعقودة في شباط/ فبراير من العام 1878 والتي وضعت حداً للحرب الروسية العثمانية، خصصت للمسألة الأرمنية. لقد نصت هذه المادة، بصورة خاصة، على ضرورة تحسين الشؤون الادارية في هذا الجزء من الدولة العثمانية.[1] وعندما عقد فيما بعد مؤتمر برلين في حزيران/ يونيو ـ تموز/ يوليو من العام نفسه والذي اشترك فيه الكثير من الدول الأوروبية الكبرى (بريطانيا وروسيا وألمانيا وفرنسا والنمسا) والدولة العثمانية وممثلو عدد من دول البلقان وشعوبه، قدِم رئيس عموم الكنائس الأرمنية إلى برلين بقصد الاشتراك في هذا المؤتمر بصورة خاصة.[2] ومع أنه لم يسمح لهذا الممثل الأرمني بحضور جلسات المؤتمر، فقد خصص البند الواحد والستون من الاتفاقية التي وقع عليها بعد انتهاء أعمال المؤتمر، للمسألة الأرمنية. وقد

---

(1) عقدت معاهدة سان ستيفانو بين روسيا المنتصرة والدولة العثمانية المهزومة فقط وأدت إلى اشتداد نفوذ الأولى ولاسيما في مناطق البلقان. ولا ريب في أن الدول الكبرى الأخرى استاءت من ذلك مما جعلها تضغط على روسيا للاشتراك في مؤتمر برلين الذي أفضى إلى عقد معاهدة جديدة وضعت بنودها حداً للمكاسب الكثيرة التي تضمنتها معاهدة سان ستيفانو لروسيا. والمهم في مجال بحثنا هو أن المسألة الأرمنية بحثت كموضوع مستقل وبنفس المستوى تقريباً في هاتين المعاهدتين، مما أعطاها بعداً جديداً على الصعيد الدولي.

(2) مثلما لم يسمح لممثل الأرمن بالاشتراك في جلسات المؤتمر، لم يسمح لممثلين آخرين أيضاً بذلك. إلّا أن قدوم الممثل الأرمني والاتصالات التي أجراها في برلين كانت في حد ذاتها مكسباً كبيراً بالنسبة للقضية الأرمنية على الصعيد الدولي.

كان ينبغي على الدولة العثمانية بموجب هذا البند أن تنفذ اصلاحات إدارية في أرمينيا وتعطي سكانها حريات أكثر لإدارة شؤون منطقتهم بأنفسهم وأن تقضي على الفوارق بين الأرمن والمسلمين. ومع أن معاهدة برلين لم تلغ حتى العام 1912، إلّا أن بندها الواحد والستين كان من بين البنود التي لم تنفذ أبداً. وبعد معاهدتي سان ستيفانو وبرلين أثارت الدول الكبرى مسألة الأرمن مراتٍ عديدة أخرى، وكانت تبغي من وراء ذلك ـ كما أسلفنا القول ـ أن تتدخل أكثر فأكثر في شؤون الدولة العثمانية، وهو ما تحول إلى عامل جديد لتشجيع الأرمن على الوقوف بوجه سياسة العثمانيين والاصرار على نيل الاستقلال واقامة العلاقات مع العديد من الجهات.

وهكذا برزت مخاطر إنفصال أرمينيا الغربية عن الدولة العثمانية وخروجها من طوقها. كان ذلك يثير الحكام العثمانيين إلى حد بعيد، لاسيما وأن الشعوب المسيحية الأخرى التي كانت تحت سيطرتهم من قبل، قد استطاعت بنضالها هي وبمساندة الدول الكبرى أن تنتزع حريتها من قبضة حكمهم المتخلف. غير أن الحكام العثمانيين لم يتعظوا عبر التاريخ ولم يكونوا مستعدين في الواقع للإتعاظ بها. ولذلك فإنهم بدلاً من أن يحسّنوا أحوال الأرمن المعيشية ويقضوا على الظلم والاضطهاد القومي والديني الذي كانوا يئنون تحت وطأته، اتبعوا إزاءهم سياسة أشد وأقسى من ذي قبل. وقد تجلّت هذه السياسة بوضوح إبان حكم السلطان عبدالحميد الثاني (1876 ـ 1909) وبشكل خاص منذ أن اتخذ من فكرة «الجامعة الاسلامية» ـ حسب مفهومه لها ـ أساساً لسياسته. ولهذا السبب بالذات، فضلاً عن جملة أسباب أخرى، كان يحاول إحاطة الأرمن القاطنين على الحدود الروسية بحزام «اسلامي»[1].

---

(1) بذلت جهود في عهد السلطان عبدالحميد نفسه لتحقيق هذا الحلم. وقد تحدث=

ولم يمض زمن طويل حتى وجدت هذه السياسة ترجمتها الحقيقية في سلسلة من المذابح التي أقيمت للأرمن. حدثت المذبحة الأولى في آب/ أغسطس وأيلول/ سبتمبر من العام 1894 في منطقة سامسون عندما أخذ الجنود والجندرمة وبعض الشقاة يفتكون بالناس القاطنين في تلك الديار كباراً وصغاراً، نساءً ورجالاً، ودمروا في فترة وجيزة 40 قرية وقتلوا حوالى 10 آلاف شخص[1]. وبعد «النجاح» الأول بسنة بدأت مذبحة ثانية كان من الطبيعي أن تكون حسب «قانون التطور» شاملة.. ففي أيلول/ سبتمبر من العام 1895 بدأ رجال السلطان في العاصمة اسطنبول يفتكون بالأرمن فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، أما «المحظوظون» منهم فقد كانوا الذين زج بهم في السجون. ثم انتقلت المذبحة إلى مدن أرمينيا الغربية والمدن الأخرى التي كان يقطنها أرمن مثل مرعش و دياربكر ومدن كثيرة أخرى غيرهما. وها نحن نذكر هنا نماذج قليلة لها تكفي وتزيد لإعطاء صورة واضحة لعمق المأساة. ففي مدينة اسطنبول، أبيد خلال يومين فقط، حوالى 5500 أرمني[2]، بل إن مسيحيين آخرين كثيرين قتلوا كذلك باعتبار أنهم أرمن. وطبقاً لما جاء في الكتاب الفرنسي الأصفر فقد استمرت مذبحة الأرمن في دياربكر ثلاثة أيام (من أول تشرين الثاني/ نوفمبر من العام 1895). لقد قتل في هذه المدينة على ايقاع «التصلية والتسليم» حوالى ثلاثة آلاف شخص، كما دمرت حوالى 120 قرية واغتصبت في المدينة وحدها عشرات الأرمنيات. أما خارجها فقد تعدى الاغتصاب هذه الحدود. وكان

= القنصل الروسي العام في بيروت في رسالة سرية له أرسلها في الثاني عشر من أيلول/ سبتمبر من العام 1898 إلى السفير الروسي في اسطنبول عن هذا الموضوع (راجع: *The Genocide of the Armenians...*, p. 140).

(1) راجع: Ibid, p, VII.

(2) تقدر بعض المصادر عدد قتلى اسطنبول بـ15 ألف شخص (راجع على سبيل المثال: فائز الغصين، المذابح في أرمينيا، الطبعة الثانية، بيروت، (بلا)، ص 10).

القتلة واللصوص قد خصصوا واحداً من تلكم الأيام الثلاثة لنهب المتاجر والدكاكين العائدة للأرمن وقتلوا وجرحوا منهم ما شاء لهم هواهم. ويقدِّر الكتاب الأصفر نفسه خسائر الأرمن المادية بمليوني ليرة عثمانية. ويتحدث الكتاب المذكور كذلك عن مذبحة سيواس التي بلغ عدد القتلى فيها حتى الثاني عشر من تشرين الثاني/ نوفمبر حوالى ألف شخص. وكانت جثث مئتين إلى ثلاثمائة منهم قد ألقيت في أحد خانات المدينة. كما ذكر شاهد عيان فإن معظم الضحايا في سيواس كانوا قتلوا بالساطور وقضبان الحديد والعصي الغليظة، ربما لأن القتلة كانوا يضنون بطلقات بنادقهم! وقد شملت المذابح واعمال النهب والسلب والتخريب الوحشية هذه مناطق كثيرة أخرى كذلك وتكررت في السنة التالية أيضاً. ووفقاً لما جاء في رسالة سرية للقنصل الروسي في اسطنبول أرسلها إلى وزير خارجية بلاده، فإن عدد الأطفال الذين تيتموا نتيجة لتلك الأحداث المفجعة، بلغ ما لايقل عن 50ألف طفل.[1]

هذه الأعمال التي قلما يذكر لها نظير في التاريخ، أثارت قلوب الأرمن ضد النظام العثماني عموماً وضد حكم السلطان عبدالحميد بصورة خاصة، فأخذ الوطنيون الأرمن يساندون، بحماسة، المنظمات السياسية المناوئة لنظام عبدالحميد وبدأ الكثيرون منهم في إبداء العون لحركة الاتحاديين[2] الذين اتخذوا من (الحرية والعدالة والمساواة) شعاراً رئيساً لنضالهم وتمكنوا من

---

(1) للتفاصيل راجع: *The Genocide of the Armenians...*, p.95, 107, 115-122, 137, 139)، في هذا الكتاب عشرات الأمثلة الأخرى عن المآسي التي رافقت هذه المذبحة. وقد ورد معظمها ضمن وثائق تعتبر من أهم المصادر الأصيلة حول هذا الموضوع.

(2) اشترك ممثلون عن الأرمن في أول مؤتمر عقده الاتحاديون في باريس أوائل شباط/ فبراير من العام 1902 (راجع: E. E. Ramsaur, op. cit., p.66-67).
راجع كذلك جريدة كردستان، جنيف، 6 محرم 1320، 14 نيسان/ إبريل 1902).

خلال ذلك من تحشيد طاقات قوى وطنية لشعوب مختلفة ضد حكم السلطان عبدالحميد الدموي[1]. وكثيراً ما حدث أنْ اختبأ أولئك الزعماء عن أنظار عيون السلطان عبدالحميد ورقبائه بين الأرمن. لقد استقبل الشعب الأرمني، شأنه شأن الشعوب العثمانية الأخرى، بحرارة، انتصار ثورة الاتحاديين (في تموز/ يوليو من العام 1908)، ولكنه لم يمض وقت طويل حتى انكشف الوجه الحقيقي للنظام الجديد كذلك وصار الأرمن أنفسهم أولى ضحاياه. فلم يكن قد انقضى عام واحد على انتصار هذه الثورة، حتى لجأت وبصورة أسوأ من ذي قبل إلى السياسة نفسها التي كانت يسير عليها السلطان عبدالحميد. وفي نيسان/ إبريل من العام 1909 أقام النظام الجديد مذبحة جديدة في مدينة أضنة أدت إلى مقتل 30 ألف إنسان بريء فقط.!

ومن الطريف أن الحكام شنوا بعد المذبحة حملة اعتقال وتحقيق بحجة معاقبة المجرمين الذين دبروا المذبحة، كما ادعوا. وكانت نتيجة تلك الاعتقالات والتحقيقات أن شنق 15 شخصاً كان ستة منهم من الأرمن. والأغرب من كل ذلك أن المسلم الوحيد بين المتهمين حكم عليه بالسجن لمدة ستة أشهر، في حين حكم على الأرمن الثمانية بالسجن من 5 سنوات إلى 10 سنوات، ثم اعتقل 362 شخصاً آخر كان 312 منهم (فقط!) مسيحيين![2]

(1) حدد ريتشارد روبنسن باختصار وبدقة البعد الواقعي لهذه القضية حيث قال: «كانت جمعية تركيا الفتاة تلقى المساعدة والعون من قبل الجمعيات الثورية الأرمنية والكردية وغيرها. فقد كان يهم الجميع سقوط السلطان التركي، وإن أمكن اختلاف الدافع لدى كل منها عنه لدى غيره». وذهب ارنست رامزور إلى استنتاج مشابه راجع:

P. O. Robinson, *The First Turkish Republic A case study in national development*, Cambridge, 1963, p. 6 & E. E. Ramsaur, op. cit., p. 67.

(2) للتفصيل راجع: *The Genocide of Armenians*...,VIII, p.172-173, 221.

كانت تلك كلها باكورة العمل وبادرة النوايا الخفية التي كان يحملها النظام الجديد إزاء شعوب السلطنة العثمانية. غير أنها، ولأسباب عديدة، ظهرت بالنسبة للأرمن بصورة أقسى وأشد. لقد اغتنم الأرمن، كسائر شعوب الأمبراطورية العثمانية، فرصة اندلاع الحرب العالمية الأولى، لينالوا السلطنة خلالها أهدافهم، فأخذوا يعملون لهذا الغرض بنشاط، تدفعهم صور الماضي المليئة بالمآسي والخوف المشروع من تكرارها أولاً ومن ألاعيب الطامعين ثانياً، إلى التسرع في بعض من خطواتهم، كما نلاحظ ذلك من خلال أحداث معينة نستعرضها ضمن هذا الفصل. وعلى أي حال فما إنْ امتدت نيران الحرب إلى الشرق الأوسط حتى بدأ شباب الأرمن المتحمسون ينظمون صفوفهم وقد حمل كثيرون منهم السلاح وانضموا إلى الجيوش الروسية المقاتلة في مناطق القفقاس وتركيا وايران، وكما ذكرنا من قبل فقد دحرت القوات العثمانية في جبهات عدة، وكان على القائد العام أنور باشا ورفيقه طلعت باشا أن يجدا «المجرم المسؤول» عن هذه الهزائم. ولم يكن هناك من «يصلح» لإلصاق هذه التهمة به أكثر من الأرمن، فجاء العقاب صارماً كلف من الضحايا أضعاف أضعاف ما كلفته خطط أنور باشا الفاشلة في ميادين القتال. فقد أصدر الاتحاديون قرارهم غير المعلن بتنظيم مذبحة أرمنية جديدة بدأت حلقاتها الأولى في ربيع العام 1915 وانتهت في السنة التالية. وفيما يلي نماذج قليلة من أحداث مرحلتها الأخيرة، وهي الحلقة الختامية في سلسلة المذابح الأرمنية.

كتب المؤلف والسياسي العربي فائز الغصين[1] الذي كان في تلك

(1) سياسي سوري معروف تعاون مع الأمير فيصل وحكمه في سوريا. كان واحداً من الأعضاء الأربعة في الوفد الذي رافق الأمير إلى مؤتمر الصلح في باريس. طبع كتابه: المذابح في أرمينيا في العام 1917 وأعيد طبعه من قبل «مكتب المعلومات الأرمني» في لبنان في أواسط الستينيات، ويحتوي على معلومات تكمن أهمية بعضها في أن المؤلف كان شاهد عيان لها أو سمعها من أناس شاهدوها.

الأيام في تركيا، يقول: «أما في موش، فقسم من الأرمن أتلف بالمتابن والقسم الأعظم أتلف رمياً بالرصاص وطعناً بالسكاكين. وكانت الحكومة تستأجر قصابين، تعطي لكل واحد منهم ليرة عثمانية يومياً. وقد قص عليّ احد الأطباء ويسمى عزيز بك أنه كان في قضاء مرزيفون من أعمال ولاية سيواس وعلم أن قافلة من الأرمن سترسل للقتل، فذهب لعند القائممقام وقال له ...أرجو أن تأذن لي بالذهاب لأرى هذه العملية التشريحية بأم عيني. فرخص لي وذهبت فوجدت أربعة قصابين، بيد كل واحد منهم مدية طويلة وأفراد الدرك يفرقون كل عشرة من الأرمن على حدة ويرسلون الواحد بعد الآخر لعند القصابين، فيقول القصاب للأرمني: مد رقبتك، فيمدها، فيذبحه ذبح الغنم. وكان يتعجب هذا الطبيب من اقدام الأرمن على الموت دون أن يتكلموا بكلمة أو يظهروا خوفاً. وكان أفراد الدرك يربطون النساء والأطفال ويلقونهم من محل عالٍ جداً إلى الأسفل، فلا يصلون الأرض إلّا قطعاً وإرباً»[1].

وتحدث أحد الصحافيين في أوائل أيلول/ سبتمبر من العام 1915 عن مذبحة مدينة وأن، وكيف ان القطع العسكرية الروسية التي جاءت لاحتلال المدينة لم تستطع دخولها بسبب الرائحة العفنة التي كانت تفوح من جثث القتلى. كما نشر هذا الصحافي نص البرقية التي بعث بها قائد تلك القطع حيث كتب فيها يقول: «لقد دمرت مدينة وان بأكملها. احترقت مبانيها الجيدة، أما منازلها المبنية من الطين فقد هدمت. الشوارع وأفنية المنازل مليئة بجثث الأرمن والمواشي، الأمتعة نهبت واخذت».[2]

في مدينة بدليس لم يبق على قيد الحياة من 18 ألف أرمني، إلّا 300-400 امرأة وطفل. ومن 25 ألف أرمني في أرضروم نجا من القتل حوالى 200

---

(1) فائز الغصين، المصدر المذكور، ص 28 (نقلنا النص كما هو في الكتاب دون تصرف).

(2) مقتبس من: *The Genocide of the Armenians...*, p.316.

شخص فقط. أما في موش والقرى الثلاثمائة المحيطة بها، فمن 25 ألف أرمني كانوا يسكنون المدينة وألوف غيرهم كانوا يسكنون القرى المجاورة لها، لم يعثر بعد المذبحة على رجل واحد بين الذين بقوا على قيد الحياة[1]. وفي العديد من المناطق انتحلت النساء والأطفال الذين لم يقتلوا، الاسلام خوفاً على حياتهم. وكانت هناك عوائل فقيرة مسلمة «قيض الله» لها خادمات من بنات الأرمن ثلاثاً أو أربعاً.[2]

يقدر الأكاديمي ف. تارليبه بعد دراسات ومقارنات دقيقة وعلى أساس اختيار الحد الأدنى، الرقم الأخير لخسائر الأرمن كما يلي: 182 ألف هربوا إلى مناطق القفقاس والحدود الروسية، 4200 منهم التجأوا إلى مصر[3]، ربع

---

(1) Ibid, p. 220-221, 280-281, 285,315-316,352-387, 410.
من الممكن إيراد عشرات بل مئات النماذج الأخرى من هذا النوع. إلّا أننا نرى أن ما أوردناه يكفي لتقديم صورة واضحة عن عمق المآسي التي رافقت المذابح الأرمنية في سنوات الحرب. وسوف نذكر نماذج أخرى عندما نعود إلى البحث عن دور الكرد في تلك المذابح.

(2) في كتاب إبادة الأرمن في السلطنة العثمانية، بعض النماذج لهذا الموضوع. وبهذا الصدد يقول فائز الغصين: «إنك لا تدخل داراً في ديار بكر إلّا وتجد من الخادمة إلى خمس خادمات من البنات الأرمن في تلك الدار، وكنت ترى أن أحقر الباعة أصبح عنده خادمة أرمنية. وربما كانت تلك الأرمنية في حياة والدها وأمها لا ترضى أن تكلم ذلك البائع كلاماً... وقد قيل إن مقدار النساء (البنات) الخادمات في ديار بكر يربو على خمسة آلاف وأكثرهن من بنات الأرمن من أرضروم وخربوط والولايات الأخرى» (فائز الغصين، المصدر السابق، ص 37–38).

(3) يعيش الآن حوالى ثلاثة ملايين أرمني في الاتحاد السوفياتي. وعدا هؤلاء يعيش الأرمن كذلك في أكثر من ستين بلداً من بلدان العالم. ففي الولايات المتحدة الأميركية حوالى 450 ألفاً، وفي فرنسا 200 ألف، وفي ايران 200 ألف، وفي لبنان 180 ألفاً، وفي الأرجنتين 60 ألفاً، وفي العراق ومصر والبرازيل وكندا واليونان وبلغاريا والهند وعشرات البلدان الأخرى يعيش ألوف الأرمن. إن قسماً كبيراً من =

مليون منهم اعتنقوا الاسلام، وقتل منهم حوالى المليون[1]. هذه الأرقام، كما ذكرنا، أخذت على أساس الحد الأدنى. إلّا أن معظم المصادرالأخرى تعطي أرقاماً أعلى، فالبروفيسور نيرسيسيان يعطي، استناداً إلى دراسته لمئات الوثائق والأدلة التاريخية المهمة، الأرقام التالية: قتلى مذابح السلطان عبدالحميد 300 ألف شخص، قتلى مذابح الاتحاديين: مليون ونصف المليون. الهاربون إلى القفقاس والبلاد العربية: 800 ألف[2]. وكيفما كان الأمر، فإن الشقاء الذي عاناه الأرمن والخسائر التي لحقت بهم هي مما تندر نظائرها في التاريخ.

ومما يؤسف له أشد الأسف، أن الكرد أسهموا قليلاً أو كثيراً، عن وعي أو دونه، بتحريض من الآخرين أو عن عمد، في مذابح الأرمن هذه. فلنذكر نماذج قليلة لهذا الإسهام، قبل أن نأتي على تقديم الموضوع نفسه ضمن إطاره الواقعي.

خلال المذبحة الأولى افتتح أحد مشايخ الطرق واسمه الملا سعيد أحمد، العملية بنفسه في مدينة أورفه في الثامن العشرين من كانون الأول/

= هؤلاء الأرمن هربوا خوفاً من البطش والمظالم والمذابح، ولكن أبناء هذا الشعب الموهوب يظهرون في كل مكان قدراتهم الخلاقة وإبداعاتهم الرائعة. إن أسماء العلماء والفنانين الأرمن تلمع في العديد من المجلات، بل وقد أصبح لهم دورهم حتى في غزو الفضاء الخارجي. وأرمينيا السوفياتية اليوم احدى أكثر بلدان الشرق تقدماً، وقد صاغ أحد الكتاب الأرمن هذه الحقيقة في المقولة التالية «لقد صغر حجم الشعب الأرمني تحت الضغط حتى بات كحجر الألماس».

(1) راجع:

Тарле Е.В. , *Европа в эпоху империализма, 1871-1919*, Москва, 1928 , стр. 388-393.

الأكاديمي ي. ف. تارليه، أوروبا في عصر الأمبرياليزم، موسكو- لينينغراد، 1928، ص 388-393 (في الهوامش القادمة: V. Tarle...).

(2) راجع: *The Genocide of the Armenians...*, p. XI-XII

ديسمبر من العام 1895 حيث أمر باحضار أرمني بريء أمامه فبطحوه على الأرض وفصل رأسه عن جسده بيده على مرأى من الجمهور.[3] وقبل ذلك بأيام جمع وجهاء المدينة وحرضهم على قتل الأرمن لأنهم «لايخضعون لسلطان الخليفة».

وفي المذبحة الأولى أيضا قتل شقيقان سوية في منطقة وان كانا يسميان عبدالحميد وعبدالغفور 200 أرمني، وكان هناك كثيرون من أمثال هذين الأخوين في خربوط. فهناك أيضا قتل شقيقان سوية أكثر من 300 شخص، وقتل شخص كان يسمى حاجي بكو، وحده، مئة شخص. وكان أحد الخبازين يتباهى بأنه قتل بنفسه 97 شخصاً، وكان قد قطع عهداً على نفسه أن يبلغ عدد ضحاياه مئة شخص.. فقط[4].

كان هناك آغاوات أكراد يشترون قوافل الأرمن من الجندرمة، وبعد أن يسلبوا منهم كل ما معهم كانوا يقتلونهم (كان ذلك الشرط الذي يشترطه الجندرمة مقابل بيع أفراد القوافل الأرمنية لأولئك الآغاوات). وبعد القتل كانوا يبقرون بطونهم بحثاً عن الليرات الذهب. والويل لمن كان يملك منهم سناً ذهبية، فقد كان يرى العالم الآخر بعينيه قبل أن يموت حقاً[5].

كتب ف. غاردليفسكي بهذا الصدد يقول: «رأيت بأم عيني في صيف العام 1916 كيف كان الأكراد يسوقون الأرمن جماعات إلى بدليس[6].. يبدو

(3) ورد ذلك في رسالة خاصة من القنصل البرتغالي في حلب إلى السفير الايطالي في اسطنبول.

(4) راجع: *The Genocide of the Armenians*..., p. 31, 99-100, 105.

(5) فائز الغصين، المصدر السابق، ص 29–30.

(6) كان في بدليس لجنة تسمى (لجنة اللاجئين). ويبدو أن الآغوات الأكراد كانوا يأخذون الأرمن كـ(هدايا) إلى هذه اللجنة ويقبضون عوضاً عنهم نقوداً، فاللجنة كانت تعطي تعويضاً مالياً عن ذلك. ولكن المبلغ خفض فيما بعد نظراً لأن الأرمن كانوا كثيرين إلى حدٍّ كبير.

أنهم كانوا متشوقين للمنح النقدية التي كانت تمنحها لهم لجنة اللاجئين(كان الأكراد يخفون الأرمن لديهم عن أعين الأتراك، ولكنهم كانوا يسوقونهم فيما بعد إلى بدليس وكأنهم يأخذونهم إلى سوق البعير. حقاً كان الأرمن المنهكون ذوو الثياب الرثة موضع رأفة. كان يبدو على محياهم البؤس الذي رأوه قبل هنيهة وراء الجبال[1]. وفي حالات معينة كان الرؤساء الأكراد يتممون ما بدأه غيرهم. فإن زعيم الشكاك سمكو، مثلاً، وضع كميناً في مضيق «قوتور» لجماعات من الأرمن الذين نجوا من الموت، فباغتهم رجاله وأقاموا لهم مذبحة جديدة[2].

في الإمكان عرض نماذج كثيرة أخرى في هذا المجال، إلّا أن «حفنة واحدة تنبئ عما في الحمل»، كما يقول المثل الكردي، وإذا كانت الحفنة متعفنة، فإن الحمل يكون أشد عفونة بكثير.

***

كانت تلك خلاصة مركزة لما يتعلق بقضية المذابح الأرمنية وموقع الأكراد فيها. كما كانت كذلك صورة مقتضبة عن اسهام الكرد في تلك المذبح. ولكن الموضوع الثاني، وأعني اسهام الكرد في تلك المذابح، بحاجة إلى دراسة اعمق، ليكون بوسعنا أن نضع اليد على مختلف أوجه هذه القضية ومداها وعواملها المحركة. وللموضوع أهميته التاريخية من ناحية أخرى. ذلك لأن المسؤولين العثمانيين، ولاسيما ابان حكم السلطان عبدالحميد، كانوا يريدون إلقاء الجريرة عن كل تلك المذابح على عاتق الكرد وربطها

(1) راجع: A . Gardlevski, op. cit., Vol. III, p. 129-130.

(2) راجع: علاءالدين سجادي، المصدر السابق، ص 254، هنا أيضاً لا يمكننا الاتفاق مع رأي الأستاذ الفاضل في ما حدا بسمكو للإقدام على هذا العمل هو اتخاذ الاحتياطات من المخاوف المتوقعة من الأرمن في المستقبل. =

بتخلف الكرد وتعصبهم الديني الأعمى. وهو ما يستحق وقفة خاصة منا.

يجب الاعتراف، بادئ ذي بدء، بأن التعصب الديني الأعمى والتخلف الحضاري كانا سببين رئيسين دفعا الكثيرين من الكرد للسعي لتحل عليهم «بركة» الرب عبر الإسهام في قتل «الكفار». وكما ذكرنا فقد كان هناك أكراد يذبحون الأرمن وهم يصلّون على النبي. وهنا تفرض مقارنة تاريخية بسيطة ومنطقية نفسها بإلحاح، فإن الكرد والترك وغيرهم من ابناء شعوب المنطقة، كانوا قبل ظهور بدعة المذابح، أكثر تخلفاً، ولم يكونوا بالطبع اقل تمسكاً بالإسلام، ومع ذلك فلم تقع خلال مئات السنين مأساة دامية بين الكرد والأرمن أو الكرد والآشوريين، بمثل هذه القسوة[1]. ليس ذلك وحسب، بل وإن كثيراً من الكتّاب الأجانب لفتوا الأنظار، بصورة خاصة، إلى العلاقات الطيبة بين الأكراد ومسيحيي كردستان ووصفوها بأنها أحسن العلاقات التي سادت بين شعوب الشرق الأوسط. وبهذا الصدد يقول الميجر ك. ماسون في محاضرة له ألقاها أمام الجمعية الجغرافية الملكية في لندن :«قد يكون لأي منا فكرة غامضة عن كون الأكراد مسؤولين عن مذابح الأرمن، ولكن قليلاً منا يعرف أن الغالبية العظمى من المسيحيين كانوا يعيشون في سعادة كبيرة في كردستان قبل سنوات الحرب»[2]. وقد اعترفت بهذه الحقيقة بصورة خاصة اللجنة التي شكلتها عصبة الأمم لدراسة مشكلة الموصل. واكثر من ذلك أن ف. غاردليفسكي يقول: «لم يلعب اختلاف الدين بين الأكراد المسلمين

---

(1) أهم حادث وقع من قبل ولفت اليه الأنظار هو ضرب الآشوريين من قبل بدرخان، وكان ذلك بسبب أن هؤلاء كانوا يرفضون، بتحريض من بعض الجهات، دفع الضرائب للمؤسسات التي أقامها هو.

(2) Major Kenneth Mason, *Central Kurdistan, The Geographical Journal*, Vol. LIV. No. 6, December 1919, p. 329.

والأرمن المسيحيين أي دور»، بل إنه يؤكد كذلك أن تردد الأرمن على مساجد المسلمين وتردد الكرد على كنائس الأرمن كان أمراً طبيعياً.[1]

لعب المتنورون الأرمن دوراً إيجابياً في احترام كلا الجانبين الأرمني والكردي للمشاعر الدينية للجانب الآخر، فقد كان الكثير منهم ينظرون إلى الموضوع نظرة بعيدة عن التعصب الديني الاعمى، وكانوا يدركون أن مصلحة الطرفين تكمن في الاحترام المتبادل للمشاعر الدينية لبعضهما البعض، بل إن صلات الأرمن والكرد كانت جيدة في روسيا أيضاً. وما كان يحدث بين الأرمن والآذربيجانيين قبل ثورة أكتوبر، إنما كان يحدث، في الاغلب، بدوافع قومية ضيقة وليس من جراء تناقض ديني.

اذاً، فإن العوامل المحرّضة الجديدة هي التي أسدلت، كما ذكرنا ذلك من قبل، ستاراً أسود من التعصب الأعمى على أحاسيس الكرد الدينية إزاء الأرمن. وهناك من الأدلة بهذا الصدد ما يكفي. ففي العديد من المناطق كان الملالي ورجال الدين يثيرون، ووفق أوامر صادرة لهم من الحكومة، مشاعر الناس ويحرضونهم جهاراً على قتل «الكفار». فخلال المذبحة الأولى كان مفتي (بالو) يدفع الناس للقتل ويطلب منهم أن لا يلتهوا أولاً بالسلب والنهب. وكان المسؤولون في أرضروم يصرخون فيهم علانية «أقتلوا المسيحيين ولا تخشوا شيئاً» و«الموت للمسيحيين والحياة للمسلمين». تلك كانت شعارات الملالي والدراويش في سيواس وأورفة. أما في عربكير فقد أدخلوا في روع الناس البسطاء أن قتل الأرمن «مهمة في عاتق أمة محمد». مثل هذه الأشكال من التحريض جعلت الكثيرين ينطلقون بصورة عشوائية لتقتيل رجال الدين

(1) راجع: V.A. Gardlevski, op. cit., Vol. III. p. 126-127.

من الأرمن ولتهديم كنائسهم القديمة الأثرية[1].

كان العديد من الأكراد البسطاء ينظرون إلى قتل الأرمن وكأنه «جهاد» في سبيل الله. وليس أدل على ذلك من أنهم كانوا يتركون أي أرمني يعتنق الاسلام ولا يصيبونه بأي أذى. هكذا فإن المشاعر الدينية العمياء لدى الأكراد البسطاء والتي كانت هامدة في النفوس حتى ذلك الحين، أُوقظت من غفوتها وفق خطة مرسومة وبصورة متعمدة، سيق إليها الأكراد سوقاً. ويقع وزر ذلك، أول ما يقع، على عاتق الذين كان يهمهم أن يحدث ما حدث فعلاً.

ينبغي علينا في هذا المقام أن نلفت النظر إلى أن معظم الأكراد الذين أسهموا في مذابح الأرمن كانوا من «الفرسان الحميدية»، هذه التشكيلة العسكرية التي أنشئت في الأساس للقيام بمثل هذه الأعمال ولإلهاء الكرد.[2] وعلى سبيل المثال، فإن معظم الحوادث التي وقعت في ديار بكر أثناء المذبحة الأولى إنما جرت على أيدي هؤلاء الفرسان الذين جلبوا إلى المدينة خصيصاً لهذا الغرض. وفي المذبحة الثانية كان المسؤولون في أرضروم يحثون رجال العشائر غير النظامية علناً على تقتيل الأرمن وعلى مرأى من أطفالهم وعائلاتهم.[3] وبديهي أن حصيلة مثل هذا التحريض لم تكن قليلة - إلّا أنه ينبغي النظر إلى اشتراك «الفرسان الحميدية» في المذابح كتشكيلة حكومية، شأنه شأن اشتراك الجنود والجندرمة، وليس باعتبار أفراد تلك التشكلية أكراداً وأن اشتراكهم يعني اشتراك الكرد، رغم أن رجعية عدد من الاقطاعيين الأكراد وتخلفهم لعبا كذلك دورهما في الأمر. وجدير بالذكر أن قادة الفرسان الحميدية وعدداً من الاقطاعيين والآغاوات الآخرين كانوا

---

(1) راجع:

The Genocide of the Armenians..., p. 126, 137, 143,225, 241- 242, 247, 315.

(2) أوضحنا ذلك بشيء من التفصيل ضمن الفصل الثاني من هذا الكتاب.

(3) راجع: *The Genocide of the Armenians...*, p. 93, 277.

يعتبرون تقتيل الأرمن فرصة سانحة لهم ليملأوا من خلالها جيوبهم ولينهبوا أراضي وممتلكات أولئك الأرمن. وعلى سبيل المثال فإن المدعو ابراهيم بك، وكان مالك قرية (سكرات) في (بالو)، أخفى لديه عدداً كبيراً من الأرمن على أساس أنه يحميهم من القتل، ولكنه وبعد أن نهب امتعتهم ومواشيهم، تخلى عنهم واطلقهم ليواجهوا مصيرهم بأنفسهم، وفي كثير من المناطق الاخرى كان الأغوات يضعون ايديهم على أراضي الأرمن القتلى والهاربين، وكانت السلطات الحكومية تحرضهم بدورها على مثل تلك الاعمال بل كانت تساندهم.

ولننتقل الان إلى موضوع جد مهم ألا وهو دور الحركتين القوميتين الكردية والأرمنية اللتين كان ينبغي لهما في ظروف الدولة العثمانية آنذاك أنْ تعملا في سبيل تقارب الشعبين ووحدتهما وليس لابتعادهما عن بعضهما البعض، وبمزيد من الأسف فإن بعض الاخطاء مع بعض الاسباب الاخرى وإلى حد ما قصر نظر رجال السياسة لدى الطرفين وتدخل السلطات الحكومية والايدي الاجنبية، كل تلك أدت إلى أن تؤتي بذور الشقاق القومي بين الأرمن وجيرانهم الكرد أكلها ليجنيها أعداء الشعبين.

تحدثنا في مجال آخر من هذا الفصل بإيجاز عن ظهور الحركة القومية الأرمنية وتأسيس حزب «الهنشاك» (1881) وحزب «الطاشناق» (1890)، تأسس حزب «الهنشاك» من قبل لفيف من الطلبة الأرمن في جنيف، كان حزب البورجوازية الأرمنية الصغيرة وكان قد اتخذ الحرية والوحدة لأرمينيا واقامة الدولة الأرمنية المستقلة عن طريق الكفاح المسلح شعاراً أساسياً له، أما «الطاشناق» فقد كان حزباً بورجوازياً قوميًا يسعى لتحرير الأرمن من مظالم الدولة العثمانية، وكان يبغي، آنئذٍ، تحقيق الحكم الذاتي لأرمينيا في

اطار الدولة العثمانية عن طريق الكفاح المسلح أيضاً، وكان يعتقد أن بوسع الشعب الأرمني أنْ يحقق هدفه هذا بمساندة الدول الاوروبية الكبيرة.

ولكن أياً من «الهنشاك» (الذي كان يعتبر نفسه حزباً ماركسياً) و«الطاشناق»، لم يستطيعا أن يقيّما علاقات الشعوب الجارة في المنطقة ومصالحها المشتركة، ولاسيما علاقات الكرد والأرمن، تقييماً صحيحاً، ويعملا ما من شأنه توحيد مشاعر الشعبين ونضالهما، يقول (م.س.) لازاريف بهذا الصدد: «وفي تلك الأيام (أيام المذابح - ك.م.) قدم الطاشناقيون خدمة سيئة إلى الشعب الارمني، حيث كانوا يدفعونه إلى انتفاضة لم يحن أوانها بعد ويثيرون في نفوس ابنائه روح الكره والحقد ضد الاكراد والاتراك كلهم»[1]، وقد حدد بعض المؤرخين الأرمن إطار هذا الموضوع الخطير بشكل موضوعي، يقول الدكتور أروتونيان بهذا الصدد:

«بدلاً من جلب القوى الديموقراطية للشعب الكردي كحلفاء والقيام معها بنضال تحرري مشترك ضد الاقطاعيين الاتراك والاكراد، حاولت الاحزاب القومية - الديمقراطية الأرمنية، بدعواتها إلى الكره العنصري والديني، ان تفعل كل شيء من أجل إقامة جدار بين الشعبين (الأرمني والكردي - ك.م.). وقد كان من شأن سياسة لا شعبية وانتحارية كهذه ان تخدم، كما خدمت فعلاً، الطبقات الاقطاعية التركية والكردية لاغيرها)[2].

---

(1) راجع: M. S. Lazarev, *Kurdistan...*, p.57.

مما يجدر بالذكر أن حزب الطاشناق كان يعمل منذ البداية بأسلوب متعصب منغلق، وكان يقود كفاح الأرمن في طريق غير صحيح وقد وقف في ارمينيا الشرقية ضد الكفاح الثوري المشترك مع الشعوب الأخرى في المنطقة، كما كان له دور في إثارة المذابح بين الأرمن والتتر في منطقة القفقاس.

(2) راجع: غ. م. أروتونيان، السياسة الرجعية للبورجوازية الإنكليزية في القضية الأرمنية في أواسط تسعينيات القرن التاسع عشر، موسكو، 1954، ص 116.

= Арутюнян Г.М. , *Реакционная политика английской буржуазии в армянском*

وفضلاً عن ذلك، أن كل من «الهنشاك» أو «الطاشناق» أو رجال السياسة والمتنورين الأرمن، قبل تأسيس الحزبين المذكورين أو بعده، كانوا يقصدون بحديثهم عن «أرمينيا الكبرى» أو «استقلال أرمينيا» أو «الحكم الذاتي لأرمينيا» كل المنطقة التي كان معظم سكانها في يوم من الايام السحيقة في القدم من الأرمن أو كانت تحت سيطرة الدول التي أسسوها يوماً ما، وعلى سبيل المثال كانت مدينة دياربكر وما والاها في نظرهم جزءاً من صميم أرمينيا، وقد انعكست هذه الافكار في مطبوعات الأرمن آنئذٍ وفي أدبهم ونضالهم اليومي بصورة صارخة وبشكل يستلفت الانظار[1].

ولا شك في أن هذا كان يلقي في روع الاكراد مخاوف مشروعة، خاصة وأنهم كانوا يحسّون أن الدول الكبرى تساعد، كيفما كان الامر ومهما كان الدافع، الأرمن الذين يتفقون وإياهم في الدين، على بلوغ اهدافهم أو على الخلاص من الظلم العثماني على الاقل. وإذا عرضنا هذا الموضوع في اطار آخر، فإن النتيجة تكون كما يلي: كان المتنور الكردي يخشى تضاؤل حجمه، والفلاح الكردي يخاف ان يفقد أرضه، أما الاغوات والاقطاعيون الكرد فقد كان يهمهم ان يحافظوا على سيطرتهم، وواضح أن هذا هو الذي حدا بشاعر متنور وبعيد النظر مثل الحاج قادر الكويي (توفي في العام 1897) ليطلق قبل المذبحة الاولى بعدة سنوات صرخات التحذير عالياً ويقول: «وآسفاه! إن بلاد

= *вопросе в середине 90-х годов XIX века*, Москва, 1954 , стр. 116.

(1) وعلى العكس من ذلك كان معظم رجال السياسة الأكراد يعتبرون أرمينيا الغربية كلها ضمن كردستان. غير أن ضعف الحركة القومية الكردية، بالقياس إلى مثيلتها الأرمنية لم يتح المجال لأن يكون لإدعاءات الكرد صدى كبيراً. بل إنها لم تتأطر في صيغة محددة، شأنها شأن الادعاءات الأرمنية، ولذلك فإنها لم تلعب في الواقع دوراً مهماً.

الجزيرة وبونان، اعني بلاد الكرد، يحولونها إلى ديار أرمنية...»[1]. والشعارات

---

(1) راجع: كوملة شيعري حاجي قادري كويي، جاب و بلاوكةر: عبدالرحمن سعيد، بةغدا، 1925، ل51، (مجموعة اشعار الحاج قادر الكويي، طابعها وناشرها عبدالرحمن سعيد، بغداد، 1925، ص 51).
القصيدة التي يدخل ضمنها هذا البيت، من أهم نتاجات الحاج قادر، وهي حافلة، في الواقع بالحديث عن القضايا المهمة التي كانت دائرة في عصره، وقد لفتت إليها أنظار عدد من الكتّاب الأكراد ولاسيما الاساتذة مسعود محمد وجلال الطالباني والدكتور احسان فؤاد والدكتور عزالدين مصطفى رسول ومحمد الملا عبدالكريم.
فالدكتور احسان فؤاد الذي قدم أطروحة للدكتوراه عن حياة الحاج قادر وإبداعه، يقول إن الحاج قادر ساند، مع «عميق» الأحاسيس «نضال.. الأرمن في أراضي الجزيرة وبوتان» (إحسان فؤاد، نتاج الحاج قادر الكويي ومكانته في الأدب الكردي (ملخص أطروحة الدكتوراه باللغة الروسية)، موسكو 1966، ص 12). أما الدكتور عزالدين مصطفى رسول فقد تحدث باقتضاب شديد، وفي سطور قلائل، عن هذه القصيدة، فقال إن الحاج قادر توجه بها إلى الكرد ينبههم إلى المساومة التي حصلت بين الاستعماريين والحركة الوطنية الأرمنية على حساب إعطاء أراضٍ كردية للأرمن (راجع: الدكتور عزالدين مصطفى رسول، الواقعية في الادب الكردي، بيروت، بلا، ص 86) أما الأستاذ محمد الملا عبدالكريم فقد رأى من القضية جانباً واحداً فقط، وعلى هذا الأساس فقد انتقد الحاج قادر بشدة باعتبار أنه نهض «بوجه كفاح سكان أرمنستان» ودعا الشعب الكردي «بكل قوة» لمقاومة «منح هذا الشعب حقه في الاستقلال» (راجع: محمدي مةلاكريم، حاجي قادري كويي شاعيري قؤناغيكي نويية لة زياني نةتةوةي كورد، بةغدا بي، ل62-66)، محمد الملا عبدالكريم، الحاج قادر الكويي شاعر مرحلة جديدة من حياة الشعب الكردي، بغداد، بلا، ص 62-66)(*).
أما الأستاذ جلال الطالباني الذي رد على الأستاذ محمد الملا عبدالكريم باسم بيروت (راجع: خةبات = نضال) ، 26 تموز/ يوليو 1960. فقد رأى الوجه الآخر للقضية واعتبر أن الدول الإمبريالية «ولا سيما روسيا وبريطانيا» كانت تريد أن تقيم دولة رجعية للأرمن وتلحق بها جزءاً من أراضي كردستان. علماً بأنه لحين التوقيع على معاهدة سيفر لم يدر أي حديث في المعاهدات والاتفاقيات الدولية عن استقلال أرمنستان. فالبند السادس عشر من معاهدة سان ستيفانو والبند الواحد والستون من =

= معاهدة برلين اللذان يعتبران لحين التوقيع على معاهدة سيفر ذروة اهتمام الدول الكبرى بالأرمن، لم يتطرقا حتى إلى حكم ذاتي لهم، فالحديث فيهما إنما يدور عن الاصلاحات و«حماية الأرمن من الجركس والكرد». ويبدو أنه لهذا السبب بالذات صرح ممثل الأرمن إلى مؤتمر برلين بعد عودته منها بقوله «طبخت الحرية في برلين، ولكننا لم نستطع أن نتناول منها لقمة واحدة . أولادي! (يقصد الأرمن- ك. م.) لا تعقدوا أي أمل على الأجانب . دبروا شؤونكم بأنفسكم».
أما الأستاذ مسعود محمد فلم يبالغ في الجزءين الأول والثاني من كتابه حول الحاج قادر الكويي حد الحديث عن نتاجاته في اسطنبول، التي يبدو أنه يخصص لها الجزء الثالث من الكتاب، ومن المعلوم أن القصيدة موضوعة بحثنا هذا من قصائده التي نظمها في اسطنبول. وقد صدر الجزء الثالث أيضاً من الكتاب، وليس فيه كذلك شيء عن نشاط الحاج قادر ونتاجه في اسطنبول - المترجم. إلّا أنه يرى كما تبين لي من حديث خاص دار بيني وبينه بهذا الشأن، إن الحاج قادر نظم هذه القصيدة، رداً على معاهدة برلين لعام 1878 . من الواضح، وكما يبدو من فحوى هذا البحث، أن لا معاهدة برلين وحدها بل هي، ومعاهدة سان ستيفانو، وأهتمام الدول الكبرى بالأرمن، كل هذه جميعاً كانت ضمن الشروط الضرورية لتوافر المناخ الذي أنتج قصيدة الحاج قادر هذه. فهي (أي القصيدة) نفسها تحتوي على دليل مهم يظهر أنها أقل عمراً من معاهدة برلين بعدة سنوات على الأقل. نظم الحاج قادر هذه القصيدة إما في أواسط الثمانينيات أو قبل مذبحة الأرمن الأولى بسنوات قليلة، فهو يقول فيها:

«بالأمس، لا قبله، نهض سكان السودان كالأسود
وهم الآن مستقلون، يغبطهم أتباع كل دين»

جلي أنه يجب أن يكون حدث كبير وقع في السودان قد لفت انتباه الحاج قادر والذين كانوا يفكرون مثله عندما نظم هذه القصيدة. وما من حدث سوداني في تلكم الفترة لفت الأنظار إلّا انتفاضة المهدي. وقد بدأت هذه الانتفاضة في العام 1881، غير أنها استمرت 17 عاماً ولم تبلغ مستوى يجذب إليها أنظار مفكري الشعوب الأخرى إلّا في أواسط الثمانينيات، ولا سيما بعد أن تمكن الثوار في تشرين الثاني/ نوفمبر من العام 1883 من دحر الجيش الإنكليزي الذي كان قوامه 10 آلاف مقاتل. وكان ذلك حدثاً كبيراً في تلكم الأيام، واستطاعوا بعد ذلك تحرير الخرطوم في كانون الثاني/ يناير من العام 1885 وقتلوا الحاكم الإنكليزي في السودان وأعلنوا استقلال بلادهم. =

= والحاج قادر يتحدث عن انتصار السودان «بالأمس» واستقلاله «اليوم».

وما دمنا بصدد الحديث عن الحاج قادر كويي وقصيدته هذه، فإنني لا أرى ضيراً في أن ألفت أنظار المتخصصين منا في الأدب إلى نقطة مهمة أخرى وردت في قصيدة الحاج قادر هذه، يخاطب فيها الشعب الكردي قائلاً:

«تجمعوا دفعة واحدة كالنحل، تشاوروا فيما بينكم بصمت
أحصلوا لكم على عُدد الحرب من مدافع وبنادق و(هاون)»

هنا تلفت كلمة (هاون) الأنظار. صحيح أن المدفع الهاون (Mortar) أخترع بصورة جد بدائية في القرون الوسطى واستخدمه العثمانيون لأول مرة في أواسط القرن الخامس عشر، إلّا أن تخلف التكنيك كان يؤدي إلى أن تكون أضرار استعمال مثل هذا المدفع أكبر من فوائده. ولذلك فسرعان ما أهمل ولم يعد له من ذكر حتى أوائل القرن العشرين وبعد وفاة الحاج قادر بحوالى عشر سنوات (توفي الحاج قادر في العام 1897) حيث بدئ بإنتاجه من جديد. وفي هذه الدورة استخدم مدفع الهاون لأول مرة في الحرب الروسية – اليابانية (1904 – 1905)، تلك الحرب التي لفتت إليها أنظار شعوب الشرق كلها، وبصورة خاصة شعوب السلطنة العثمانية. وقد بدأ الألمان بعد هذه الحرب، بالتحديد منذ العام 1908، بإنتاج مدافع هاون من نوعية جيدة.

وهكذا فإن سؤالاً يفرض نفسه هنا وهو ألا يمكن القول إن تحريفاً جرى في هذا البيت أو أن إضافة قد حدثت في القصيدة نفسها بعد وفاة الحاج قادر من قبل آخرين! هذا أمر كثيراً ما تحدث نظائره، وإلّا فعن أي «هاون» يتحدث الشاعر؟ كيفما كان الأمر فإن الموضوع بحاجة إلى دراسة من قبل المختصين. (من الممكن أن يكون اسم الـ«هاون» القديم قد بقي على الألسن، أو كان يطلق خطأً على المدافع الأخرى، واحتاج إليه الشاعر لضرورة القافية لاسيما وأنه كلمة مناسبة في هذا المقام، فضلاً عن أنه لم يكن على علم بالمصطلحات العسكرية بالطبع – المترجم).

(*) لست أنفي صحة النقد الذي ذكره المؤلف من أنني في عرضي لأفكار الحاج قادر الكويي إزاء المسألة الأرمنية وارتباطها بالمسألة الكردية، رأيت جانباً واحداً فقط في القضية، فقد كنت – وأنا أول من يولي ليس لهذا الموضوع وحسب، بل ولدراسة موقع الحاج قادر الكويي في الفكر الكردي على وجه العموم، على ما أعلم، ولاسيما بالنسبة لأولئك المثقفين الاكراد الذين أورد المؤلف أسماءهم – =

= أدرس الفكرة من وجهة نظر سياسية صرفة، ولم تكن لديّ معلومات مفصلة عن الجانب التاريخي الواقعي للفكر السياسي الأرمني، كنت أعلم، كأي تقدمي يهتدي بالفكرة السياسية القائلة بحق الشعوب، صغيرها وكبيرها، في تقرير مصيرها بنفسها، أن للأرمن كذلك، كما للكرد، قضية عادلة هي قضية الحرية والسيادة الوطنية، ولأنني لم اكن على بيّنة من أمر التشابك المعقد للحدود الجغرافية القومية بين أرمينيا وكردستان، لم تكن لديّ، كذلك فكرة واضحة عن الشعارات السوفياتية التي كانت البورجوازية الأرمنية الناهضة ترفعها، ولا بد من ذلك، كأي بورجوازية شوفينية في أي أمة.

إلّا أن الجانب المهم في نظري في أفكار الحاج قادر في هذا الموضوع، هو أنه تأثر في معالجة القضية بالفكر المتخلف السائد في الامبراطورية العثمانية ولم يستطع صفاء ذهنه أن يحرره منه، وإن مشاعره الدينية كمسلم - وهو القومي الذي كان شعبه بالذات يعاني من الاضطهاد القومي على يد الدولة العثمانية المسلمة - لعبت دورها في تحديد موقفه السياسي، رغم أنه ينبه في القصيدة موضوعة البحث نفسها إلى أنه لا يمكن الركون للدولة العثمانية في اتخاذ موقف حازم لحماية كردستان من أن تصبح جزءاً من أرمينيا وأن يفقد الشعب الكردي حقوقه وحرياته الدينية بل ووجوده وكيانه. لقد دعا الحاج قادر في هذه القصيدة إلى اتخاذ أساليب سياسية وعملية جد صائبة، بل إنه دعا إلى حرب قومية شاملة تشترك فيها كل طبقات الشعب الكردي، مما يشبه شعارات الدعوة إلى الجبهة العريضة التي ترفعها العناصر الواعية اليوم في الشعوب التي تتعرض إلى العدوان الاجنبي. ولكن الغرض من الحرية التي دعا إليها، كان، ويا للأسف، الوقوف بوجه استقلال الأرمن في الجوهر. إنه يطرح القضية، مثيراً الحماس القومي والديني بل وحتى المصالح الحيوية اليومية للشعب الكردي في آن واحد، دون أي إشارة إلى عدالة جوهر القضية الأرمنية ووجود الأرمن، ولو كان الحاج قادر على قدرٍ كافٍ من الوعي السليم بأبعاد المسألة، لأقر حق الأرمن في تقرير مصيرهم وعارض في الوقت نفسه الجوانب الضارة الشوفينية في سياسه أحزابهم القومية ودافع عن الكيان الجغرافي الطبيعي لوطنه كردستان. لكنه لم يتطرق إلى شيء من هذا القبيل وخلط بين العادل والظالم في مسألة الأرمن القومية كما كانت تطرح آنذاك. غير أن هذه الحقيقة يجب النظر إليها، رغم كل شيء، في إطار الشروط الاجتماعية والفكرية التي كان يعيش فيها الشاعر الكبير. =

التي كانت ترفعها القوى السياسية وقادة الرأي بين الأرمن وأساليب النضال التي كانوا ينتهجونها والاستراتيجية والتكتيك اللذان كانوا يسيرون وفقهما، هي كذلك ما دفع الحاج قادر للقول:

«قسماً بالقرآن، لم تبق هناك غيرة.

ان تظهر أرمنستان للوجود فلن يبق أحد من الأكراد»[1]

كما أشار إلى الموضوع نفسه، ولكن بأسلوب آخر، عدد من السياسيين الكرد العاملين في المهجر، فجريدة «كردستان» التي كرست جانباً كبيراً من

= طبيعي انه لا يحق لنا نحن ان نحاسب الحاج قادراً لأنه لم يكن يدرك أبعاد المسألة القومية وعلاقات الامم كما نفهمها نحن اليوم، ولكن هذا لا يعني كذلك أن لا نضع النقاط على الحروف لتبيان أوجه الصواب والخطأ في تفكيره. إن النقاط التي يوردها المؤلف في بحثه هذا بشأن مواقف الأكراد السياسية آنئذٍ، تدل بوضوح على أن معظمهم لم يكونوا يمتلكون الحد الادنى من الفهم الصحيح للعلاقة الجدلية بين المسألتين القوميتين الكردية والأرمنية إزاء الدولة العثمانية، وأنهم بوجه عام، كانوا إزاء الأرمن مسلمين وعثمانيين أكثر من أن يكونوا أكراداً وقوميين، ولم يشذ عنهم حتى الحاج قادر في هذا الموقف في إطاره العام. فلو كان له، وهو القومي المخلص للغاية لشعبه، موقف قومي متنور من المسألة الأرمنية، وهو ما يلتقي بالموقف الأممي في التحليل الاخير، لكانت له وجهة نظر أكثر شمولية، ولقال شيئاً ضد مجزرة الأرمن التي ساقت التضليلات العثمانية قطاعاً غير قليل من أبناء شعبه الكردي سوقاً للإسهام فيها، وقد وقعت الحلقة الأولى من هذه المجزرة قبل وفاته هو بثلاثه أعوام. وأخيراً، أود أن أشير كذلك إلى أن الدكتور عزالدين مصطفى رسول، رد عليّ، هو الآخر، بشأن هذه القضية، شأنه في ذلك شأن (بيروت)، ولكنه كان يبحث في رده عن مبررات لقصر النظر السياسي لدى الحاج قادر في تفهم المسألة (راجع: الدكتور عزالدين مصطفى رسول، المصدر السابق). (لمزيد من التفاصيل حول القصيدة وطريقتي في عرض أفكار الحاج قادر الواردة فيها، راجع كتابي المشار إليه في بداية هامش المؤلف، ص 62-66) - المترجم.

(1) كومةلة شيعري حاجي قادري كديي، ص 51.

اعدادها الصادرة في العامين 1901-1902 للدفاع عن الأرمن ولإدانة المذابح التي ارتكبت بحقهم[1]، أشارت اكثر من مرة إلى مخاطر ما وصفته بـ«النوايا العدوانية» لـ«قلة من الأرمن»[2]، لكنها وضعت مقابل ذلك في الوقت نفسه الاعمال والنوايا العدوانية لـ«قلة من الأكراد»[3].

إن ما ضخّم هذه المخاوف في نظر الكرد أكثر، هو، كما سبق لنا القول، إن الدول الاوروبية كانت تولي المسألة الأرمنية اهتمامها. صحيح أن القسم الأكبر من ذلك الاهتمام كان نابعاً من المصالح الخاصة لتلك الدول نفسها كما سنذكر ذلك فيما بعد، إلّا انه كان قد ارعب ليس مسؤولي الدولة العثمانية وحدهم بل والكرد كذلك، حيث كان يشاع في أوساطهم ان دولة ستقام للأرمن بمساعدة روسيا وبريطانيا وفرنسا وأن الاكراد المسلمين سيقعون تحت سيطرة هذه الدولة المسيحية، وفي الحقيقة فإن قسماً من الأرمن، ولاسيما الطاشناقيين منهم، كانوا يأملون ذلك، وكانوا متفائلين إلى حد كبير ويتوقعون الخير من الدول الكبرى، وذلك لفرط ما عانوه من الاضطهاد الديني والقومي على أيدي العثمانيين، ومن هنا كان توسل المثقفين ورجال الدين والقوى السياسية الأرمنية بين حين وآخر إلى الدول الكبرى، التي كثيراً ما كانت تهب لنجدتهم لأغراض خاصة بها، وهذا ما كان قد أخاف الكرد إلى حد ما، خاصة وأن تدخل الدول الكبرى في المسألة الأرمنية كان يؤثر على أوضاعهم، أي اوضاع الكرد، الحياتية والمعيشية. وعلى سبيل المثال قابل سفراء الدول الكبرى المسؤولين العثمانيين قبل المذبحة الاولى اكثر من

(1) نعود إلى هذا الموضوع فيما بعد.

(2) راجع على سبيل المثال: كردستان، العدد 26، 22 رمضان 1318، 14 كانون الثاني/ يناير 1901.

(3) لم تبلغ الصحيفة في جميع تقييماتها السابقة للمسألة الأرمنية، وما كان بإمكانها أن تبلغ، مثل هذا المستوى الموضوعي. =

مرة بشأن حياة الأرمن، ونتيجة لتلك المقابلات، فقد وعد أولئك المسؤولون باتخاذ بعض الاجراءات بشأن الأرمن وأرمينيا، كان بعضها يتعلق بالكرد وكردستان فقط، منها ما تقرر من فرض الرقابة على تنقلات القبائل الكردية الرحّالة وعدم السماح للفرسان الحميدية بحمل السلاح بدون موافقة خاصة[1] وتقديمهم كغيرهم إلى المحاكم الحكومية.[2] مثل هذه المواضيع كانت تشيع بين الناس بسرعة. ورغم أن الكثير منها لم يكن يجد طريقه إلى التنفيذ، إلّا أنها كانت تلقي المخاوف في النفوس ولاسيما القضايا المهمة منها كتنقل القبائل الرحّالة التي كانت حقاً قضية حياة أو موت بالنسبة لتلك القبائل. وواضح أن هذا هو ما حدا كذلك بالحاج قادر ليقول في بالغ الاهتمام:

«ها إن طريقكم يسد بوجوهكم، يا قبائل الجاف والبلباس!

فحتى اذا متّم من الحر، لن يسمح لكم بالرحيل إلى المصائف»[3]

ونتيجة لقصر نظر العثمانيين، كان اعتماد الأرمن على الدول الكبرى

---

(1) كان السلاح آنئذٍ بالنسبة للكرد والشعوب التي كانت تعيش في ظروفهم يُعدُّ ضمن الضرورات الحياتية.

(2) راجع: M. S. Lazarev, *The Kurdish Question...*, p.71, 388.

كان الأرمن حضريين، أما الكرد فكان قسم كبير منهم لايزالون يعيشون حياة التنقل، وكانت فيهم قبائل تصل في رحلاتها الشتوية والصيفية إلى مناطق أرمينيا وقرةباخ. وكما هو معروف، فإن القبائل المتنقلة تشكل دوماً مصدراً للمحن والصعاب للحضريين. ولذلك فليس الأرمن وحدهم، بل، والأكراد الحضريون كذلك، كانوا يعانون الكثير على أيدي الأكراد الرحّالة. غير أن محنة الأرمن كانت قد اتخذت لها طابعاً مختلفاً نوعاً ما لأنهم كانوا يشكلون فريسةً أسهل بالنسبة للقبائل الرحالة القوية الشكيمة، مما جعل حياة الترحل لهذه القبائل عامل تذمّر شديد بين الأرمن الذين غالباً ما كانوا يطالبون السلطة العثمانية والدول الأجنبية بالعمل من أجل وضع حد لها.

(3) كومةڵة شيعري حاجي قادري كويي، ص 51.

يشتد يوماً بعد يوم، مما كان يلقي روعاً أشد في نفوس الحكام وفي نفوس الكرد كذلك إلى حد ما. ذكر غاردليفسكي قبل بداية الحرب العالمية الأولى وبعد المذبحة الأخيرة بفترة وجيزة كيف أن «السياسة الشوفينية لتركيا الفتاة لم تلبث أن أصابت الأرمن بخيبة أمل جعلتهم يعقدون الرجاء على التدخل الخارجي، فعندما كنت أجوب مناطق آسيا الصغرى في العام 1913 كان الناس ينظرون اليّ، أنا الرحّالة الروسي، وكأنني منتدب لدراسة الأوضاع الداخلية «للمنطقة ـ ك.م»»[(1)]. ولذلك فقد استقبله الأرمن بحرارة وأخذوه إلى اماكن عديدة.

كان للمسوؤلين العثمانيين اليد الطولى في نشر المخاوف بين الأكراد وفي تخريب العلاقات الكردية ـ الأرمنية، فقد كان ذلك في مصلحة دولتهم، ولذلك كانوا يسعون بكل وسيلة لإشعال نار الشقاق والخلاف بين الشعبين الجارين، وكانوا يبادرون إلى سد أي شيء آخر، خاصة وأنهم كانوا يعلمون أن الرجال البعيدي النظر وذوي الأحاسيس الديموقراطية في الشعبين يقيّمون مثل ذلك التقارب تقييماً صحيحاً، رغم أن أمثال هؤلاء كانوا قلة. ومما يروى أن الشيخ عبيدالله النهري قائد انتفاضة العام 1880 رفض منذ البداية أن يعير أذاناً صاغية للتحريض العثماني الهادف لإقامة مذبحة بين مسيحيي ورمى حيث كانوا يريدون تحقيق مخططهم على يد الشيخ المذكور.[(2)] وكما كتب

(1) راجع: .V. A. Gardlevski, op. cit., p.83

(2) راجع: .B. Nikitine, op. cit., p. 189

من المهم أن نشير بهذا الصدد إلى أن جريدة «كردستان» التي كان يصدرها البدرخانيون في الخارج أشارت إلى هذا الموقف باعتزاز وأبدت أملها في أن يتحول إلى نموذج يحتذيه أحفاد الشيخ في تعاملهم مع الأرمن. كان هذا جزءاً من حملة الجريدة ضد مذابح الأرمن، وسنعود إلى هذا الموضوع في مكانٍ آخر من=

الدكتور أ. أستارجيان، فإن زعيم الطاشناق التقى في أواسط التسعينيات من القرن الماضي بعبدالرحمن بدرخان في جنيف وتحادث معه حول توحيد مساعي الكرد والأرمن، ونشر بدرخان مقالاً باللغة الكردية وبالحروف العربية في جريدة «تروشاك» (الراية) لسان حال الطاشناقيين[1]، وبذلت مساعٍ أخرى أيضاً بعد ذلك، للتقريب بين الأكراد والأرمن، كما سنتحدث عنها فيما بعد.

كان من الطبيعي أن يبدأ المسؤولون العثمانيون ببذل جهودٍ نشطة للحيلولة دون أن تثمر تلك المساعي الحميدة، فأخذوا يبثون بذور الشقاق والنزاع بين الأكراد والأرمن ويلهبون نار الخلاف من كل الجهات. وكانوا في الوقت نفسه يخشون للغاية أن يدفع النضال الحازم والعادل الذي كان يخوضه الأرمن، جماهير الشعب الكردي أكثر فأكثر كي تناضل هي الأخرى في سبيل حقوقها، وكان نضال الأرمن حقيقة تاريخية مطروحة على بساط التطبيق. ورغم كل المخاطر التي تحدث عنها الحاج قادر في شعره بشأن مستقبل الكرد و كردستان اذا قدر للمسألة الأرمنية أن تتكلل بالنجاح والتي نبه الكرد من خلالها، فإنه يرى في الموضوع (أي في نضال الأرمن) حقيقة مهمة يتمنى أن تصبح مثالاً للكرد وقدوة، وها هو يقول:

«ومع ذلك فإن للأرمن الحق.
إنهم غيارى، أفراداً وجماعات..
انهم ليسوا مثلنا، يقاتل بعضهم بعضاً بالسيوف».[2]

= هذا الفصل (راجع: كردستان، فولكستون، العدد 27، 22 ذي القعدة 1318، 14 آذار/ مارس 1901.

(1) الدكتور ك. أ. أستارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، الموصل، 1951، ص 315. من الجدير بالذكر أن جريدة «تروشاك» هذه نشرت في حينه بعض الرسائل والمقالات المهمة للشخصية الوطنية الكردية الأستاذ أسماعيل حقي شاويس (راجع: التآخي ـ صفحة الثقافة الكردية 15 ـ 12 كانون الثاني/ يناير 1974.

(2) كدمةلة شيعري حاجي قادري كويي، ص 54.

مثل هذه الأفكار كانت مطروحة قليلاً أو كثيراً[1]، وكانت تدفع الحكام العثمانيين ليبذلوا مزيداً من الجهد لتشويه سمعة الأرمن لدى الكرد لئلا تصبح حركتهم القومية العادلة قدوة لهم. وفضلاً عن ذلك كان العثمانيون يدركون أنهم بذلك يرمون «عصفورين بحجرة واحدة» إذ يضربون الحركة الأرمنية من جهة ويوجهون الحركة الكردية في مسار خاطئ من جهة أخرى، وهو ما كان يؤدي حتماً إلى أن يصيبها الضعف والهزال. ومن المفيد أن نشير هنا إلى وثيقة تاريخية مهمة تلقي الضوء على مسائل كثيرة بهذا الصدد. فقد تحدث القنصل الروسي العام في أرضروم آداموف في رسالة رسمية له بعثها إلى السفير الروسي في اسطنبول بشأن الأرمن، عن العلاقات الكردية ـ الأرمنية، على لسان أحد زعماء الأرمن. كتب آداموف يقول:

«دعوت البطريرك إلى الافطار، وحاولت جره إلى الحديث عن العلاقات بين الكرد والأرمن. كان رأي نيافته كما يلي: اذا كان بين القبائل الكردية، ولاسيما في ولاية بدليس، من يعتبر عدواً للأرمن، فإن الآخرين ينظرون إلى الأرمن كأصدقاء، وهم على استعداد ليضعوا أيديهم في أيدي الأرمن. واليوم حيث تظهر في صفوف الأكراد حركة، فإن الحكومة التركية التي تنظر منذ زمن بعيد نظرة شك وريبة إلى الصداقة الأرمنية ـ الكردية، والتي سعت على الدوام لتحريضهما ضد بعضهما البعض، تبذل جهوداً خاصة لتوجيه رأس رمح هذه الحركة ضد الأرمن».[2]

(1) كان مصطفى باشا ياملكي، وهو أحد الضباط الكبار في الدولة العثمانية، يحث الأكراد في كتاباته بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ودعوته إلى السليمانية على الاقتداء بالأرمن في النضال والاتحاد (راجع على سبيل المثال: جريدة بانك كوردستان– نداء كردستان، السليمانية، العدد 3، 21 آب/ أغسطس 1992).

(2) مقتبس من: . *The Genocide of the Armenians...*, p. 236-237

وهكذا فإن قصر نظر الحركة القومية سواء لدى الأرمن أو لدى الكرد وتدخل الدول الكبرى ومساعي الدولة العثمانية لتخريب العلاقات الكردية ـ الأرمنية وتضليل الكرد، كل تلك لعبت دورها في إثارة قطاع من الأكراد ضد الأرمن. وبديهي أنه هنا أيضا تقع الجريرة الكبرى على عاتق تلك الجهة التي كانت تبذر حثيثاً وعلى الدوام بذور الشقاق. إن كل تقييم دقيق لدور الكرد في مذابح الأرمن، ينبغي أن يأخذ هذه الحقيقة التاريخية المهمة كذلك بنظر الاعتبار.

***

من كل ماسبق يبدو واضحاً أن مذابح الأرمن وأحداثها الدامية كانت أعمق من أن تفسر بكونها حصيلة المشاعر العمياء للكرد أو نتيجة لتخلفهم. كانت القضية عبارة عن عمل نظم بدقة واشتركت في إعداده أطراف مختلفة ولدوافع كانت في الغالب متباينة. لم يكن بوسع الحكام العثمانيين أن يحلوا المشكلة الأرمنية، وكانوا في الوقت نفسه يخشون أن تفلت أرمينيا من قبضتهم، كما أفلت البلقان من قبل. تلك هي البؤرة الأساسية للمذابح التي صار قسم قليل من الشعب الكردي إحدى الأدوات التي استخدمت في تنفيذها، بل إنه بالنسبة للمرحلة الأولى من هذه المذابح والتي سعى السلطان عبدالحميد وأعوانه كثيراً لإلقاء المسؤولية عنها على عاتق الشعب الكردي، هناك وثائق تاريخية تثبت بوضوح أن الباب العالي هو الذي نظمها وعلى عاتقه تقع مسؤولية أحداثها المفجعة. ففي بعض المناطق كانت المذبحة تبدأ على أيدي الجنود والجندرمة وتنتهي على أيديهم، فقد كلف 30 ألف جندي ودركي في أورفه و 1600آخرون في عربكير للقيام بإبادة الأرمن الموجودين فيهما.[1]

---

(1) راجع: .Ibid, p. 129

وتجلت الحقيقة نفسها في مذابح الحرب الأولى بصورة أكثر سطوعاً، فقد أزالت البرقع عن وجوه الجميع في ظروف الحرب وتكشفت على حقيقتها أمام الأنظار. فالدولة العثمانية التي كانت تحلم بالفوز في الحرب العالمية الأولى، لم تكن تحسب حساباً للرأي العام الأوروبي. صحيح أن قسماً من المسؤولين كانوا يحاولون اخفاء جرائم السلطة[1]، إلاّ أن معظمهم كانوا يتباهون بها علناً. وفضلاً عن ذلك فهناك عدة وثائق مهمة سرية وعلنية تدلنا على جريمة السلطة ومسؤوليتها من كل الوجوه. ومن الضروري إلقاء نظرة سريعة على بعض هذه الوثائق، لأن من شأن مضامينها تحديد أبعاد الاطار العام للقضية بشكل موضوعي مما يعطي المؤرخ إمكانية أكبر لتحديد الموقع الحقيقي للأكراد ضمن ذلك الأطار.

نتقل في البداية برقية لوزير الداخلية طلعت باشا أرسلها إلى والي حلب، وقد جاء فيها ما يلي بالنص:

«لقد أُبلغتم من قبل أنه تقرر نهائياً، حسب أوامر الجمعية[2]، إبادة الأرمن الذين يعيشون في تركيا، والذين يقفون ضد هذا القرار (يقصد من المسؤولين ـ ك.م.) لايسعهم البقاء في وظائفهم. ومهما تكن الاجراءات التي ستتخذ شديدة وقاسية، ينبغي وضع نهاية للأرمن. لاتلقوا بالاً، بأي صورة، للعمر والوجدان والرجال والنساء»[3].

---

(1) فمثلًا كان التقاط الصور للجرائم المرتكبة ممنوعاً في بعض المناطق. وكثيراً ما كانت تلك المآسي تخفى عن أنظار الرأي العام في الخارج ولاسيما في البداية. ويتحدث فائز الغصين عما قيل من أن المسؤولين كانوا يكسون قتلى الأرمن الملابس الكردية ثم يلتقطون لهم الصور للإيهام بأن تلك الجرائم من صنع الأرمن (راجع: فائز الغصين، المصدر السابق، ص 38 ـ 39 . راجع كذلك:

The Genocide of the Armenians..., **p.287, 323.**

(2) يقصد «جمعية الاتحاد والترقي».

(3) مقتبس من: =

كان طلعت باشا يعرف جيداً ما يريد، وكان ينفذ بدقة ما يقول. وها نحن نثبت صورة لبرقيتين أخريين له أرسلهما إلى حاكم حلب.[1]

يقول في برقيته الأولى:

«علمنا أن عدداً من الموظفين قد أحيلوا على المحكمة العسكرية بتهمة السلب والنهب واستعمال الشدة مع الشعب المعلوم (بديهي أنه يقصد الأرمن ـ ك.م.). من شأن إجراء كهذا، حتى وإن كان شكلياً، أن يؤدي إلى تثبيط عزائم الموظفين الآخرين. لذلك فإنني آمر بعدم افساح المجال لهذه المحاكمات».

ويقول في برقيته الثانية:

«اذا أصيغ السمع للشكاوى التي يقدمها أولئك (يقصد الأرمن ـ ك.م.) حول شؤونهم الخاصة المختلفة، فإن ذلك يؤدي لا إلى تأخر تسفيرهم إلى الصحارى وحسب، بل ومن الممكن أن يؤدي إلى ظهور سلسلة من الأعمال التي لا يستبعد أن تتسبب في المستقبل في ظهور بعض العراقيل السياسية. وفي ضوء هذا ينبغي إصدار الأوامر اللازمة للموظفين»[2].

= *The memories of Naim Bey. Turkish official documents relating to the deportations and masscares of Armenians*, London, 1921, p. 64

(1) كان الأرمن الذين يبعدون عن طريق حلب، يرسلون إلى سوريا والعراق.

(2) تجاوزت وحشية طلعت باشا إزاء الأرمن كل الحدود. وطبقاً لما ورد في مقال نشرته «التايمز» اللندنية (في التاسع والعشرين من أيلول/ سبتمبر من العام 1915) فإن طلعت باشا اغتنم فرصة هزيمة رفيقه أنور باشا في القفقاس فاستغلها لضرب الأرمن الذين كان يريد أن يلقي مسؤولية تلك الهزيمة على عاتقهم. ومن الجدير بالذكر أن الثالوث المتحكم طلعت باشا ورفيقيه أنور باشا وجمال باشا كانوا ينظرون إلى العرب والكرد أيضاً بالمنظار نفسه. وبعد خسارة الحرب وانهيار الدولة العثمانية أقرّ طلعت باشا صراحةً بفشل سياسة الاتحاديين من كل الوجوه. فلم يتجرأ الثالوث على مجابهة النقمة الشعبية التي أخذت بخناقهم، فهربوا جميعاً من البلاد. ولكن القدر شاء أن يلقى ثلاثتهم مصيراً متشابهاً جاء بمثابة جزاءٍ عادل لما اقترفته أيديهم =

ومما يجدر ذكره أن مولان زاده رفعت وهو من كبار الاتحاديين قد اعترف بهذه الحقائق في ذلك القسم من مذكراته الذي نشره في حلب في العام 1929 باللغة التركية فبين كيف أن قادة الاتحاديين قرروا بعد اجتماعات ودراسات خاصة إبادة الأرمن عن بكرة أبيهم. ويبدو مما نشره أن سارق قوت الشعب، عضو اللجنة المركزية لجمعية الاتحاد والترقي ورئيس «جمعية الأصناف» التي تحدثنا عنها في الفصل السابق، قره كمال، كان من بين أشد المتحمسين لخطة الابادة هذه.[1] أما أنور باشا نفسه فقد صرح، دون أدنى مواربة، بأن «من الضروري» إزاحة «العنصر الأرمني» في السلطنة العثمانية[2].

= من جرائم وموبقات بحق الجميع وفي مقدمتهم الشعب الأرمني. فبالنسبة لرئيس الجمعية طلعت باشا كرَّس الطالب الأرمني تاليريان نفسه للبحث عنه حتى التقى به وجهاً لوجه في أحد شوارع برلين فأرداه قتيلاً، وذلك في الخامس عشر من آذار/ مارس من العام 1921. أما جمال باشا السفاح فقد التجأ بعد الحرب إلى ألمانيا ثم سويسرا. ومنذ العام 1920 صار مستشاراً عسكرياً للحكومة الأفغانية، إلّا أنه اغتيل في العام 1922 على يد أحد أعضاء حزب «الطاشناق» الأرمني وذلك أثناء ذهابه إلى مدينة تفليس. وحاول المغامر الأول من بين زعماء الاتحاديين أنور باشا العودة من الأبواب الخلفية إلى الحياة السياسية عندما أراد استغلال الظروف التي استجدت في آسيا الوسطى ومناطق ما وراء القفقاس السوفياتية من جراء تدخل جيوش الدول الاستعمارية في تلك البلاد. وبعد أن اشترك في مؤتمر شعوب الشرق الذي انعقد في باكو في العام 1920، بعد أن ادعى التأييد للكومنترن وقدم نفسه ممثلاً لما أسماه بـ«إتحاد المنظمات الثورية في مراكش والجزائر وتونس وطرابلس ومصر وشبه الجزيرة العربية والهند» وتباهى بالاعتماد على «الفئات الاجتماعية الكادحة وعلى رأسها الطبقة الفلاحية»، أغتيل الجلاد السابق و«التقدمي» اللاحق أنور باشا على يد قطعات من الجيش الأحمر، وذلك بعد انضمامه إلى الحركة المسلحة التي اندلعت في بعض جهات آسيا الوسطى بمساندة مباشرة من الإنكليز والأميركان.

(1) راجع: Mevlan Zade Rifat, *Turkiye inkilabinin ic yuzu*, Halep, 1929. S. 89-93.
مقتبس من كتاب: *The Genocide of the Armenians...*, p. 362-366.

(2) راجع: G. Z. Aliev, op. cit., p.276.

ينبغي النظر إلى مآسي الأرمن في سنوات الحرب العالمية الأولى من هذه الزاوية. لقد كانت نوايا الحكومة واضحة وجلية. كان الجيش ورجال الادارة يقومون، طبقاً لتلك الأوامر، بما «ينبغي» القيام به. وبديهي أنه بدون اسهام أساسي من مدفعية الجيش لم يكن من الممكن إبادة مليون ونصف المليون بتلك السهولة. وعلى سبيل المثال فإننا نورد ما يلي: في بداية تموز/ يوليو من العام 1915 توجه 20 ألف جندي مسلح ومعهم أحد عشر مدفعاً من اسطنبول نحو مدينة موش. وفي العاشر من الشهر نفسه قصفت المدافع الأحد عشر محلات الأرمن ومناطق سكنهم في المدينة المذكورة قصفاً متواصلاً لعدة ساعات[1]. وقد كان بعض المسؤولين، من أمثال متصرف موش، يتباهون علناً وعلى الملأ بإسهامهم في تلك المذابح بكل فظاظة وغلاظة[2].

فإذا نظرنا إلى الموضوع من هذه الزاوية، كما ذكرنا من قبل، فهمنا بكل سهولة وأدركنا أن قسماً من الأكراد الذين أسهموا في تلك الحوادث، إنما تورطوا فيها بدفع من المسؤولين. وفي الامكان ايراد العديد من البراهين والوثائق من مصادر جد متنوعة لإيضاح هذا الموضوع. صحيح أنه كان هناك اكراد بسطاء وفقراء يرغبون في الاشتراك في نهب الأرمن بدافع من وضعهم الاقتصادي المزري وبسبب من تخلفهم الكبير، إلّا أن ذلك ما كان ليُرضي المسؤولين. فهم كانوا يريدون من الكرد قتل الأرمن أولاً ومن ثم نهب أموالهم. «لقد أمرناهم (أي الأكراد ـ ك.م.) بإبادة الأرمن، ولكنهم كانوا سباقين إلى النهب أكثر منهم إلى القتل». هذا ما قاله أحد المسؤولين الكبار في مدينة موش إبان المذبحة الأولى[3].

وكان هناك أكراد مغفلون يتصورون أنهم إنما ينفذون أوامر السلطان

(1) راجع: *The Genocide of the Armenians*..., p. 255, 280-282.

(2) راجع: Ibid., p. 279- 280.

(3) راجع: Ibid, p. 88-89, 126.

والحكومة كواجب عليهم، حتى إنهم كانوا يصرحون بذلك لضحاياهم الأرمن في بعض الأحيان. وفي العديد من المرات لم يكن بوسع الفرسان الحميدية أو العشائر الموالية للسلطة أن يفعلوا شيئاً لو لم تهب المدفعية والجيش لنجدتهم. وأسوأ من ذلك أن المسؤولين في العديد من المناطق كانوا يطلقون سراح السجناء الأكراد ومنهم لصوص وقتلة ويشترطون عليهم الاشتراك في المذابح الأرمنية ثمناً لحريتهم. لقد حدث مثل هذا العمل اللاأخلاقي في مختلف مراحل المذبحة[1]. وكما يذكر الأستاذ عبدالعزيز ياملكي، فإن المسؤولين كانوا يجلبون سجناء من مناطق أخرى ويلبسونهم الزي الكردي ويرسلونهم أفواجاً إلى مدينتي أرضروم ودياربكر للاشتراك في عملية الابادة الجارية هناك[2]. وخلال المذبحة الأولى أرسل المسؤولون جنوداً بملابس كردية لأداء الدور نفسه[3].

وبعد أن كان يجري تجميع السجناء والأشقياء والفرسان الحميدية، كان المسؤولون ينهضون فيهم محرضين إياهم بكل حماسة على قتل الأرمن ويلعبون بعقولهم وأفكارهم، ثم يطلقون أيديهم للبدء في ما رسم وخطط له. بعض الأرمن الذين رأوا مثل هذه الحوادث بعيونهم، كتبوا في رسالة لهم ما يلي: «كان المسؤولون يحيكون قبل المذابح وخلالها وبعدها بعض الاتهامات، فيوجهونها إلى الأرمن، وأكثر تلك الاتهامات كانت تهمة العصيان والتمرد، وذلك لإيجاد مبرر ما للمذابح ولإثارة الجمهور أكثر فأكثر ضدهم»[4].

---

(1) راجع: .Ibid, p. 122-123, 126, 184-185, 210, 227, 306, 309, 321, 488

(2) عبدالعزيز ياملكي، المصدر السابق، ص 62.

(3) *The Genocide of the Armenians...*, p. 38.

(4) Ibid, p.126.

يوجد دليل تاريخي مهم آخر على أن مذبحة الأرمن كانت أبعد بكثير من أن تكون حصيلة الأحاسيس الدينية العمياء لدى الكرد ونتيجة لتخلفهم، ويرتبط هذا الدليل مباشرة بما كان للألمان من دور رجعي في ما وقع لإخوتهم في الدين على أيدي حلفائهم المسلمين وعلى مرأى ومسمع من ضباطهم وعملائهم المنتشرين في طول البلاد وعرضها. بديهي أن الألمان كانوا يفكرون بموقفهم هذا في مصالحهم الخاصة قبل أي شيء آخر. إنهم كانوا يعلمون أن الأرمن يعتمدون على روسيا[1] وبريطانيا المعاديتين لألمانيا أكثر مما يعتمدون عليهم، كما كانوا يعلمون أن روسيا وبريطانيا تريدان التدخل مع فرنسا في شؤون الدولة العثمانية التي غدت في الواقع شبه مستعمرة ألمانية، وذلك عن طريق المسألة الأرمنية. لقد كانت ألمانيا تعمل جاهدة من أجل أن تكون لها يد مباشرة في كل ما يتعلق بالمسألة الأرمنية، ولجعل المسألة محصورة في اطار السلطنة العثمانية نفسها. وقد أبدى الديبلوماسيون والصحافيون الألمان قبيل الحرب وفي بدايتها نشاطاً ملحوظاً في هذا الاتجاه، حيث قاموا بمحاولة دعاية بين الأرمن لدفعهم إلى حصر مطالبهم في الحكم اللامركزي وللتعاون مع الاتحاديين والابتعاد عن الروس، حتى إن وكيل القنصل الألماني في الموصل هولشتيين أرسل خصيصاً إلى مدينة وان حيث قضى ثلاثة أشهر بين الأرمن لهذا الغرض.[2]

وتوجد بعض الأدلة المهمة التي تعود إلى ماقبل المذابح الأرمنية في

(1) كانت العلاقات الأرمنية ـ الروسية التي تحكمت فيها عوامل مختلفة سياسية وجغرافية واقتصادية، تحفز الأوساط الألمانية الحاكمة ضد الأرمن أكثر فأكثر، لاسيما وأنها كانت تخشى أن تتحول أرمينيا الغربية إلى «مفتاح بيد روسيا للوصول إلى آسيا الصغرى وميسوبوتاميا». راجع: A. S, Avetian, op. cit., p.37.

(2) راجع: A.S. Avetian , op. cit., p. 38.

سنوات الحرب العالمية الأولى بوقت قريب، تدين موقف ألمانيا وتوضح مخططاتها بشكل لا لبس فيه. ففي محاضرة لباول روهرباخ[1] ألقاها في أواخر العام 1913 في اجتماع مغلق ضم ضباط الأركان الألمان، حدد هذا المفكر الألماني سياسة بلاده حول المسألة الأرمنية بدقة. فقد ذكر بصراحة أن على ألمانيا أن لا تسمح بإجراء إصلاحات جذرية في أرمينيا الغربية، بل إنه ذهب إلى مدى أبعد من ذلك بكثير عندما أكد أن على بلاده أن تعمل من أجل تهجير الأرمن من مناطق سكنهم وتشجيعهم بوسائل مختلفة للاستيلاء على امتداد خط سكة حديد بغداد ومن ثم نقل عشائر من التتر والأتراك إلى أرمينيا الغربية حتى يصبح بالإمكان، حسب قوله، إقامة حاجز فولاذي بوجه روسيا. ولقيت الفكرة استحسان الحاضرين، وكان بينهم عدد من كبار العسكريين الألمان. وقد أكد روهرباخ الفكرة نفسها في محاضرة أخرى له ألقاها في أواخر تشرين الثاني/ نوفمبر من العام 1913 أمام «الجمعية الألمانية الآسيوية» أشار فيها إلى ضرورة بقاء أرمينيا الغربية داخل السلطنة العثمانية لتوافق ذلك مع مصالح ألمانيا. وفي محاضرته الثانية هذه كشف عن نقطة هامة للغاية بالنسبة لموضوع بحثنا من شأنها القاء ضوء كاشف على خفايا معينة في مسألة المذابح الأرمنية. فقد ذكر المحاضر أن أرمينيا الغربية تشكل ما أسماه «بؤرة فوضى في تركيا» «يحتاج اخمادها «وهذا هو المهم في الموضوع ـ ك.م.) إلى

---

(1) باول روهرباخ (Rohrbach) واحد من الكتّاب السياسيين البارزين الألمان. عبّر في كتاباته عن طموحات ألمانيا العسكرية منذ أواخر القرن التاسع عشر، فقبل الحرب العالمية الأولى وفي سنواتها كان يدعو إلى إعادة تقسيم المستعمرات البريطانية والفرنسية والروسية بشكل يؤدي كي يصبح لألمانيا حصة تتناسب مع إمكاناتها الجديدة. وفي دعوته إلى فرض السيادة الألمانية على العالم اهتم بمنطقة الشرق الأوسط اهتماماً خاصاً، وقد زار قسماً منها.

استخدام الأكراد». ثم اوضح روهرباخ الأمر أكثر عندما أعلن بكل صراحة أن ألمانيا سوف لا تعارض في دفع الأكراد لضرب الأرمن[1].

وقد ترجم المسؤولون الألمان كل ذلك إلى مواقف عملية في سنوات الحرب. فقد تضمنت المذكرة التي رفعها السفير الألماني إلى الصدر الأعظم سعيد حليم باشا في 4 حزيران/ يونيو من العام 1915 تأييد ألمانيا الكامل لما وصفته بإبعاد الأرمن عن شرقي الأناضول، معتبرة مثل هذا العمل «وسيلة شرعية للدفاع عن البلاد». ورداً على احتجاج ممثلي البلدان المحايدة، اكد السفير أن بلاده «لا تنوي التدخل في الشؤون الداخلية لحليفتها تركيا» .[2] إن مثل هذه الحقائق وغيرها من الدلائل والوثائق دفعت المؤرخ الدكتور آفيتيان للتأكيد على أن ألمانيا «اشتركت بشكل فعال ومباشر في إبادة أرمن السلطنة العثمانية».[3]

وقد كان للألمان، بالفعل، يد في مذابح الأرمن في سنوات الحرب العالمية الأولى. فقد كتبت جريدة التايمز اللندنية في عددها السابق الذكر[4] أنه كان لعدد من القناصل الألمان يد في تحريض المسؤولين العثمانيين ضد الأرمن. وقد خصصت بالذكر بين هؤلاء القنصل الألماني في حلب. ويبدو أن ضباطاً ألماناً كانوا في بعض المناطق، ومنها أورفه، مع الجيوش العثمانية التي كانت تضرب الأرمن دونما شفقة. وفي بعض المناطق الأخرى أفاد الجنود أنهم ينفذون أوامر السلطان وأمبراطور ألمانيا. وكان الأرمن انفسهم يعتقدون

(1) راجع: A. S. Avetian, op. cit., p. 43-44.

(2) مقتبس من: G. Z. Aliev, op. cit., p. 277.

واقتبسها هو بدوره من الصفحة 115 من كتاب أرنولد توينبي:

Nationality and the War, London, 1915.

(3) راجع: A. S. Avetian, op. cit., p. 45.

(4) راجع الهامش 2، ص 279-280.

أن ألمانيا تنظر اليهم بعين الحقد، وأن لها يداً في تدبير مذابحهم وتشريدهم.[1]

والجدير ذكره أنه أثناء محاكمة تاليريان امام احدى محاكم برلين بتهمة قتل طلعت باشا[2]، جرى الحديث عن دور ألمانيا في مذابح الأرمن. ولم تقتصر نتيجة المحاكمة على إقرار المحكمة بأن لتاليريان الحق في قتل طلعت باشا وأمرها باطلاق سراحه على هذا الأساس، بل إن الحقائق التي أثيرت أمام المحكمة كان لها صدى كبير في الصحف الألمانية، وعلى أساسها طالبت تلك الصحف بتحديد ما أسمته بالمسؤولية الأدبية للأمبراطورية الألمانية السابقة نفسها في مذابح الأرمن[3].

وفي هذا المجال نرى من المناسب أن نتطرق بإيجاز إلى موقف الرأي العام العالمي والدول الكبرى إزاء مذابح الأرمن. لقد ذكرنا أكثر من مرة أن الأرمن كانوا مضطرين تحت وطأة الاضطهاد العثماني الذي تعدى الحدود إلى الاعتماد أكثر فأكثر على الدول الكبرى والاحتماء بها[4]. ولكن هذه الدول كانت تنظر إلى الأرمن والمسألة القومية الأرمنية من زاوية مصالحها الخاصة قبل أي اعتبار آخر، فكانت تساندهم متى ما رأت ذلك في صالحها. وكثيراً ما كانت تتغافل إزاءهم أو تنتصر لهم تحت تأثير الرأي العام ولكنها

---

(1) فائز الغصين، المصدر السابق، ص 39 ـ 40.

The Genocide of the Armenians..., p. 316,325, 340,395 .

(2) راجع الهامش 2، ص 279-280.

(3) راجع: V. Tarle, op. cit., p. 392-393.

(4) ذكر لي أحد الشيوخ الأرمن أن كل آمالهم كانت قد انحصرت في تلكم الأيام في رحمة الأوروبيين، بحيث بلغ الامر حد أنه كلما كانت سفينة تابعة لاحدى الدول الكبرى تدخل أحد الموانىء العثمانية، كان بسطاء الأرمن وأطفالهم يهبون لاستقبالها سباحة. ولكن البحارة كثيراً ما كانوا يسخرون منهم ويصبون عليهم الماء الحار.

تحصر اهتمامها بهم في اطار الأقوال، بعيداً عن أي عمل واقعي، ذلك لأن الموقف الرسمي للدول الأوروبية تجاه القضية الأرمنية ارتبط كلياً بأبعاد الصراع الدولي والخطط المتشعبة لتقرير مستقبل المنطقة بأسرها، حتى إن انكلترا التي ارادت أن تظهر نفسها أكثر حرصاً من غيرها في الدفاع عن حقوق الأرمن، كانت تخشى أن يؤثر فرض حل جذري لتلك المسألة على خططها هي بالنسبة لمناطق الشرق الأوسط الأخرى، بأن يتحول الأمر إلى نموذج تحتذيه شعوب آسيا الصغرى وسوريا وشبه الجزيرة العربية، في وقت كانت جهود السياسة البريطانية مكرَّسة لتحويلها إلى مستعمرات تابعة لها. ويبدو مثل هذا التخوف البريطاني واضحاً من مذكرة سرية للسير أدوارد غراي حول مشروع اصلاحي بصدد أرمينيا الغربية يعود تاريخها إلى ما قبل الحرب بحوالى العام الواحد[1].

هنا يتبين لنا لماذا لم تتحرك الدول الأوروبية ابان مذابح السلطان عبدالحميد التي أقامها للأرمن، إلّا مكرهة. ففي بلاد كفرنسا لم يرفع صوت الاحتجاج إلّا نفر من أشد أنصار الحرية المعادين للنظام. وفي الوقت نفسه فإن كثيرين كانوا يلهثون وراء إيجاد مبررات لسكوتهم وصمتهم ومواقفهم الانتهازية. إن أحسن تعبير عن ذلك الوضع هو ما قاله الكاتب الفرنسي الكبير أناتول فرانس: «بما أن الغالبية تدير ظهرها، عادة، للمنكوب، فإن كثيرين استطاعوا أن يجدوا أساساً لادانة الضحايا».

وعندما استيقظت أوروبا من سباتها العميق في سنوات الحرب إزاء ما

(1) راجع:

British documents on the origins of the War. 1898- 1914, Vol. X, Part I, London, 1936, p. 501-502 .

مقتبس من: A. S. Avetian, op. cit., p.40.

جرى لـ «أكثر شعوب الشرق بؤساً وأقلها حظاً»[1]، كانت المأساة قد تحولت إلى جزء من ذكريات الماضي، ولكنه حتى في ذلك الحين، لم يتحرك الضمير الأوروبي إلّا لتوجيه اللوم للألمان بالأساس وفي اطار الحرب الدائرة بين الفرقاء المتناحرين. صحيح أن الرأي العام في أوروبا وبدرجة أقل في الولايات المتحدة قد انتصر للأرمن، إلّا أن ذلك الانتصار كان دون دماء مليون ونصف مليون انسان بريء، ودون تشريد مئات الألوف من الأطفال والعجزة ـ بكثير. لقد كان، اذا جاز القول، قطرة من الشهامة والنبل وسط بحر من الدماء.[2]

***

في ضوء الحقائق التي أسلفنا ذكرها والمقارنات والدراسات التي قدمناها حتى الآن، نستطيع أن نؤكد تارة أخرى، وبثقة، أن قضية مذابح الأرمن كانت أكبر وأعمق من أن تكون حصيلة الأحاسيس الدينية العمياء لدى الكرد ونتيجة لتخلفهم. في هذا المقام ينقل المؤرخ المعروف أرنولد توينبي قولاً صائباً للّورد جيمس برايس ورد في خطاب له ألقاه في مجلس اللوردات البريطاني، جاء فيه: «لم تكن هذه (المذابح ـ ك.م.) نتيجة فوران غضب المسلمين ضد الأرمن المسيحيين، بل كانت كلها متطابقة مع رغبات

---

(1) هكذا يصف المؤرخ المعروف كارل بروكلمان الأرمن، بحق (راجع: كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، الجزء الرابع، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، الطبعة الثانية، بيروت، 1955، ص 75).

(2) وقع الأستاذ محمد الملا عبدالكريم في خطأ إذ قال كان نضال الأمة الأرمنية «يساند بحرارة من قبل المناضلين في سبيل الحرية في العالم كله».
(محمد الملا عبدالكريم، المصدر السابق، ص 63). [لاشك في أن التعميم الذي أطلقته، كان غير دقيق، ومع ذلك فقد كنت أشير بذلك إلى بعض المواقف مثل التي أشار إليها المؤلف نفسه، وقد أشرت إليها في هامش كتابي من قبيل مقالات الاشتراكي الأممي الفرنسي جان جوريس مؤسس جريدة الأومانيتيه ـ المترجم].

الدولة. إنها لم تكن نتيجة المشاعر الدينية العمياء، إنما كانت حصيلة أسباب سياسية. كانت الدولة تريد أن تتخلص من الشعوب غير المسلمة لأنها كانت عقبة في طريق وحدة عناصر الأمة، وتؤلف عنصراً غير مستعد دوماً للسكوت عن الظلم».[1]

ومع أن قسماً فقط من الأكراد وليس الشعب الكردي نفسه كشعب، كان إحدى الأدوات التي استخدمت لتنفيذ المذابح بين الأرمن[2]، فإن هذه المذابح لعبت دورها السلبي في توتير صلات الشعبين الكردي والأرمني ببعضهما البعض، وفي تخريب علاقاتهما الأخوية. وقد استفاد من ذلك عدوهما المشترك، بل إن هذه المذابح ظلت حتى بعد انتهائها ريحاً تلهب نار الشقاق، فجاءت في توافق كلي مع مصالح جميع الأطراف الطامعة والمستغلة.

لقد انعكس تعمق التوتر والشقاق بين الكرد والأرمن، في مدى قصير، في أحداثٍ عديدة يمكن لنماذج منها أن تعطي فكرة واضحة عن الموضوع. ففي العديد من المناطق بادر المتطوعون الأرمن إلى ابادة السكان المسلمين دون استثناء، بأمل تطهير أراضي الدولة الأرمنية المقبلة حسب تصورهم.

لم تلعب الرغبة الدفينة في الانتقام للدم الأرمني المراق، بمثل هذا

---

(1) مقتبس من: *The Genocide of the Armenians...*, p.395.

(2) ورد في بعض المصادر العربية أن عددا من الضباط العرب وجدوا في السنة 1912 وثيقة مهمة هي رسالة من أحد قادة الاتحاديين إلى ضابط كبير جاء فيها: «عرِّضوا العرب لرصاص العدو وأعملوا على التخلص منهم لأن قتلهم يفيدنا. أما الكرد فاحتفظوا بهم لأنهم يلزمون لنا في بلاد الأرمن» وتقول هذه المصادر أن معظم الصحف العربية آنئذٍ نشرت هذه الرسالة. راجع: ثورة العرب. مقدماتها، أسبابها، نتائجها، بقلم أحد أعضاء الجمعيات العربية، القاهرة، 1916، ص 146. وكذلك راجع: مؤتمر الشهداء، بيروت، ص45.

الأسلوب الخاطئ، الدور الأخير في هذا بالطبع. فبمثل هذه الروحية تصرف المتطوعون الأرمن مع سكان قرى منطقة بايزيد التي احتلتها القوات الروسية، حتى إنهم لم يترددوا في قتل جميع أعضاء الوفد الكردي الذي جاء لاستقبال الـروس[1]. وقد تكررت مثل هذه الصورة في مناطق أخرى كثيرة. وبين الأحداث التي جرت في هذا الاطار، لفتت المصادر الأوروبية الأنظار إلى أعمال الهدم والتقتيل التي جرت في رواندوز في سنوات الحرب أكثر من غيرها. ففي أوائل أيار/ مايو من العام 1916 زحفت القوات الروسية بقيادة الجنرال جيورنزوبوف نحو رواندوز تصحبها أربعة أفواج من المتطوعين الأرمن والنساطرة[2] وفي الثالث عشر من الشهر نفسه احتلت هذه القوات المدينة. كان الأرمن الذين تفيض قلوبهم حقداً وضغينة لما أصابهم من قبل، يبغون الثأر. فانطلقوا يفتكون أمام أنظار الجنود الروس بسكان رواندوز، حيث راح حوالى خمسة الآف رجل وامرأة وطفل كردي ضحايا. ويقال إن معظم هؤلاء لم يقتلوا بالرصاص، إنما جرى إلقاؤهم أحياءً في نهر رواندوز. وبين حوالى ألفي منزل في المدينة لم يسلم أكثر من 20 منزلاً من الهدم.[3]

---

(1) للتفصيل راجع: Kurd-Oghlu, op. cit., p.108-109.

(2) تطرقنا إلى تفاصيل هذا الموضوع في الفصل الثالث من هذا الكتاب.

(3) راجع:

K. Mason, op. cit., p. 331, 335; *League of Nations. Question of the frontier between Turkey and Iraq*, P. 42 .

يبدو هذا الرقم كبيراً. فلا الأستاذ محمد أمين زكي الذي تحدث عن خسائر الحرب الأولى ولا الأستاذ حسين حزني المكرياني الذي عاش بنفسه في رواندوز بعد الحرب وكتب عنها، تحدثا عن هذا الرقم الكبير. ما هو شائع بين الأكراد هو أن الكثير من النساء ألقين بأنفسهن إلى أعماق الوديان خوفاً على أعراضهن. ويتحدث =

وفضلاً عما أصاب رواندوز، فإن الخسائر التي لحقت بالكرد خلال المذابح نفسها، لم تكن أيضاً قليلة. فأثناء المذبحة الأولى وفي منطقة واحدة فقط، قتل حوالى مئة كردي نتيجة الدفاع الباسل الذي أبداه الأرمن للذود عن أنفسهم. وفي منطقة دياربكر قتل من المسلمين بما فيهم الأكراد 195 شخصاً. غير أن حوالى 70 من هؤلاء قتلوا بأيدي رفاقهم نتيجة اختلافهم فيما بينهم على الأسلاب[1]. وفي العام 1897 شن المسلحون الأرمن هجوماً كبيراً على قبيلة كردية وألحقوا بها أضراراً فادحة.[2] وخلال المذبحة أيضاً لحقت الأكراد أضرار من هذا النوع.

وقبل أن ننهي هذا الموضوع الحيوي، ينبغي أن نلقي نظرة على الجانب الآخر من الموضوع كذلك، الجانب الذي لم يعر له، مع الأسف، ما يستحق من اهتمام، رغم أنه لايمكن تحديد موقع الكرد في المذابح الأرمنية بصورة كاملة ومحايدة، دون توضيح هذا الجانب من المسألة أيضاً.

صحيح أن تاريخ هذه المذابح ينطوي على صفحات قاتمة السواد، سلبية للغاية بالنسبة لبعض الأوساط الكردية، وقد بيّنا ذلك بوضوح، إلّا أنها لا تفتقد كذلك إلى صفحات إيجابية مشرقة مليئة بالمجد والفخار. فقبل كل

= الأستاذ حسين حزني المكرياني عن الدمار الذي لحق بالمدينة ولكنه نسب ذلك إلى الجيش الروسي الذي كان بصحبته بعض الأرمن والآشوريين الإيرانيين (راجع: حسين حزني المكرياني، المصدر السابق، ص 83 [في الأصل الكردي ص 102]). كما أن الكابتن هاي الذي تولى إدارة هذه المنطقة بعد الحرب مباشرة والذي يتطرق في كتابه إلى احتلال الروس والأرمن لرواندوز وإلى أعمالهم التي أثارت رد فعل قوي في مناطق كردية مختلفة، لا يشير إلى هذا الرقم (راجع: W. R. Hay, op. cit., p. 192).

(1) راجع: *The Genocide of the Armenians...*, p.253.

(2) راجع: البروفيسور بول أميل، المصدر السابق، ص 49.

شيء يجدر بنا أن نشير بصورة خاصة إلى مواقف معينة مدركة وقفتها قطاعات من القوى الوطنية الكردية البعيدة النظر، التي حددت في وقت مبكر جوانب كثيرة من أسباب المذابح الأرمنية وأهدافها وقدرت بشكل صحيح نتائجها المتوقعة. لذا فإنها حاولت، بأساليب متنوعة وعلى مستويات مختلفة، العمل من أجل الحيلولة دون تحويل الأكراد إلى آلة لتنفيذ تلك المهمة غير المشرفة. فإن جريدة «كردستان» التي كانت الصحيفة الوحيدة الناطقة بلسان الأوساط الكردية المناوئة للحكم العثماني المتخلف، نشرت مقالات مفصلة كرستها للبحث عن العلاقات الأرمنية ـ الكردية ولفضح محاولات العثمانيين لاستغلال الكرد وتحريضهم ضد الأرمن، متبعين في ذلك سياسة «فرق تسد» السيئة الصيت، كما ذكرت الجريدة، فإن «الكرد مجبولون على الاحسان والكرم» وعليهم «أن يحافظوا على جيرانهم الأرمن» الذين «يعانون مثلهم من مظالم عبدالحميد»[1]. واستشهدت «كردستان» بموقف الزعيم الكردي المعروف الشيخ عبيدالله النهري الذي رفض في سبعينات القرن التاسع عشر أن يتحول إلى آلة في مؤامرة استهدفت ضرب العناصر غير المسلمة في المنطقة[2]. وحاولت الجريدة تحريك العاطفة الدينية للمواطنين الأكراد بقصد تنبيههم إلى ألاعيب الحاكم الجديدة في هذا المجال، فأوردت أحاديث نبوية لتبين كيف أن أعمال هؤلاء الحكام وسياستهم إزاء الأرمن، على طرفي نقيض مع التعاليم الاسلامية السمحة. وقد أدانت «كردستان» بعض رؤساء العشائر وقادة الفرسان الحميدية، ذاكرة أسماءهم بصراحة، لمواقفهم غير الودية نحو المسيحيين. وكانت انتقادات «كردستان» تتخذ في بعض الأحيان طابعاً شديداً بل وقاسياً أيضاً. ففي إحدى افتتاحياتها كتبت الجريدة ما نصه: «إنك أيها

(1) «كردستان»، العدد 26، 22 رمضان 1318، 14 كانون الثاني/ يناير 1901.

(2) المصدر السابق، العدد 27، 22 ذوالعقدة 1318، 14 آذار/ مارس 1901.

الكردي لم تكدِّر أحداً. ولكن المسؤولين هم الذين خدعوك فلطخوا اسمك وأسماء أجدادك بالسواد»[1].

وإذا كان هذا موقف جريدة «كردستان»، فليس من الغريب أن نرى صاحبها عبدالرحمن بدرخان يدين ابنه بالذات ويتبرأ منه على رؤوس الأشهاد بسبب موقفه من الأرمن الذين أعاروا نهج والده المشرِّف اهتماماً خاصاً، فأبرزوه في مطبوعاتهم[2].

واتخذ متنفذون أكراد آخرون مواقف قريبة من موقف عبدالرحمن بدرخان، وإن لم تكن في نفس مستوى مواقفه من حيث العمق والتفهم الصحيح لمعظم جوانب المشكلة. فقد نشر الجنرال شريف باشا[3] في العام 1914 مقالاً في جريدة «المشروطية» أدان فيه سياسة الاتحاديين القومية ولاسيما ما يتعلق منها بمذابح الأرمن التي قيّمها الكاتب كوسيلة لتشوية

(1) المصدر السابق.

(2) راجع: E. E. Ramsaur, op. cit., p. 63.
لا يُستبعد مثل هذا الموقف من عبدالرحمن بدرخان، فإن جميع الدلائل تشير إلى أنه كان وطنياً مخلصاً وسياسياً مدركاً بعيد النظر، انتقل بين جنيف ولندن وفولكستون في سبيل اصدار الجريدة الكردية الوحيدة «كردستان». كان على اتصال قريب بالقوى الوطنية التركية والعربية والأرمنية. اشترك في المؤتمر الأول للاتحاديين الذي انعقد في باريس، وانضم في اجتماعات المؤتمر إلى الأقلية الراديكالية التي أدانت كل أشكال التدخل الأجنبي في شؤون السلطنة ورفضت تعاون جمعية «الاتحاد والترقي» مع الدول الأوروبية ونشر عن ذلك بحثاً مفصلاً في جريدته يعتبر من المصادر الأصيلة النادرة في مجاله (راجع: كردستان، العدد 31، جنيف، 6 محرم 1320، 14 نيسان/ إبريل 1902).

(3) من الشخصيات الكردية البارزة، تسلّم وظائف عسكرية وديبلوماسية عديدة في العهد العثماني. مثّل الأكراد في مؤتمر الصلح بباريس.

سمعة شعبه في نظر أوروبا.[1] وسوف نعود إلى عرض مواقف بعض الزعماء الكرد الآخرين فيما بعد.

وقد كان من الطبيعي أن يتخذ الناس البسطاء، بفطرتهم، مواقف مشرفة من ضحايا مخطط إبادة الأرمن، مع أن سياسة الحكام حدت نطاق ذلك وحالت بأساليب شتى دون اتساع مداه. لقد ظلت الأكثرية الساحقة من الكرد بمعزل عما جرى خلال المذبحتين الأولى والثانية. والسبب الرئيس لاكتفائهم بهذا الموقف الذي يمكن وصفه بالمحايد، إنما يكمن في التهديدات التي كان يطلقها المسؤولون على نطاق واسع وإلى وعيدهم بأن أشد العقوبات تنتظر كل من يقدم على إبداء أقل مساعدة للأرمن المنكوبين.

وفي أيام المذبحة الثالثة (أي خلال سنوات الحرب العالمية الأولى) كانت السلطة تنشر في مناطق عديدة بيانات مفادها أن «من يتجرأ على اخفاء طفل أو امرأة أو فتاة أرمنية في منزله ويعثر عليه (أو عليها) لديه، فإن هذا الشخص يعتبر أرمنياً وسيدفع رأسه ثمناً لذلك» وفي اماكن كثيرة كان الكردي الذي يجدون لديه أرمنياً، يُكره على أن يقتله بنفسه[2].

ورغم ذلك كله فإن سكان العديد من المناطق عبّروا عن استيائهم لما جرى بحق الأرمن من مذابح، كما أنهم كانوا يمدون في مناطق أخرى يد المساندة الأخوية إلى الأرمن المنكوبين وينقذون المئات والألوف منهم من الموت والمجاعة. وبهذا الصدد كتب الأكاديمي غاردليفسكي يقول: «كان للأرمن في كل مكان أصدقاء بين الأكراد ينقذونهم عند الملمات من بين أيدي الأتراك. كان الأمر كذلك أثناء مذابح الأرمن في خواتيم القرن التاسع عشر.

(1) راجع: M. S. Lazarev, *The Kurdish Question*..., p. 215, 421.

(2) راجع: *The Genocide of the Armenians*..., p.253.

والآن (يقصد سنوات الحرب العالمية الأولى ـ ك.م.) فإن الأمر كذلك أيضاً، فكثيراً ما أروني أكراداً أنقذوا أرمناً».[1]

تتوافر وثائق وأدلة كثيرة من هذا النوع. ويبدو أن هذا بالذات هو ما حدا بكردي مثل الأستاذ عبدالعزيز ياملكي ليقول: «إن كان قد بقي أرمناً في الأناضول، فهم الذين نجوا من سيوف الترك. وبدون أي مبالغة منا، فإن ثلاثة أرباع هؤلاء نجوا بمساعدة الكرد»[2]. فلنعرض هنا، أيضاً، بعض النماذج لهذا الجانب الحيوي من المسألة:

عُرف ابراهيم باشا الملّي بإخلاصه للسلطان عبدالحميد وكان له دور بارز في تشكيلات الفرسان الحميدية. ومع ذلك فقد اتخذ موقفاً إيجابياً للغاية من الأرمن أثناء المرحلة الأولى من المذابح، إذ تمكن من أنقاذ حوالى عشرة آلاف أرمني.[3] وأثناء مذبحة أُورفه (التي جرت في اليومين الأخيرين من العام 1894) لجأ حوالى 2500 شخص معظمهم من النسوة والأطفال إلى كنيسة الأرمن، ولكن لم يمض وقت طويل حتى صب الغوغاء النفط على

---

(1) راجع: V. A. Gardlevski, op. cit., Vol, III, p. 122.
يذكر الكاتب نفسه أن الأرمن ساعدوا الأكراد في العديد من المناطق التي دخلها الجيش الروسي ودلوهم على الطريق المؤدي إلى أماكن وجود الروس (المصدر السابق، ص 153).

(2) عبدالعزيز ياملكي، كردستان و كرد اختلالاري جلد ١، تهران، 1946، ص 62.

(3) راجع: Mark Sykes, *The Caliph's Last Heritage*, p.324.
كان إبراهيم باشا حسبما يذكر مارك سايكس، على علاقة ودية مع الأرمن والكلدان وقد شجعهم على النزوح إلى منطقته حيث أسهموا في تطويرها (راجع كذلك: الدكتور احمد عثمان أبوبكر، المصدر السابق، ص 38). يقدر الأكاديمي غاردليفسكي عدد الذين أنقذهم ابراهيم باشا بالمئات ويفسر ذلك بكون هؤلاء أساس ازدهار «عاصمته» ويران شهر التي يصفها بـ«وليدته المحبوبة»، راجع
V. A. Gardlevski, op. cit., Vol. III. p.116.

الكنيسة وأشعلوا فيها النار. لم ينج من هؤلاء إلّا حوالى 50 شخصاً، وكان ذلك بمساعدة مصطفى آغا رجب وحيدر وخليل رجب. لقد أنقذ هؤلاء الثلاثة، عدا الخمسين شخصاً الذين مر ذكرهم آنفاً، جميع الأرمن القاطنين في محلتهم وكثيرين غيرهم من الموت[1].

في كتاب صدر باللغة الروسية في موسكو في العام 1897 تحت اسم المساعدات الأخوية لأرمن تركيا المنكوبين، لفت الانتباه بصورة خاصة إلى مساعدات الكرد لهم ومواقفهم الأخوية تجاههم. فقد جاء في الكتاب المذكور أنه «كان هناك آغوات كثيرون انقذوا العديد من الأرمن. لقد أنقذ محمود زاده بيت الله بيك الذي عرف برجولته وشهامته جميع سكان منطقة مكس من الموت. لم يكن أثناء المذبحة في منطقته، ولكنه كان يعلم أن الأشقياء سيستغلون فرصة غيابه ويفتكون بالأرمن، فعاد على جناح السرعة وجمع حوله 400 فارس كردي شجاع وطارد رجال العشائر الكردية (يقصد الفرسان الحميدية ـ ك.م.) الذين كانوا يتجهون نحو مكس للاسهام في المعركة. إن هذا البيك قدم في العام الماضي (أي في العام 1895 ـ ك.م.) 300 ليرة كتبرع للأرمن، فضلاً عن المساعدات الأخرى التي قدمها لهم».[2]

في العديد من المناطق كان الأكراد يساعدون الأرمن على الهروب والاختفاء. وفي مناطق أخرى لم يتوقف الأمر عند هذا الحد، فقد انضم اكراد كثيرون بأسلحتهم إلى الأرمن ونهضوا لمقاومة رجال الحكومة بقصد وضع حد للمذابح. لقد برز أكراد درسيم في هذا المجال بشكل خاص. فقد انتفضوا مراراً جنباً إلى جنب مع الأرمن، ولم يقصروا في مختلف مراحل المذبحة عن تقديم أي مساعدة ضرورية للمنكوبين منهم، ولم يكونوا يتوجسون خيفة من

(1) *The Genocide of the Armenians...*, p. 100-101.

(2) راجع: Ibid, p. 105-106.

الاتفاق مع زعماء الأرمن، بل إن ضابطاً كردياً يسمى مصطفى وفا انضم مع القوات التي كانت تحت امرته إلى الروس للقتال ضد العثمانيين، وذلك تنفيذاً لاتفاق من هذا النوع[1].

وهكذا آوى أكراد درسيم أكثر من خمسة آلاف أرمني وأنقذوهم من الموت. وقد اعترف الأرمن أنفسهم بمواقف اكراد درسيم الشهمة أكثر من مرة[2]، وإن موقفاً مشابهاً من أكراد مكس أثناء مذابح العام 1915، جعلهم يتقاسمون الضحايا مع إخوانهم الأرمن[3]..

أما الأكراد اليزيديون الذين لم يكونوا قد نالوا بدورهم من مظالم العثمانيين أقل مما ناله المسيحيون، فقد ساندوا الأرمن بمشاعر عميقة من التضامن وقدموا لهم ما كان بوسعهم تقديمه من معونة. وعلى سبيل المثال فأثناء المذابح الأولى التجأ المئات من الأرمن عن طريق دير الزور إلى اليزيديين الذين آووهم ولم يسلموهم إلى السلطات رغم كل الضغوط التي تعرضوا لها[4].

وفضلاً عن ذلك كانت القوات الروسية ترى عندما تصل إلى أي مكان في أرمينيا وكردستان، عدداً كبيراً من اللاجئين الأرمن لدى الأكراد. وقد ذكر

---

(1) راجع: Nuri Dersimi, *Kurdistan trainınde Dersim*, S.112-114.

(2) راجع: M. S. Lazarev, *Kurdistan...*, p.57, 67, 68, 315.

(3) أكد العالم الأرمني الكبير الأكاديمي أوربيللي هذه الحقيقة مراراً، خاصة وأنه زار المنطقة بنفسه ووقف على آثار أحداثها عن كثب. للتفصيل راجع:
ك. ن. يوزباشيان، الأكاديمي يوسف أبغاروفيتش أوربيللي، موسكو، 1964، ص 33-34. راجع كذلك الهامش 4 في ص 111 من الفصل الثاني من هذا الكتاب.
Юзбашян К.Н., *Академик Иосиф Абгарович Орбели*, Москва, 1964 , стр. 33-34.

(4) راجع: Harry Chares Luke, *Mosul and its Minorities*, London, 1925, p.129 .

أرمن قرية (خاتسو) في رسالة خاصة كيف أن أكراد عشيرة محمد آغا تصدوا بالسلاح للجنود والجندرمة العثمانيين ولم يسمحوا لهم بنقل الأرمن. وقد جاء في تلك الرسالة «أنهم (أي أكراد عشيرة محمد آغا ـ ك.م.) كانوا رغم معاناتهم من المجاعة، يقسمون آخر كسرة خبز لديهم مناصفة مع الأرمن، وكانوا يبيعون أمتعتهم الخاصة من أجل إطعام هؤلاء»[1].

وبعد انتهاء الحرب عُثر أيضاً على لاجئين أرمن في العديد من أنحاء كردستان. وبعد عقد هدنة مودروس بفترة قليلة، زار مندبون أكراد ممثلي السلطات البريطانية في حلب، حاملين اليهم رسالة خاصة بشأن الأرمن الذين آووهم، وقد كتب هؤلاء في رسالتهم أنه: «في قرانا وخيامنا 650 أرمنياً، معظمهم من النساء والأطفال. وعند رفاقنا القاطنين في جوارنا أكثر من 3800 شخص. لقد أطعمناهم أربع سنوات ولسنا نرغب في أن يذهب الخبز الذي أطعمناهم إياه هدراً. ونعلم كذلك أن في خيام القبائل الصديقة أيضاً، والتي تقطن المناطق الشرقية، على مسافة جد بعيدة عنا، 6800 أرمني آخر يصعب علينا الاتصال بهم[2]. وقد أبدى أولئك الأكراد في رسالتهم تلك استعدادهم التام لإبداء أي مساعدة ضرورية للبحث عن الأرمن المشردين وتجميعهم. وقد اتخذ المئات من أمثال هؤلاء الأرمن كردستان العراقية والايرانية ملاجئ لهم ضمنوا فيها حياتهم ومستقبلهم.

والجدير بالذكر أنه فضلاً عن الأكراد، قدمت الشعوب الأخرى القاطنة في المنطقة، كذلك، المساعدات للأرمن كل حسب ظروفه وبمقدار ما كان

(1) مقتبس من: M. S. Lazarev, *The Kurdish Question...*, p.310, 441.

(2) راجع: E. H. Keeling, op. cit., p. 209.

في وسعه . وقد ورد اسم الشركس في عدة وثائق بهذا الصدد. كما كان رجال القبائل العربية في بعض المناطق يقدمون مختلف ضروب المساعدات للأرمن المنكوبين. وفي العديد من الحالات تعرض أكراد أو غيرهم إلى أذى شديد لأنهم أنقذوا أرمناً أو آووهم. وإذا توافرت المعلومات لدى السلطات عن أي كردي يؤيد الاتحاد أو يؤيد التقارب بين الكرد والأرمن، فقد كان يلقى القبض عليه فوراً ويساق إلى المصير المجهول وتشرّد عشيرته ورجاله[1].

مثل هذا التضامن والعون، فضلاً عن كونه صفحة جديرة بالاعتزاز، لعب كذلك دوره المعلوم في التقارب الذي حصل فيما بعد بين الأرمن والكرد، والذي ظهرت بوادره بانتهاء الحرب العالمية الأولى، ولاسيما في تلك الاتفاقية التي عقدت بين بوغوص نوبار باشا ممثل الأرمن وشريف باشا ممثل الكرد في مؤتمر الصلح بباريس. وأشارك سافرستيان ما قاله في تعليق قصير بهذا الشأن والذي جاء تماماً في موقعه، حيث يقول:

«لقد اندهش رجال الديبلوماسية والخبراء ومن بعدهم الصحافيون على اختلافهم، من هذا الاتفاق الذي حصل بين الأرمن والكرد، فقد مضى حوالى نصف قرن وهم يزعمون أن هذين الشعبين الجارين عدوان لبعضهما بعضاً، وأنهما لن يعملا قط معاً»[2].

وما دمنا قد تحدثنا عن روح التضامن التي أبدتها بعض الشعوب المجاورة للأرمن في محنتهم، فإن من المهم أن نلاحظ أيضاً بهذا الصدد

---

(1) راجع: ك. أ. أستارجيان، المصدر السابق، ص 315 ـ 316، وفائز الغصين، المصدر السابق، ص 40، 43.

The Genocide of the Armenians..., p. 176-177

(2) راجع: Safrastian, op. cit., p.77.

أن بعض المفكرين والمتنورين الأتراك بدأوا يتفهمون قبل الحرب جوانب معينة من القضية الأرمنية، بل والمسألة القومية داخل السلطنة العثمانية على وجه العموم وأخذوا يدعون «الترك والكرد والأرمن لوضع برنامج وفاق أبدي بينهم» وطالبوا بالصفح عن أخطاء الماضي وبفتح صفحة جديدة في العلاقات القائمة فيما بين شعوب السلطنة[1]. ومع أن هذا التوجه، الجديد في مضمونه، لم يستطع هضم جميع أبعاد المسألة القومية وتعقيداتها، كما ينبغي، إلّا أنه كان يشكل بعض التحول في تفكير أوساط بورجوازية تركية معينة وكان بالإمكان تطويره لتجنب المآسي التي وقعت خلال سنوات الحرب العالمية الأولى التي لم تخل أيضاً من أمثلة حية لمواقف إيجابية وقفتها بعض القطاعات الجماهيرية وحتى أوساط رسمية تركية مسؤولة. ففي صيف العام 1915 احتج مواطنو مدينة أرضروم من الأتراك ضد موقف السلطة تجاه الأرمن. وفي طرابزون قامت عائلات تركية كثيرة بإخفاء أعداد غير قليلة منهم وحمايتهم[2]. وكان يظهر أحياناً مسؤولون يرفضون علانية تنفيذ أوامر السلطات العليا بشأن إبادة الأرمن أو يجدون مختلف المبررات لإنقاذ قسم منهم.

(1) راجع على سبيل المثال: جلال نوري، تاريخ استقبال، مسائل أساسية، اسطنبول، 1332، ص 176 ـ 181. يعتبر هذا الرأي بمثابة تحول جزئي في آراء هذا المفكر التركي الذي ظلّ، مع ذلك، بعيداً عن فهم أبعاد المسألة القومية فهماً ديموقراطياً متكاملاً.

(2) راجع:

Саркисян Е.К., *Экспансионистская политика Османской империи в Закавказье накануне и в годы первой мировой войны*, Ереван , 1962 , стр. 254.

ي. ك. سركيسيان، السياسة التوسعية للسلطنة العثمانية في ما وراء القفقاس قبيل الحرب العالمية الأولى وخلالها، يريفان، 1962، ص 254.

وهكذا فإن الأرمن لم يكونوا سوى ضحية قصر النظر لبعض الفئات الحاكمة ولألاعيب الدول الكبرى وأطماعها التي تجسدت اكثر بعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها، كما سنلاحظ بعض جوانب ذلك فيما يتعلق بالأرمن كذلك في الفصل القادم.

الفصل السادس

تجسيد الأطماع

كان السبب الرئيس لنشوب الحرب العالمية الأولى، كما سبق أن قلنا، مطامع الدول الكبرى الراغبة في إعادة اقتسام العالم. كانت تلك الدول جمعيها قد ركزت أنظارها على ممتلكات السلطنة العثمانية منتظرة، بلهفة، الوقت المناسب للاستحواذ على تركتها. بل إنه حتى ألمانيا الحليفة للدولة العثمانية، لم تكن أقل اهتماماً من الدول الكبرى الأخرى بتلك الممتلكات، لذلك كانت هذه الدول مشغولة خلال سنوات الحرب بوضع الخطط وتدبير المؤامرات، فرادى وجماعات، لتحقيق أغراضها التي سبق أن أدت إلى اشتعال نيران الحرب. ومن الواضح أنه كان لكردستان، بوصفها جزءاً من السلطنة العثمانية، مكاناً بارزاً في تلك الخطط.

كانت ألمانيا تطمع في الاستيلاء بمفردها على جميع ممتلكات الدولة العثمانية عن طريق التغلغل المباشر في جميع مرافقها الحيوية. أما الدول المعادية لها والتي كانت قد تكتلت جميعها في جبهة واحدة فكان لكل منها خطتها المنسجمة آنئذٍ مع المصالح الخاصة للأطراف الأخرى بشكل مختلف.

كانت بريطانيا تريد الاستحواذ على ولاية الموصل، إلّا أنها لم تكن ترغب في مجاورة روسيا والاحتكاك المباشر بها. وكانت روسيا تريد أن تأخذ لها كردستان العثمانية كلها إن استطاعت إلى ذلك سبيلاً. أما فرنسا فكانت تطمع في ولاية الموصل أيضاً فضلاً عن سوريا. هذه النوايا المختلفة أدت، بالطبع، إلى حدوث تناقض خفي بين الدول المتحالفة التي واجهت مع

احداث الحرب مهمة إيجاد الحد الأدنى من الانسجام فيما بينهما. ومن هذا يتبين لماذا لم يكن انشغال الديبلوماسيين البريطانيين والروس والفرنسيين والايطاليين داخل الأروقة ووراء الكواليس، أقل من انشغال قوات بلادهم المحاربة في الخنادق والميادين طيلة سنوات القتال؟

كان من الطبيعي أن يتخذ الصراع الدولي في سبيل الاستحواذ على المنطقة طابعاً جديداً فرضته ظروف الحرب وطبيعة العلاقات الجديدة بين الدول المتحاربة. فلأول مرة منذ ظهور «المسألة الشرقية»[1] وجدت السلطنة العثمانية نفسها خلال الحرب العالمية الأولى وجهاً لوجه أمام ألد أعدائها الطامعين في ممتلكاتها (روسيا وانكلترا وفرنسا) في جبهة موحدة، بينما كان الصراع بين تلك الدول يشكل في السابق العلاج الوحيد تقريباً للحفاظ على حياة «الرجل المريض»[2]. ومن هنا كان الموت قد دنا من السلطنة العثمانية أكثر من أي وقت مضى وذلك من جراء الشكل الجديد الذي اتخذه تناسب القوى على الصعيد الدولي[3]. وليس أدل على ذلك من أن بريطانيا التي كان

(1) «المسألة الشرقية» ـ مصطلح مجازي يطلق على الأحداث التي رافقت صراعات الدول الكبرى من أجل اقتسام ممتلكات السلطنة العثمانية ونمو النضال التحرري لشعوب تلك السلطنة في فترة انحلالها (القرن الثامن عشر ـ بداية القرن العشرين). استخدم لأول مرة في العام 1822.

(2) «الرجل المريض» ـ مصطلح استخدمه لأول مرة القيصر الروسي نيقولا الأول (1825 ـ 1855) الذي أولى «المسألة الشرقية» جانباً كبيراً من اهتمامه. انتشر المصطلح على نطاق واسع لدلالته بشكل معبِّر على الواقع المتحلل للسلطنة العثمانية.

(3) ظهرت البوادر مباشرة في الخامس من تشرين الثاني/ نوفمبر من العام 1914 اتخذت انكلترا قراراً يقضي بقطع كل علاقة للدولة العثمانية بجزيرة قبرص، وبعد حوالى شهر ونصف الشهر صدر في لندن قرار مشابه حول المصير القانوني لمصر، بينما لم يكن من السهل قبل الحرب اتخاذ قرارات مماثلة بهذه البساطة، رغم أنها لم تكن تعني أكثر من مجرد إضفاء صبغة قانونية على حقيقة واقعة.

يهمها استمرار روسيا في الحرب إلى جانب الحلفاء بدأت تلمح إلى القيصر الروسي ولأول مرة في التاريخ بشأن إمكانية تحقيق طموحاته هو وأسلافه في المضائق وفي العاصمة العثمانية اسطنبول. فلم تمض على دخول السلطنة العثمانية الحرب سوى فترة وجيزة حتى اتصل وزير الخارجية السير إدوارد غراي بالسفير الروسي في لندن بصدد هذا الموضوع بالذات. واتخذ الأمر طابع اتفاق سري ثلاثي بين الحلفاء بسرعة (مارت ـ نيسان/ إبريل من العام 1915)، فقد تم تبادل مذكرتين سريتين بين الأطراف المعنية تضمنتا الاعتراف بـ «حق» روسيا في الاشراف على المضائق وعلى اسطنبول مع ضمان كافٍ لمصالح الحليفتين فرنسا وانكلترا.[1]

دشن هذا الاتفاق بداية التفاوض بين الحلفاء بشأن تقسيم الممتلكات العثمانية الآسيوية، وهو أمر لم يخل من صعوبات كثيرة رغم كل ما أوجدته الحرب من ظروف موآتية، لذا فقد احتاج التوصل إلى اتفاق بين انكلترا وفرنسا حول تقسيم الشرق الأدنى إلى حوالى سنة من المداولة والبحث المباشر لإيجاد صيغة مقبولة تنسجم مع الصراع الخفي الذي ظل محتدماً بين الدولتين على مدى عقود طويلة.

بدأت المفاوضات السرية الجديدة بين انكلترا وفرنسا أولاً وذلك في خريف العام 1915 عندما قام مارك سايكس الإنكليزي وجورج بيكو الفرنسي بوضع خطة لتقسيم الممتلكات العثمانية. وفي بداية العام التالي وصل سايكس و بيكو إلى بتروغراد حيث أجريا التعديلات الضرورية في خطتهما بالتعاون مع الممثلين الروس وفي ضوء المصالح المشتركة والخاصة للأطراف الثلاثة. وبعد أن نالا الموافقة المبدئية لوزارة الخارجية الروسية عادا إلى لندن حيث تبودلت الوثائق الضرورية بين انكلترا وفرنسا والتي تنص

(1) للتفصيل راجع: A. F. Miller, op. cit., p. 49, 51-52.

على قبول خطة التقسيم في أيار/ مايو من العام 1916، ثم أعطت روسيا في الأول من أيلول/ سبتمبر موافقتها النهائية على الخطة وبذلك تم إبرام واحدة من أخطر المعاهدات الاستعمارية في تاريخ الديبلوماسية السرية وهي التي دخلت التاريخ باسم معاهدة «سايكس ـ بيكو»[1] التي خصص القسم الأعظم منها لتحديد كيفية تقسيم البلاد العربية في إطار السلطنة العثمانية.

احتلت كردستان في محادثات الحلفاء السرية مكانة ملموسة كانت تتفق مع الاهتمام الكبير الذي بدأت الدول الكبرى توليه إياها منذ زمن ليس بالقصير. جاء بحث مستقبل المنطقة الكردية العثمانية في رسالة سرية بعثها سازانوف وزير خارجية روسيا في نيسان/ إبريل من العام 1916 إلى السفير الفرنسي في بتروغراد، على النحو التالي:

«... 1ـ تأخذ روسيا لها مناطق أرضروم وطرابزون ووان وبدليس حتى الموقع الذي سيحدد فيما بعد غربي طرابزون على ساحل البحر الأسود[2].

2 ـ يجب أن تترك منطقة كردستان، غربي وان وبدليس، بين موش وسعرد ونهر دجلة وجزيرة ابن عمر وخط سلسلة الجبال المطلّة على العمادية ومەرگەوەر لروسيا، وهي (أي روسيا ـ ك.م.) تعترف مقابل ذلك لفرنسا بالمناطق الواقعة بين أله داخ وقيصرية وخربوط»[3].

لكن فرنسا كانت تطمع في أكثر من ذلك. فبالإضافة إلى المناطق

---

(1) تحمل المعاهدة بذلك اسم المفاوضين الإنكليزي (مارك سايكس) والفرنسي (جورج بيكو)، وكان كلاهما من ذوي الاطلاع الواسع على أحوال شعوب الشرق الأوسط وبلدانه. كان الأول منهما يعرف الكرد عن كثب وكانت له صلات مع العديد من رؤساء العشائر الكردية (راجع: ص 46 ـ 47 من الفصل الأول).

(2) مع أن الغالبية العظمى من هذه المناطق (فيما عدا بدليس) كانت أرمنية، إلاّ أن نسبة كبيرة من سكانها، خاصة في وان، كانت من الأكراد، كما أن مشاكلها كانت ترتبط بالمسألة الكردية بخيوط كثيرة.

(3) راجع: Clüchnikov and A.Sabanin, op. cit., Vol. II. p.42.

الكردية العثمانية التي كانت تمتد إلى نقطة انتهاء منطقة النفوذ الروسي في جزيرة ابن عمر، كانت الأوساط الحاكمة الفرنسية ترى من الضروري أن تمتد منطقة نفوذ بلادها هنا إلى داخل الحدود الايرانية بحيث تصل إلى نواحي سردشت الكردية، وهو ما اعتبره السير مارك سايكس أمراً وارداً على أساس أن منطقة النفوذ الفرنسي تتحول آنذاك إلى وحدة حاجزة بين منطقتي النفوذ الروسي والنفوذ البريطاني[1]. وكانت فرنسا قد ضمنت لها بموجب بنود معاهدة «سايكس ـ بيكو» نفسها جميع امتيازاتها السابقة في المناطق التي خصصت لروسيا[2]، بما فيها المنطقة الكردية، وبشكل خاص ما كان يتعلق منها بامتيازات السكك في تركيا والتي كان لها ـ أي لفرنسا ـ حصة الأسد منها.

والجدير بالذكر أن روسيا وقفت في البداية، بقوة، ضد إعطاء أي جزء من المناطق الكردية لفرنسا، فهي كانت تريد كل أرمينيا وكردستان العثمانيتين لنفسها دون منازع، إلّا أنها وافقت أخيراً وبعد أخذ ورد طويلين ومساومات وارضاءات كثيرة على القبول بإدخال أصقاع كردية واسعة ضمن منطقة النفوذ الفرنسي.

---

(1) للتفصيل راجع:

Севр и Лозанна. Севрский мирный Договор и Акты, подписанные в Лозанне, под редакцией проф. Ю.В.Ключникова и проф. А.В.Сабанина, Москва, 1927 , стр. У.

سيفر ولوزان، معاهدة صلح سيفر والاتفاقات المبرمة في لوزان، بإشراف البروفيسور يو. ف. كليوتشنيكوف والبروفيسور أ. ف سبانين، موسكو، 1927، ص V (في الهوامش القادمة: ...*Sevres and Lausanne*)

(2) راجع:

История Дипломатии, том второй *(Дипломатия в Новое Время 1872-1919 гг.)*, Москва- Ленинград, 1945 , стр. 287.

تاريخ الديبلوماسية، المجلد الثاني، الديبلوماسي في العصر الحديث 1872- 1919، موسكو ـ لينينغراد، 1945، ص 287. (في الهوامش القادمة: تاريخ الديبلوماسية...).

أما بريطانيا فكانت تتطلع منذ زمن بعيد، وكما هو معروف، إلى ولاية الموصل وتعمل في سبيل توطيد مواقع أقدامها فيها بشتى الأساليب، وذلك ضمن خطتها الرامية إلى السيطرة على جميع حقول النفط في الشرق الأوسط وكذلك على المنافذ الضرورية لنقل ذلك النفط عبرها. كما كانت تفكر بالدافع نفسه في الاستحواذ على جزء من كردستان الايرانية أيضاً نظراً لأهميتها من هذه الناحية، وكانت على استعداد، في سبيل ذلك، لتجاهل حقيقة أن ايران بقيت محايدة طيلة سنوات الحرب. اذاً، فإن التخلي عن المناطق الكردية الجنوبية لم يكن مما يدور في خلد بريطانيا على الاطلاق. كل ما كان هنالك هو أنها كانت ترى من المصلحة تحقيق أهدافها بيد فرنسية دون الاحتكاك المباشر بالروس في مناطق نفوذهم، وقد عبّر المسؤولون الإنكليز عن ذلك بجلاء اكثر من مرة بعد الحرب مباشرة[1].

ضمنت بريطانيا كل مصالحها الاقتصادية في ولاية الموصل، بما فيها المناطق الكردية الداخلة ضمنها. فأثناء المحادثات التي جرت لصياغة مضمون معاهدة «سايكس ـ بيكو» وبعد التوقيع عليها، اتصل السير أدوارد غراي عدة مرات بالسفير الفرنسي بول كامبون إلى أن تم ضمان اعتراف فرنسا بكل ما لبريطانيا من «حقوق» في ولاية الموصل[2] والتي تقف في مقدمتها،

(1) في الاجتماع الأخير لمؤتمر اسطنبول المكرَّس لمشكلة الموصل تحدث المندوب التركي فذكر «إن إصرار بريطانيا على عدم فصل الموصل من العراق يناقص إتفاقية «سايكس ـ بيكو» (1916) التي أعطت الموصل لفرنسا». فأجاب السير بيرسي كوكس «إن تلك الاتفاقية عقدت بين بريطانيا العظمى وفرنسا عندما كانت روسيا حليفتهما، وإن بريطانيا لم ترغب في مجاورة روسيا» (راجع: الدكتور فاضل حسين، مشكلة الموصل، دراسة في الديبلوماسية التركية ـ العراقية ـ الإنكليزية وفي الرأي العام، بغداد، 1955، ص 44).

(2) للتفصيل راجع: V. Clüchnikov and A.Sabanin, op. cit., Vol. II. p.42.

بالطبع، المصالح النفطية. وقد أعلن ث. كامبون في وقت مبكر، ودونما لف أو دوران، «أن فرنسا مستعدة للاعتراف بجميع الامتيازات التي كانت لبريطانيا (في ولاية الموصل ـ ك.م.) قبل الحرب».[1]

أتبعت معاهدة «سايكس ـ بيكو» سلسلة مفاوضات واتفاقات أخرى لم يكن منها بد لإيجاد الحد الأدنى المطلوب من التوافق بين المصالح المتصارعة. ورغم أن ايطاليا قد حصلت على بعض الضمانات بالنسبة لمصالحها في آسيا الصغرى وذلك بموجب المعاهدة التي أُبرمت بينها وبين الحلفاء في نيسان/ إبريل من العام 1915، إلّا أنها أبعدت عن الاشتراك في مفاوضات «سايكس ـ بيكو» التي ظلت تجهلها أصلاً لفترة من الزمن. وما إن اطلعت على أمر إبرام المعاهدة حتى قدمت احتجاجاً شديد اللهجة إلى حلفائها مما أسفر في النهاية عن انضمامها بدورها إلى المعاهدة المعقودة وذلك في 19 تشرين الثاني/ نوفمبر من العام 1916 وفي مطلع العام 1917 (قبيل ثورة شباط/ فبراير) تم التوصل إلى اتفاق سري آخر بين روسيا وفرنسا تعهدت الأولى بموجب بنوده بتأييد مطالب الثانية في الألزاس واللورين وحوض السار وغيرها، ومقابل ذلك فقد تعهدت الحكومة الفرنسية مجدداً بتأييد أطماع روسيا في اسطنبول والمضائق حسب الاتفاق الذي تم بشأنها، واعترفت بحرية روسيا في تعيين حدودها الغربية حال انتهاء الحرب في صالح الحلفاء[2].

ومن المفيد أن نشير في هذا المجال إلى حادثة تاريخية ذات صلة مباشرة

(1) راجع:

Гофман К., *Нефтяная политика и англо-саксонский империализм*, Москва, 1930 , стр. 81.

ك. غوفمان، السياسة النفطية والاستعمار الانكلو ـ سكسوني، موسكو، 1930، ص 81.

(2) راجع: تاريخ الديبلوماسية...، المجلد الثاني، ص 288.

بموضوعنا، لم يسلّط عليها الضوء في دراستها بعد. ففي كانون الأول من العام 1915 أخبرت الشخصية الأرمنية المعروفة زافرييف مسؤولاً روسياً في اليونان بإمكانية كسب جمال باشا إلى جانب الحلفاء في حالة الاستجابة إلى مطالبه التي كانت تدور حول 1 ـ ضمان الاستقلال التام للجزء الآسيوي من السلطنة العثمانية، الذي كان يجب أن يتألف ـ حسب خطته هو ـ من مجموعة انظمة ذات حكم ذاتي تحت سيادة السلطان، تضم سوريا وفلسطين وميسوبوتاميا وشبه الجزيرة العربية وأرمينيا وكيليكيا وكردستان.

2 ـ منح جمال باشا، الذي أراد أن يصبح سلطاناً مع التمتع بحق انتقال العرش إلى ورثته، المساعدات العسكرية والسياسية والمالية. ومقابل ذلك فلن يعارض جمال باشا بدوره في فصل اسطنبول والممرات المائية عن الدولة العثمانية الجديدة. وقد اعتبر وزير الخارجية الروسية سازانوف أنه من الضروري التفاوض مع جمال باشا، فاتصل في الحال بالحلفاء حول الموضوع، إلّا أن مسؤولي كل من انكلترا وفرنسا عارضوا، بشدة، الاقتراح، الذي كان سيؤدي في حالة تحقيقه إلى حرمان بلدانهم من فرض سيطرتها المباشرة على مناطق الشرق الأوسط بالشكل الذي ورد في معاهدة «سايكس ـ بيكو»، كما أنهم لم يتوقعوا النجاح لخطة جمال باشا الانقلابية. إلّا أن الموضوع أصبح على أي حال مدار بحث ومراسلات بين لندن وباريس وبتروغراد [1] وهو يشكل وجهاً آخر من وجوه المؤامرة الكبرى التي كانت خيوطها تحاك من وراء ظهر شعوب المنطقة وعلى حساب مصالحها الحيوية ومطامحها المشروعة.

---

(1) للتفصيل راجع:

Лазарев М.С., *Крушение турецкого господства на Арабском Востоке,* Москва, 1960 , стр. 128-129.

م. س. لازاريف، زوال السيادة التركية على المشرق العربي، موسكو، 1960، ص 128 ـ 129.

وهكذا فإن الدول الكبرى أخذت تلعب، كما يحلو لها، بمصير الشعب الكردي، شأنه شأن الشعبين العربي والأرمني، وذلك من خلال معاهدة «سايكس ـ بيكو» وغيرها من الاتفاقيات والمفاوضات التي وضعت هذه المعاهدة بداية خطيرة لها، مما كان يمس في الوقت نفسه مصالح الشعب التركي في الصميم. ومع أن جميع المفاوضات وإبرام المعاهدة نفسه قد جرت في سرية تامة بحيث لم يطلع عليها، كما ذكرنا، حتى الحليفة الرابعة ايطاليا إلّا في وقت لاحق، فقد بدأ الاتحاديون ومعارضوهم والرأي العام التركي إلى حد ما يدركون ما يحاك لهم في الخفاء، فارتفعت بعض الأصوات منادية بتدارك الأمر[1]، إلاّ أن ذلك جاء بعد فوات الأوان لأن الالمان تمكنوا خلال الأشهر الأولى للحرب من إحكام قبضتهم كلياً على جميع مرافق الحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية للدولة العثمانية[2]، وكان سندهم الأمين انور باشا يتمتع، كما ذكرنا في حينه[3]، بنفوذ قوي داخل الحكم بحيث لم يكن من السهل التصرف، مع وجوده، باتجاه معاكس لما تقتضيه المصالح الألمانية[4]. أما الشعوب الأخرى الداخلة ضمن السلطنة فإنها لم تكن تتصور أن الحلفاء يلتجئون إلى مثل ذلك الأسلوب من العمل، خاصة وأنها كانت

---

(1) كان مصطفى كمال واحداً من أبرز الذين رفعوا صوت المعارضة، وقد جرت محاولات لتنظيم انقلاب عسكري ضد الثالوث الدكتاتوري.

(2) بلغ الأمر بالألمان حد أنهم فرضوا سيطرتهم المباشرة حتى على الرقابة العسكرية العثمانية، وأنهم وسعوا من صلاحيتها بحيث كان من الواجب أن تعرض عليها فرمانات السلطان وفتاوى شيخ الإسلام قبل أصدارها.

(3) راجع ص 139 ـ 140 ـ الفصل الثالث من هذا الكتاب.

(4) لم يكن عبثاً أن بدأ المسؤولون الألمان يطلقون على تركيا، بل وعلى كل السلطنة العثمانية اسم أنور لاند (Enverland) أي بلاد أنور.

بينما كان مصطفى كمال ينعت أنور وغيره من القادة الاتحاديين بنعوت معاكسة ذات مضامين عميقة (راجع: H. C. Armstrong. op. cit., p. 38. & A. F. Miller, op. cit., p. 62.).

واقعة، بشكل أو بآخر، تحت تأثير دعايتهم الواسعة، كما أن الحلفاء كانوا يتقربون، على صعيد آخر، من زعماء تلك الشعوب ويعقدون الاتفاقات مع بعضهم بشأن ضمان الاستقلال لبلدانهم حال انتهاء الحرب، كما تجسد ذلك بشكل واضح في اتفاقية حسين ـ مكماهون المعروفة.

وقبل أن تنتهي الحرب ظهر عنصر مهم جديد على المسرح ارتبط بانتصار ثورة أكتوبر في روسيا والذي ترك آثاراً في أشكال مختلفة على المخططات السرية التي وضعتها الدول الكبرى في سنوات الحرب. فقبل كل شيء انسحبت الدولة الجديدة من اللعبة وتخلت عن جميع المعاهدات والاتفاقات السرية والعلنية التي عقدها النظام السابق، وسحبت في الوقت نفسه القوات الروسية من ميادين القتال تاركة كل مكان دخلته.[1] وقد أدى ذلك كله إلى حدوث تغير أساسي في موازين القوى وبشكل كان يؤثر بالضرورة على طبيعة العلاقات الدولية التي نظمتها سلسلة المعاهدات والاتفاقات السرية السابقة. فقد زالت مخاوف انكلترا القديمة من مجاورة روسيا، بل غدت تريد، على العكس، الوصول مباشرة، إنْ أمكن، إلى أقرب نقطة من حدود الدولة الجديدة التي جاء مكمن الخطر منها في شكل نظامها. ومن البديهي أن تزداد أهمية كردستان لدى الإنكليز بالنسبة ذاتها في هذه الظروف الجديدة فأخذت القوات البريطانية في جنوبي العراق تستعد وتسعى لاحتلال أكبر مساحة ممكنة من المناطق الكردية قبل أن تضع الحرب أوزارها[2]. وإلى جانب ذلك أرسل الإنكليز لفيفاً من أنشط رجالهم إلى كردستان وأرمينيا وهو ما سنقوم بتفصيله فيما بعد.

ومن الأدلة التاريخية المهمة بصدد هذا التحول، إلى جانب ما لاحظناه من واقع ملموس في السنة الأخيرة من الحرب، تصريح أدلى به في حينه السير

---

(1) تستثنى من ذلك بعض الوحدات التي أتخذت موقفاً معادياً من الثورة.

(2) تطرقنا إلى ذلك بالتفصيل ضمن الفصل الثالث من هذا الكتاب.

ونستون تشرشل، ووقائع ذات دلالات واضحة شهدتها المنطقة ومعاهدات الصلح بعد انتهاء الحرب مباشرة. فقد قال وزير التموين الحربي البريطاني معلّقاً على الاتفاقية التي تم التوصل اليها بين بلاده وفرنسا حول تقسيم ما سمي بـ«مناطق العمل» في روسيا بينهما:

«...حدد مجال النشاط الفرنسي في المنطقة الممتدة إلى الشمال من البحر الأسود... أما المجال الإنكليزي فإلى الشرق منه...وهكذا، وكما هو مبين في البند الثالث من الاتفاقية، كان من المقرر أن تشتمل المنطقة الفرنسية على بيسارابيا وأوكرانيا والقرم، أما المنطقة الإنكليزية فقد كان من المقرر أن تشتمل على مناطق القوزاق والقفقاس وأرمينيا وجورجيا وكردستان»[1].

ارتبط اسم الكرد بمخططات من نوع آخر ظهرت في سنوات الحرب كذلك. فرؤساء الأرمن كانوا قد أدركوا أنه في ظروف كالتي تعيش فيها المنطقة يرتبط حل المسألة القومية لشعبهم بالمسألة القومية للشعب الكردي الجار، إلى حد كبير. وكانت الدول الكبرى قد أدركت بدورها هذه الحقيقة وكان من

---

(1) راجع: Winston . S. Churchill, *The Great War*, Vol. III. London, 1934. p. 1394-1395.

تم التوقيع على هذه الاتفاقية في باريس على أرفع مستوى، فقد وقعها عن الجانب الفرنسي رئيس الوزراء كليمنصو ووزير الخارجية بيشون وقائد الجيش الفرنسي (فيما بعد القائد العام لقوات الحلفاء في الجبهة الغربية) فوش، وعن الجانب الإنكليزي وزير الحربية اللورد الفريد ميلنر وعن الخارجية الوزير اللورد روبرت سيسيل والممثلون العسكريون البريطانيون في فرنسا. وفي معرض التعليق على الأحداث المتعلقة بهذه الاتفاقية الانكلو ـ فرنسية يذكر تشرشل حقيقة مهمة تدل على واقع الظروف الجديدة في المنطقة و«الفراغ» الذي بدأت تشهده. فهو يقول بلغت القوات البريطانية في المنطقة المخصصة لنشاطها والتي يصفها بـ «أكبر خط استراتيجي في العالم»، حوالى 20 ألف رجل في أواخر كانون الثاني/ يناير من العام 1919 . ويضيف أنه بالامكان بفضل «هذا الدرع» ـ كما يسميه ـ «منع هجمات البلاشفة سواء على تركيا ... أو كردستان أو ايران...» (Ibid, p. 1395).

الطبيعي أن يؤدي ذلك إلى أن تنعكس قضية مستقبل الكرد في الخطط السياسة الأرمنية كذلك. وعلى سبيل المثال فإن الخطة التي قدمها بوغوص نوبار باشا، زعيم الأرمن، في حزيران/ يونيو من العام 1915 إلى وزير الخارجية الفرنسية تضمنت ذكر الكرد أيضاً. فقد اقترح الزعيم الأرمني في مذكرته اقرار الحكم الذاتي للأكراد شريطة أن يكون تحت اشراف مباشر لإحدى الدول الحليفة أو جميعها.[1] ولكن الدول الكبرى لم تكن تعير آنئذٍ أهمية تذكر لمثل تلك المخططات وغيرها لأنها بتعبيرها عن مصالح معينة لشعوب المنطقة كانت تتناقض مع ما تم الاتفاق بشأنه في المعاهدات والاتفاقات السرية التي أثرت بحكم طابعها الاستعماري على مستقبل جميع شعوب السلطنة العثمانية، بما فيها الشعب الكردي الذي تأثر، «تقدمه الاجتماعي ـ الاقتصادي والثقافي والسياسي» بتلك المعاهدات والاتفاقات بشكل ملموس كما يقول الدكتور لازاريف[2].

غير أن الكشف عن مضامين المعاهدات والاتفاقات السرية تحول من جانب آخر إلى عنصر مهم في تجسيد أطماع الدول الكبرى أمام أنظار شعوب المنطقة مما أدى إلى تنبيهها وشحذ وعيها. ففي الثامن من تشرين الثاني/ نوفمبر من العام 1917 أعلنت السلطة السوفياتية في روسيا إدانتها للديبلوماسية السرية الاستعمارية وتعهدت بنشر ما يتوافر لديها من نصوص المعاهدات والاتفاقات المعقودة بين الدول الكبرى في هذا المجال بأسرع ما يمكن. وقد شكلت بالفعل لجنة خاصة لحل رموز العديد من تلك المعاهدات، وبعد حوالى ستة أسابيع من العمل المتواصل تم اعداد سبع مجموعات من الوثائق السرية نشرت في البداية على صفحات الجرائد اليومية. وقد ضمنت

---

(1) للتفصيل راجع: M.S. Lazarev, *The Kurdish Question...*, p.335, 448.

(2) راجع: M. S. Lazarev, *The Kurdistan...*, p.346.

احدى تلك المجموعات بنود معاهدة «سايكس ـ بيكو» و كل ما كان يتعلق بها من اتصالات وتبادل وثائق ومراسلات مع عدد آخر من الاتفاقيات التي تخص أيضاً أقطار المنطقة، ومنها الاتفاقية الروسية الإنكليزية للعام 1907 بشأن تقسيم ايران، التي كانت المناطق الكردية الايرانية تدخل بموجبها ضمن منطقتي نفوذ الدولتين.[1]

كان من الطبيعي أن يُحدث هذا الأمر ضجة كبرى على الصعيد العالمي، انتقلت آثارها إلى أقطار الشرقين الأدنى والأوسط بصور وأشكال مختلفة. فقد بادرت صحف البلدان المحايدة إلى إعادة نشر نصوص المعاهدات السرية، وسرعان ما قامت صحافة الدول المتحاربة بالعمل نفسه. بل اضطر وزير الخارجية الفرنسي إلى تقديم إيضاح حول الموضوع أمام البرلمان. وهكذا سقطت فجأة أقنعة خطيرة وظهرت الوجوه على حقيقتها مما أحدث رد فعلٍ كبيرٍ ولاسيما في البلاد العربية، ذلك لأن اذاعة نصوص تلك المعاهدات «أثبتت» كما يقول المؤرخ المصري المعروف أمين سعيد «خيانة الإنكليز للعرب» وبيّنت «كيف أنهم يمكرون بهم».[2] فأسرع الشريف حسين الذي، لم يكن يعرف، كما يقول عنه أمين سعيد نفسه، شيئاً عن أمر المعاهدات المنشورة والذي كان «لسوء الحظ لايزال يثق بالإنكليز ويثق بإخلاصهم ومودتهم» يستفسر منهم عن حقيقتها [3] وفي أواخر العام 1917 قام زعيم مسلمي الهند محمد علي جناح بزيارة خاصة إلى لندن يقصد منها ابلاغ رئيس

(1) بلغ مجموع المعاهدات والاتفاقيات السرية التي نشرت أكثر من 100 معاهدة واتفاقية، إلى جانب عدد كبير من الوثائق والمراسلات الديبلوماسية السرية التي كان قسم منها يعود إلى أواخر القرن الماضي (للتفصيل راجع: تاريخ الديبلوماسية... المجلد الثاني، ص 305 ـ 306).

(2) أمين سعيد، ثورات العرب في القرن العشرين، القاهرة، بلا، ص 50.

(3) المصدر نفسه.

الوزراء البريطاني لويد جورج احتجاجه «باسم 70 مليون مسلم هندي» على مخططات الحلفاء لإبعاد الأتراك من اسطنبول.[1]

لم يبلغ رد الفعل المباشر بين الأكراد مثل هذا المستوى من الادراك، وهو ما يعكس واقع تخلف الوعي لدى القوى السياسية الكردية آنذاك. إلّا أن الأمر تحول، مع ذلك، فيما بعد إلى عامل مساعد للكشف عن نوايا المستعمرين امام أنظار الأكراد أيضاً، وبشكل خاص بين المثقفين منهم[2]. ويجب ألّا ننسى كذلك حقيقة أن السياسة القومية للعثمانيين جعلت من الكرد والأرمن والآشوريين بشكل خاص، بل وحتى من قسم غير قليل من العرب، غير قادرين على تقييم جميع الأبعاد الخطيرة للمخططات الاستعمارية كما ينبغي، بحيث يعيرونها ما تستحق من اهتمام. ولم تلعب الدعاية المعاكسة للدول الغربية الدور الأخير في ذلك. فقد حاول المسؤولون الغربيون تصوير الأمر وكأنه مجرد «لعبة بلشفية» تبغي «افساد العلاقات بين العرب والحلفاء» كما ورد في كتاب رسمي بعثته وزارة الخارجية البريطانية عن طريق القاهرة إلى الشريف حسين رداً على استفساره السالف الذكر.[3] وقد صدّق العديد من ساسة المنطقة هذه الفرية، ومنهم الأمير فيصل الذي ظل يعتقد بصحة أسطورة «اللعبة» إلى أن بيّن له صديقه الحميم لورانس المشهور حقيقة الأمر.

تحول الكشف عن المعاهدات السرية إلى عامل محرك من نوع جديد في حرب الدعاية للطرفين المتحاربين، ولاسيما بالنسبة للحلفاء الذي بدأ

(1) راجع: *Sevres and Lausanne...*, p. VIII.

(2) أشار العديد من السياسيين والكتّاب الأكراد، وبشكل خاص الصحافة التقدمية الكردية، فيما بعد، إلى طبيعة معاهدة «سايكس ـ بيكو» وغيرها من المعاهدات والاتفاقيات الاستعمارية.

(3) راجع: أمين سعيد، المصدر السابق، ص 50.

زعماؤهم يدلون بتصريحات تختلف في طابعها إلى حد ما عن تصريحاتهم السابقة وتناقض كلياً مضامين اتفاقاتهم وديبلوماسيتهم السرية التي لم يتخلوا عنها نهائياً. ففي الخامس من كانون الثاني/ يناير 1918 ألقى لويد جورج خطاباً أمام ممثلي النقابات العمالية ظل صداه يتردد في المحافل الدولية والأوساط السياسية وبأشكال مختلفة على مدى سنين طوال[1]. وقد أكد المسؤول البريطاني الكبير في خطابه أن اشتراك بلاده في الحرب الدائرة جاء «للدفاع عن النفس» وعن «حق الشعوب» و «الشرائع الدولية»، وطالب بإقامة «نظام ديموقراطي دستوري حقيقي» في ألمانيا واعتبر إعادة المستعمرات إلى هذه الأخيرة مناقضاً «لجميع مبادئ حق تقرير المصير» التي «تتلاشى بذلك في مهب ريح خفيفة». وعند الكلام عن تلك المستعمرات أشار رئيس الوزراء البريطاني إلى ضرورة إقامة إدارة «تراعي رغبات شعوبها» وعارض حتى استغلال رأسماليي أوروبا وحكوماتها لها في المستقبل. وعلى نفس المنوال تكلم لويد جورج عن ضرورة «الاعتراف بالظروف القومية الخاصة» لكل من «شبه الجزيرة وأرمينيا وميسوبوتاميا وسوريا».

ولم تمض سوى ثلاثة أيام على خطاب لويد جورج حتى أعلن الرئيس ويلسون عن بنوده الأربعة عشر الذائعة الصيت أمام الكونغرس الأميركي، ثم أتبعها بأربعة بنود ثم بخمسة أخرى توضيحية.[2]

تطرق الرئيس ويلسون في بنوده إلى قضايا دولية خطيرة كالحرب

(1) للاطلاع على نص الخطاب راجع:

War memories of David Lloyd George, Vol, V, London,1936, p. 2515-2527.

(2) للاطلاع على نص البنود الأربعة عشر والبنود التوضيحية راجع:

A history of the Peace Conference of Paris, Edited by H.W. Temperley, Vol. I. Oxford, 1969, p. 129-194, 433. & C. E. Black and E. C. Helmreich. *Twentieth Century Europe*, NewYork, 1950, p. 839-841 .

والسلم والديبلوماسية السرية وحرية التجارة الدولية و«تقليص التسلح القومي إلى الحد الأدنى» والوضع في روسيا السوفياتية وغير ذلك. وما يهمنا هنا هو مضمون البندين الخامس والثاني عشر من بنوده. ففي البند الخامس دعا الرئيس ويلسون إلى «حل حر وصريح ومنصف بشكل مطلق لجميع المنازعات الخاصة بالمستعمرات، يستند إلى التمسك الجدي بمبدأ يقضي بأنه في حالة حل جميع القضايا المتعلقة بالسيادة، فإن مصالح سكان المستعمرات المعنية تتمع بنفس وزن الطموحات المشروعة للحكومة التي تحدد حقوقها». أما البند الثاني عشر فقد خصص للسلطنة العثمانية ونص على ما يلي:

«يجب ضمان سيادة أكيدة للأجزاء التركية من السلطنة العثمانية الحالية، أما القوميات الأخرى التي هي الآن تحت الحكم التركي فيجب أن يضمن لها اطمئنان على الحياة لا شك فيه، وفرصة مطلقة مصونة لتطوير الاستقلال الذاتي[1]، والدردنيل يجب فتحه بصورة دائمة وبضمانات دولية أمام بواخر جميع الشعوب وتجارتها».

قام الحلفاء في المرحلة الأخيرة من الحرب بدعاية واسعة لتصريحاتهم ووعودهم الكثيرة لأنهم وجدوا، كما يذكر لويد جورج بالنص، «أن بالإمكان نسف قدرات العدو عن طريق استغلال تذمر الأمم الخاضعة له». وعلى سبيل المثال يقول: «فإن مئات السنين من النير جعلت عيش العرب تحت حكم الترك أمراً مستحيلا»، فحرك الحلفاء مثل هذه الأمم متعهدين بـ «منحها الاستقلال لقاء ذلك»[2]. وقد أوضح رئيس الوزراء البريطاني الأمر نفسه

(1) في النص: "absolutely unmolested opportunity of autonomous development"

(2) راجع: David Lloyd George, *The truth about Peace Treaties*, Vol. II, London,1938, p. 755.

بشكل أشمل في مذكراته عندما اعترف بأن «دعاية الجانبين في هذه الحرب (يقصد الحرب العالمية الأولى ـ ك.م.) لعبت دوراً أكبر من أي وقت مضى». وأعطى مثالاً على ذلك قائلاً «أستطيع على الأقل إيراد التصريحات العلنية للحلفاء عن نواياهم حول تحرير الشعوب المضطهدة الرازحة تحت سيطرة الأمبراطوريات المعادية تركيا وألمانيا والنمسا وحول منحها حق تقرير المصير». كانت هذه التصريحات تستهدف اعطاء انطباع معين لا في بلدان الحلفاء فحسب بل وفي البلدان المحايدة كذلك، وبصورة خاصة في معسكر العدو ... إننا كنا نعلم أن الاعلان عن التحرير كواحد من اهدافنا الحربية يساعد على تصديع وحدة البلدان المعادية، ونحن لم نخطئ في ذلك».[1]

ومن هذا المنطلق أولى الحلفاء، وبشكل خاص الإنكليز، الدعاية بين الشعوب الداخلة في السلطنة العثمانية اهتماماً ملموساً، فعلى سبيل المثال أثارت الصحافة التي كانت تصدرها قوات الاحتلال البريطاني في العراق، بما فيها «العرب» و «تيكةيشتني راستي» الكردية، ضجة كبيرة حول تصريحات الحلفاء ووعودهم، فعرضت هاتان الجريدتان خطاب لويد جورج الذي أشرنا إليه آنفاً، كخطاب «سياسي عظيم» جاء بمثابة «القول الفصل» و «الخطبة الغراء التي أصاب بها (رئيس الوزراء ـ ك.م.) شاكلة السداد وكشف القناع عن حقائق الأمور فتجاوبت بذكرها محافل السياسة، واهتزت لها أرجاء الأرض» لذا أقسمت «العرب» بأنه «خير ما قال قائل في هذه الحرب العوان...».[2] ونشرت الجريدتان نبذة عن بنود الرئيس الأميركي ويلسون وكتبت «العرب»

(1) Ibid, p.1118.

(2) العرب، 12 و19 كانون الثاني/ يناير 1918، تيكةيشتني راستي، 15 و19 و22 كانون الثاني 1918.

أنها «تستهدف تلبية نداء الشعوب المستعمرة والاذعان لرغباتها ومطالبها»[1]، ولكنها أخفت، مع ذلك، الجزء المتعلق بشعوب السلطنة العثمانية في البند الثاني عشر، بل لم تنشر حتى بعد طلب القراء سوى الجزء الخاص منه بمضائق البوسفور والدردنيل.[2] كما نشرت الجريدتان كل ما يتعلق ببلجيكا وبولونيا ورومانيا وغيرها من البلدان والشعوب التي وردت اسماؤها في خطاب لويد جورج بينما لم تذكر كلمة واحدة عما جاء فيه حول سوريا والعراق وبلدان المنطقة الأخرى.

ورغم كل ذلك، وبغض النظر عن الأهداف الحقيقية[3]، فإن هذه التصريحات لم تمر دون أن تؤثر على أوساط سياسية مختلفة في بلدان الشرق الأوسط. وبالنسبة للأكراد يكفي أن نذكر هنا أن الشيخ محمود حارب القوات البريطانية بعد الحرب مباشرة رابطاً فوق زنده الترجمة الكردية لبعض هذه التصريحات مدونة على أوراق من المصحف الشريف جابه بها الحكام الإنكليز أثناء محاكمته في بغداد قائلاً لهم إنه يحاربهم باسم بنود الحلفاء انفسهم ووعودهم.[4] وكما يؤكد الأستاذ أكرم جميل باشا، فإن بنود الرئيس ويلسون تركت آثاراً كبيرة على المثقفين الكرد الذين علّقوا ـ حسبما يقول ـ

(1) العرب، 31 كانون الثاني/ يناير 1918.

(2) العرب، 7 شباط/ فبراير 1918.

(3) عن حقيقة أهداف بنود الرئيس ويلسون الأربعة عشر يمكن مراجعة بحثنا: حول تغلغل النفوذ الأميركي في الشرق الأوسط وبنود الرئيس ويلسون، ـ (آفاق عربية)، العدد الثالث، 1976، ص 102 ـ 131.

(4) راجع: A. T. Wilson, *Mesopotamia 1917-1920*, p.139.

راجع كذلك: ي. ليفين، العراق، موسكو، 1937، ص 116.

Левин И., *Ирак* , Москва, 1937, стр. 116.

الآمال على بنوده الخاصة بشعوب المستعمرات والسلطنة العثمانية[1]. وكما يذكر الاستاذ عبدالمنعم الغلامي، وهو من مثقفي الموصل الذين كانوا على اتصال بأوساط كردية مختلفة أثناء الحرب وبعدها، فإن «فريقاً من زعماء الأكراد وأهل الحل والوجاهة فيهم» بعثوا مذكرة خاصة إلى مؤتمر الصلح في باريس طالبوا فيها باستقلال العراق وذكروا كيف أن «السياسي الكبير الرئيس ويلسون والملك الخطير جورج ومتفقيهما من دول الائتلاف ورجالهم قد صرحوا غير مرة في بياناتهم، ووعدوا الأمم والأقوام المستضعفة بالاستقلال والتحرير ومنح ما تتوقف عليه الموجودية السياسية لهم»[2].

سرعان ما انتهت الحرب بعد هذه التصريحات وسرعان ما ظهرت النوايا على حقيقتها. فمن جهة اشتد الصراع بين الأطراف المنتصرة، ومن جهة أخرى اتخذ ذلك الصراع طابعاً جديداً بحكم التوازن الجديد الذي ظهر بين القوى على الصعيد الدولي. وهنا أيضاً كان للشعب الكردي نصيبه الذي توافق مع حجمه وموقعه وظروف المنطقة.

---

(1) أكد الأستاذ أكرم جميل باشا ذلك للمؤلف، وذكر أن الشخصيات والمؤسسات السياسية الكردية كانت تنوي الاتصال بالرئيس ويلسون وطلبت من شريف باشا أن يحاول بدوره الاتصال به، إلّا أنه ـ حسبما يبدو ـ لم يعر الموضوع اهتماماً كبيراً لأنه يعتقد ـ كما سنرى ـ أن الإنكليز هم وحدهم الذين بإمكانهم مد يد «المساعدة» للأكراد. كما لا يستبعد أن يكون قد حاول الاتصال به ولكنه لم يفلح شأنه شأن العديد من الساسة الشرقيين الآخرين ومنهم سعد زغلول. كما رفض السفير الأميركي في طهران مقابلة الضابط العثماني السابق السيد توفيق فكرت الذي أرسله الشيخ محمود مندوباً لعرض وجهة نظره على السفير ليقوم بدوره بنقلها إلى الرئيس ويلسون (للتفصيل راجع: آفاق عربية، العدد الثالث، 1976، ص 194، 119 ـ 120).

(2) عبدالمنعم الغلامي، ثورتنا في شمال العراق. 1337 ـ 1338هـ 1919 ـ 1920م، الجزء الأول، بغداد 1966، ص 26 ـ 27، 112 ـ 114. يؤكد المؤلف أنه يحتفظ بالنسخة الثانية للنص الأصلي للمذكرة.

ارتبط العامل الأول الذي أثر بشكل فعال على سير الأحداث ومصير شعوب الشرقين الأدنى والأوسط في المرحلة الجديدة، بالتقدم الواسع الذي حققته انكلترا خلال سنوات الحرب في هذه المنطقة. فهي التي تحملت وحدها، دون سائر الحلفاء[1]، عبء الحرب في الممتلكات العثمانية اذ بلغت قواتها في ساحات الحرب حوالى مليون جندي ذهب ما يقرب من 125 ألف شخص منهم ضحايا[2]، فيما بلغ عدد القوات الفرنسية نسبة جد ضئيلة غير قابلة للمقارنة مع المجهود الحربي الإنكليزي في ميادين الشرق الأوسط[3]، بينما لم تعلن الولايات المتحدة الأميركية الحرب أصلاً ضد الدولة العثمانية. وهكذا فإن القوات البريطانية هي التي دخلت في سنوات الحرب سوريا وفلسطين والعراق، كما أنها كانت تحتفظ قبل الحرب بقواعد ثابتة في كل من قبرص ومصر وعدن والكويت، وصارت السيادة الفعلية في المياه الاقليمية العثمانية بعد عقد هدنة «مودروس» للأسطول البريطاني، كما كان للانكليز «رتل خامس» يملك نفوذاً في بلدان الشرق الأوسط دون استثناء، فلم يعودوا، والحالة هذه يرضون بالخطط والتقسيمات التي أقرت قبل الحرب أو في سنواتها، بل بدأوا ينشطون في العمل من أجل فرض سيطرتهم المباشرة وغير المباشرة على الشرق الأوسط بأكمله، وكانوا يرون أنفسهم أجدر وأحق من غيرهم بأن يصبحوا الورثة «الشرعيين» للقياصرة الروس، كما كانوا يقدرون

(1) ولاسيما بعد انسحاب روسيا من الحرب.

(2) راجع: Lloyd George, *The truth*..., Vol. II, p.1031, 1061.

(3) نذكر، على سبيل المثال، أن اشتراك الفرنسيين في المجهود الحربي للشريف حسين لم يتعد فرقة واحدة مع ستة مدافع فقط، علماً بأن إرسالهم لهذه القوات جاء ضمن تخطيطهم لمنافسة النفوذ البريطاني في المنطقة (للتفصيل راجع: سليمان موسى، الحركة العربية. سيرة المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة 1908ـ 1924، بيروت، 1970، ص 419).

بشكل صحيح ضعف ايطاليا[1] وحاجة فرنسا إلى مساندتهم لإيجاد حلول مرضية بالنسبة لمصالحها وطموحاتها في أوروبا[2]. كما كان لهم نقاط إلتقاء عديدة مع الأميركان في مناهضة النظام الاشتراكي الجديد في روسيا. اذاً، فإن الظروف جميعها كانت موآتية بالنسبة للإنكليز لكي تتخذ أطماعهم في الشرق الأوسط طابعاً توسعياً غير محدود لم يعرف له تاريخهم الكولونيالي مثيلاً. فاذا كان اللورد كيرزن يرى في بداية القرن العشرين حدود الهند على الفرات[3]، فإنه وغيره من المسؤولين البريطانيين بدأوا في المرحلة الجديدة يتصورون حدود الأمبراطورية في الشرق الأوسط على هذا الشكل: أبعد من الموصل شمالاً وكابول شرقاً والخرطوم جنوباً مع التخطيط للوصول إلى نفط باكو ومناطق القفقاس كذلك. فبدأت الديبلوماسية البريطانية تنشط في سبيل فرض الحماية الإنكليزية على أفغانستان وايران وتخطط من أجل اقامة سلسلة من المستعمرات وشبه المستعمرات على امتداد المنطقة الواقعة بين الهند والبوسفور. وكان الإنكليز يأملون ـ حسب تعبير البروفيسور ميللر ـ في تحويل «اسطنبول إلى جبل طارق ثانٍ، والأناضول إلى مصر ثانية» في هذا النظام[4].

---

(1) لم تكن ايطاليا في وضع يسمح لها بأن تلعب دوراً ملموساً على الصعيد الأوروبي وفي الشرق الأدنى بوجه خاص، بحيث لم تر انكلترا من الصعب أن تتجاهل حتى ما وعدتها به مؤخراً من نصيب قليل من تركة السلطنة العثمانية. وقد بلغ تجاهل المصالح الايطالية في مؤتمر باريس إلى حد أن أورلاند ورئيس الوزارء الايطالي انسحبا منه احتجاجاً.

(2) كانت فرنسا مهتمة جداً بالأمور المتعلقة بمصير حوض السار والراين وإعادة ترحيل الألمان من المناطق الفرنسية وغيرها، وكانت بحاجة ملحة إلى مساندة الإنكليز في مؤتمر باريس بهذا الشأن.

(3) راجع ص 201 ـ 202 من الفصل الثالث.

(4) راجع: A. F. Miller, op. cit., p. 75.

من هنا لم يكن من العبث أن بات لويد جورج يعتبر معاهدة «سايكس ـ بيكو» مجرد «وثيقة سخيفة»[1]، وإن أدان اللورد كيرزن بنفس العنف جوانب كبيرة من مضمون المعاهدة، وإن أصبح مؤلفها البريطاني مارك سايكس مغضوباً عليه بسبب تقديراته التي جاءت نتائجها غير متوافقة مع موقع بريطانيا الجديد في الشرق الأوسط. وهذه العوامل نفسها هي التي حددت طبيعة التعامل الجديد للانكليز مع كردستان وهي التي أثرت أكثر من غيرها على مصير هذه البلاد كما نحاول تبيان ذلك في هذا الفصل.

ظهرت البادرة الأولى للأوضاع المستجدة في نفس اليوم الذي تقرر فيه وضع نهاية للحرب بين الحلفاء والسلطنة العثمانية. ففي الثلاثين من تشرين الأول/ أكتوبر من العام 1918 جرى التوقيع على الهدنة بين الطرفين على ظهر الباخرة الإنكليزية آغاممنون (Agamemnon) في ميناء مودروس الواقع في جزيرة ليمنوس في بحر إيجة[2]. ومع أن الأدميرال آرثر كارلثورب (A.Carlthorpe) وقع الهدنة باسم الحلفاء، إلّا أنها جاءت في الواقع بمثابة اتفاق ثنائي حتى إن الإنكليز منعوا صعود الممثل الفرنسي إلى الباخرة بالرغم من احتجاج بلاده[3]، وقد أملى الجانب البريطاني مواد الاتفاقية على الجانب العثماني وتم التوقيع على نصها الإنكليزي فقط[4].

وعندما احتج رئيس الوزراء الفرنسي كليمنصو لدى رئيس الوزراء

---

(1) راجع: Lloyd George, *The truth...*, Vol. II, p.1025.

(2) من هنا عرفت باسم «هدنة مودروس».

(3) راجع: A. F. Miller, op. cit., P. 74.

(4) راجع: *A history of the Peace Conference of Paris*, Vol. I, Oxford, 1969, p. 497
وقع الهدنة عن الجانب العثماني ثلاثة أشخاص هم حسين رؤوف بك ورشاد حكمت بك وسعدالله بك، بينما وقعها عن الدول الحليفة مجتمعة شخص واحد هو الأدميرال آرثر كارلثورب.

البريطاني لويد جورج لأن «هدنة مودروس» لم تراع المصالح الفرنسية، كما ينبغي، قال له لويد جورج: «لم يقدم أحد، فيما عدا بريطانيا العظمى، أكثر من بضعة أفواج من (الجنود ـ ك. م.) السود للاشتراك في الحملة على فلسطين. لقد فوجئت حقاً بضيق الصدر هذا من جانب الحكومة الفرنسية. إن للبريطانيين الآن حوالى 500 ألف جندي في الأراضي التركية. وقد أسروا ثلاثة أو أربعة من الجيوش التركية وتحملوا مئات الألوف من الضحايا في الحرب مع تركيا. أما الحكومات الأخرى فإنها بعثت عدداً قليلاً من رجال الدرك السود (Nigger Policemen) ليراقبوا ما إذا كنا نسطو على الضريح المقدس أو لا! وعندما آن آوان التوقيع على الهدنة، أثيرت كل هذه الضجة»[1]. إن في هذا الكلام تعبيراً صادقاً عن الحالة في أقطار الشرق وعما كان ينويه الإنكليز في هذه الأقطار بعد انتهاء الحرب مباشرة في ضوء تناسب القوى الجديد على الصعيد العالمي.

أعطت بنود إتفاقية «مودروس» الخمسة والعشرون[2] الإنكليز إمكانات كبيرة للتحرك في الشرق الأوسط، إلّا أنهم لم يترددوا مع ذلك في خرقها عندما كانت مصالحهم تقتضي ذلك، علماً بأن الأدميرال كارلثورب أكد ثلاث مرات في رده على استفسار وزير الحربية التركي حسين رؤوف بيك، تمسك بلاده القاطع بروح الاتفاقية. وعلى أي حال فقد كانت بنود هدنة «مودروس» تفسر من الجانبين دون أدنى اعتبار لرغبات السكان الأصليين وآمالهم. فقد دخلت القوات والادارة البريطانية العديد من المناطق الكردية العراقية بعد

---

(1) راجع: *War memories of David Lioyd George*, Vol. VI, p. 3314. أثار موضوع «هدنة مودروس» ورفض الأدميرال كارلثورب اشتراك الممثل الفرنسي الأدميرال آميت (Amet)في مفاوضاتها نقاشاً حامياً للغاية بين رئيس الوزراء البريطاني لويد جورج ورئيس الوزراء الفرنسي كليمنصو .(Ibid, p.3309-3312, 3314-3315)

(2) راجع: نص البنود في:

A history of the Peace Conference of Paris, Vol. I, p.495-497.

التوقيع على الاتفاقية، وإن كان رفع العلم البريطاني فوق سارية مبنى الولاية في الموصل هو الذي جلب الأنظار وأثار احتجاج الباب العالي. كما أصبح يحق للحلفاء بموجب البند الرابع والعشرين من اتفاقية «مودروس» التدخل في الولايات الشرقية العثمانية، حيث يقطن الأرمن، في حالة «حدوث فوضى فيها»، وهو أمر كان يمس الأكراد بشكل مباشر أيضاً.

تجسدت الأطماع وتبلور الصراع أكثر في مؤتمر الصلح الذي انعقد في باريس بين الدول المتحاربة والذي كان مصير العالم يتوقف على نتائجه إلى حد كبير. فخلال أعمال المؤتمر التي استغرقت أكثر من سنة (18 كانون الثاني/ يناير من العام 1919 ـ 21 كانون الثاني من العام 1920) دار نقاش حاد حول كل موضوع أثير أمامه، كان ينتهي أحياناً بالتهديد بالإنسحاب كما أشيع عن الرئيس ويلسون، أو كان ينتهي بالانسحاب فعلاً كما فعل زميله الايطالي فيتوريو أورلاندو (Orlando). وفي أحيانٍ كثيرة أخرى كادت حدة الصراع أن تنسف المؤتمر من أساسه. ومن الجدير بالتأكيد هنا أن مسألة تقسيم ممتلكات ألمانيا والسلطنة العثمانية كانت واحدة من أهم وأدق القضايا التي أثارت منذ الأيام الأولى للمؤتمر جدلاً حامياً طويلاً تمخضت عنه فكرة الانتداب الذي لم يكن في واقعه، حسب اعتراف اللورد كيرزن أمام مجلس اللوردات، سوى «وسيلة لتقسيم البلدان المفتوحة بين المنتصرين».(1) وأقر المؤتمرون، وعلى رأسهم الرئيس الأميركي ويلسون ورئيس الوزراء البريطاني لويد جورج، أن «أقصى ما يمكن منحه» لمختلف العناصر هو «الاستقلال الذاتي»(2).

أبدى الأكراد نشاطاً محدوداً في أيام مؤتمر الصلح في باريس انعكس بشكل خاص في أعمال وفدهم الصغير برئاسة الديبلوماسي والعسكري

(1) راجع: كارل بروكمان، المصدر السابق، الجزء الخامس، ص 95.

(2) راجع: F. Lee Benns, *Europe since 1914*, 5th ed. NewYork, 1945. p. 119.

العثماني السابق شريف باشا[1] الذي قدم إلى المؤتمرين مذكرتين حول حقوق الأكراد[2] وأجرى اتصالات بأعضاء بعض الوفود ودخل في مفاوضات تفصيلية مع رئيس الوفد الأرمني بوغوص نوبار باشا وممثل جمهورية أرمينيا م. أوهانجانيان (M. Ohandjanian)[3] أسفرت عن التوصل في كانون الأول/ ديسمبر من العام 1919 إلى اتفاق مشترك حول قضايا كثيرة تهم الجانبين، مما جلب انتباه أوساط سياسية مختلفة في الداخل والخارج. فقد نشرت اثنتان

(1) لا نعرف بالضبط كم كان عدد أعضاء الوفد ومن كانوا. ولكنهم كانوا في أغلب الظن من السياسيين الكرد المعارضين للاتحاديين والذين كانوا يعيشون في الخارج، فإن شريف باشا نفسه كان قد استقر في باريس منذ ثورة الاتحاديين في العام 1908. وكما يؤكد الدكتور بلةز شيركوه، وهو من الذين راقبوا أحداث تلك الفترة عن كثب وأشتركوا فيها، فإن الجمعيات الكردية هي التي انتخبت شريف باشا لهذه المهمة (الدكتور بل ج شيركوه، المصدر السابق، ص 67). يعتبر ديفيد بيرلي إرسال الوفد «نتيجة حتمية» لتطورات داخلية بلغت مستوى مثل هذا النشاط (ديفيد ب. بيرلي، كردستان. المثل الكردي الأعلى وانعكاساته على العلاقات الآشورية - الكردية، نقلها إلى العربية عن الأصل الإنكليزي ي. ناظر، نيوجرسي، 1946، ص6).

(2) قدمت المذكرة الأولى باللغة الفرنسية في 22 آذار/ مارس من العام 1919 وهي تحمل توقيع «الجنرال شريف باشا رئيس الوفد الكردي إلى مؤتمر باريس»، وقد طبع على شكل كراس خاص يقع في 14 صفحة. في المذكرة معلومات عن الأكراد ومناطق سكنهم، ووضعهم ونضالهم وعلاقاتهم بالأرمن مع مطالبهم.

Memorandum sur les revendications du Peuple Kurde, Paris, 1919.

وفي العام نفسه نشرت الترجمة الإنكليزية لنص المذكرة:

Memorandum on the claims of the Kurdish People, Paris, 1919.

(3) لم تشر المصادر التي تسنى لنا الاطلاع عليها إلى اشتراك ممثل جمهورية أرمينيا التي أسسها الطاشناقيون في يريفان واجمادرين ، الكردية، إلّا أن وثائق السياسة الخارجية البريطانية تؤكد اشتراك أوهانجانيان ممثل الجمهورية المذكورة إلى مؤتمر باريس، في تلك المفاوضات راجع: المرجع السابق (DBFP)، المجلد الرابع، ص 928.

Documents on British Foreign Policy 1919-1939, Vol. IV. p. 927- 928.

من صحف اسطنبول («بيام» في 24 شباط/ فبراير و«تان» في 10 آذار/ مارس 1920) نصف الاتفاق الذي أولاه المسؤولون الإنكليز كذلك اهتماماً خاصاً. حتى إن اللورد كيرزن أصدر تعليمات خاصة إلى المندوب السامي البريطاني في اسطنبول الأدميرال السير ج. دى روبيك(J. de Robeck) تقضي بـ«ابداء كل تشجيع ممكن» للإتجاه الجديد»[1]. واعتبرت أوساط مختلفة الاتفاق أمراً غير متوقع البتة.[2] وقدم الجانبان بعد ذلك مذكرة مشتركة حول مصير الشعبين إلى المؤتمر.[3]

لم يقتصر نشاط الأكراد على ما ذكرنا من أعمال الوفد الكردي. فقد حاول الشيخ محمود بدوره ارسال وفد خاص إلى باريس للالتحاق بشريف باشا، إلا أن الإنكليز حالوا دون وصوله[4] بسبب توتر علاقاتهم مع الشيخ والذي كان قد بلغ حد الانفجار في تلك الأيام بالذات، مما كان يعني بالضرورة أن الوفد سيسير بإتجاه معاكس لرغبات الإنكليز[5]. ويؤكد الأستاذ عبدالمنعم الغلامي، كما أشرنا إلى ذلك من قبل، أن مجموعة كبيرة من رؤساء العشائر الكردية في منطقة بهدينان بعثوا بواسطة «جمعية العلم» الموصلية

(1) راجع المصدر السابق، المجلد الرابع، ص 928.

(2) راجـع: Safrastian, op.cit., p.77.حتى إن بعض المسؤولين البريطانيين ساورتهم الشكوك في أن يؤدي الاتفاق إلى نتائج ملموسة. راجع:

Documents on British Foreign Policy, Vol. IV, p. 928

(3) راجع المرجع السابق (DBFP)، المجلد الرابع، ص 928.

(4) راجع: رفيق حلمي، المصدر السابق، الجزء الأول، ص 65 ـ 66، الجزء الثاني، ص 190.

(5) حاول الإنكليز عرقلة وصول كل وفد معارض لنواياهم إلى المؤتمر، واتخذ الامر طابعاً جدياً في بعض المناطق بحيث أدى إلى انفجار انتفاضات وهبّات شعبية ضدهم، كما حدث في مصر مثلاً عندما حاول البريطانيون منع الوفد المصري برئاسة سعد زغلول من السفر إلى باريس.

مذكرة خاصة إلى المؤتمر يطالبون فيها باستقلال العراق[1].

أما المسألة الكردية فلم يتطرق اليها المؤتمرون إلّا في إطار عام وفي حدود علاقتها بمصير ممتلكات السلطنة العثمانية، وقد جاء ذلك في الأغلب بسبب ارتباط هذه المسألة من أوجه كثيرة، بالمسألة الأرمنية التي أولاها المؤتمر، لعوامل معينة[2]، بعض الاهتمام، حيث ناقش موضوع مستقبل أرمينيا والدولة التي توضع تحت انتدابها .وقبل أن يُنهي مؤتمر باريس أعماله أرسل الرئيس ويلسون لجنة خاصة برئاسة جيمس هاربورد لدرس المسألة الأرمنية، وقد زارت اللجنة آسيا الصغرى، بما في ذلك بعض المناطق الكردية، وأوصت في تشرين الأول/ أكتوبر من العام 1919 بأن تكون هناك دولة منتدبة واحدة بالنسبة لتركيا كلها ولمناطق ما وراء القفقاس وذلك لـ «اعتبارات اقتصادية» كما ادعت.[3] وقد ورد ذكر المناطق الكردية كذلك في المذكرة التي قدمتها الحكومة الايرانية[4] إلى المؤتمر والتي طالبت فيها بضم مناطق جد واسعة[5] إلى ايران من ضمنها كل المناطق الكردية العثمانية تقريباً، بل إنها طالبت حتى

(1) عبدالمنعم الغلامي، ثورتنا في شمال العراق، ص 26 ـ 27، 112 ـ 114.

(2) تأتي في مقدمتها حدة المسألة الأرمنية وما بلغته من مستوى جعلها تتحول إلى واحدة من أبرز وجوه «المسألة الشرقية» ككل. إلّا أن اهتمام الدول الكبرى بهذه المسألة في مؤتمر باريس وخارجه وبعد انقضائه، ظل في جميع الأحوال دائراً في فلك مخططاتها بالنسبة للمنطقة.

(3) راجع:

George Lenczowski, *The Middle East in World Affairs*, second ed. (Second printing), New York, 1957, p.98.

(4) كان يرأس الوزارة الايرانية آنذاك وثوق الدولة وكان معروفاً بأفكاره الرجعية وميوله المنحازة للانكليز.

(5) طالبت المذكرة الايرانية كذلك بأذربيجان الشمالية كلها وبقره باخ وبقسم من داغستان وغيرها.

بمدينة الموصل وبمناطق أبعد منها، تقع بعضها على الفرات. وفي تعليقه على ذلك يقول المتخصص في الدراسات الايرانية البروفيسور م. س. ايفانوف ما نصه: «إن مطالب الحكومة الايرانية هذه كانت من الطيش بحيث رفض مؤتمر باريس حتى مجرد النظر فيها».[1]

لم يتوصل مؤتمر باريس إلى قرارات نهائية بالنسبة لمنطقة الشرق الأوسط، ولكن الأبعاد الحقيقية لمخططات الدول الكبرى وصراعاتها الحادة بصدد هذه المنطقة ظهرت من خلال المواضيع التي طرحت للبحث سواء أمام المؤتمر أو أمام مجلس «الأربعة الكبار» «The Big Four»[2] فحتى الرئيس ويلسون الذي عقدت قوى سياسية شرقية مختلفة الآمال على بنوده الأربعة عشر، والذي كان يحاول، لأسباب ارتبطت بطبيعة الصراع الدولي القائم يومذاك، اضعاف مواقع الفرنسيين والإنكليز بشكل خاص في الشرق الأوسط، أقر أمام المؤتمر بصريح العبارة بـ «أنه لا يعتقد بإمكانية ترك مصائر هذه الشعوب (يقصد الشعوب التي كانت تدخل ضمن السلطنة العثمانية ـ ك. م.) تماماً في أيديها، فهي تحتاج إلى القيادة والى شيء من المراقبة الودية».[3] والأخطر من ذلك ما ذكره لويد جورج فيما بعد بهذا الصدد، إذ كتب في مذكراته يقول:

«تحدثنا مرات عديدة مع الرئيس ويلسون في باريس حول تقسيم ممتلكات السلطنة التركية. وتحدثنا كذلك حول هذا الموضوع مع الكولونيل هاوس[4] قبل وصول الرئيس (الى باريس ـ ك. م.) وبعده. وعندما وافق

---

(1) M.S. Ivanov, op. cit., p.270.

(2) يقصد بهم رؤساء وفود الولايات المتحدة (ويلسون) وبريطانيا (لويد جورج) وفرنسا (كليمنصو) وايطاليا (أورلاندو).

(3) راجع: Lioyd George, *The truth*..., Vol. II. p. 1068-1078.

(4) من أقرب مستشاري الرئيس الأميركي ويلسون ومن الشخصيات البارزة في مؤتمر باريس.

الحلفاء على فكرة الانتداب صار بحث تطبيق هذا المبدأ بحق المستعمرات الألمانية والسلطنة التركية موضوعاً غالباً ما تبودل الرأي حوله».[1]

كان الإنكليز يميلون في تلك الأيام إلى دفع الأميركان لقبول الانتداب على أرمينيا واسطنبول والمضائق والقفقاس معاً. ولم يأت هذا «السخاء» الإنكليزي عبثاً، بل كان وليد حسابات دقيقة وبعيدة النظر. فإن تنفيذ هذا الأمر كان يحتاج، في البداية على الأقل، إلى تكاليف مالية باهظة وقوى عسكرية كبيرة قدرت بربع مليون جندي مع احتمال التورط في مشاكل سياسية معقدة لأن جميع الدلائل أخذت تشير إلى نجاح النظام الجديد في روسيا وإلى اقتراب «الخطر» من القفقاس مع احتمال انفجار الوضع بقوة في الأناضول. وكان الإنكليز بدأوا يرغبون في ظروف ما بعد الحرب في اشراك الولايات المتحدة بإمكاناتها السياسية الكبيرة وطاقاتها المادية الهائلة في مجابهة حركات التحرر الوطني لشعوب الشرق الأوسط التي بدأت بوادرها تظهر بقوة في أماكن مختلفة[2]. لم يكن من الصعب، بالطبع، على المسؤولين الأميركان إدراك كنه اللعبة الإنكليزية وتقدير أهدافها القريبة والبعيدة، ولذلك رفضوا جميع اقتراحات «الحلفاء» «الودية»[3] بهذا الشأن. لقد أخر هذا

---

(1) راجع: .Lioyd George, *The truth...*, Vol. I, P. 381

(2) يجب تقييم هذا الأمر في ضوء المشاكل الاقتصادية الكبيرة التي كانت تعاني منها إنكلترا يومذاك والتي تحولت إلى محور للصراع السياسي في الداخل والى السبب الأساس لاستياء دافع الضريبة البريطاني، وقد بلغ الأمر حد أن أوساطاً سياسية مؤثرة بدأت تطالب بالانسحاب من بلاد الرافدين التي كانت تعتبر إلى عهد قريب بمثابة الدرّة الثانية في التاج البريطاني.

(3) في تعليق معبر على ذلك ذكر السيناتور الأميركي سميث: «يقترح علينا الانتداب على السلطنة التركية... إلّا أنه لابد في أغلب الظن من عشر سنوات حتى يصبح بالإمكان إقامة قانون ونظام ثابتين في تركيا، وهذا يكلف حوالى مليار دولار في السنة» (مقتبس من: =

الوضع، فضلاً عن عوامل أخرى، «حل» العديد من قضايا الشرق الأوسط الحساسة[1]، واحتاج الأمر إلى مداولات مجددة أسفرت، كما سنرى، عن عقد معاهدة «سيفر» المعروفة.

اتخذ الصراع طابعاً أكثر حدة وجدية خارج أروقة مؤتمر باريس، في «ساحة العمل» نفسها اذا جاز التعبير، ذلك لأن الصياغة القانونية من جانب المؤتمر كانت تعتمد على حصيلة المكتسبات الفعلية في الساحة المذكورة. وأحداث كردستان آنذاك مليئة بالشواهد ذات الدلالة والتي تبين مدى أطماع الدول الكبرى، وعلى رأسها انكلترا، في المنطقة وأسلوب تجسيد هذه الأطماع. لقد وسع الإنكليز من اتصالاتهم بالشخصيات ورؤساء العشائر الكردية بشكل ملحوظ. فقبل أن تنتهي الحرب جرى اتصال بين السير بيرسي كوكس وشريف باشا في مارسيليا تباحثا خلاله حول مستقبل المنطقة الكردية[2]. واستمرت علاقات شريف باشا بالإنكليز بعد الحرب كذلك، بل

= Трухановский В.Г., *Внешняя политика Англии на первом этапе общего кризиса капитализма (1918-1939 гг.)*, Москва, 1962 , стр. 96.

ف. غ. تروخانوفسكي، سياسة انكلترا الخارجية في المرحلة الأولى من الأزمة العامة للرأسمالية، موسكو، 1962، ص 96). وأعطت جريدة التايمز (Times) في عددها الصادر في الثاني عشر من آب/ أغسطس من العام 1919 تفسيراً أكثر واقعية حتى من ذلك حيث كتبت تقول: «جاء عرض القضية في أميركا على النحو التالي: لماذا يجب على الولايات المتحدة قبول صدقة تافهة في الوقت الذي استولت فرنسا وانكلترا على جميع المناطق المربحة».

(1) تم «حل» قسم كبير من تلك القضايا بموجب القرار الذي اتخذه المجلس الأعلى للحلفاء في اجتماع له بسان ريمو (24 نيسان/ إبريل 1920) أسهم في ايجاد نوع من التوافق بين المصالح الانكلو ـ فرنسية عن طريق تخصيص الانتداب على العراق وفلسطين لبريطانيا وعلى سوريا لفرنسا.

(2) راجع: *Review of the civil administration of Mesopotamia*, London, 1920, p.60.

إنها اتخذت طابعاً أكثر جدية حتى إنه أخبرهم عن نيته في أن يطلب من مؤتمر الصلح في باريس «وضع كردستان تحت الانتداب البريطاني»، وذلك قبل أن يقدم مذكرته الأولى إلى المؤتمر، وتمنى أن تلقى مذكرته هذه «تأييد حكومة صاحب الجلالة»[1].

وبالأسلوب نفسه جرت اتصالات مباشرة مع العديد من ذوي النفوذ من الكرد وفي مختلف المناطق، وجرت اتصالات سرية مباشرة بشأنها وبصدد القضايا المتعلقة بالمسألة الكردية على العموم، بين الوزارات البريطانية المختصة وهيئاتها العاملة في بلدان الشرق الأوسط، ولاسيما في اسطنبول وبغداد، وقد أشارت إلى ذلك مراراً وثائق الخارجية البريطانية[2]، التي بوشر بنشرها لأول مرة منذ بداية الخمسينيات. وهنا لابد من التطرق بشكل خاص إلى النشاطات الواسعة للضابط السياسي نوئيل الذي عرف باطلاعه عن كثب على الشؤون الكردية [3].

عين نوئيل حاكماً سياسياً لمنطقة السليمانية بعد احتلالها من قبل القوات الإنكليزية مباشرة. ولكن لم تمض عليه فترة وجيزة حتى أرسل بمهمة خاصة إلى المناطق الكردية الداخلية، حيث قام بجولات واسعة اتصل خلالها بالعديد من رؤساء العشائر والشخصيات والمنظمات السياسية. وقد رافقه في رحلته هذه ومنذ البداية المحامي فائق توفيق (فائق طابو) من السليمانية ثم التحق بهما في دياربكر كل من جلادت بدرخان وكامران بدرخان وأكرم جميل باشا

(1) راجع : *Documents on British Foreign Policy*, Vol. IV, p. 813.

(2) Ibid, p. 678, 693, 782, 926-927 etc., Vol. XIII, London, 1963, p. 49-50, 65, 108 etc.

(3) راجع ص 195 ـ 196 من الفصل الثالث.

الذين كانوا من أنشط السياسيين الكرد يومذاك[1]. وكان نوئيل يؤكد بحماسة، في كل مكان يصل اليه، نوايا حكومته الطيبة تجاه مستقبل الأكراد الذين كان يطلب منهم أن لايعتمدوا إلّا على الإنكليز. وقد أولى نوئيل التوزيع السكاني في المنطقة، ولاسيما نسبة الأرمن في الولايات الشرقية، والعلاقات بين الأرمن والكرد[2] جانباً كبيراً من اهتمامه. وبعث تقارير مفصلة حول هذه المواضيع وغيرها إلى الجهات المختصة في لندن حاول فيها تقديم صورة واضحة عن الوضع في كردستان وعن رغبات سكانها[3]، ولا تخلو تقاريره هذه من ميل واضح نحو الأكراد ومن حماسة كبيرة لمساندة قضيتهم[4] وربما

---

(1) فضلًا عن المصادر الوثائقية اعتمد المؤلف كذلك على ما رواه له الأستاذ أكرم جميل باشا حول هذا الموضوع، ولم يجد أي اختلاف أو تناقض بين ما رواه الأستاذ أكرم وما ورد في هذه المصادر. ورداً على استفسار المؤلف أكد الأستاذ أكرم أن نوئيل لم يحاول إغراء أحد ولم يقم بتوزيع الأموال في أي مكان، بل اعتُبر بمثابة ضيف على الجمعية التي كان هو وزملاؤه ينتمون إليها. كان يرافق نوئيل، حسبما تشير المصادر الوثائقية التركية، ثلاثة من العسكريين الإنكليز، كما كانت ثلة من المسلحين الأكراد تقوم بحمايتهم.

وحسب المعلومات الواردة في الوثائق نفسها التحق بنوئيل إلى جانب جلادت وكامران بدرخان وأكرم جميل باشا شخصيات كردية معروفة أخرى منهم الصحفي والكاتب مولان زادة رفعت رئيس تحرير جريدة «سربستي» (راجع: مصطفى كمال (أتاتورك)، المصدر السابق، الجزء الأول، ص 246، 250 ـ 252، 446).

(2) كان نوئيل يؤكد في تقاريره السرية عدم صحة الادعاءات التي تحاول إلقاء تبعة المذابح الأرمنية على عاتق الأكراد ويشير إلى «إنقاذ الأكراد للألوف من الأرمن» راجع على سبيل المثال: (*Documents on British Foreign Policy*, Vol. IV, p. 693).

(3) راجع: «DBFP» p. 678, 693,782 etc.

(4) تصفه الوثائق البريطانية الخاصة بـ«حواري» أو بـ«رسول» الأكراد «المتعصب لهم» (راجع: DBFP, Vol. IV. p. 693, 742).

أكد الأستاذ رفيق حلمي الذي عاصره وعمل معه، هذا الأمر مراراً في مذكراته (راجع: =

كان مبعث ذلك اعجابه بصفات الشعب الكردي أو رغبته في أن يتحول إلى «لورانس الكرد» أو بدافع من العاملين معاً[1].

ولم تخل مهمة نوئيل مع ذلك من توجهات معاكسة للحركة الكمالية التي بدأ الإنكليز يخشونها إلى حد كبير لأنها كانت تشكل واحداً من أخطر مصادر التهديد بالنسبة للجانب الأكبر من خططهم المتعلقة بجزء واسع وحساس من الشرق الأوسط. ورغم وقوف القطاع الأوسع من الشعب الكردي إلى جانب الحركة المذكورة فإن الإنكليز حاولوا فعلاً تحريك بعض العشائر الكردية القوية ضدها، وهو أمر كانت حكومة السلطان ترغب فيه وتشجع الإنكليز عليه[2] كما يمكن اعتباره بمثابة باكورة السياسة الإنكليزية المعروفة تجاه

= رفيق حلمي، المصدر السابق، الجزء الأول، ص 69)، وهو ما أشار اليه كذلك كل من أكرم باشا وأحمد تقي وغيرهما (راجع: خةباتي كةلي كورد لةياداشتةكاني ئةحمةد تةقيدا، ريكخستن و ئامادةكردني بؤ جاب: جةلال تةقي، بةغداد، 1970، ل 23 ـ 25، نضال الشعب الكردي في مذكرات أحمد تقي، أعده للطبع جلال تقي، بغداد، 1970 ص 23 ـ 25).

(1) ربما كان ذلك ما أدى إلى امتعاض بعض المسؤولين الإنكليز منه، حتى إنه أُمر بترك المناطق الكردية والتوجه إلى حلب فوراً، خاصة بعد أن أثارت جولته حفيظة الكماليين (راجع: *Documents on British Foreign Policy*, Vol. IV, p.782.).
راجع كذلك: مصطفى كمال (أتاتورك)، المصدر السابق، الجزء الأول. ص 117 ـ 121، 136).

(2) ورد ذلك في الوثائق البريطانية مراراً. فقد اقترح رئيس الوزراء فريد باشا بنفسه الأمر على المندوب السامي البريطاني في اسطنبول الذي أبرق إلى لندن بصدده. ومن المفيد أن نشير هنا إلى الصياغة الفكرية للباب العالي حول الموضوع كما وردت نصاً في واحدة من تلك الوثائق: «سوف تتمتع كردستان بالحكم الذاتي بموجب المعاهدة. ولكن القادة الأكراد يكرهون مصطفى كمال لأنه يريد أن يأتي بالبلاشفة لمساندته. وأنتم ترفضون مصطفى كمال لأنه يرفض معاهدتكم. اذاً لنستخدم معاً الأكراد ضده». وتشير الوثائق نفسها إلى ما كان يكتنف ذلك من صعوبات كبيرة. =

المسألة الكردية بشكل عام. وليس عبثاً أن أثارت نشاطات نوئيل مخاوف كبيرة لدى الكماليين، فأولاها شخص مصطفى كمال اهتماماً كبيراً للغاية وناقش بشأنها على أرفع مستوى مسؤول في حركته.[1]

وعلى أي حال فإن مهمة نوئيل وموقف المسؤولين البريطانيين المتذبذب إزاءها، يبينان بوضوح عدم استقرار سياسة الإنكليز يومذاك بالنسبة للمسألة الكردية، وهو ما نريد توضيح أبعاده حتى يتسنى لنا، فيما بعد، فهم طبيعة بنود «معاهدة سيفر» المتعلقة بها. فإن نوئيل الذي عرف بذكائه السياسي ومرونته في التصرف وبإخلاصه في عمله الذي أعد له خصيصاً[2]، والذي عهد اليه بمهمات خطيرة حتى إنه وقع في أسر الثوار الجنكليين[3]، والذي رافقه في جولته نفر من العسكريين البريطانيين، ما كان في الإمكان مطلقاً أن يقدم على عمل خطير دون أن يكلف به رسمياً، بينما نرى المسؤولين الإنكليز يحاولون تصوير الأمر للكماليين بشكل مغاير للواقع تماماً. فإن العقيد ب. بيل الذي وصل المنطقة الكردية في أيلول/ سبتمبر من العام 1919 لـ «زيارة الوجهاء والسلطات المدنية والضباط في ملاطية وخربوط ودياربكر» بصورة خاصة أكد «أن الحكومة الإنكليزية لاتعرف أي شيء مطلقاً عن هذا العمل (يقصد

= راجع:

Documents on British Foreign Policy, Vol. XIII, p. 65-66. 108.

(1) راجع مصطفى كمال (أتاتورك)، المصدر السابق، الجزء الأول، ص 117، 132، 248 ـ 252 وغيرها.

(2) أنهى نوئيل الأكاديمية العسكرية وخدم في الدائرة السياسية الخارجية البريطانية في الهند، ولعب دوراً مهماً في مطاردة عملاء ألمانيا في إيران خلال الحرب حتى إنه ألقى القبض بنفسه على أشهر هؤلاء العملاء فاسموس المعروف الذي تطرقنا إلى نشاطاته في الفصل الثالث.

(3) راجع: C.J. Edmonds, op, cit., p.33.

مهمة نوئيل ـ ك. م.) وهي لن تسمح لأي من ضباطها بالقيام بالدعاية في حالة مروره بهذه المناطق»[1]!

لم يقتصر النشاط الدعائي الإنكليزي في كردستان يومذاك على أعمال نوئيل ومن كانوا على شاكلته. لقد اتخذ الأمر أشكالاً مختلفة على درب العمل المتشعب النشط الذي يمكن وصفه بسياسة استغلال الظرف لملء «فراغات» الشرق الأوسط بشكل محكم وعلى ضوء التفسير الإنكليزي لتناسب القوى على صعيد المنطقة بأسرها. فكان على الأكراد أن يفهموا ـ كما ورد نصاً في «تيكةيشتني راستي» بعد عقد «هدنة مودروس» مباشرة ـ أنهم، وكذلك «العرب والأرمن» يتمكن لهم من «الاستفادة كثيراً من انكلترا وتحقيق رقي أوطانهم خلال فترة قصيرة» ذلك لأن «انكلترا دولة عادلة ومنصفة، بحيث أنها ترى مصلحتها في مصلحة الشعوب، وهي ليست على شاكلة الحكومات الأخرى حتى تقوم بإفقار الآخرين وتجريدهم من السلطة» لذا ينبغي «على جميع شعوب الشرق التمسك بإنكلترا وضمان مصالحها بذلك» وإلّا فإنها لن تنال سوى الضرر «وسوف تزول من الوجود بمرور الزمن»[2].

لم يخفِ الإنكليز اهتمامهم الكبير بالأكراد لا من حلفائهم ولا من أعدائهم السابقين. فبعلم من اللورد كيرزن، أخبر المندوب السامي البريطاني

(1) راجع: مصطفى كمال (أتاتورك)، المصدر السابق، ص 136.

(2) «تيكةيشتني راستي»، العدد 56، 25 تشرين الثاني/ نوفمبر والعدد 60، 23 كانون الأول/ ديسمبر 1918. من الجدير بالذكر أن الجريدة أولت مواضيع انتصار الحلفاء وعقد «هدنة مودروس» واتفاقات وقف إطلاق النار مع ألمانيا والنمسا والمواضيع المماثلة اهتماماً كبيراً، حتى إنها نشرت ترجمة كردية لجميع بنود تلك الاتفاقات وأكدت في مقالات ومناسبات كثيرة ضرورة الاعتماد على الإنكليز (راجع العدد 53، 4 تشرين الثاني/ نوفمبر والعدد 54، 11 تشرين الثاني، والعدد 55، 18 تشرين الثاني 1918).

ج. دي روبيك وزير الخارجية التركية رشيد باشا في 19 تشرين الثاني/ نوفمبر من العام 1919 بصريح العبارة أن «للقضية الكردية أهمية كبيرة بالنسبة لحكومة صاحب الجلالة، وهي موضوع دراسة عن كثب. إننا مهتمون بها في الوقت الحاضر لأن الكرد يشكلون عنصراً مهماً على جانبي حدودنا العسكرية إلى الشمال من بغداد، وواحداً من أهم العناصر، إن لم يكن أهمها قاطبة، في ما وراء المنطقة التي تم اشغالها من قبلنا في سوريا قبل أيام قلائل مضت. وسوف يكون الأكراد موضع اهتمامنا الثابت في المستقبل كذلك...»[1].

وعندما عقد المسؤولون الإنكليز والفرنسيون مؤتمراً خاصاً في كانون الأول/ ديسمبر من العام 1919 لدراسة الوضع في تركيا بحثوا في اجتماعه الثالث (23 منه) مسألتي «كردستان والقفقاس». وقد عارض اللورد كيرزن في رده على مذكرة خاصة حول المنطقة الكردية تقدم بها الجانب الفرنسي، «فكرة تقسيم كردستان بين انكلترا وفرنسا» وقدم مقترحات معاكسة تبين بوضوح أبعاد السياسة البريطانية والمقدمات التي أولدت بنود «سيفر» الخاصة بالأكراد. فقد اقترح كيرزن النقاط التالية بديلاً لما ورد في المذكرة الفرنسية:

1 ـ لا انتداب انكليزياً ولا انكليزياً ـ فرنسياً مشتركاً بالنسبة لكردستان ككل فيما عدا المناطق الأكثر استقراراً في كردستان الجنوبية حيث يحتمل ذلك، 2 ـ ترفض السيطرة التركية على كردستان حتى وإن كانت اسمية، 3 ـ لا يمكن أن تعتبر قضية كردستان منفصلة عن (مسألة ـ ك. م.) تشكيل الدولة الأرمنية التي اتفق عليها الفرنسيون والبريطانيون، 4 ـ يترك الكرد ليقرروا بأنفسهم ما إذا كانوا يشكلون دولة واحدة أو يكونون عدداً من المناطق الصغيرة المتفككة، 5 ـ يجب منح الأكراد، إنْ أمكن، الضمان ضد اعتداء الترك، 6 ـ يعتبر الجانبان البريطاني والفرنسي أنه من الضروري تجنب خلق

(1) راجع: *Documents on British Foreign Policy*, Vol. IV, p. 921.

مشاكل في مناطق الحدود مشابهة لما تواجهه بريطانيا في الهند». وقد أعلن رئيس الجانب الفرنسي اتفاقه مع مقترحات اللورد كيرزن «بوجه عام»، ولكنه فضل ترك مناقشة الموضوع إلى فرصة أخرى[1].

والوثائق البريطانية الخاصة نفسها طافحة بالشواهد التي بإمكانها وضع النقاط على الحروف بشكل لا لبس فيه. غير أن المهم، بالنسبة لمجال بحثنا، أن تلك الوثائق مليئة بالأفكار المتضاربة إلى حد الارتباك الواضح، فهي تتحدث في وقت واحد عن «الحكم الذاتي» و«الاستقلال» وتشكيل «دويلات كردية» و«ضمان حدود آمنة لميسوبوتاميا في الشمال» ورفض «الحماية الفرنسية أو الإنكليزية وكل شكل من أشكال الاشراف الأوروبي» و«ضرورة نيل بريطانيا حق الضمان لما يقرر للأكراد في جميع الأحوال» و.... و ...»[2].

انعكست هذه الصورة بشكل آخر في الجانب المقابل. فحكومة السلطان[3] ترددت بدورها بين المواقف المتباينة إزاء مستقبل الأكراد. لقد حاولت في البداية كسب ود زعمائهم والتزمت بوعود معينة حول تلبية مطالبهم[4]. وكان ذلك يجري ضمن الخط الجديد الذي تبنّاه الباب العالي

---

(1) راجع: Ibid, Vol, IV, p. 967-970.

(2) راجع: Ibid, Vol. IV. p. 679, 694-695,743, 813-814 etc. & Vol. XIII. p. 49-50, 66, 108 etc.

راجع كذلك: S. S. Gavan, *Kurdistan. Divided Nation of the Middle East*, London, 1958, p.29-31.

(3) بعد التوقيع على «هدنة مودروس» مباشرة استقالت الوزارة الاتحادية التي كان يقف على رأسها جاويد باشا، وشكل الوزير الحميدي والسفير السابق في لندن توفيق باشا المعروف بولائه للإنكليز الوزارة الجديدة التي ظلت في سدة الحكم حتى آذار/ مارس من العام 1919 حيث حلت محلها وزارة أخرى برئاسة الداماد (لقب يطلق على نسيب السلطان) فريد باشا المعروف كذلك بميوله الإنكليزية.

(4) شكل الباب العالي هيئة عليا لدراسة المسألة الكردية، تألفت من شيخ الاسلام =

إزاء الشعوب المتبقية في إطار الدولة العثمانية المنهارة، مما اقتضى اشتراك عدد من العناصر غير التركية في الوزارة التي ألفها الداماد فريد باشا في آذار/مارس من العام 1919 . كما قام رئيس الوزراء الجديد بتشكيل لجنة ضمنت ثلاثة من غير الأتراك (أرمنياً ويونانياً وكردياً) لدراسة مقترحات الحلفاء بشأن بنود معاهدة الصلح بين الطرفين، وسافر بنفسه على رأس وفد مشابه إلى مؤتمر الصلح بباريس.[1] لكن ذلك لم يكن يعني أن الباب العالي تخلى عن سياسته القومية التقليدية، بل لم يكن الأمر يتعدى في أغلب الأحيان حدود المناورات السياسية التي أملتها ظروف خاصة لم يندر تخطيها حتى في مثل تلك الأيام الصعبة من تاريخ البلاد. وقد لعب ذلك دوره في دفع العديد من الزعماء الكرد الذين لم يستطيعوا، بعد، فهم الطبيعة الاستعمارية للدول الكبرى على حقيقتها، إلى التقرب أكثر فأكثر من الإنكليز ووقوع بعضهم فريسة سهلة في شباك أحابيلهم.[2]

وهكذا فمن خلال الحقائق التي تطرقنا اليها، وحقائق أخرى غيرها سنتطرق إليها أيضاً، ينبغي علينا النظر إلى الموقع الغريب والفريد الذي خصص للأكراد في معاهدة «سيفر» التي تستحق وقفة خاصة لا باعتبارها خاتمة سلسلة المعاهدات التي أسفرت عن مؤتمر الصلح بباريس فحسب، بل كذلك لما أثارت من شعور رومانسي مبرر في أوساط كردية مختلفة[3].

= ووزيري الأشغال والبحرية وعدد من الشخصيات الكردية (للتفصيل راجع: الدكتور بلةج شيركوه، المصدر السابق، ص 65 ـ 68).

(1) راجع: *Severes and Lausanne...*, p.XVII - XVIII.

(2) توجد في الوثائق البريطانية التي تعود إلى تلك الفترة اشارات تدل على ذلك بشكل واضح. راجع على سبيل المثال: (*Documents on British Foreign Policy*, Vol. IV. p. 926-927.)

(3) قد يصعب العثور بين المتعلمين الأكراد على من لم يسمع شيئاً عن «معاهدة سيفر» =

وقعت المعاهدة الجديدة في العاشر من آب/ أغسطس من العام 1920 في مدينة سيفر القريبة من باريس بين انكلترا وفرنسا وايطاليا واليابان وبلجيكا واليونان ورومانيا وبولونيا والبرتغال وتشيكوسلوفاكيا ويوغسلافيا والحجاز وأرمينيا من جهة والسلطنة العثمانية [1] من جهة أخرى. تتألف معاهدة «سيفر» من 13 باباً و 433 بنداً[2] أعدتها خمس لجان خاصة تفرعت من مؤتمر باريس، ولم تستهدف صياغة الشكل القانوني لإنهاء وجود السلطنة العثمانية فحسب، بل وتمزيق تركيا ذاتها وتحويلها إلى شبه مستعمرة[3] كذلك، لقد سخّرت من أجل ذلك وضمن مخطط انكليزي واضح المعالم مسائل عادلة لعدد

= التي يرون فيها ضرباً من ضروب «العدالة» النادرة التي «بصرت» مسألتهم القومية، مما يجعلهم، بل يجعل معظم الكتاب والساسة الأكراد، بعيدين، إلى حد كبير، عن فهم المحتوى الحقيقي لهذه المعاهدة، ولاسيما بنودها المخصصة للبحث في مصير الشعب الكردي. وقد بلغ اعجاب بعض المثقفين الكرد بها حد أنهم اختاروا كلمة «سيفر» اسماً يطلقونه على أولادهم.

ربما كان الأستاذ المؤرخ محمد أمين زكي المثقف الكردي الوحيد من الجيل السابق، الذي أدرك كنه البنود 62 ـ 64 من «معاهدة سيفر» وما ورد فيها من «شروط وتحفظات قوية وشديدة» جعلت منها «كلمات جوفاء لامعنى ولا مدلول لها في عالم السياسة والواقع» و «لم توضع إلّا للتغرير بالأمم والشعوب ولخداع الجماعات البشرية....». لكن ما يوآخذ عليه هو أنه لم ير الشيء نفسه بالنسبة للبنود المتعلقة بالأرمن والتي لم تكن في الواقع سوى الوجه الآخر من العملة نفسها (راجع: محمد أمين زكي، المصدر السابق، ص 281 ـ 283).

(1) الأصح حكومة اسطنبول. ومع أن الحجاز ويوغوسلافيا تدخلان ضمن الدول المشتركة في مفاوضات الصلح، فإن معاهدة «سيفر» لا تحمل توقيع ممثليهما.

(2) للاطلاع على نص المعاهدة راجع: . *Severes and Lausanne...*, p. 3-136.

(3) عندما كانت لجان المؤتمر منهكمة في إعداد مسودة معاهدة «سيفر» أعلن لويد جورج أمام مجلس العموم أنه «لا شيء نأسف عليه لأن تركيا تختفي من المسرح».

من شعوب المنطقة، في مقدمتها المسألتان الأرمنية والكردية. كانت بنود المعاهدة تقضي بفصل سميرنا عن تركيا وضمها إلى اليونان وتنظيم اشراف دولي على البوسفور والدردنيل[1] وتعيين حدود تركيا الأوروبية وتجريدها من جميع الجزر الواقعة داخل مياهها الاقليمية وتقليص قواتها العسكرية إلى ما دون الحد الأدنى[2] وفرض اشراف مباشر على مرافق البلاد الاقتصادية وغيرها. وأقرت تركيا كل ما اتخذ من قرارات حول فرض الانتداب أو الأشراف المباشر للدول الكبرى على الممتلكات العثمانية السابقة.

«أعطي الأرمن الكثير على الورق»، في هذه المعاهدة، حسب التعبير الموفق لتيمبرلي[3]. أما الكرد فقد منحوا أقل حتى من ذلك. وهو ما جاء في انسجام تام مع طبيعة المعاهدة نفسها. فقد لعب الإنكليز دوراً أساسياً في صياغة بنودها المتعلقة بالمسألة الكردية[4] بالشكل الذي يتواءم تماماً مع نظرتهم آنئذٍ إلى ظروف المنطقة وسياستهم إزاءها. وإن نظرة عميقة إلى تلك البنود تجعل منها، في الواقع، تلك «المزهرية المحطمة» التي تحدث عنها السياسي الفرنسي المعروف بوناكارييه[5]. يقول البند 62:

(1) كان من المقرر أن يكون للجنة التي تشرف على المضائق علمها الخاص مع جهاز إداري وشرطة مستقلة وميزانية خاصة (البنود 37 ـ 61).

(2) تقرر تقليص القوات التركية إلى حوالى 60 ألف رجل من ضمنها 700 من حرس السلطان الخاص و 35 ألف من الجندرمة (البنود 154 ـ 164).

(3) راجع: . *A history of the Peace Conference of Paris*, vol.VI. p. 83

(4) خصص لها كل القسم الثالث من الباب الثالث الذي يحمل عنوان «كردستان» ويتألف من ثلاثة بنود (62 ـ 64).

(5) يوجد في مدينة سيفر، حيث وقعت المعاهدة، معمل لصنع الأواني الفخارية وقد اشتهرت المدينة بتلك الأواني. ومن هنا استعار رئيس الجمهورية السابق بوناكارييه =

«تقوم لجنة مؤلفة من ثلاثة أعضاء معينين من قبل الحكومات البريطانية والفرنسية والايطالية مركزها اسطنبول، خلال ستة أشهر، من تاريخ تنفيذ مفعول هذه المعاهدة، بإعداد مشروع حكم ذاتي محلي للمناطق التي يشكل فيها الأكراد الأكثرية والتي تقع إلى الشرق من الفرات والى الجنوب من الحدود الجنوبية لأرمينيا، كما تحدد فيما بعد[1]، والى الشمال من الحدود التركية مع سوريا وميسوبوتاميا بشكل متوافق مع الوصف الوارد في (3، 2ـII) من البند السابع والعشرين (من المعاهدة نفسها ـ ك. م.). وفي حالة حدوث اختلاف في الرأي حول موضوع ما، يعرض هذا الاختلاف من قبل أعضاء اللجنة على حكوماتهم المعنية. ويجب أن تتضمن هذه الخطة الضمانات التامة لحماية الآشوريين ـ الكلدان وغيرهم من الأقليات العنصرية أو الدينية الداخلة في هذه المناطق. ومن أجل هذا الغرض تقوم لجنة مؤلفة من ممثلين (بريطاني وفرنسي وايطالي وايراني وكردي) بزيارة الأماكن لدراسة التغييرات التي يجب اجراؤها، عند الحاجة، في الحدود التركية حيثما تلتقي بالحدود الايرانية، ولتقريرها، بحكم قرارات هذه المعاهدة».

وينص البند 63 على ما يلي: «تتعهد الحكومة التركية من الآن بالاعتراف بقرارات اللجنتين المذكورتين في البند 62 والقيام بتنفيذها خلال ثلاثة أشهر من تاريخ ابلاغها بها».

ثم يأتي دور التناقض والإرتباك والتخطيط في ضوء الأحداث والتوقعات ضمن البند 64 الذي جاءت صياغته على الشكل التالي:

= (ظل في كرسي الرئاسة حتى كانون الثاني/ يناير من العام 1920) تشبيهه المذكور. راجع: *Sevres and Lausanne...*, p. VIII.

(1) ترك أمر تعيين حدود أرمينيا للرئيس الأميركي ويلسون، كما سنبين ذلك فيما بعد.

«اذا راجع الأكراد القاطنون في المناطق الواردة ضمن البند 62، مجلس عصبة الأمم خلال سنة من نفاذ هذه المعاهدة، مبينين أن أكثرية سكان هذه المناطق يرغبون في الاستقلال عن تركيا، وإذا وجد المجلس آنذاك أن هؤلاء جديرون بمثل ذلك الاستقلال، وإذا أوصى (المجلس ـ ك. م.) بمنحهم إياه، فإن تركيا تتعهد من الآن أن تراعي تلك التوصية، فتتخلى عن كل ما لها من حقوق وحجج (قانونية ـ ك. م.) في هذه المناطق، وتصبح تفاصيل هذا التنازل موضوع اتفاق خاص بين الدول الحليفة الرئيسة وتركيا.

وإذا وقع مثل هذا التخلي، وفي الوقت الذي يحدث فيه[1]، فإن الدول الحليفة الرئيسة لن تضع أي عراقيل بوجه الانضمام الاختياري للأكراد القاطنين في ذلك الجزء من كردستان الذي لا يزال حتى الأن ضمن ولاية الموصل، إلى هذه الدولة الكردية المستقلة».[2]

قبل أن نقيّم هذه البنود في إطار مضمونها الخاص، وفي الإطار العام للمعاهدة، من الضروري أن نشير إلى أن «معاهدة سيفر» مسّت المسألة الكردية مرة أخرى من خلال معالجتها للمسألة الأرمنية ضمن بنودها 88 ـ 93 [3] التي نصت على تشكيل «دولة أرمنية مستقلة حرة» (البند 88) والتي أعطت الرئيس الأميركي ويلسون حق تعيين حدودها مع تركيا «في ولايات أرضروم وطرابزون ووان وبدليس» مع تحديد المناطق المتاخمة لتلك الحدود والتي ينزع منها السلاح (البند 89). وقد قام الرئيس ويلسون فعلاً بتعيين الحدود

(1) هكذا ورد في النص.

(2) راجع نص البنود في: *Sevres and Lausanne...*, p. 24-25.

(3) Ibid, p.31-32.

المذكورة في تشرين الثاني/ نوفمبر من العام 1920 حيث بدأت من نقطة على البحر الأسود وامتدت إلى أرزنجان وموش وبدليس وبحيرة وان وهي بذلك تكون مطابقة لخطوط النار بين القوات الروسية والتركية خلال سنوات الحرب[1]. وكان الرئيس ويلسون يميل إلى قبول الانتداب على أرمينيا تؤيده في ذلك أوساط مالية أميركية.

ليس من الصعب على المرء إدراك كنه كل الشروط الواردة في البنود المتعلقة بالمسألة الكردية وفهم الأسباب الحقيقية التي دفعت الإنكليز إلى غض الطرف كلياً عن مناطق كردية واسعة بحجة عدم اشتراك الدولة التي تضمها في الحرب. إن دليلاً قوياً آخر على أن الحلفاء، وعلى رأسهم الإنكليز، لم يكونوا يفكرون حقاً في استقلال كردستان، هو أنه في اليوم نفسه الذي تم فيه الاعلان عن التوقيع على «معاهدة سيفر»، عقدت بريطانيا وفرنسا وايطاليا إتفاقاً ثلاثياً خاصاً لتقسيم مناطق النفوذ في كردستان الشمالية فيما بينها، مستندة في ذلك إلى بنود «معاهدة سيفر» نفسها.[2]. والأبلغ من ذلك أن الدول الكبرى، عندما اضطرت إلى التراجع أمام الحركة القومية التركية، بدأت بالحلقة الأضعف في المعاهدة. فعندما عقد مؤتمر لندن (21 شباط/

(1) راجع: مصطفى كمال (أتاتورك)، المصدر السابق، الجزء الرابع، ص 138. راجع كذلك: Shamsüddinov, op.cit., p. 228.
(راجع الهامش 1، ص 84-85 من الفصل الأول).

(2) للتفصيل راجع : J.C. Hurewitz, op. cit., Vol. II (1914-1956) Princeton, 1956, p. 87-88.

الجدير ذكره أنه تم في اليوم نفسه وفي مدينة سيفر نفسها أيضاً التوقيع على سلسلة أخرى من الاتفاقات والمعاهدات بين الدول الكبرى حول تقسيم بقايا تركيا وتوزيع مناطق النفوذ في الأناضول والاستغلال المشترك لجميع خطوط السكك الحديد التابعة للأمبراطورية العثمانية.

فبراير ـ 14 آذار/ مارس من العام 1921) لإعادة النظر في المعاهدة، أسرع الحلفاء فأعلنوا «أنهم على استعداد فيما يخص كردستان» لـ «يتدارسوا تعديل المعاهدة في ضوء فهم مطابق لحقائق الوضع الراهن»[1]، وهو ما دفع المتتبع المعروف لمعاهدات الصلح تيمبرلي إلى الشك، في وقت مبكر، بجدية البنود المتعلقة بالأكراد في «معاهدة سيفر».[2]

لم تكن «معاهدة سيفر» بشكل عام ـ على حد قول وليام إيغلتون ـ سوى «حروف ميتة منذ لحظة التوقيع عليها، ذلك لأن التاريخ دوّن بشكل آخر من قبل مصطفى كمال»[3]. فسُلطة حكومة السلطان التي وقعتها واحتفت بها في ظل أعلام الدول الحليفة وعلى وقع أنغام أناشيدها القومية[4]، لم تكن لتتعدى «المناطق الواقعة على مدى الرؤية من منارات المدينة» حسب وصف م. فوت الدقيق لها.[5] لذا لم يكن عبثاً أن اتهم الداماد فريد باشا ووزارته بالخيانة الوطنية فاضطر إلى تقديم استقالته، وإن لم يجروء السلطان على المصادقة

(1) راجع: *A history of the Peace Conference of Paris*, Vol. VI, p.91.
قام الحلفاء في مؤتمر لندن بتنازلات أخرى غير أساسية لتركيا مثل سحب القوات الأجنبية على جانبي المضائق إلى مسافة 25 كيلومتراً وإخلاء اسطنبول من قطعات الدول الحليفة، وذلك «بعد التأكد من نوايا الأتراك الطيبة في تنفيذ الالتزامات المقررة»، والسماح برفع عديد القوات التركية إلى 75 ألف شخص شرط ألّا يزيد عدد أفراد الجيش عن 30 ألف رجل وتكون البقية من الجندرمة، وإضافة إلى بعض التنازلات الشكلية الأخرى المشابهة.

(2) (Ibid) ذكر المؤلف القول نفسه في الطبعة الأولى من كتابه، أي في العام 1924.

(3) راجع: W. Eagleton, op. cit., p. 12.

(4) راجع: *Sevres and Lausanne...*, p. XVIII.

(5) M. R .Foot, *British Foreign Policy Since 1898*, London, p.88.
كانت الحركة الكمالية قد تبلورت في هذه المرحلة وأخذت معظم مناطق البلاد تدين لها بالولاء.

على المعاهدة التي نظمت ضدها مظاهرات واجتماعات في مختلف المناطق، بما فيها العاصمة اسطنبول التي لم تلغ فيها الأحكام العرفية والرقابة العسكرية. وإلى جانب هذا السبب الأساسي، لعب صراع المصالح المحتدم بين الدول الكبرى دوراً أساسياً في وأد «معاهدة سيفر»، تلك المصالح التي أصبحت الشعوب الصغيرة ضمن قائمة ضحاياها. فسرعان ما بدأت الصحافة الفرنسية تتهجم على بنود المعاهدة، ولم تمر سوى أشهر قليلة على التوقيع عليها حتى طالبت الحكومة الفرنسية بإعادة النظر فيها. ورغم أن ايطاليا كانت الدولة الوحيدة التي صادقت على المعاهدة[1]، إلاّ أنها تنصلت منها بسرعة وأعلنت عدم استعدادها لإرسال «جندي واحد» إلى المناطق العثمانية السابقة في سبيل تنفيذ بنودها. كما قوبلت المعاهدة بفتور كبير في الأوساط السياسية الأميركية. وفي الوقت نفسه أقلقت نجاحات الحركة الكمالية ونمو علاقاتها مع السلطة السوفياتية الجديدة جميع الأطراف[2]. وهكذا اضطرت انكلترا إلى التراجع. وفي مؤتمر وزراء خارجية انكلترا وفرنسا وايطاليا بباريس (كانون الثاني/ يناير من العام 1921) تقرر عقد مؤتمر خاص في لندن لإعادة النظر في «معاهدة سيفر» حيث أصبحت البنود 62 ـ 64 الضحية الأولى لهذا المؤتمر،

---

(1) حالت ظروف تركيا والعلاقات الدولية دون قيام أي دولة، حتى إنكلترا صاحبة المعاهدة الشرعية، بالمصادقة عليها، أما المصادقة الايطالية فقد جاءت كإجراء روتيني محض.

(2) أعترف بذلك العديد من كبار مسؤولي الحلفاء والصحافة الغربية كذلك، وكان أحد المواضيع الأساسية التي نوقشت في مؤتمر باريس لوزراء خارجية انكلترا وفرنسا وايطاليا (كانون الثاني/ يناير من العام 1921) وفي مؤتمر لندن الآنف الذكر. للتفصيل راجع:

A . M. Shamsüddinov, op.cit., p.233-235 &. A. F. Miller, op. cit., p.112-114.

كما ذكرنا من قبل. ومن بعده، ومع انتفاء الحاجة إلى ذكر اسم الكرد، تم طردهم نهائياً من اللعبة بحيث لم يبق لهم حتى مجرد مكان بسيط في المئة والثلاثة والأربعين بنداً من بنود «معاهدة لوزان»[1] التي حلت في 24 تموز/ يوليو من العام 1923 محل «معاهدة سيفر».

إن النظرة المجردة إلى ما حدث في باريس أثناء مفاوضات الصلح وما نجم عنها من مناورات ومساومات واتفاقات ومعاهدات بين الدول الكبرى، تجعل المتتبع يتفق تماماً مع ما علق به الديبلوماسي الأميركي جورج كينن على معاهدات الصلح حيث قال «لقد دُونت مآسي المستقبل في هذه المعاهدات بيد الشيطان»[2]، فأقل ما يمكن أن يقال عنها إنها لم تستطع ان تجنب البشرية مأساة حرب عالمية ثانية.

(1) راجع نصها في: *Sevres and Lausanne...*, p.143-189.

(2) G. F, Kennan, *American Diplomacy 1900-1950*, Seventh Printing, New York, 1959, p.61.

خاتمة

تسمح لنا الحقائق والمقارنات والتحليلات التي أوردناها في مقدمة هذا الكتاب وفصوله الستة، بالوصول إلى بعض الاستنتاجات فيما يتعلق بتاريخ الشعب الكردي خلال سنوات الحرب العالمية الأولى.

تشكل هذه الحرب بأحداثها والتغيرات المهمة التي أسفرت عنها، مرحلة هامة وبارزة في تاريخ الشعب الكردي، شأنه في ذلك شأن معظم شعوب العالم الأخرى. مرحلة لا تضاهي بالطبع في أهميتها وبروزها تلك التي تشكلها هذه الحرب في تاريخ الشعوب الأوروبية أو الشعب التركي، ولكنها تقف في مستوى المرحلة التي تشكلها في تاريخ غالبية شعوب الشرقين الأدنى والأوسط. فما كان بوسع كردستان بموقعها الاستراتيجي وثرواتها الوفيرة أن تكون بمعزل، بحال من الاحوال، عن الأسباب التي أدت إلى اندلاع الحرب، وعن الحرب نفسها وعواقبها. وبوصفها جزءاً من الدولة العثمانية التي باتت محط أنظار الدول الكبرى كلها، حيث كانت هذه الدول تنتظر بلهفة ساعة توزيع أسلابها فيما بينها، فقد كان لها موقعها بين الأسباب التي أدت إلى اشتعال نيران الحرب.

كانت كردستان قد لفتت أنظار معظم الدول الكبرى إليها. فكانت كل من هذه الدول تعمل من جانبها لتحصل لها على موقع أنسب بين أوساط الشعب

الكردي وعلى أرض بلاده. وكانت تنشط كل من روسيا و بريطانيا وألمانيا وفرنسا لتحقيق هذه الغاية. وكان لكل منها في هذا المضمار نهجها الخاص الذي ينسجم مع ظروفها وتطلعاتها وخططها. ومع ذلك فقد أفضى اهتمام الأوليين من هذه الدول الأربع إلى نتائج أكبر مما أفضى اليها اهتمام الثالثة والرابعة. وكان ذلك ينعكس في الأحداث التي وقعت قبل الحرب وخلالها في فترات متقاربة. كانت روسيا تهتم في سنوات ما قبل الحرب وفي سنوات الحرب كذلك بأرمينيا وكردستان أكثر مما كانت تهتم بالأجزاء الأخرى من السلطنة العثمانية، وبات هذا الاهتمام يحتل بعد تحرر المناطق البلقانية واحداً من أبرز المواقع في السياسة الخارجية للقياصرة الروس. ذلك لأن أرمينيا وكردستان كانتا تقعان على حدود بلادهم الشاسعة، وكان بإمكانهما أن تؤثرا من أوجه عديدة على مناطق القفقاس. أما بريطانيا فقد كانت تولي كردستان الجنوبية مزيد اهتمامها، وكانت تريد أن تجعل منها مع الاجزاء الأخرى من العراق قاعدة استراتيجية واقتصادية مهمة لها في الشرقين الادنى والاوسط. ولكن ما إن انتصرت ثورة اكتوبر الاشتراكية، وانفضاح أمر معاهدة (سايكس بيكو) السرية زالت المخاوف التي كانت تراود بريطانيا فيما مضى في مجاورة روسيا، ونشأ خطر جديد[1]، حتى غدا الإنكليز يهتمون بجميع المناطق الكردية دون استثناء، اكثر بكثير من ذي قبل، مما دفع العديد من المستشرقين السوفيات في العشرينيات والثلاثينيات للاعتقاد بأن بريطانيا كانت تنوي اقامة ما أسموها (دولة حاجزة) في المناطق الكردية، وذلك ضمن مخططاتها

---

(1) المقصود من هذا الخطر هو ثورة اكتوبر الاشتراكية التي اندلعت في العام1917 وإقامة السلطة السوفياتية وانتصار النظام الاشتراكي في روسيا.

الواسعة الموجهة ضد الدولة السوفياتية الفتية؟ آنذاك، بقصد الحيلولة دون أن تثير تجربتها الثورية الجديدة شعوب المستعمرات البريطانية[1].

لقد زعزعت احداث الحرب والمعاهدات السرية االتي عقدتها الدول الكبرى فيما بينها وانكشاف زيف الوعود والعهود التي كانت قد نشرتها وبذلتها يميناً وشمالاً، ثقة شعوب الشرقين الادنى والاوسط إلى حد كبير، صحيح أن أسباباً مثل التخلف ومظالم العثمانيين التي كانت قد تجاوزت كل الحدود وغير ذلك، حالت دون أن تظهر معالم انعدام الثقة هذه في الوسط الكردي بسرعة، غير أن مقدماته وبواكيره قد نشأت منذ ذلك الحين، وقد ترسخ اكثر من ذي قبل بعد انتهاء الحرب، وعلى وجه الخصوص في كردستان الجنوبية[2]، ولكن الدول الكبرى، وبالدرجة الاولى بريطانيا وروسيا، قد استغلت رغم ذلك ظروف الحرب لتعزيز مواقعها في مخلتف اجزاء كردستان وبصورة خاصة بين الرؤساء والمتنفذين الكرد، وكان ذلك بحد ذاته أمراً مهماً بالنسبة لتلك الدول، لأن احداث الحرب كانت تستلفت انظارها إلى أهمية كردستان اكثر فأكثر. وقبيل انتهاء الحرب وبعد انتهائها مباشرة، اخذ الإنكليز وخبراؤهم يفدون إلى مختلف المناطق الكردية أفواجاً، وقد آتى ذلك ثماره سريعاً بالنسبة للإنكليز.

أدّت النتائج التي تمخضت عنها الحرب إلى إعادة تقسيم كردستان.

---

(1) ذهب العديد من المستشرقين السوفيات في تلك الفترة إلى ان الإنكليز كانوا يخططون لإقامة سلسلة من الدول الرجعية لهم في أفغانستان وايران وكردستان وغيرها لتتحول إلى حاجز يعزل السوفيات عن الشعوب الأخرى (راجع على سبيل المثال: Kurd-Oghlu, op. cit., p.113-114).

(2) انعكس ذلك في كردستان الجنوبية بسرعة، لأنها وقعت تحت السيطرة المباشرة لإحدى تلك الدول الكبرى، وما حركات الشيخ محمود ومساعيه الكثيرة في أوائل العشرينيات للتعاون مع الكماليين إلّا نماذج جليّة لذلك.

فظلّ الجزء الشرقي منها داخل الاطار الإيراني، ذلك لأن ايران لم تكن قد دخلت الحرب بصورة رسمية، اما الجزء الآخر منه فقد قسم إلى قسمين، بقي القسم الشمالي منهما ضمن الدولة التركية الحديثة، وذلك بعد أخذ ورد قليلين وبتأثير من انتصار حركة الكماليين. أما القسم الجنوبي منهما فكانت عاقبة أمره أن دخل في قبضة الأنكليز. ومع ذلك فإن أحداث الحرب وعواقبها وأسباباً أخرى ادت إلى أن تبرز المسألة الكردية على المسرح الدولي اكثر من أي وقت مضى حتى ذلك الحين.

أثرت إعادة تقسيم كردستان وإقامة السلطات المركزية بعد الحرب بفترة وجيزة، على أوجه عديدة من حياة الكرد الاقتصادية والاجتماعية، فضلاً عن تأثيرها على حياتهم السياسية، وكان ابرز وجوه ذلك التأثر توقف عملية نشوء السوق الموحدة في كردستان. كما بات تنقل القبائل الكردية بين مشاتي كردستان ومصائفها اشد صعوبة من ذي قبل، فأدى ذلك بدوره إلى الاسراع في عملية توطين القبائل الكردية المترحلة التي كان دورها في المجتمع يسير بسرعة فائقة نحو الزوال.

وعلاوة على ذلك فإن احداث الحرب ونتائجها باتت عقبة كأداء امام التطور العام للحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية [1] للكرد، شأنهم شأن الشعوب الاخرى في المنطقة، لقد أُهملت معظم الاراضي الزراعية، ولم يكن هناك من يزرعها، ونفقت المواشي والدواب بنسبة عالية، مما بات عاملاً مساعداً جديداً لمزيد من الاسراع في أمر توطين القبائل الكردية الرحّل. علينا أن نلفت الأنظار كذلك إلى أن هذا التدهور في الزراعة وتربية المواشي في كردستان جاء في وقت كانت المنطقة تندمج فيه بسرعة في السوق الرأسمالية

(1) قدر عدد المثقفين الكرد الذين لقوا حتفهم في موقعة جناقلعة وحدها بحوالى 400 شخص بين ضابط ومجند.

وكان رأس المال وحركة النقود يكتسبان أهمية أكثر من السابق ويلعبان دوراً أكثر بروزاً. لقد كان تراكم رأس المال قد بدأ. ومن هنا فإن آثار أضرار الحرب كانت أكثر وأشد. ومن الجدير بالذكر أن أسباباً واضحة أدت إلى عدم قدرة الكرد على التخلص من نتائج الحرب إلّا بعد فترة متأخرة بالقياس إلى الشعوب الأخرى.

لقد أدت المجاعات وسوء الأوضاع المعيشية والحياتية إلى تعزيز سلطة الاقطاعيين في كردستان، كما أدت إلى وقوع المزيد من الاراضي في أيديهم. وقد تجلت هذه العملية، ونعني بها استيلاء الاقطاعيين على المزيد من الاراضي، بصورة أكثر وضوحاً واتساعاً في المناطق التي كان يعيش فيها الأرمن. لقد استمر اشتداد النفوذ الاقطاعي في كردستان العراق في ظل الإنكليز. أما في الأجزاء الأخرى منها فقد حدّ منه إلى درجة ما في ايران، وفي تركيا بدرجة أكبر، إثر انتقال السلطة إلى البورجوازية في هذين البلدين.

ومع ذلك، فإن نتائج الحرب العالمية، أدت إلى تسريع اندماج كردستان بالسوق الرأسمالية، وأدى ذلك بدوره إلى حدوث تغيرات جديدة في المجتمع الكردي.

تحول اندلاع الحرب العالمية الاولى إلى عقبة كبيرة بوجه نمو النضال القومي التحرري للشعب الكردي وتطوره، ذلك النضال الذي كان قد أوشك أن يدخل مرحلة جديدة في فترة ما قبل الحرب. ولكنه لم يتوقف بسبب الحرب، وإن كان قد خفت. وقد لعبت السياسة العثمانية دوراً كبيراً في هذا الأمر، ذلك لأن فشل العثمانيين في كسب الشعب الكردي إلى جانبهم، كان يعني بقاء القوة المحركة لهذا النضال واستمراره في الميدان. وقد حدثت سلسلة من الانتفاضات الجديدة في أصقاع كردية مختلفة، إلّا أن معظمها كانت عفوية، كما كانت جميعها تعاني من عدة نواقص تنظيمية. كانت تلك

الانتفاضات متقطعة ومفككة ولم تتحد جميعها في مجرى موحد، وكان ذلك نتيجة للتمزق القبلي وبسبب من التأثيرات المتباينة للدول المختلفة في مختلف أنحاء كردستان، لقد بذلت في بداية الحرب بعض المساعي من أجل الاتحاد، إلّا أنها لم تتحول إلى وقائع سياسية فاعلة ولم تتعد كونها مقدمات دونما نتائج.

وهكذا فإن نضال الشعب الكردي في سنوات الحرب ظلّ أسير إطار ضيّق وفي مستوى متدنٍ، ولم يستطع أن يبلغ مرتبة نضال الشعوب الاخرى في المنطقة، ورغم ذلك فإن لهذا النضال أهميته التاريخية، ذلك لأنه يعكس قبل أي شيء استياء الجماهير الشعبية في كردستان من سياسة العثمانيين المتخلفة، التي لعبت دون أن تريد ذلك، دوراً ملموساً في تقريب شعوب السلطنة المغلوب على امرها من بعضها البعض. فقد شهدت تلك المرحلة التاريخية التي تفاعلت احداثها فيما بينها في اطار الترابط الافقي بين تلك الاحداث، بوادر جيدة للنضال المشترك بين الاكراد وغيرهم من شعوب المنطقة.

ظلّ الحكام العثمانيون، كما كانوا في سابق عهدهم، لا يحسبون لنضال الشعب الكردي والشعوب الاخرى في سلطنتهم أي حساب، بل لم يكونوا يعيرون ظروف الحرب الدقيقة أهمية تذكر، ولم يكونوا يفكرون قليلاً أو كثيراً في ايجاد حل لمشاكل القوميات التي كانت تعيش ضمن السلطنة، وفضلاً عن ذلك فقد ضربوا العرب والأرمن والأشوريين والكرد في سنوات الحرب بشدة، دون أن يساعدهم ذلك أدنى مساعدة في الحفاظ على كيان الدولة العثمانية، كما كانوا يتوهمون، بل لعب على العكس دوره في خلق استياء مشروع من هذه الدولة في نفوس أبناء هذه الشعوب وفي انهيار الدولة في آخر الأمر. وقد تجلى ذلك فور انتهاء الحرب في سلسلة من الحوادث، نذكر

منها على سبيل المثال مشكلة الموصل التي وقف فيها الكرد والاشوريون، فضلاً عن العرب، ضد تركيا بكل صورة، إلّا في بعض الحالات الاستثنائية النادرة[1].

لقد عاني الشعب الكردي محناً ومصائب كثيرة من جراء الحرب العالمية الاولى، فلم تكن هناك اسرة ليس لها ابن في معمعات القتال أو لم يتشرد في الجبال خشية سوقه إلى ساحات الوغى، لقد راح عشرات الألوف من الاكراد كبوش فداء لأحداث الحرب، كل ذلك كان يثير مشاعر الناس بالطبع ويجعلهم يشمئزون من الحرب اكثر من أي وقت مضى. وما تزال أخبار مآسي تلك السنين وقصصها في اذهان الناس وهم يتداولونها فيما بينهم، ويبدو أن بعضاً منها يبقى في المستقبل كذلك. وبالرغم من أن المستوى المتخلف الذي كان يعيش فيه الكرد آنئذٍ لم يمكّن من أن تنعكس هذه الحقيقة، كما ينبغي، في الفكر الكردي، لكن الفكر تأثر مع ذلك إلى حد في هذا المضمار، وهو ما جعل شاعراً ضريراً كالملا حمدون يتحدث في احدى قصائده، بعمق، عن مأسي الحرب، فيصفها بأنها «عمّت الجهات الست» وأن «اكباد الناس قد تقطعت» من جرائها، ويتضرع إلى الله ليرحم «البقية الباقية من المسلمين»[2].

لقد بلغت مذبحة الأرمن في سنوات الحرب العالمية الاولى اعلى مستوى لها منذ أن بدأت وفق خطة مرسومة في نهاية القرن التاسع عشر إبان حكم السلطان عبدالحميد، وتشكل هذه المذبحة إحدى اكبر المأسي ليس

---

(1) لمزيد من التفصيلات حول الموضوع، راجع: الدكتور فاضل حسين، المصدر السابق.

(2) راجع: حەمدون، شەوي بيشوو، (كەلاويز، زمارة (4)، 7 نيساني ساتي 1946، نيساني، ل35-37 (حمدون، الحرب الماضية، (كەلاويز) - مجلة، العدد 4، السنة 7، نيسان/ إبريل 1946، ص35-37).

في الحرب العالمية الاولى وحدها بل وخلال التاريخ الانساني كله، لقد كان ضرب الأرمن من الشده والقسوة بحيث اثر، إلى جانب مذابح مسيحيي السلطنة العثمانية الاخرين[1]، على نشاطهم في العديد من الميادين الحياتية التي كانوا يلعبون دورهم فيها، لقد بات المسيحيون، بمن فيهم الأرمن، ينظرون إلى النظام العثماني، بعين الكره وبمشاعر الخوف ويتلهفون إلى سقوطه في اقرب فرصة.

لقد اشتركت جماعات وأوساط كردية في هذه المذابح، ولكنها لم يكن لها يد في تنظيمها. بل إن معظم هؤلاء المشتركين إنما لطخوا أيديهم بالدماء التي اريقت فيها بتحريض من الحكومة ودفع منها أو بإكراهها لهم على ذلك، حفنة قليلة فقط من الآغوات والاقطاعيين الكرد استفادوا من مذابح الأرمن بأن استولوا على اراضي القتلى والهاربين وساعدتهم في ذلك الحكومة بأشكال متعددة، في حين أن كثيرين غيرهم من الآغوات والاقطاعيين الكرد كذلك وقفوا بمعزل عما جرى، بل إن بعضاً منهم قدم مساعدات مختلفة لضحايا الأرمن، وفضلاً عن المطامع الإقطاعية والتحريض الحكومي، فإن قصر النظر القومي[2] والتعصب الديني الاعمى لعبا كذلك دورهما في تحديد الطابع العام للأحداث التي وقعت في تلك الفترة الحرجة من تاريخ الشعب

---

(1) مثل المذبحة التي اقيمت لمسيحيي دمشق في العام 1860 والتي وقف وراءها المسؤولون واذكى نارها عملاء المستعمرين. والجدير ذكره أن المجاهد الامير عبدالقادر الجزائري انقذ خلال تلك المذبحة عدة آلاف من المسيحيين من الموت المحتم.

(2) حتى إن شخصاً بعيد النظر مثل عبدالرزاق بدرخان كان يعتقد أن من الممكن أن تنتهي مذابح الأرمن في صالح الكرد، وقد بنى رأيه على أساس أن من شأن هذه المذابح أن تحرك روسيا لتوجيه ضربة إلى الدولة العثمانية، مما كان يوفر ـ في نظره ـ فرصة سياسية مناسبة للكرد.

الأرمني. ولكن مهما كان الأمر، فإن الاكراد الذين إسهموا في المذابح لم يكونوا اكثر من آلة وقد أصاب الاخوان ويكرام كبد الحقيقة عندما وصفا هؤلاء الاكراد بـ «الاداة المسخرة البريئة التي استخدمتها (حكومة اسطنبول - ك.م.) للتنفيذ».[1] لم يشترك الكرد في مذابح الأرمن كشعب ولم يكن بوسعهم ان يشتركوا في ذلك، بل إنهم قدموا المساعدات الاخوية من وجوه عديدة إلى الأرمن المنكوبين والمشردين، مما ادى، إلى كشف الوجه العدائي للعثمانيين الذي كانوا يستعبدون الشعبين الكردي والأرمني، إلى تمهيد الطريق لتقاربهما وتعاونهما. وقد تحولت بدايات هذا التقارب والتعاون، بعد الحرب مباشرة، إلى عمل سياسي ملموس[2] لم يستطع حتى القوميون الطاشناق أن لا يعيروه انتباههم، وإن كان لهم في ذلك دافعهم الخفي غير المنظور، فقد كان يحركهم في ذلك الاتجاه معاداة التريك أكثر من أي شيء آخر[3].

وهكذا، وفي ضوء الحقائق التي سجلناها في الفصل الخامس من هذا الكتاب، نقول: إذا اردنا أن نكون موضوعيين في حكمنا على دور الكرد في مذابح الأرمن، علينا أن نحدد العوامل التي كانت تقرب بين الكرد والأرمن والتي كانت تفرق بينهم، وأن نحدد هذه العوامل وقوتها في إطار زمانها ومكانها، فبذلك نفهم بسهولة كيف أن بعض تلك العوامل كانت تدفع الأكراد

---

(1) دبليو. إي، ويكرام وادكار تي. اي. ويكرام، مهد البشرية (الحياة في شرقي كردستان)، ترجمة جرجيس فتح الله، بغداد، 1971، ص 40.

(2) يدل على هذه الحقيقة الاتفاق الذي تم التوصل إليه أثناء مؤتمر الصلح في باريس بين شريف باشا ممثل الكرد و بوغوص نوبار باشا ممثل الأرمن، وتعاون الأرمن مع القوى الوطنية الكردية كما سبق أن ذكرنا.

(3) بات الطاشناق يتنصرون للحركة القومية الكردية ويدافعون عنها ويتحدثون عنها في مطبوعاتهم.

القصيري النظر ليتحولوا إلى إحدى أدوات التنفيذ في المذابح الأرمنية، وأن بعضاً آخر منها كانت تجعل الكرد البعيدي النظر يقفون إلى جانب الأرمن في تلكم الايام المظلمة، ويقدمون لهم يد العون والاخاء. لقد أهمل كثيرون من المؤرخين هذه الحقيقة المهمة في تقييماتهم، بل إن هناك مؤلفين سردوا صوراً مهمة لمساعدة الكرد للأرمن، ومع ذلك فقد ادانوهم (أي الكرد) بشكل بعيد عن المنطق[1] وبأسلوب بدا حتى الحكام العثمانيون أنفسهم يتخلون عنه في إثر اندحارهم في الحرب، ففي مؤتمر دولي عقد بعد الحرب مباشرة اكتفى الوفد العثماني بإلقاء تبعة المذابح الأرمنية على من أسماهم (بعض العملاء من المسلمين[2].

تؤلف مراحل مذابح الأرمن جميعها سلسلة واحدة، وليس هناك من فارق بين الاسباب التي تسببت فيها، إنما يلاحظ الفرق الوحيد في مدى سعة كل منها والنتائج التي تمخضت عنها. لقد كانت تلك المذابح كلها أكبر وأعمق من أن تكون نتيجة لـ«تخلف الكرد» و«تعصبهم الاعمى»[3].

ولم تكن كذلك بوحي من الاحساس الديني. إنها كانت أعمالاً سياسية هادفة ومنظمة، كانت نتاج نمو الشعور القومي الأرمني وتطور الحركة القومية الارمنية ومخاوف السلطة العثمانية إزاء تلك الحركة وقصر نظر الحكام في كيفية التعامل مع المسألة الأرمنية. إن السياسة التي دفعت الحكام لينقضوا

---

(1) من أمثال هـ. كيلنغ (راجع: E. H. Keeling, op. cit., p. 228-229. راجع كذلك مقدمة هذا الكتاب).

(2) راجع: *Sevres and Lausanne...*, p. XV.

(3) في كتاب «إبادة الأرمن في الامبراطورية العثمانية»، عشرات الأدلة والوثائق التاريخية لإثبات هذا الموضوع. كما أن العديد من الكتاب لفتوا الانظار إلى ذلك وذكروا أنه لو كانت القضية دينية لوجب إبادة المسيحيي ن كلهم وليس الأرمن وحدهم.

على البلغار[1] والأكراد والعرب (تشريد الاكراد والمذابح السوداء التي اقامها جمال السفاح في سوريا وغير ذلك) هي نفسها التي دفعتهم لإبادة الأرمن، إلّا أن أسباباً خاصة جعلتهم يستخدمون تجاه الأرمن درجة اشد من القسوة. ولا ريب في أنه لو كان النصر في الحرب العالمية الأولى حليف أولئك الحكام، لعاملوا الكرد والعرب واللاز والشركس والقوميات والاقليات الاخرى في الدولة العثمانية بمثل ما عاملوا به الأرمن تماماً. وليس دونما مناسبة أن نورد هنا كلمة للورنس المعروف والخبير في مثل هذه الشؤون. يقول لورنس ما نصه:

«قتل الاتراك الفتيان الأرمن، لا لكونهم مسيحيين، بل لأنهم كانوا أرمناً، وللسبب نفسه زجوا العرب المسلمين والعرب المسيحيين أفواجاً في السجون إلى جانب بعضهم وعلقوهم جنباً إلى جنب على أعواد المشانق. لقد وحّد جمال باشا كل الطبقات والمراتب والمذاهب في سوريا تحت ضغط شقاء شامل وخطر عام، فجعل بذلك من الممكن انفجار ثورة موحدة»[2] ويؤكد لورانس كذلك أن الاتحاديين كانوا ينوون أن يتبعوا إزاء العرب أيضاً سياسة مشابهة لتلك التي اتبعوها إزاء الأرمن[3].

الجدير ذكره أن المصير الذي آل اليه الأرمن في سنوات الحرب العالمية الاولى، أثر على مصير الشعب الكردي كذلك، فقد كان الاتحاديون يفكرون في اتخاذ الاجراء نفسه الذي اتخذوه ضد الأرمن وضد الشعوب الأخرى في

(1) ما فعله العثمانيون بالبلغار، ولاسيما بعد انتفاضة نيسان/ إبريل من العام 1876 كان يشبه كثيرا ما فعلوه بالأرمن. كان للعمليتين سبب واحد، كما كان للحكام موقف واحد في القضيتين. وبوسعنا القول إن التاريخ «أعاد نفسه» إلى حد كبير.

(2) T. E. Lawrance. *Seven Pillars of Wisdom*, Vol. I, London, 1939, p. 46.

(3) Ibid.

السلطنة أيضاً، مدفوعين في ذلك بـ«الانتصار» الذي احرزوه فيما فعلوه مع الأرمن. هذا من جهة. ومن جهة اخرى كانوا مستائين لأنهم لم يستطيعوا حشد قطاعات أوسع من الشعب الكردي ضد الأرمن، فكانوا يرون في ذلك نذير سوء لهم ولنظامهم وكانوا على حق في ذلك، ولاسيما إذا علمنا أن إسهام الكرد في مذابح سنوات الحرب كان دون إسهامهم في المذابح التي جرت في عهد السلطان عبدالحميد، رغم أن مذابح سني الحرب كانت في حد ذاتها أوسع بكثير من مذابح أيام السلطان. أثار هذا كره الحكام للكرد اكثر، فلم ينقض وقت طويل حتى كان انقضاضهم على الكرد كذلك كما ذكرنا ذلك في الفصل الرابع من هذا الكتاب.

وهكذا جسدت أحداث الحرب العالمية الاولى، ولاسيما ديبلوماسيتها السرية، أطماع الدول الكبرى نحو شعوب المنطقة بشكل لم يسبق له مثيل، فدفعت هذه الشعوب، بما فيها الشعب الكردي، ثمن ذلك غالياً. إلّا أن الأمر تحول من جانب آخر إلى درس أول في الاحتكاك المباشر بواقع طبيعة الدول الاستعمارية وألاعيبها التي لم يستطع أصحاب الرأي، مع ذلك تقدير جميع أبعادها، كما يجب، مما أدى إلى تعميق نتائج المأساة بشكل واضح.

ونعود لنكرر في الختام، القول، إن سنوات الحرب العالمية الأولى تشكل بمآسيها ونتائجها ودروسها مرحلة مهمة في تاريخ الشعب الكردي، مرحلة تستحق أن تولى العناية والاهتمام.

ثبت المراجع

باللغة العربية

ابراهيم خليل، ولاية الموصل، دراسة في تطوراتها السياسية 1908-1922، رسالة ماجستير، بغداد، 1975.

أحمد عثمان أبو بكر، الدكتور، أكراد الملي وابراهيم باشا، بغداد، 1973.

أستارجيان ك. أ. ، الدكتور، تاريخ الثقافة والأدب الأرمني، الموصل، 1951.

اسماعيل غول، اليزيدية قديماً وحديثاً، بيروت 1937.

أمين سعيد، ثورات العرب في القرن العشرين، القاهرة، بلا.

بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، الجزء الرابع، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، الطبعة الثانية، بيروت، 1955.

بلةج شيركوه، الدكتور، القضية الكردية. ماضي الكرد وحاضرهم، القاهرة، 1930.

بيرلي، ديفيد. ب.، كردستان. المثل الكردي الأعلى وانعكاساته على العلاقات الآشورية- الكردية، نقله إلى العربية عن الأصل الإنكليزي ي. ناظر، نيوجرسي، 1946.

بول أميل، البروفيسور، تاريخ أرمينيا، ترجمة شكري علاوي، بيروت، بلا.

بيروت (جلال الطالباني)، دفاعاً عن حاجي قادري كويي، «خةبات - النضال» - جريدة - ، بغداد، 26 تموز/ يوليو 1960.

ثورة العرب. مقدماتها، أسبابها، نتائجها، بقلم أحد أعضاء الجمعيات العربية، القاهرة، 1916.

حسين حزني المكرياني، موجز تاريخ أمراء سوران، ترجمة محمد الملا عبدالكريم، بغداد، بلا.

حكمت سامي سليمان، النفط في العراق، دراسة سياسية واقتصادية، بغداد، 1958.

زكي صالح، الدكتور، مقدمة في دراسة العراق المعاصر، بغداد، 1953.

سليمان موسى، الحركة العربية. سيرة المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة 1908 - 1924، بيروت، 1970.

شكري محمود نديم، الجيش الروسي في حرب العراق ١٩١٤ - ١٩١٦، الطبعة الثانية، بغداد، 1967، الطبعة الثالثة، بغداد، 1974.

شكري محمود نديم، حرب العراق ١٩١٤ - ١٩١٨، الطبعة الثامنة، بغداد، 1974.

صديق الدملوجي، إمارة بهدينان الكردية أو إمارة العمادية، الموصل، 1952.

عبدالمنعم الغلامي، ثورتنا في شمال العراق (١٣٣٧ -١٣٣٨ هـ ، ١٩١٩ - 1920م)، الجزء الأول، بغداد، 1966.

عبدالمنعم الغلامي، الضحايا الثلاث، الموصل، 1952.

عزالدين مصطفى رسول، الدكتور، حول المجمع العلمي الكردي، «الثقافة» - مجلة - ، بغداد، نيسان/ إبريل 1976.

عزالدين مصطفى رسول، الدكتور، الواقعية في الأدب الكردي، بيروت، بلا.

علي سيدو الكوراني، من عمان إلى الرمادية أو جولة في كردستان الجنوبية، القاهرة، 1939.

فائز الغصين، المذابح في أرمينيا، الطبعة الثانية، بيروت، بلا.

كمال مظهر احمد، الدكتور، أكتوبر والمسألة الكردية، ترجمة محمد الملا عبدالكريم، «الثقافة الجديدة» - مجلة -، بغداد، العدد 29 تشرين الأول/ أكتوبر 1971.

كمال مظهر احمد، الدكتور، أول مدرسة كردية في أيران، «التآخي» ـ جريدة ـ، بغداد، العدد 3، 20 تشرين الثاني/ نوفمبر 1973.

كمال مظهر أحمد، الدكتور، حول تغلغل النفوذ الأميركي في الشرق الأوسط وبنود الرئيس ويلسون، ـ آفاق عربية ـ مجلة، بغداد، العدد 3، تشرين الثاني/ نوفمبر 1973.

كمال مظهر احمد، الدكتور، حول الشرفنامة والطبعة الكردية لهذا الأثر التاريخي الخالد، «التآخي» - جريدة - بغداد، 20 تشرين الثاني/ نوفمبر 1973.

ك. كمال مظهر أحمد، الدكتور، شاوڤيس ومجلة «هوك» الأرمنية، «التآخي» - جريدة - ، بغداد، 21 كانون الثاني/ يناير 1974.

كمال مظهر أحمد، الدكتور، نظرة جديدة إزاء معاهدة سيفر والمسألة الكردية، ترجمة محمد الملا عبدالكريم، «الثقافة الجديدة» ـ مجلة ـ بغداد، العدد 52، ايلول/ سبتمبر 1973.

كمال مظهر أحمد، دكتور، وثائق وحقائق جديدة عن حركات الشيخ محمود، «التآخي» ـ جريدة ـ، بغداد، 8 تشرين الأول/ اكتوبر 1973.

لؤي بحري، الدكتور، سكة حديد بغداد، بغداد، 1967.
لوقا زودو، المسألة الكردية والقوميات العنصرية في العراق، بيروت، 1969.
محمد أمين زكي، تاريخ السليمانية وأنحائها، ترجمة محمد جميل بندي الروزبياني، بغداد، 1951.
محمد أمين زكي، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من أقدم العصور التاريخية حتى الآن، ترجمة محمد علي عوني، القاهرة، 1936.
محمد أمين زكي، مشاهير كردستان في الدور الإسلامي، نقلته إلى العربية كريمته، الجزء الأول، بغداد، 1945، الجزء الثاني، بغداد، 1947.
محمد الملا عبدالكريم، كردستان خلال سنوات الحرب العالمية الأولى إسهامة قيمة في دراسة التاريخ الحديث لشعبنا الكردي، «التآخي» ـ جريدة ـ بغداد، 25 و26 تشرين الأول/ أكتوبر 1975.
مؤتمر الشهداء، بيروت، بلا.
ويكرام، دبليو. أي. أدكار، تي. أي. ، مهد البشرية (الحياة في شرقي كردستان)، ترجمة جرجيس فتح الله، بغداد، 1971.
يوسف ابراهيم يزبك، النفط مستعبد الشعوب، الجزء الأول، بيروت، 1934.

باللغة الكردية

جةمال خةزنةدار، رابةري روزنامةكةري كوردي، 1973.
جةمال نةبةز، دوكتور، كورتة ميزويةكي كوردناسي لة ئةتمانيادا، (كوفاري كوري زانياري كورد) بةغدا، بةركي دوهةم، بةشي يةكةم، 1974.
حةمدون، شةري بيشوو، (كةلاويز) كدفار، بةغدا، زمارة 4، ساتي 7 نيساني 1946.

(خەباتي كەلي كورد لە يادداشتەكاني ئەحمەد تەقيدا)، ريكخستن و ئامادەكردني بو جاپ: جەلال تەقي، بەغدا، 1970.

رەحيمي غازي، دوكتور، قازي محەمەد، (دەست نووس).

عەلائەددين سەجادي، شورشەكاني كورد وە كورد و كوماري عيراق، بەغدا، 1959.

(كردستان) يەكەمين روزنامەي كوردي (1898–1902)، كوكردنەوە و پيشەكي دوكتور كەمال فوئاد، بەغدا، 1972.

(كومەلە شيعري حاجي قادري كويي)، جاپ و بلاوكەر، عەبدولرەحمان سەعيد، بەغدا، 1935.

كەمال مەزهەر ئەحمەد، كام ريكە، (بەيان) كوفار، بەغدا، زمارە 2، 1972.

محەمەدي مەلا كەريم، حاجي قادري كدبي شاعيري قوناغيكي نويية لە زياني نەتەوەي كورد، بەغدا، (؟).

مەلا عەلي سەنجەري، لە بياوە ناودارەكاني كورد – ميرزا كوجك خان زين، (روزنامە)، زمارە 32، 22ي تەموزي، 1971.

نەريمان، كتيبخانەي كوردي، كەركووك، 1960.

باللغة الروسية

Аверьянов П.И. , *Курды в войнах России с Персией и Турцией в течение XIX столетия. Современное политическое положение турецких, персидских и русских курдов*. Тифлис, 1900.

أفيريانوف ب.ي.، الكرد في حروب روسيا مع ايران وتركيا خلال القرن

التاسع عشر، الوضع السياسي المعاصر لأكراد تركيا وايران وروسيا، تفليس، 1900.

Аветян А.С. *германский империализм на Ближнем Востоке,* Москва, 1966.

أفيتيان ا.س.، الامبرياليزم الالماني في الشرق الادنى، موسكو، 1966.

Агаев С.Л. , *Германский империализм в Иране*, Москва, 1969.

آغاييف. س. ل. الدكتور، الاستعمار الالماني في ايران، موسكو، 1969.

Адамов А., *Ирак Арабский. Бассорский Вилайэт в его прошлом и настоящем*. Петербург, 1912.

آداموف ا.، العراق العربي، ولاية البصرة في امسها ويومها، بطرسبورغ، 1912.

Айзин Б.А., *Германия, - Всемирная история,* Т. У II , Москва, 1960.

ايزن ب. ا. المانيا، (تاريخ العالم)، الجزء السابع، موسكو، 1960.

Алиев Г.З., *Турция в период правления младотурок.* Москва, 1972.

علييف. غ. ز. الدكتور، تركيا في عهد الاتراك الفتيان، موسكو، 1972.

Амбарян А.С., *Аграрные отношения в Западной Армении (1856-1914),* авт. док. дисс. , Ереван, 1965.

امباريان أ.س.، العلاقات الزراعية في أرمينيا الغربية (1856–١٩١٤)، يريفان، 1965.

Арутюнян Г.М., *Реакционная политика английской буржуазии в армянском вопросе в середине 90-х годов XIX века,* Москва, 1954.

اروتونيان غ.م.، السياسة الرجعية البورجوازية الانكليزية في القضية الأرمنية في أواسط تسعينيات القرن التاسع عشر، موسكو، 1954.

Бартолд В., *История изучения Востока в Европе и России,* Ленинград, 1925.

بارتولد ف. الاكاديمي، تاريخ دراسة الشرق في اوروبا وروسيا، لينينغراد، 1925.

Библиография по Курдоведению, составитель Ж.С. Мусаальян, Москва, 1963.

ببيليوغرافيا عن الدراسات الكردية، وضع ج. س. موساليان، موسكو، 1963.

Большая Советская Энциклопедия, второе издание, Т.28, 1954.

الموسوعة السوفياتية الكبرى، الطبعة الثانية، الجزء 28، موسكو، 1954.

Вержховский Д.В. *Первая мировая война 1914-1918,* - «Советская историческая Энциклопедия», Т. 10, Москва, 1967.

فرجخوفسكي د. ف.، الحرب العالمية الاولى ١٩١٤-١٩١٨، (الانسيكلوبيديا التاريخية السوفياتية)، الجزء العاشر، موسكو، 1967.

Всемирная история, Т. У II , Москва, 1960.

تاريخ العالم، الجزء السابع، موسكو، 1960.

Геноцид Армян в Османской Империи, (Сборник документов и материалов под редакцией проф. М.г.Нерсисиана), Ереван , 1966.

إبادة الأرمن في الامبراطورية العثمانية. (مجموعة وثائق ومواد جمعت تحت اشراف البروفيسور م.غ. نيرسيسيان)، يريفان، 1966.

Глуходед В.С., *Проблемы экономического развития Ирана,* Москва, 1968.

غلوخديد. ف. س. مشاكل التطور الاقتصادي لإيران، موسكو 1968.

Гордлевский В.А. , *Избранные сочинения*, т. III , (история и культура), Москва, 1962.

غاردليفسكي ف. ا. الاكاديمي، مؤلفات مختارة، الجزء الثالث، تاريخ وثقافة، موسكو، 1962.

Гордлевский В., *У Сюпхандагских курдов,* - «Мусульманский Мир», Петроград , ч.I , вып.I , 1917.

غاردليفسكي ف. ا. الاكاديمي، بين أكراد سبحان داغ، (العالم الاسلامي)، مجلة - بتروغراد، القسم الاول، الاصدار الأول، 1917.

Гофман К., *Нефтяная политика и англо-саксонский империализм,* Москва, 1930.

غوفمان ك.، السياسة النفطية والاستعمار الانكلو - سكسوني، موسكو، 1930.

Данциг Б.М., *Ближний Восток в русской науке и литературе,* Москва, 1973.

دانتسيغ ب. م. البروفيسور، الشرق الادنى في العلم والادب الروسي، موسكو، 1973.

Данциг Б.М., *Ирак в прошлом и настоящем,* Москва. 1960.

دانتسيغ ب. م. البروفيسور، العراق امس واليوم، موسكو 1960.

Данциг Б.М., *Русские путешественники на Ближнем Востоке,* Москва, 1965.

دانتسيغ. ب. م. البروفيسور، الرحالة الروس في الشرق الادنى، موسكو، 1965.

Джалиле Джалил, *Восстание Курдов 1880 года,* Москва, 1966.

جليلي جليل، الدكتور، انتفاضة الكرد في العام ١٨٨٠، موسكو 1966.

Джалиле Джалил, *Курды Османской Империи в первой половине XIX века,* Москва, 1973.

جليلي جليل، الدكتور، اكراد السلطنة العثمانية في النصف الاول من القرن التاسع عشر، موسكو، 1973.

Ерусалимский А., *Германский империализм : история и современность,* Москва, 1964.

يروسليمسكي، ا.، الاستعمار الالماني، الماضي والحاضر، موسكو، 1964.

Иванова М.Н. , *Национально-освободительное движение в Иране,* Москва, 1961.

إيفانوفا م. ن.، حركة التحرر - الوطني في ايران، موسكو، 1961.

Иванов М.С., *Очерк истории Ирана,* Москва, 1952.

إيفانوف. م. س. البروفيسور، دراسة في تاريخ ايران، موسكو، 1952.

История Дипломатии, том второй *(Дипломатия в Новое Время 1872-1919 гг.),* Москва- Ленинград, 1945.

تاريخ الديبلوماسية، المجلد الثاني (الديبلوماسية في العصر الحديث، ١٨٧٢-١٩١٩)، موسكو - لينينغراد، 1945.

Ихсан Фуад, *Творчество Хаджи Койи и его место в Курдской литературе*, Автореферат, Москва, 1966.

إحسان فؤاد، نتاج الحاج قادر الكويي ومكانته في الأدب الكردي، ملخص رسالة الدكتوراه، موسكو، 1966.

Ияс А.И., *Поездка по Северному Персидскому Курдистану,* Петроград, 1915.

إياس أ. ي. رحلة عبر كردستان الايرانية الشمالية، بتروغراد، 1915.

Камаль М. А., *К Айсорской проблеме в Ираке (1918 - 1933).* - «Известия Академии наук Азербайджанской ССР», Баку, No. 2, 1969.

كمال مظهر أحمد، حول المشكلة الأشورية في العراق (١٩١٨-١٩٣٣)، مجلة اكاديمية علوم اذربيجان السوفياتية (الاخبار) باكو، العدد 2، 1969.

Камаль М. А. , *К истории издания первой Курдской газеты*, - «Народы Азии и Африки», Москва, No. 4, 1968.

كمال مظهر أحمد، حول تاريخ إصدار أول جريدة كردية، (لشعوب آسيا وافريقيا) مجلة – موسكو، العدد الرابع، 1968.

Карцев В.А., *Заметки о Курдах*, Тифлис, 1896.

كارتسيف ف. ا.، ملاحظات عن الاكراد، تفليس، 1896.

Корсун Н.Г., *Арабский Восток-Ирак,* Москва, 1928.

كارسون ن. غ.، الشرق العربي – العراق، موسكو، 1928.

Корсун Н.Г., *Сарыкамышская операция на Кавказском фронте мировой войны 1914-1915*, Москва, 1937.

كارسون ن. غ.، معركة ساري قاميش في جبهة القفقاس الحرب العالمية في العامين ١٩١٤-١٩١٥، موسكو، 1937.

Кузнецова Н.А., & Кулагина Л.М., *Из истории советского Востоковедения*, Москва, 1970.

كوزنتسوفا ن. أ. وكولاغينا ل. م. من تاريخ الاستشراق السوفياتي، موسكو، 1970.

Курд-Оглу, *Курды и империализм* , - «Бюллетень прессы Среднего Востока» , Ташкент , No. 13-14, 1932.

كورد-أوغلو، الكرد والامبريالية، (نشرة مطبوعات الشرق الاوسط)، طشقند، العدد 13-14، 1932.

Курдоев К.К., *Труды П.И. Лерх по курдоведению. К вопросу об изучении истории курдов в России,* - «Очерки по истории русского Востоковедения», Москва, 1959.

كوردوييف ك .ك.، أعمال ب. ي. ليرخ في الدراسات الكردية، حول مسألة دراسة تاريخ الكرد في روسيا، في كتاب الدراسات في تاريخ الاستشراق الروسي، موسكو، 1959.

Лазарев М.С., *крушение турецкого господства на Арабском Востоке,* Москва, 1960.

لازاريف م. س. الدكتور، زوال السيادة التركية على المشرق العربي، موسكو، 1960.

Лазарев М.С., *Курдистан и курдская проблема (90-е годы XIX века-1917)*, Москва, 1964.

لازاريف م. س. الدكتور، كردستان والمشكلة الكردية (من تسعينيات القرن التاسع عشر حتى العام ١٩١٦)، موسكو، 1964.

Лазарев М.С. , *Курдский вопрос, (1891-1917),* Москва, 1972.

لازاريف م. س. الدكتور، القضية الكردية (١٨٩١-١٩١٦)، موسكو، 1972.

Инженер Лебедев Ю.,*Багдадская железная дорога и современное состояние её строительства*, Петербург, 1908.

ليبيديف يو، المهندس، سكة حديد بغداد وظروف مدها اليوم، بطرسبورغ، 1908.

Левин И. , *Ирак* , Москва, 1937.

ليفين ي.، العراق، موسكو، 1937.

Лерх П., *Исследования о Курдах и их предках северных Халдеях,* Санктпетербург , кн. I , 1856, кн. II , 1875 , кн. III, 1858.

ليرخ. ب. ي، دراسات حول الاكراد الايرانيين واسلافهم الكلدانيين الشماليين، بطرسبورغ، الكتاب الاول، 1856، الكتاب الثاني 1857، الكتاب الثالث، 1858.

Лорей Г. *Операция германо-турецких морских сил в 1914-1918 гг.* , Москва, 1934.

لوريي ك. عمليات القوات البحرية الالمانية – التركية في الأعوام ١٩١٤–١٩١٨ (الترجمة الروسية)، موسكو، 1934.

Матвеев (Бар-Маттай) К.П., *Мар-Юханна И.И., Ассирийский вопрос во время и после первой мировой войны,* Москва, 1968.

ماتفييف (بار ماتاي) ك. ب .مار يوحنا ا. ا. المسألة الأشورية خلال الحرب العالمية الأولى وبعدها، موسكو، 1968.

Миллер А.Ф., *Очерки новейшей истории Турции*, Москва, 1948.

ميللر أ. ف، البروفيسور، دراسة تاريخ تركيا المعاصر، موسكو، 1948.

Минорский В.Ф., *Курды. Заметки и Выпечатления,* Петроград , 1915.

مينورسكي ف.ف. الأكراد، ملاحظات وانطباعات، بتروغراد، 1915.

Мировая война в цифрах, Москва-Ленинград, 1934.

الحرب العالمية بالأرقام، موسكو ـ لينينغراد، 1934.

Мирошников Л.И. *Английская экспансия в Иране (1914-1920)*. Москва, 1961.

ميروشنيكوف ل. أ.، التغلغل الإنكليزي في ايران (١٩١٤–١٩٢٠)، موسكو، 1961.

Мустафа Камаль, *Путь новой Турции (1919-1927)*, Том 1 , Москва, 1929, Том 4, Москва, 1934.

مصطفى كمال، طريق تركيا الحديثة ١٩١٩–١٩٢٦، (الترجمة الروسية)، الجزء الأول موسكو، 1929، الجزء الرابع، موسكو، 1934.

Новичев А.Д. , *Крестьянство Турции в новейшее время,* Москва, 1959.

نوفيتشيف أ.د.، فلاحو تركيا في العصر الحاضر، موسكو، 1959.

Новичев А.Д. , *Очерки экономики Турции до мировой войны,* Москва-Ленинград, 1937.

نوفيتشيف أ. د.، دراسة اقتصاد تركيا قبل الحرب العالمية، موسكو – لينينغراد، 1937.

Новичев А.Д. , *Турция. Краткая история*. Москва, 1965.

نوفيتشيف أ. د.، تركيا، تاريخ مختصر، موسكو، 1965.

Саркисян Е.К., *Экспансионистская политика Османской империи в Закавказье накануне и в годы первой мировой войны,* Ереван , 1962.

سركيسيان ي. ك.، السياسة التوسعية للامبراطورية العثمانية في ما وراء القفقاس قبيل الحرب العالمية الاولى وخلالها، يريفان، 1962.

Севр и Лозанна. Севрский мирный Договор и Акты, подписанные в Лозанне, под редакцией проф. Ю.В.Ключникова и проф. А.В.Сабанина, Москва, 1927.

سيفر ولوزان، معاهدة صلح سيفر والاتفاقات المبرمة في لوزان، باشراف البروفيسور يو. ف. كليوتشنيكوف والبروفيسور ا. ف. سبانين، موسكو، 1927.

Тарле Е.В. , *Европа в эпоху империализма,* 1871-1919, Москва, 1928.

تارليه ي. ف. الاكاديمي، أوروبا في عصر الامبرياليزم، موسكو - لينينغراد، 1928.

Трухановский В.Г. , *Внешняя политика Англии на первом этапе общего кризиса капитализма (1918-1939 гг.)* , Москва, 1962.

تروخانوفسكي ف.غ. سياسة انكلترا الخارجية في المرحلة الأولى من الأزمة العامة للراسمالية (١٩١٨-١٩٣٩)، موسكو، 1962.

Фаризов И.О., *Место национально-освободительного движения курдов в борьбе народов Ближнего и Северного Востока против империализма. Канд. Дисс.* (реферат), Москва, 1953.

فاريزوف. اي. و. مكانة حركة التحرر القومي الكردية في نضال شعوب الشرقين الادنى والأوسط ضد الامبريالية، موسكو، 1953.

Халфин Н.А., *Борьба за Курдистан (Курдский вопрос в международных отношениях XIX века)*, Москва, 1963.

خالفين ن. ا. الدكتور، الصراع على كردستان (القضية الكردية في العلاقات الدولية خلال القرن التاسع عشر)، موسكو، 1963.

Хрестоматия по истории международных отношений, выпуск II , Москва, 1972.

مجموعة نصوص عن تاريخ العلاقات الدولية، الجزء الثاني، موسكو، 1972.

Шамсутдинова А.М., *Национально-освободительная борьба в Турции 1918-1923*. Москва, 1966.

شمس الدينوف أ. م.، النضال التحرري - الوطني في تركيا ١٩١٨-١٩٢٣، موسكو، 1966.

Шпилькова В.И. , *Империалистическая политика США в отношении Турции (1914-1920)*. Москва, 1960.

شبيلكوفا ف. ي. السياسة الاستعمارية للولايات المتحدة الاميركية في تركيا (١٩١٤-١٩٢٠)، موسكو، 1960.

Юзбашян К.Н. , *Академик Иосиф Абгарович Орбели*, Москва, 1964.

يوزباشيان ك. ن. الأكاديمي يوسف أبغاروفيتش أوربيللي، موسكو، 1964.

باللغة الإنكليزية

Ahmed Emin, *Turkey in the world War,* New Haven, 1930.

Armstrong H. C., *Grey Wolf Mustafa Kemal,* An Intimate Study of a Dictator, third ed. London, 1932.

Benns F. L., *Europe Since 1914,* fifth ed. New York, 1945 .

Black C. E. and Helmreich E. C., *Twentieth Century Eruope,* New York, 1950.

Churchill W. S., *The Great War,* Vol. III. London, 1934 .

Curzon G. N., *Persia and the Persian Question* ,Vol. II. London,1892.

Dagobert von Mikusch, *Mustaqha Kemal Between Europe and Asia,* translated by John Linton, London, 1931.

David Lloyd George, *The truth about Peace Treaties,* Vol, I-II, London, 1938.

Documents on British Foreign Policy (1919-1939), first Series, Vol. IV, London, 1952. Vcl. XIII, London, 1963.

Eagleton W., *The Kurdish Republic of 1946*, Oxford University Press, 1963.

Edmonds C. J., *Kurds, Turks and Arabs. Politics travel and research in North - Eastern Iraq*, London, 1957.

Evans H., New Soviet Books, *Middle Eastern Studies*, London, Vol. 4. No. 2, january 1968.

Foot M. R., *British Foreign Policy since 1898*, London,1956.

Gavan S. S., *Kurdistan. Divided Nation of the Middle East*, London, 1958.

Hamilton Ch. W., *Americans and Oil in the Middle East.* Houston, 1962.

Hay W. R., *Two Years in Kurdistan. Experinces of a political officer (1918-1920),* London, 1921.

A history of the Peace Conference of Paris, edited by H. W. Temperley, Vol. I-VI. Oxford, 1969.

Hurewitz J. C., *Diplomacy in the Near and Middle East. A Document Record,* Vol. I (1535-1914).Vol. II. (1914-1956) Princeton, 1956 .

Ireland P. W., *Iraq. A Study in Political Development,* London. 1937.

Keeling E. H., *Adventures in Turkey and Russia,* London, 1924.

Kennan G. F., *American Diplomacy 1900-1950*, seventh printing, New York, 1959.

Kinner J, M., *A Geographical memory of the persian Empire,* London, 1818.

Kinner J, M., *Journey through Asia Minor, Armenia and Kurdistan in the Years 1813 and 1814*, London, 1818.

Lawrance T. E., *Seven Pillars of Wisdom,* Vol. I, London, 1939.

League of Nations, Question of the Frontier Between Turkey and Iraq, Geneva, 1924.

Lenczowski G., *The Middle East in world Affairs*, second ed, (sccond Printing), New York, 1957.

Longrigg S. H., *Four Centuries of Modern Iraq,* London, 1925.

Luke H. Ch., *Mosul and its Minorities*, London, 1925 .

Main E, *Iraq from Mandate to Independence*, London, 1935.

Mason K., *Major, Central Kurdistan* "The Georaphical journal", Vol. I, IV, No. 6, December 1919.

The massacres of kurds in Turkey, Cairo, 1928.

Memorandum on the Claims of the Kurd People, Paris, 1919.

The Memories of Naim Bey, turkish official documents relating to the deportations and massacres of Armenians, London, 1921.

Millingen F., *The wild life among the koords,* London, 1870.

Morier J., *A Second Journey Through Persia, Armenia and Asia*

Minor to Constantinople Between the Years 1810 and 1816, London, 1818.

Morier J. *Journey Through Persia Armenia and Asia Minor to Constantinople in the Years 1805 and 1809*, London, 1812.

Morten N. *Middle East*, New York, 1943 .

Percy Sykes, *A summary of the history of the Assyrians in Iraq (1918-1933)*, "JRCAS", Vol. XXI, April 1934.

Philby H. J., *Arabian days,* London, 1948.

Ramsaur E. E., *The young Turks. Prelude of the Revolution of 1908,* Princeton, New Jersey, 1957.

Rawlinson H. C., *Notes on a Journey from Tebriz through Persian Kurdistan,* "The Journal of the Royal Geographical Societ". Vol. X. London, 1840 .

Review of the Civil Administration of Mesopotamia, London, 1920.

Rich. C. J., *Narrative of a Residence in Kurdistan,* Vol. I-II, London, 1836.

Robinson P. O., *The First Turkish Republic, A Case Study in national development,* Cambridge, 1963.

Safrastian, A., *Kurds and Kurdistan,* London, 1948.

Shmidt. D. A., *Journey among Brave Men,* Toronto, 1964.

Soane E. B., *To Mesopotamia and Kurdistan in disguise,* second ed, London, 1926.

Sykes M., *The Caliphs Last Heritage. A short history of the Turkish Empire*, London, 1915.

Sykes M. *The Kurdish Tribes of the Ottoman Empire,* "the journal of the Royal Anthropological Institute of Great Britain and

Ireland", Vol. XXXVIII, 1908 .

War Memories of David Lloyd Geroge, Vol. I-VI, London, 1933-1936 .

Wilson A. T., *Loyalities Mesopotamia, (1914-1917), A Personal and historical record*, London , 1930.

Wilson A. T., *Mesopotamia (1917 -1920) . A clash of loyalities. A personal and historical record*, London , 1931.

Zaki Saleh, *Mesopotamia, Iraq 1600-1914*, Bagdad, 1957.

باللغات الأخرى

ابراهيم فخراني، ميرزا كوجك خان سردار جنكل، تهران، 1344 شمسي (اللغة الفارسية).

أحمد شريفي، عشائر شكاك وشرح زندكي آنهابةرهبري اسماعيل اغاسمكو، تهران، 1348 (باللغة الفارسية).

جلال نوري، تاريخ استقبال، مسائل اساسية، اسطنبول 1332 (باللغة التركية).

عبدالعزيز ياملكي، كردستان وكرد اختلالري، جلد ا، تهران، 1946 (باللغة التركية).

Memorandum sur La situation des kurdes et leurs revendications, Paris, 1948.

Memorandum sur les revendications du peuple Kurde, Paris, 1919..

Nikitine B., *Les Kurdes, Etude Sociologique et historique,* Paris, 1956.

Nuru Dersimi, *Kurdistan Tarihinde Dersim*, Halep, 1952.

Rambout L., *Les kurdes et le droit,* Paris, 1947.

صحف ومجلات

(بانك كردستان) (نداء كردستان)، - مجلة - بغداد، العدد 3، 1332.

(بانك كردستان) (نداء كردستان)، - جريدة - السليمانية، 1922.

(بيشكةوتني سليماني) (تقدم السليمانية)، - جريدة - ، السليمانية، اكتوبر 1920.

(تيكيه يشتني راستي) (فهم الحقيقة)، - جريدة - ، بغداد، 1918- 1919.

(روزي نوى) (اليوم الجديد)- مجلة - ، السليمانية، 1960-1961. (العالم العربي) - جريدة - ، بغداد، تشرين الاول 1931.

(كردستان)، جريدة - القاهرة - جنيف - لندن - فولكستون، 1898-1902.

المحتويات

يشكّل موضوع «كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى» إحدى الحلقات المهمة في التاريخ الكردي المعاصر، فضلاً عن أهميته العلمية الثابتة، وهو، لم يفقد، حتى اليوم، وبعد مرور حوالى ثلاثة أرباع القرن عليه، هذه الأهمية.... حقاً إنه موضوع حافل بالأحداث والتجارب.

ولا ريب في أن ذلك يأتي على رأس قائمة العوامل التي جلبت انتباه القراء إليه في نصه الكردي (1975)، وفي ترجمته العربية (1977). فقد قيّمته أوساط علمية وثقافية مختلفة، سواء في الداخل («التآخي» و«طريق الشعب» و«الثقافة» و«العراق» و«آفاق عربية» و«هاوكارى» و«الإعلام») أم في الخارج (في الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأميركية وفرنسا وإيطاليا).

ومع مرور سنوات قليلة على الطبعة الأولى للترجمة العربية كان واضحاً أنَّ هناك أعداداً متزايدة من القراء والمتابعين المهتمين بموضوعه، ما استوجب إعادة طبعه. وليس لي، في هذه المناسبة سوى أن أكرر تمنياتي بأن يكون هذا الكتاب عند حسن ظن الجميع.

المؤلف

ISBN 978-9953-71-851-4
9 789953 718514